الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي

عميد كلية الدراسات العليا

إعداد

خالد سليمان حمد بني عبدالرحمن

بإشراف

الأستاذ الدكتور: مصطفى علي الحياري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في التاريخ

من كلية الدراسات العليا / الجامعة الأردنية

كانون الثاني ١٩٩٧

Text Stamp

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي ...

إلى روح والديَّ رحمهما الله ...

وإلى روح أكرم وأنبل من عرفتهم من الناس ... أخي وصديق دربي أيمن ... الذي خطفه القدر في ربيع العمر ... طيب الله ثراه ...

ولا أنسى إن أنسَ ... زوجتي العزيزة رائدة ... التي سهرت إلى جانبي وشاركتني عناء البحث، وطالما قدمت لي كل تشجيع ممكن.

قرار لجنة المناقشة :

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ .... / ..../ ١٩٩٧م

لجنة المناقشة :

- الأستاذ الدكتور مصطفى الحياري المشرف رئيساً ....
- الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري عضوا ....
- الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت عضوا ....
- الأستاذ الدكتور فالح صالح حسين عضوا ....

كلمة وفاء ...

لايسعني أولاً إلا أن أتقدم بجزيل شكري ووافر امتناني وعظيم وفائي إلى شيخي وأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مصطفى علي الحياري، الذي وافقني دراسة هذا الموضوع الحضاري والإشراف عليه، فلم يضن عليّ بإرشاداته القيّمة، وكان همه الأول والأخير أن يكتمل هذا العمل بأفضل صورة، فجزاه عني خير جزاء. وأقدم جزيل شكري ووافر امتناني لكل من : أساتذة قسم التاريخ في الجامعة الأردنية، والعاملين في المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية ومكتبة الأسد في دمشق، والمتحف البريطاني في لندن، وموظفي مكتبتي الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، ومديرية التربية والتعليم للواء الكورة، والعم اللواء. الطبيب عادل الشريدة، والأستاذ أحمد أبو دلو، وعصام هزايمه. الذين قدموا لي كل عون ساهم في استكمال هذه الرسالة ....

كما أنني أشكر أشقائي الأعزاء وأختي الحبيبة، ولايفوتني أن أشكر الحاج حسين البصول وزوجته العمة «أم محمد» رجعاً لابتهالهما، وأقدم شكري لمركز ناصر للطباعة، ولكل من سهل عليّ مهمة البحث، لبروز هذه الدراسة بشكلها النهائي، فلهم مني جميعاً كل الحب والتقدير...

المختصرات والرموز

- عند ذكر المصدر أو المرجع في الهامش يذكر اسم الشهرة للمؤلف مختصراً واسم الكتاب ثم يذكر الجزء والصفحة، مثال:

العماد الأصفهاني، عماد الدين أبو عبدالله محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).

الفيح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٢١هـ/١٩٠٣م). فيشار إليه في الهامش هكذا:

الأصفهاني. الفيح القسي، ص.... .

- أما عند ذكر المقال فيذكر اسم كاتبه كاملاً واسم المقال والصفحة، مثال:

الدكتور عماد الدين خليل. الجانب الإداري في مملكة نور الدين ٥٤١-٥٦٩هـ/ ١١٤٦- ١١٧٣م، مجلة آداب الرافدين، الموصل، ع٨، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، ص ٤٢- ٨٠. فيشار إليه في الهامش هكذا:

عماد الدين خليل. الجانب الإداري في مملكة نور الدين، ص.

وللمزيد من المعلومات عن كل مصدر ومرجع ودراسة وردت في الهامش يمكن الرجوع إلى قائمة المصادر والمراجع.

- وهناك بعض الرموز لا بد من الإشارة إليها:

ت	توفي
جـ	جزء
خط	مخطوط
د.ت	دون تاريخ نشر
س	السنة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
ق	قسم
م	مجلد
م	ميلادي
م.ن	المصدر نفسه
هـ	هجري
E.I	The Encyclopaedia of Islam
V	Volume

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
- قرار لجنة المناقشة	ب
- الإهداء	ج
- كلمة وفاء	د
- مختصرات ورموز	هـ
- المحتويات	و
- ملخص باللغة العربية	ح
- تحليل المصادر	١-١٣
الفصل الأول: الإدارة العامة في العصر الأيوبي	١٤-٦٠
- تمهيد	١٥
- مؤسسة السلطنة الأيوبية	٢٠
مفهوم السلطنة والملكية في العصر الأيوبي	٢٠
التقاليد والألقاب السلطانية	٢٢
مهام السلطان والملك وواجباتهم	٢٧
مماليك السلطان وأمرائه	٣٥
- ديوان الإنشاء	٣٨
- التراتيب الإدارية العليا:	٤٦
الأتابك	٤٦
الأستادار	٤٩
الدوادار	٥١
الاسفهسلار	٥٣
- علاقة الأيوبيين الإدارية بديوان الخلافة العباسية	٥٥
الفصل الثاني: التقسيمات الإدارية الأيوبية في بلاد الشام	٦١-١٠٠
مقدمة	٦٢
الإدارة العامة لممالك بلاد الشام	٦٤
- تراتيب دمشق وأعمالها	٧٢
- تراتيب حلب وأعمالها	٨٦
- تراتيب بعلبك وأعمالها	٨٩
- تراتيب حماه وأعمالها	٩١
- تراتيب حمص وأعمالها	٩٤
- تراتيب الكرك وأعمالها	٩٦
- إدارة المناصفات	٩٨

الفصل الثالث: الإدارة المالية في العصر الأيوبي........................ ١٠١-١٥٠
تمهيد.. ١٠٢
أنواع الدواوين ١٠٥
إدارة الإقطاع في العصر الأيوبي ١٢٩
المكوس والضرائب في ممالك الدولة الأيوبية...................................... ١٣٧
دار الضرب... ١٤٦
الفصل الرابع: إدارة المؤسسة العسكرية الأيوبية.............................. ١٥١-١٩٨
تمهيد.. ١٥٢
إدارة الجيش.. ١٥٤
ولاية الشحنة.. ١٧٨
ولاية الحاج... ١٨٤
ولاية القلاع ١٨٧
البريد والمخابرات... ١٩٥
الفصل الخامس: إدارة المؤسسات الدينية في العصر الأيوبي.......... ١٩٩-٢٥٢
- تمهيد... ٢٠٠
- القضاء : قضاء المظالم وقضاء العسكر.. ٢٠٦
قضاء المدن.. ٢١١
الخطابة في المساجد... ٢٢٣
- الحسبة.. ٢٢٦
- الأوقاف... ٢٣٤
- الإدارة التربوية التعليمية الأيوبية في بلاد الشام........................... ٢٣٨
- الخلاصة.. ٢٥٣-٢٥٤
- قائمة المصادر والمراجع.. ٢٥٥-٢٩٧
- الملاحق.. ٢٩٨-٣٢٨
- ملخص باللغة الإنجليزية... ٣٢٩-٣٣١

ملخص

إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي

إعداد : خالد سليمان عبدالرحمن

بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى الحياري

لم تكن كتابة هذا الموضوع «إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي» بالأمر اليسير عليّ، وإن كنت من قبل شغوفاً باستقصاء ودراسة أحداث ذلك العصر، فابتدأت بالبحث الدقيق لهذه الأحداث مع المراحل الأولى لدراستي للدكتوراة وليس قبل ذلك، وهذا ما شكل أمامي صعوبة لم استطع تجاوزها بسهولة. ولم تقتصر الصعوبة على هذا حيث تعددت جوانبها، فالبحث في التاريخ الحضاري الإداري يُعد من الدراسات التي تنأى عن تناولها أقلام الكتّاب والمؤرخين، فلم أعثر طيلة فترة البحث والدراسة حول الموضوع على أي دراسة متخصصة في إدارة العصر الأيوبي، خلاف بعض الدراسات التي تناولت المؤسسات الإدارية عامة، وكان بها نتف لإدارة الأيوبيين، خاصة في مركزهم الأول مصر قبل أن تشكل بلاد الشام مركز وجود بعض سلاطينهم وملوكهم. فتجاوز الكتّاب عن تنظيمات الأيوبيين الإدارية، وكأنهم أصدروا حكمهم على ذلك العصر بأنه عصر الأحداث العسكرية، ومثّل أشد مراحل الصراع الإسلامي الصليبي، فكان تحولاً جذرياً في تاريخ هذه المنطقة ؛ هذا الصراع الخارجي الذي شكل مع الصراع الداخلي بين ملوك بني أيوب وأمرائهم تاريخاً منع البعض من أن يصنع ملخصاً لتاريخ بلاد الشام الإداري تحت حكم أسرة الأيوبيين الكردية، الذي يعتبر امتداداً للتنظيمات الإدارية السابقة واللاحقة لذلك العصر. فإن

حدثتنا بعض تلك المصادر والدراسات كان حديثها في ممارسات الأيوبيين الإدارية أكثر منها إشارة واضحة إلى البُنى المؤسسية الأيوبية التي كانت تصدر عنها تلك الممارسات من مراسيم وقرارات، وتتفرع عنها مختلف الوظائف الإدارية.

حاولت قدر استطاعتي الحصول على ما يخص دراستي في إدارة العصر الأيوبي، وخاصة فيما يتعلق به من مخطوطات ومصادر مطبوعة ومنشورة ؛ أشارت إليها دراسات أولئك المؤرخين الذين حاولوا إنصاف ذلك العصر من خلال دراستهم لأحداثه، ولاسيما الاستفادة مما كتبه موظفو المؤسسة الإدارية الأيوبية، مثل القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني وابن شيث والقرشي وغيرهم، على الرغم من أن هذه الاستفادة لربما لم تخل من التعميمات التاريخية غير الدقيقة لتنظيمات تلك البُنى المؤسسية.

وبالرغم من هذه الإشارات إلا أن دقة الموضوع تتطلب مني زيادة الاطلاع، وهذا ما جعلني أمضي وقتاً طويلاً وتمر الأشهر عليَّ بالقراءة والبحث، لعلي أجد بين أسطر هذه المصادر ما يروي ظمأي، فكم وقفت عن الكتابة لكثرة موارد البحث وشح ثمارها، وعزمت على الرجوع عن هذا الموضوع، حتى تابعت بحمدالله، ولم آل جهداً في استشارة هذه المصادر والدراسات المتنوعة ؛ تاريخية كانت أو أدبية أو جغرافية لعلي أجد بها ضالتي وأهتدي من خلالها إلى تراتيب البُنى المؤسسية الإدارية الأيوبية ووظائفها المتعددة ؛ أرباب سيوف وأرباب أقلام وأرباب عمائم، ولا سيما في بلاد الشام وممالكها الإقطاعية التي مارس الحكام الأيوبيون سلطتهم على المجتمع من خلال تراتيبها. وحاولت سد الثغرات المتعددة بالاستفادة من المصادر السابقة واللاحقة للعصر الأيوبي، لاعتقادي أن النظم الإدارية هي مثل الكائن الحي في تطورها، ولابد أن الإدارة اللاحقة في بلاد الشام قد استفادت من تراث الإدارة السابقة، أو حتى قلدتها في بعض جوانبها، ومع كل هذا وذاك لم يكن في طاقتي أن أتم الموضوع أكثر من هذا، ولا شك أن هذا النقص هو شأن كل مخلوق.

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ودراسة تحليلية للمصادر وخمسة فصول رئيسة، وخلاصة وسبعة ملاحق ؛ تحدثت في الفصل الأول عن الإدارة العامة في العصر الأيوبي، ولا سيما فيما يخص مؤسسة السلطنة الأيوبية من حيث مفهوم السلطنة والملكية في العصر الأيوبي، والتقاليد والمراسيم التي تصدر بحق كبار موظفي الإدارة الأيوبية، ومهام هذا السلطان والملك وواجباتهم، وديوان الإنشاء المرافق للسلطان، وتحدثت عما يحيط بالسلطان من مماليك وأمراء كان لهم دور كبير في تسيير أمور إداراة الدولة والممالك الأيوبية، وتتعدد التراتيب الإدارية التي رافقت هذه المؤسسة السلطانية، فإذا كان هذا الأمير صغيراً تولى أمره «أتابك» حتى يصبح هذا الأمير قادراً على إدارة مؤسسته والقيام بواجباتها، وهناك تراتيب أخرى مثل : الأستادار والدوادار والاسفهسلار وغيرها من تراتيب، ثم تحدثت عن العلاقة بين الممالك الأيوبية والخلافة العباسية. وتناولت في الفصل الثاني التقسيمات الإدارية الأيوبية والإدارة العامة لممالكها الرئيسة، : دمشق وأعمالها وما يوجد بها من وظائف إدارية، وحلب وأعمالها، وبعلبك وأعمالها، وحماة وأعمالها، وحمص وأعمالها، والكرك وأعمالها، وتحدثت عن المناطق التي دخلت في اطار إدارة المناصفة بين الفرنج والمسلمين. أما في الفصل الثالث فتحدثت عن إدارة الأيوبيين المالية في مختلف ممالكهم ؛ فتناولت مختلف الدواوين وموظفيها مثل : الوزير، والناظر، والمشارف، والمستوفي وغيرهم، وتحدثت عن الإقطاع الأيوبي الذي يعد الأساس الإداري للسياسة المالية الأيوبية، ثم المكوس والضرائب التي تجمعها إدارة الدولة بوساطة موظفيها، وأنشأت الإدارة الأيوبية دوراً لسك النقود ووظفت لها العرفاء القائمين على أمرها.

وفي الفصل الرابع كان حديثي عن إدارة المؤسسة العسكرية الأيوبية في مختلف جوانبها : إدارة الجيش من حلقة سلطانية وفئات هذا الجيش، وديوان الجيش والإقطاع العسكري وزي هذه العساكر وما تحتاج من تموين ثم تناولت ولايات :

الشحنة والحاج والقلاع والبريد والمخابرات لما لكل منها من علاقة في الإدارة العسكرية.

أما في الفصل الخامس فتناولت الإدارة الدينية «أرباب العمائم» في المؤسسة الإدارية الأيوبية مثل : القضاء بأنواعه وأشكاله، والخطابة، والحسبة، وإدارة الأوقاف، والإدارة التربوية التعليمية الأيوبية. وأوردت في الختام ملاحق خاصة بمواضيع الدراسة عن : «حكام الممالك الشامية وقضاتها، ومنشور ولاية الأمير شمس الدين ابن المقدم على دمشق، ومنشور ولاية الحسبة في مدينة حلب، ومنشور لوثيقة وقف في القدس الشريف، وصورة المعكسر الإسلامي في العصر الأيوبي، وخريطة ممالك بلاد الشام، وأخيراً ملحقاً خاصاً بالمصطلحات الإدارية في ذلك العصر».

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور مصطفى الحياري، الذي أكرمني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وأثمن له كل دقيقة قضاها في قراءة كلماتها.



Text Stamp

تحليل
المصادر

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة - إدارة بلاد لشام في العصر الأيوبي - فمنها التاريخية العامة، ومنها المحلية المتخصصة بدراسة بعض الأقاليم دون غيرها، بالإضافة إلى مصنفات التراجم والسير، والكتب الأدبية والجغرافية المتنوعة من مصادر أولية ودراسات ثانوية، وكل من هذه المصنفات قد أفاد الموضوع بجوانبه المختلفة، وخاصة الأدبية منها من مثل: رسائل القاضي الفاضل، ورسائل ضياء الدين بن الأثير، وديوان ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م، ومعالم الكتابة لمصنفه ابن شيث المتوفى سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م، وديوان الملك الأمجد المتوفى سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م والمقصد الرفيع تصنيف بهاء الدين الخالدي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١م. ونلاحظ أهمية خاصة لبعض المصادر الجغرافية التي أفادت الدراسة مثل: الرحلة لابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م، ورحلة بنيامين التطيلي المتوفى في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكتاب معجم البلدان لمصنفه ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م[١]، والأعلاق الخطيرة لابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م.

واعتمد الباحث في هذه الدراسة على كثير من المصادر التاريخية الأولية والثانوية التي كتبت عن هذا العصر، وسأتناول بالتحليل الأكثر تأثيراً منها في مواضيع البحث المختلفة، وإن كانت معظم تلك الكتابات لم تهتم إهتماماً كبيراً بالجوانب الحضارية وخاصة الإدارية منها، مقارنة بغيرها، واهتمامها بإدارة الدويلات السابقة واللاحقة لحكم هذه الأسرة، فابن الطوير المتوفى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، صنف كتاباً يعتبر سجلاً متكاملاً في إدارة الدولة الفاطمية ونُظمها ووظائفها الإدارية المختلفة[٢]، وهكذا بعض الدراسات المتخصصة في إدارة المماليك

---

(١) للمزيد عن حياته وثقافته ومنهجه انظر : ابن المستوفي. تاريخ إربل. ق١، ص ٣١٩ وما بعدها.
(٢) ابن الطوير. نزهة المقلتين، ص ١ وما بعدها.

وتطور الإدارة في عصرهم.[١]

ونلاحظ في المصادر التي عرضت لتاريخ الأسرة الأيوبية أنها سجلت لنا تاريخاً عسكرياً مفصلاً لأحداث هذا العصر، وخاصة أن مصنفي هذه المؤلفات شاركوا في أحداثه وعاشوا ظروفه، مثل ابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م، وابن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م، والقاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩م، والعماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ / ١٢٠٠م، ومحمد بن تقي الدين المتوفى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م، وابن أبي طي الحلبي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م، وابن شداد المتوفى سنة ٦٢٣هـ / ١٢٣٤م، وابن طلحة القرشي المتوفى سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م، وسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م، وأبو شامة المقدسي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م، وابن العميد المتوفى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م، والنابلسي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م، وابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م، وغيرهم من مصنفي ذلك العصر مثل أبناء الأثير الجزري، عزالدين المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وضياء الدين المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م.

وبعض هذه المصنفات قد فقدت، وبعثرت مادتها التي تعتبر سجلاً لظروف العصر الأيوبي ونظمه المختلفة، وإن حُفظت بعض هذه الأحداث في مصادر متأخرة، ومن تلك المصنفات المفقودة، مؤلفات يحي بن أبي طي، حميد النجار ابن ظافر بن علي الغساني الحلبي، ومن أبرزها كتابه كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين، ومصنفه الآخر الموسوم معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب. وتبعثرت مياومات ومتجددات القاضي الفاضل، وحاول الباحث الاستفادة منها قدر الإمكان، ولا سيما إن بعض هذه الرسائل ومقتطفات منها قد زودتنا بها المصادر التاريخية المعاصرة مثل أبي شامة في مصنفه الروضتين وغيره.[٢]

---

(١) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص٥ وما بعدها. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٢٥ وما بعدها. Thoumain. B. Les Civils Et L'Administration

(٢) انظر ، الحريري. الاعلام والتبيين، ص ٥٨ ؛ وعاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ١٧٥ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ٢٨ ؛ وسوادي محمد. مقدمة في دراسة صليبي المشرق، ص ١٥٩ وما بعدها.

Text Stamp

وهناك مصادر ثانوية كتبت بفترات متأخرة عن العصر موضوع البحث مثل : كتابات الدواداري المتوفى في مطلع القرن الثامن/ الهجري الرابع عشر الميلادي، في كتابه الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ومصنف النويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م الموسوم بنهاية الأرب، ومؤلفات الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م، وموسوعة ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥م، ومؤلفات القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨م المشهور منها : صبح الأعشى، الذي أفاد الدراسة بمعلومات نادرة قلما تذكرها المصادر الأخرى، ومصنفات المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م، ولا تقل قيمة هذه المصادر أهمية عن المصادر الأولية المعاصرة لأحداث العصر الأيوبي بتفاصيلها وتعدد مشارب أصحابها، ولا سيما تلك الوثائق الخاصة بالحرب وإدارة الجيوش التي زودتنا بها[١]، إلا أننا نلاحظ تأويلاً واختلاف وجهات نظر صاحبيها في عرضهم لبعض أحداث العصر، وهذا إما لهوى في النفس أو تحيز لفئة على أخرى، وقد تتفاوت رواية الخبر الواحد عند مختلف المؤرخين في ضوء قربهم أو بعدهم عند وقوعه من جهة أو ميلهم تجاه أحد الأطراف من جهة أخرى.[٢]

وقد نجد إضافة في بعض النصوص التاريخية، فالحافظ ابن عساكر قد توفي سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥م، إلا أننا نجد في مصنفه تسجيلاً لأحداث لاحقة لتاريخ وفاته، ولربما كانت هذه الإضافة على حد قول البعض بيد ولده القاسم، فوضع بعضها بين قوسين إستدلالاً على تلك الإضافة وهذا الاقتباس. إذ يعد تاريخ ابن عساكر تراجم مفصلة لسيرة رجال الإدارة في عصره والعصور السابقة.[٣]

من المكاتبات التي تعرضت لواقع ذلك العصر وتنظيماته هي تلك الرسائل التي كتبت بقلم الكاتب الأول وزير دولة بني أيوب ومؤسس ديوانها عبدالرحيم

---

(١) عاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ١٧٨.

(٢) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١، ص ٤٠٢، ٤٠٩.

(٣) ابن عساكر. تهذيب تاريخ دمشق، جـ ٤، ص ٣٠٧ و جـ ٥، ص ٢١٧، ٣٨٠.

البيساني المعروف بالقاضي الفاضل[1]، واستطاع الباحث تصوير بعض هذه الرسائل من المتحف البريطاني بعد عدة محاولات بوساطة أحد طلاب الدراسات العليا في جامعة مانشستر البريطانية، هذا بالإضافة لما اقتبسته من هذه الرسائل من المصادر المعاصرة من مثل : كتابات العماد الأصفهاني، وجمهرة الإسلام لأبي الغنائم الشيزري المتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، ومصنفات كل من أبي شامة المقدسي والمؤرخ المصري المعروف بالقلقشندي.[2]

وجامع مياومات القاضي الفاضل لم يخصص رسائله هذه ومتجدداته لشأن معين من شؤون الدولة، بقدر ما كانت مقتطفات لشؤون وتنظيمات مختلفة، فطالما يذكر لفظ «بآخر» للفصل بين رسالة وأخرى، أو قد يضع العناوين للقليل من هذه الرسائل، وخاصة إذا ما كانت أمراً إدارياً من ديوان الإدارة المدنية لأحد المقطعين في أقاليمها[3]. وتتسم هذه الرسائل بالواقعية لتصوير حياة المجتمع وظروفه، وإن غلب على بعضها السجع مما ظلل الدلالة والعنوان، وصعب بالتالي فهم معانيها ومبتغاها، ولكن رغم هذا وذاك فقد تبقى هذه الرسائل الفاضلية مصدراً أصيلاً لا يمكن الاستغناء عنه عند الكتابة عن مطلع حكم هذه الأسرة وتنظيماتها الإدارية، إذ عاش القاضي الفاضل أحداث العهدين الفاطمي والأيوبي، وشارك في وضع أسس المؤسسة الإدارية الأيوبية وتطوير أنظمتها، فاستفدنا من كتاباته في مختلف جزئيات الدراسة.

وتأتي في المقام الثاني كتابات النائب الأول للقاضي الفاضل في ديوانه، كاتب الديوان الأيوبي العماد الأصفهاني[4]، إذ صنف مصنفات عدة حول أحداث

---

(١) حول سيرة القاضي الفاضل انظر ، الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ ٢١، ص ٣٣٨ وما بعدها وانظر لاحقاً الإدارة المدنية.

(٢) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص١٠٥. والشيزري. جمهرة الإسلام، ص ٢٥، ٣٢، ٢٤٥، ٣٦١، ٣٦٩ وغيرها ، وعاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ١٥٦.

(٣) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ١ وما بعدها.

(٤) حول سيرة الأصفهاني. انظر ، الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٣، ص ٧ وما بعدها تقديم الدكتور مصطفى الحياري ، والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ ٢١، ص ٣٤٥ وما بعدها.

بدايات هذا العصر، دشنها بمشاهداته اليومية أو سمع عن بعضها، وخاصة ما اطلع عليه من رسائل القاضي الفاضل السالف الذكر[١] ؛ عمل الأصفهاني في ديوان الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين ويعتبر من المؤسسين الحقيقيين لهذا الديوان، فصنف كتابه البرق الشامي وغيره مثل الفيح القسي[٢]، وخريدة القصر باطلاعه على سجلات الديوان، وتغلب على مؤلفاته هذه المحسنات البديعية السجعية التي ظللت على كثير من المعاني، فلم نستطع فهمها، ويحاول الأصفهاني إيجاد مبرر لهذا السجع[٣]، وهذا ما نلاحظه في مصنفه الأول ؛ البرق الشامي، الذي حرر منه جزءان الثالث والخامس فاستفدنا منها في دراستنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. كتب الأصفهاني عن الدولتين النورية والصلاحية، ووجد سيرتهما متشابهة، فوسم أحداث عهديهما بالبرق الشامي اللامع بأعمال هذين القائدين على أرض الشام خاصة[٤]، ثم جاء بعده المؤرخ المقدسي -أبو شامة- فكتب مصنفه بنفس النهج وسمّاه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. وتعتبر كتابات الأصفهاني معبرة عن طبيعة عمله في ديوان الدولة الأيوبية من جهة، فكان له بعض الأمر والنهي في هذا الديوان،[٥] بالإضافة إلى أنها شاملة مترجمة لأحداث الفترة الزمنية التي عاصرها بدقائقها وتفاصيلها، يزودنا الأصفهاني بنصوص لمناشير الولاية الأيوبية، مثل الإقطاع، وولاية دمشق وحسبة حلب وغيرها، وهذا ما نفتقده عند غيره من مصادرنا المختلفة[٦]. وتظهر في كتابات الأصفهاني بعض المواقف الشخصية له، وخاصة في حديثه عن الملك الزنكي الصالح إسماعيل المعاصر للفترة التي أخذ بها حكم صلاح الدين الأيوبي يمتد إلى مختلف المدن الشامية.[٧]

---

(١) الأصفهاني، البرق الشامي، جـ ٣، ص ١٠٥، ١٢٦.
(٢) الأرجح أنه الفيح وليس الفتح كما يذكره البعض. انظر ؛ المنجد. معجم المؤرخين الدمشقيين، ص٦٠.
(٣) انظر ؛ أبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ١، ص ٨ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ ١، ص ١٢.
(٤) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ ١، ص ١٢.
(٥) الأصفهاني، البرق الشامي، جـ ٥، ص ٢٩.
(٦) للمزيد انظر الملاحق والمصدر نفسه، جـ ٥، ص ٧٥، ١٠٨، ١٢٥، ١٣٩.
(٧) م. ن، جـ ٣، ص ٥١

واستفادت الدراسة هذه من مصنف عبدالرحيم بن شيث القرشي الموسوم بمعالم الكتابة ومغانم الإصابة، فابن شيث كاتب معاصر للدولة الأيوبية، تولى في ديواني القدس ودمشق، ثم انتقل لولاية الدواوين في مصر، واعتمد ابن شيث على ذاكرته ولم يهتم كثيراً بالتحديد الزمني في كتابة أحداثه.[١]

وأفادنا عز الدين بن الأثير في مصنفاته : الكامل، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بمعلومات جادة لتطورات الأحداث في الفترة الأيوبية، ويرى البعض وهذا ما أرجحه أن ابن الأثير هذا قد ابتعد عن الروح العلمية في تصنيف كتابه الباهر إذ تجاوز به عن سلبيات أولياء أسرته من الزنكيين، وخاصة في الأمور السياسية والعسكرية والإدارية عامة، وهذا الموقف يعود لصنيعهم مع أسرته بني الأثير. ويسترسل ابن الأثير في سجعه لما يخص سيرة ملوك وأمراء هذه الأسرة[٢]، إذ شارك في بعض الأحداث في هذه الفترة الزمنية من تاريخها، وأتيحت له الفرصة للإطلاع على بعض الكتابات والرسائل التي كان يصدرها الديوان الأيوبي.[٣] وتحامل ابن الأثير بالمقابل على صلاح الدين الأيوبي خاصة والأيوبيين عامة وطعن في سيرتهم، فيرى في صلاح الدين أنه قد أهان الأسرة الزنكية وحط من مكانتها[٤]. ويبدو أن ابن الأثير لم يكن قد شاهد الأحداث التي كتب عنها، فأخذ عن رجال الشام خاصة وروى عنهم[٥] مثال ذلك ابن العديم وابن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م صاحب كتاب الاعتبار[٦]، وابن عساكر وغيرهم[٧]. وهذا ما نلمسه في كلا كتابيه الباهر، وكتابه الشامل، الكامل الذي يحتوي أحداث مصنفه التاريخ الباهر ويزيد عليه.[٨] ولهذا كله فقد أفادنا عزالدين بن الأثير بمعلومات لا

(١) الباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٣٨ وما بعدها

(٢) انظر : ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٧٥، ١٣٩، ١٧٦، ٢٠٣.؛ والسامر. ابن الأثير. ص ١٤٨، ١٥٩.

(٣) ابن الأثير. الكامل، جـ ١١، ص ٤٤٣، ٤٨٤. والتاريخ الباهر، ص ١٨٧.

(٤) انظر : ابن الأثير. الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٧ وما بعدها و جـ ١٢، ص ٥٥ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٤٠ ؛ والسامر. ابن الأثير، ص ٦٢ ؛ ونصر، سوسن. القاضي الفاضل، ص ٢٦.

(٥) ابن الأثير. الكامل، جـ ١١، ص ٤١٧ وما بعدها ؛ والتاريخ الباهر، ص ١٤١، ١٦١، ١٦٤، ١٦٢.

(٦) انظر : ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١١٢، ١٢٦.

(٧) م. ن، ص ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ١٢٩.

(٨) انظر : م. ن، ص ١٧٧، ١٩٤ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ١٥١.

بأس بها تخص جوانب هذه الدراسة.[1]

ثم تأتي كتابات ابن الأثير ضياء الدين أبوالسعادات المتوفى سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م الذي اتصل بخدمة ملوك بنى أيوب وكتب لهم في رسائله على نقيض أخيه عزالدين، علماً بأن البعض قد يخلط بين كتابات الإثنين.[2] ونلاحظ هنالك بعض التشابه في رسائل ابن الأثير هذا، ومصنفات الأصفهاني بإضفاء المحسنات البديعية مما صعّب دلالة بعض الألفاظ، وصعب على الباحث فهم معانيها.[3] ويذكر أن هذه الرسائل قد كانت متفرقة حتى جمعت وتم نسخها عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م.[4]

ويعتبر كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لمؤلفه بهاء الدين بن شداد قاضي عسكر صلاح الدين من مواد الدراسة الرئيسة لقرب صاحبه من الأحداث واعتباره شاهد عيان على التطورات الإدارية في ذلك العصر. إذ يعتمد ابن شداد في تسجيل أحداثه على مشاهداته مثلما سمع من غيره لتفاصيل بعض هذه الأحداث.[5] يقول ابن شداد: «وخدمته -أي صلاح الدين- من تاريخ مستهل جمادى الأولى سنه أربع وثمانين وهو يوم دخوله الساحل، جميع ما حكيته قبلَ إنما روايتي عمن اثق به ممن شاهده، ومن هذا التاريخ ما أسطر إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق به خبراً يقارب العيان».[6] ويجب أن لايخلط بين هذا وبين عز الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م. صاحب كتابي الأعلاق الخطيره وتاريخ الملك الظاهر، ويعتبر -أي عزالدين بن شداد- في كتابه الأول أنه قد خلط المعلومات الجغرافية والتاريخية في آن واحد. ويذكر ابن شداد أنه قد اعتمد في أحداثه التي سبقت سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢م، على كتابات غيره، ثم بدأ اعتماده على مشاهداته فيما بعد ذلك التاريخ[7]، وفي كل هذا وذاك قد أفاد

---

(١) ابن الأثير. الكامل، جـ ١١، ص ٥٢٣.
(٢) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٨٥، ١٩١، ١٩٥.
(٣) ابن الأثير. رسائل، جـ ٢، ص ١١٩، وما بعدها.
(٤) م. ن، جـ ٢، ص ١٩٧.
(٥) عاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ١٦٨.
(٦) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٧.
(٧) انظر: ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٠ - ١١، وكراتشوفسكي. الأدب الجغرافي، جـ ١، *

شامه عن فترة تاريخية عاش أحداثها، وخاصة فترة النزاع الصليبي الأيوبي والمطامع الشخصية لأفراد الأسرة الأيوبية. وهذا كله يعطي لهذا المصنف أهمية كبرى، حيث فقدت كتابات بعض السالفين الذكر فدونها لنا، ثم هناك إختصار دقيق لهذا الكتاب سمي بعيون الروضتين، اختصره خليل بن كيكلداي المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٠٦م.[١] بالإضافة إلى مصنفه الذيل على الروضتين المسمى تراجم رجال القرنين السادس عشر والسابع عشر. ويبدو أن أبا شامه قد ألف كتابه الروضتين ادراكاً للدور الذي قام به نورالدين وصلاح الدين في وحدة المنطقة، والوقوف أمام الأخطار الصليبية على بلاد الشام، لذا نجده مادحاً متأملاً في شخصيات هؤلاء على عكس نظرته لبعض رجال هذا العصر، مثل الصالح اسماعيل ابن نور الدين وغيره.[٢]

أما كتاب أخبار الأيوبيين لأبي العباس بن العميد المتوفى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م، الذي بدأ تاريخه هذا بسنة ولادته ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م.[٣] ولم يذكر ابن العميد مصادره في بعض الأحيان ويكتفي بالقول : قال أو قال المؤرخ دون تحديد مقصوده بهؤلاء،[٤] وبالرغم من هذا إلا أننا نجد تفصيلاً هادفاً لنصوصه في مختلف مواقع البحث وموضوعاته.

وكتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لمصنفه جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨م، قد أفاد الدراسة فائدة كبيرة، وخاصة في سير التراجم لمن تولوا وظائف الإدارة ونياباتها، إذ حققت أجزاؤه بكاملها، واستفدت من الخمسة الأولى، التي يعتمد فيها ابن واصل على غيره أحياناً، ولاسيما عند الحديث عن الأحداث التي تقع خارج حدود إقليمه ومكان

---

* المؤرخ أبوشامة، ص ١٢٨، ١٤٧ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ١١.

(١) أبو شامة. عيون الروضتين، ق ١، ص ١٥٠.

(٢) انظر : أبو شامة، الروضتين، جـ ٤، ص ٢٥ ؛ وعيون الروضتين، ق٢، ص ٢٩٦ وما بعدها ؛ وعاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ١٣٧، ١٤٠.

(٣) ابن العميد. أخبار الأيوبين، ص ١٢٧.

(٤) م. ن، ص ١٢٨، ١٣٢، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٧ وغيرها.

إقامته، فيأخذ عن ابن خلكان في وفياته[١]، أما عند الحديث في سيرة بعض ملوك بني أيوب، وخاصة سيرة الملك الناصر داود، فنلاحظ أن ابن واصل قد رافقه في ترحاله وكتب عن سياسته وتنظيماته الإدارية ولاسيما العسكرية منها[٢]، بالإضافة إلى كثير من التنظيمات التي اختطها بنو أيوب في ممالك الشام رغم إنشغالهم في الفتن الداخلية التي احتوت الكثير من الأعمال التي قام بها هؤلاء الملوك.

ولا تقل أهمية الجزء السابع للدر المطلوب في أخبار بني أيوب، من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر لأبي بكر عبدالله بن أيبك الدواداري المتوفى في مطلع القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي لاتقل أهميته عن غيره، هذا بالرغم من أنه قد كتب متأخراً عن هذا العهد، وخاصة أنه قد كان لدى الدواداري وثائق تخص هذا العصر على حد قوله : «ورأيت في مسوداتي»[٣] ومن هذه المصادر التي استفاد منها الدواداري كتابات ابن شداد صاحب النوادر السلطانية[٤]، وكتابات ابن واصل السالف الذكر[٥]، ومصنفات عز الدين ابن الأثير الجزري وغيرهم.[٦]

اتبع الدواداري نظام الحوليات في تسجيل أحداثه، وقد يخرج عن هذا النظام الحولي بتتبع مواضيعه التي يكتب عنها حتى يعطي لموضوعه كمالاً بحديث سلس متسلسل[٧]، وإن لجأ أحياناً إلى تلخيص الأحداث التي تقع في كل هذه السنين التي كتب عنها[٨]، ويبدأها بحديثه عن نهر النيل وقياساته، وكأنه أراد أن يعطي تصوراً ما لأثر هذا النهر على حياة المجتمع المصري في ذلك العصر[٩]. ونجد أن

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٥٣، وما بعدها.
(٢) م. ن، جـ ٥، ص ١١٢.
(٣) الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ١١٥.
(٤) م. ن، ص ١١٤.
(٥) م. ن، ص ٥٣.
(٦) م. ن، ص ٨٢.
(٧) م. ن، ص ٥١.
(٨) م. ن، ص ١١١، ٣٠٤.
(٩) م. ن، ص ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤ وغيرها.

الدواداري قد رجح آراء مصادره على بعضها، إلا أنه قد أخطأ في عرض بعض الأحداث، ولم يهتدِ إلى ذكر أعلامها أحياناً[1].

ويزودنا مصنف تاريخ الدول والملوك «الكامل» المشهور بتاريخ ابن الفرات لمؤلفه ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥م بمعلومات جادة عن هذا العصر، وخاصة من خلال نقده لمصادره المتنوعة التي نقل عنها مادته[2]، هذا رغم حميّته وعصبيته عند ذكره لبعض الأحداث، وخاصة فيما كتبه عن نورالدين محمود بن زنكي ورجاله، فيرى بأنهم لم يحسنوا إدارة الدولة «وكانوا يتصرفون كالسفلة»[3] وكان هواه مع بني أيوب وتعصب لهم على غيرهم[4]. ولا يكاد يوضح لنا ابن الفرات ماهية مصادره أحياناً، فيقول : «قال بعض أهل التاريخ»[5]. اطلع ابن الفرات على مصنفات ابن أبي طي المفقود معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب، وأخذ من التاريخ المنصوري لابن نظيف الحموي المتوفى نحو سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م، واعتمد ابن الفرات على وفيات الأعيان في كثير من المعلومات التي زودنا بها[6]، ويعتبر مصنفه هذا موسوعة لأهم أحداث العصر عامة ابتداءً من سنة ٥٠١ هـ - ٧٩٩ هـ / ١١٠٧- ١٣٩٦م.[7] فاستفدت من كتاب ابن الفرات في حديثه عن تطور المؤسسة الإدارية، وإن كان قد خرج في بعض ألفاظه عن روح العصر الذي يكتب عنه، إذ تأثر بألفاظ الدويلات السابقة واللاحقة للعصر الأيوبي، وخاصة إنه قد اهتم اهتماماً زائداً بالحديث عن إدارة الفاطميين في مصر.[8]

واعتمدت الدراسة هذه على كثير من الدراسات الحديثة العربية منها والمعربة،

---

(١) الدواداري. كنز الدرر، ص ٥٣، ٢٤٥.
(٢) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ١، المقدمة، م٤، جـ ٢، ص ١٣٢.
(٣) م. ن، م ٤، جـ ١، ص ٨٧، ١٠٧، ١٠٨.
(٤) م. ن، ص ٨٨.
(٥) م. ن، م٤، جـ٢، ص ١١٣، ٢٠٤، ٢٠٧.
(٦) م. ن، م٤، جـ ١، ص ٦٥، ٩٤ ، وم ٤، جـ ٢، ص ١٢٠، ١٨٥.
(٧) م. ن، م٥، جـ ١، المقدمة.
(٨) م. ن، م٤، جـ ١، ص ١٣٥ وما بعده ، و م٤، جـ ٢، ص ١٣٤.

والمقالات المنشورة والمراجع الأجنبية. واستفادت منها في رسم صورة متواضعة البُنى المؤسسية الأيوبية في ذلك العصر، وأخص بالذكر منها كتابات الدكتور مصطفى الحياري، ومؤلفات نظير حسان سعداوي، ومقالات دريد عبدالقادر نوري وسعيد عبدالفتاح عاشور، وكتابات المستشرق الانجليزي هاملتون جب، التي كان لها أثر ظاهر في ثنايا الدراسة.(١)

ومن المراجع الأجنبية كتابات اليسيف Elisseeff عن نور الدين محمود بن زنكي وعصره(٢)، ومصنفات كلود كاهن Claude Cahen(٣)، التي أعطتنا صورة موضوعية عن بعض التنظيمات الإدارية في العصر الأيوبي، وإن كانت متحيّزة في بعض الأحيان وخاصة في حديثها عن العلاقات الحربية بين الأيوبيين والصليبيين في ذلك العصر.

الباحث

---

(١) للمزيد عن هذه الدراسات انظر قائمة المراجع والمقالات.

(٢) Nur Ad-din Un Grand Prince Musulman III Tome.

(٣) انظر، La Syrie du Nord.

Text Stamp

الفصل الأول

الإدارة العامة في العصر الأيوبي

«٥٧٠-٦٤٨هـ/ ١١٧٤- ١٢٥٠ م»

- تمهيد
- مؤسسة السلطنة الأيوبية :
  * مفهوم السلطنة والملكية
  * التقاليد والألقاب السلطانية
  * مهام السلطان والملك وواجباتهم
  * مماليك السلطان وأمرائه
- ديوان الإنشاء
- التراتيب الإدارية العليا :
  * الأتابك
  * الأستادار
  * الدوادار
  * الاسفهسلار
- علاقة الأيوبيين الإدارية بديوان الخلافة العباسية.

تمهيد :

عرفت إدارة الزنكيين والأيوبيين في بلاد الشام وظائف ادارية متداخلة في واجباتها ومهامها، ويمكننا تقسيمها الى الوظائف التالية : أرباب السيوف ومثلها السلطان والملك والوالي والأتابك والأمير الحاجب والأمير المقطع ودزدار القلعة ومقدم العسكر «الاسفهسلار» والشحنة وغيرهم، ووظائف أرباب الأقلام ومثلها الوزير والدوادار وموظفو الديوان من ناظر ومستوفي وكاتب وغيرهم، وأخيراً وظائف أرباب العمائم التي مثلها القاضي والخطيب والمحتسب وناظر الوقف والمدرس وغيرهم من الفقهاء. هذا التقسيم تطور من دولة لأخرى ومن عهدٍ لآخر، ولم يكن واضحاً تمام الوضوح في كافة ممالك بلاد الشام، أو عند مختلف حكام العصرين ؛ الزنكي والأيوبي(١).

نحاول في هذه الدراسة تتبع تطور المؤسسات الإدارية ومهامها، والتي تعتبر مثل كائن متطور قد أصابه التغيير والتبديل في منطقة بلاد الشام تحت حكم الأيوبيين، عما كانت عليه الحال في العصر الزنكي والسلجوقي السابق له،وإن كانت الدولة الزنكية هي النواة للإدارة الأيوبية في ممالك بلاد الشام، بل أن الكثير من حكام الأيوبيين ورجال دولتهم تدربوا ومارسوا مهامهم الإدارية في إدارة الدولة الزنكية. لذا لا غنى للباحث عن تتبع امتداد الحكم الزنكي في ممالك الشام ومدنه، حتى تكون الصورة أقرب للواقع، وأدق في الحكم على تطور تراتيب الإدارة في هذه المنطقة.

قامت الدولة الزنكية في الموصل وبلادها -الجزيرة الفراتية - كإداره أتابكية مستقلة ذاتياً في ظل الحكم السلجوقي العام لممالك الخلافة العباسية، فاتبع الزنكيون ترتيباً إدارياً مستمداً من التراث التركي السلجوقي، تم امتد الحكم الزنكي

---

(١) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٢٧ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٠، ص ٣١٧ ؛ وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٥٨ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٥٧ - ٥٨ ؛ والجميلي. دولة الأتابكة، ص ٢٥٣. وللمزيد في التعريف لكل وظيفه انظر لاحقاً كل وظيفه على حده.

Text Stamp

الى بلاد الشام بسيطرتهم على حلب ثم حماة سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨م[١]، بعد أن كانت خاضعة لإدارة الأتراك السلاجقة وأتابكتهم من آل طغتكين[٢]، وقد أثر هذا النظام الأتابكي تأثيراً مباشراً في النظم الإدارية في بلاد الشام وما حولها[٣].

وبالنسبة للأتابك هذا فيذكر أن الأسرة الزنكية قد عرفت بالأسرة الأتابكية منذ أن تقلد عماد الدين زنكي الموصل، وعينه السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه أتابكاً لرعاية ولديه : «ألب أرسلان وفروخ شاه»[٤]، ويذكر أنه بعد وفاة نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٩ هـ/١١٧٣م، تولى ابنه الصالح اسماعيل ورَتب له الأمير شمس الدين محمد بن المقدم «أتابكاً»[٥].

ومع تقسيم بلاد الشام إلى وحدات إدارية تحت حكم الزنكيين[٦] فقد إتخذ حكامهم ألقاباً عدة وشارات سلطانية مختلفة مستمدة بلاشك من التراث التركي السلجوقي، سواء ما كان منها في بلاد الشام أو ما يحيط بها من دويلات وممالك. فتذكر المصادر أن الزنكيين قد اتخذوا ألقاب الملوك حتى ضم نور الدين محمود ابن زنكي مصر لإدارته سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م فاتخذ لقب السلطان[٧]. وهذه الألقاب كانت تنقش على النقود، ويخطب بها على المنابر تعبيراً عن توسع النفوذ الإداري لهذا الحاكم أو ذاك[٨]. واتخذ حكام الأسرة الزنكية شارات دالة على سلطتهم

---

(١) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٩، ٣٨.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ١، ص ٥٣.

(٣) يذكر من هذه الإمارات الأتابكية ؛ «أتابكية الموصل منذ سنة ٥٢١ - ٦٣١ هـ / ١١٢٧ - ١٢٣٣م، وأتابكية خوارزم ٤٠ - ٦٢٨هـ / ١٠٩٦ - ١٢٣٠م، وأتابكية دمشق ٤٩٧ - ٥٤٩ هـ / ١١٠٣ - ١١٥٤م، وأتابكية أرمينية ٤٩٣ - ٦٠٤ هـ / ١٠٩٩ - ١٢٠٧م، وأتابكية أذربيجان ٥٣١ - ٦٢٢ هـ / ١١٣٦ - ١٢٢٥م، وأتابكية فارس منذ سنة ٥٤٣ - ٦٨٦ هـ / ١١٤٨م - ١٢٨٧م». انظر ؛ الجميلي. دولة الأتابكة، ص ٢٩- ٣٠.

(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٣٢٨. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٧. والصفدي. الوافي بالوفيات والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٤، ص ٢٢٢.

(٥) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٢٦٢-١٦٣. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٠. وابن قاضي شهبه. الكواكب الدرية، ص ٢٢٩.

(٦) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٣٤ - ١٣٥ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ ٢، ص ٧٢ ؛ والصفدي. أمراء دمشق، ص ٤١ ؛ وابن الفرات. تاريخ. م٤، جـ ١، ص ٤٩ ؛ وابن خلدون. تاريخ، جـ ٥، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٧) ابن ميسر. أخبار مصر، ص ١٤٥، ١٥٥ ؛ وابن إياس. بدائع الزهور، جـ ١، ق ١، ص ٢٤٠ و Elisseeff. Nur Ad-Din المنشور في مجلة المعهد الفرنسي، دمشق V.XIV.p. 157 وفليفل. علاقة الأيوبيين بالخلافة العباسية، ص ٢٨٠.

(٨) ابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ١٣٦ ؛ والمعاضيدي. الحياة السياسية، ص ١٩٠.

مختلف مناطق دولته[١].

ومن أجل تنظيم إقطاعات الدولة وجدت عند الزنكيين وظائف إدارية بمؤسساتها مثل الوالي أو النائب والأتابك والديوان وغيرها[٢]، فتولى الملك نور الدين محمود بن زنكي بنفسه شئون الإدارة المختلفة، إلا أنه استعان برؤساء ومشايخ الحارات وحاول من خلالهم القيام بالمهام الإدارية الموكلة إليه[٣]، وأوجد إلى جانبه ديوان الإنشاء بمختلف وظائفه وخاصة المالية من قبض وإنفاق ويتولى الديوان اصدار المناشير بالولاية والعزل[٤]، فتولى ديوان نور الدين القاضي أبو اليسر شاكر بن عبدالله بن محمد أبي المجد المتوفى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م[٥]، ثم تولى ديوانه ابتداءً بسنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م العماد الأصفهاني محمد بن صفي الدين المتوفى سنة ٥٩٧ هـ/١٢٠١م[٦].

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد اعتمد الزنكيون في تنظيم مؤسساتهم الإقطاعية على رجال العائلة الأيوبية، مثل نجم الدين أيوب بن شاذي وأولاده توران شاه وصلاح الدين اللذان تولوا الشحنه في دولته وعمهم أسد الدين شيركوه الذي كان من قادة عسكره، وأقطع في حمص والرحبة وتدمر[٧]، وأوكل نور الدين الكثير من مهام إدارته إليهم وإلى أبناء الداية ؛ مجد الدين محمد أبو بكر بن الداية وإخوانه حسن وعلي، وأصبح هؤلاء وغيرهم يمثلون أرباب الوظائف السالفة الذكر في الدولة

---

(١) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ١٩٩. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٤٧.
(٢) عماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٥٨.
(٣) الحسن بن عبدالله. آثار الأول، ص ٥٤.
(٤) ابن منقذ. الإعتبار، ص ٤٠، ٦٤. وابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٦٠. وابن يحي. تاريخ بيروت، ص ٥١، ٥٢. وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٦٢.
(٥) الأصفهاني. خريدة القصر، جـ ٢، ص ٣٥-٣٧. وأبو شامه. عيون الروضتين، ق١، ص ٢٨٥. والكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٩٦.
(٦) أبو شامه. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٣٧٨. وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٥١، ٥٢.
(٧) «شيركوه تعني بالعربية الجبل ولقب أسد الدين بهذا لشجاعته». انظر ؛ أبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ٢، ص ٣٨١ ؛ وابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص ١٢٠ ؛ و ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ١، ص ١٠ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٢٥٥ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ ٤، ص ٢١١ ؛ Holt. The Age of the Crusades, p. 49.

الزنكية[1]. ومع انتقال الزنكيين إلى بلاد الشام بدأ النفوذ الفعلي لأمراء بني أيوب، فأقطع هؤلاء في بعلبك وحمص وتدمر وغيرها[2].

استطاع صلاح الدين الأيوبي دخول بلاد الشام في ربيع الأول سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م، وتأسيس دولته في دمشق وما حولها، ثم ضم حلب لسلطته سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م، عقب وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين، فأصبحت سلطته وحكمه الأقوى نفوذاً في معظم مدن بلاد الشام ومضافاتها.[3]

كانت الصراعات الداخلية والخارجية قد شكلت تاريخ هذه المنطقة لذا لم نجد الإهتمام الكافي بالتنظيمات الإدارية، وإن حاول بعض المؤرخين كتابة بعض المصنفات الخاصة بتراتيب إدارة ذلك العصر[4]، وهذه الصراعات من أسبابها التوسع في الإقطاع، إذ لم يكن في همّ الأمراء الإقطاعيين في بلاد الشام إلا الحفاظ على امتيازاتهم الإقطاعية وزيادتها على حساب بعضهم البعض، أو على حساب الدولة الأيوبية التي ورثت الإدارة الزنكية[5]، فوجد صلاح الدين أنه لابد من الوحدة الداخلية بين الإمارات الشامية، لتستطيع هذه الممالك مقاومة الخطر الخارجي الذي تمثل بالحملات الصليبية على بلاد الشام وما حولها.[6]

جعل الأيوبيون من دمشق مركزاً لهم ولإدارتهم، إذ وجدوا ـ موقعها أقرب للرباط، ويسهل عليهم تنظيم مؤسستهم العسكرية بشكل مباشر، وإن بقيت مصر

---

(١) ابن القيسراني. ديوانه، ص ٢٥٦. وأبو شامة الروضتين، جـ ١، ق ٢، ص ٥٩٥، وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٤٧.

(٢) ابن الأثير. التاريخ الباهر،ص ٥٩ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٧، ص ١٤٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ١، ص ٤٨، ٤٩ ؛ وابن الطقطقا. الفخري. جـ ٢، ص ٤٥.

(٣) ابن العبري. مختصر الدول، ص ٣٦٠ ؛ وابن حبيب. درة الأسلاك، جـ ١، أحداث سنة ٦٤٨ هـ ؛ وابن يحي. تاريخ بيروت، ص ١٣٦ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ ١، ص ٣١٥. ودجاني. القاضي الفاضل، ص ١٩.

(٤) ابن الطوير. نزهة المقلتين، ص ٥٣-٥٤، وابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ١٧٣، وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق١، ص ١٧، والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٨، ص ٢٢٤، والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٧٦، ٧٧، ٣٢٥، وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ص٦٩.

(٥) الحياري. صلاح الدين، ص ١٥٢.

(٦) الشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ٤١٨ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ ١، ص ٦٢٢ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ٨٩ ؛ ويوسف غوانمة. مفهوم الأمن القومي، ص ٩٩ ؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ١٩٨.

هي مركز إدارتهم وحاضرة دولتهم[١]، وبدخولهم دمشق واجهوا بعض المعارضة من بعض الأمراء والجماعات الداخلية التي كان لها نفوذ ظاهر في ظل ضعف الإدارة الداخلية، كجماعة الاسماعيلية[٢]، في مصياف وقلاع الدعوة من أعمال طرابلس، وهكذا كان موقف بعض أمراء دمشق. الذين وجدوا في امتداد الحكم الأيوبي تهديداً لمصالحهم مثل ينال بن حسان المنبجي وغيره[٣].

مؤسسة السلطنة الأيوبية :

مفهوم السلطنة والملكية :

مفهوم السلطنة واسع وشامل «يعنى الحجة والبرهان» أي أن السلطان حجة الله في أرضه، وبه تقام الحجة والحقوق، وقد يؤخذ لغة من السليط أي فيما يضاء به[٤] وقد تطلق السلطنة كلقب على بعض الولاة، فيذكر أن أول من تلقب بها هو خالد ابن برمك -وزير هارون الرشيد- ثم تلقب بها الأمراء السلاجقة ومنهم ركن الدين طغرلبك السلجوقي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٥]، أما الزنكيون فلم يسود لقب السلطان فيما بينهم، غير ما ذكر بحق نورالدين محمود بن زنكي بعد ضمه مصر لسلطته فقيل له :

---

(١) ابن جبير، ص ٢٣٥ ؛ والأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢١٥، ٢١٦ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ ٢، ص ٢١٢ ؛ وابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٧٠٦.

(٢) «الاسماعيلية أو الفداوية أو الباطنية أو الحشيشية، هذه تسمياتهم، هم شيعة ينتسبون إلى اسماعيل بن جعفر الصادق والقائلين بإمامته، ومنهم الحشيشه الذين نزلوا حول طرابلس سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢-١١٣٣م، وأظهروا دعوتهم، وإليهم تنسب قلاع الدعوة في ألموت -بلاد فارس- وتعني عش النسر، حيث إستمرت حركتهم على يد الحسن بن الصباح ٤٦٣ هـ / ١٠٩٠م إلى أن انتقلوا إلى قلاعهم في بلاد الشام، فاشتروا قلعة القدموس ثم استولوا على مصياف وما حولها كالرصافة والقليعة والمنيقة من أعمال طرابلس سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠-١١٤١م، وترأسهم فيها راشد بن سنان»، للمزيد انظر ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص١٣٨- ١٤٠ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٠٣. ولويس. الدعوة الإسماعيلية، ص ١٢٥ وما بعدها. ولامب. شعلة الإسلام، ص ٤٣، ٤٥ وعبد الكريم حتاملة. صلاح الدين الأيوبي، ص ١٦١.

(٣) الصوري. الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٩٨١ ؛ و سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١. ص ٢٢١ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ١٣٢، ١٣٦، ١٥٣.

(٤) ابن منظور. لسان العرب، م٧، ص ٣٢١. ومختصر، جـ٢٨، ص ٦٩. ودائرة المعارف، م ١٢، مادة سلطان، ص ٨٤. والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٣٢٣.

(٥) المقريزي. السلوك، جـ١، ص ٣٢. والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٣٢٣. ودائرة المعارف، م ١٢، ص ٨٤. E.I^2. Atabak. p. 731.

«ملكت اقليمين ثمت ثالثاً فدعيت بعد الملك بالسلطان»[1]

واعتبر البعض أن لقب السلطنة ارتبط بهذا المعنى، أي أن السلطان قد تتبع لإدارته مناطق وممالك عدة، ولكن رغم هذا فلم يكن لقب السلطنة ذا شأن في نظر نور الدين محمود، فإذا ما أقر أمر «تقرر بالرأي الملكي» ولقب بملك الشام أكثر من تلقبه بالسلطنة[2]، وهكذا كان من جاء بعده، فصلاح الدين عرف بالملك الناصر، وإن منحه الخليفة العباسي لقب سلطان المسلمين سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[3]، أو قبل ذلك بقليل حيث منحه الخليفة الفاطمي هذا اللقب وهذا مما أثار بعض العداء بينه وبين الخليفة العباسي[4]. ويبدو أن الخليفة العباسي هو من يمنح لقب السلطان وإن كان من بعض الولاة أن لقبوا أنفسهم بالسلطنة، فيذكر أن أبي سعيد كوكبوري ابن علي بن بكتكين -صاحب إربل- قد جعل لنفسه هذا اللقب في مراسلاته مع الملك الكامل محمد الأيوبي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م[5].

أما الملك فهو نوع من السلطان «وجمعه ملوك وأملاك، وهو احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به» وقد اتخذ العرب منذ القدم هذا اللقب، ثم اطلق على ملوك الشرق من بنى سامان في بخارى سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، ثم أطلقه السلاجقة على ولاتهم من أبناء الأسرة السلجوقية[6]. وقد شاع هذا اللقب في عصر بني أيوب، واعتبر هؤلاء الملوك ولاة اقطاعيين أكثر منهم نواب سلطنة، غير ما يذكر في أحداث سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، عندما توجه صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر إلى بلاد الشام، فترك وراءه أخاه العادل نائباً عنه في سلطنة مصر[7]، إذ يتبين من

---

(١) السبكي. طبقات الشافعية، جـ٥، ص ١٦، ٣١٥. وابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ٢٤٠. والسيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص ١٢٥.
(٢) ابن النجار. الذيل، جـ٣، ص ١٣. وابن رجب. الذيل، جـ١، ص ٤٣٧. وابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٥٨. وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٦٠.
(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٢٠-٤٢١. ودائرة المعارف، م ١٢، مادة سلطان، ص ٨٤.
(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص٧. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٦، ص٥١٦.
(٥) ابن المستوفي. تاريخ إربل، ق١، ص ٢٤٢.
(٦) ابن منظور. لسان العرب، م ١٠، ص ٤٩٢. والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٤٩٦.
(٧) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٣٤٤. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ٤٢٠.

خلال التواقيع الإقطاعية بأن ما في المركز إدارة سلطانية وفي باقي المناطق التابعة لهاولايات إقطاعية «ملوك» حتى وإن كان هذا الوالي من أبناء الأسرة الحاكمة، فيقال في منشوره : «وقد عولنا في ولاية فلان على فلان»[١].

التقاليد والألقاب السلطانية :

تعددت صور الولاية والتقليد التي انتقلت بها السلطة من سلطان لآخر، ومن ملك إلى ملك في العصر الأيوبي، ولكن هذه التقاليد كانت على الأغلب تصدر من ديوان الخلافة العباسية، بما يمنحه الخليفة للسلاطين والملوك الأيوبيين من تشاريف وخِلع ؛ وتوضح هذه الخِلع صور الولاية والتقليد سواء كانت ولاية وراثية حصل عليها الابن بعد وفاة أبيه، أو إمارة استيلاء، استطاع هذا الشخص انتزاعها بالقوة، فيعترف له ديوان الخلافة بهذه الإمارة وهذا ما كان غالباً على صور الولاية في العصر الأيوبي[٢]. وإن عرفت ممالك الأيوبيين وإقطاعاتهم النظام الوراثي في الإقطاع والولاية، سواء ما تعلق بأفراد من الأسرة الحاكمة أو مما يخص غيرهم من الموظفين الذين احتفظ بعضهم بوظيفته لأبنائه حتى عهود لاحقة.

وسواء كانت هذه الولاية السلطانية غصباً، أو وراثة أخذها الأمير عن أبيه، فقد كان يعقد مجلس تحليف، يجتمع فيه كبار الأمراء من أصحاب النفوذ، ليبايعوا الأمير الجديد بالولاية، ولربما يعقد هذا المجلس مراراً حتى تستقر الولاية بيد الملك أو السلطان الجديد[٣]. وبعد التشاور في هذا المجلس تكتب نسخة اليمين التي يريدون البيعة بنصها : «إنا قد اجتمعت كلمتنا على أن يكون ولد فلان، وتقدير عمره كذا، واسمه فلان ولقبه كذا، المنصّب في السلطنة والقائم بالأمر، وأن يكون أتابكه فلان ..» وهذا ما كان سائداً في العهد الزنكي، ولا سيما إذا كانت هذه البيعة

---

(١) ابن الأثير. الوشي المرقوم، ص ٢٠٨، ٢٠٩. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص ٣٠-٣٢.. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٢٤.

(٢) الحياري. صلاح الدين، ص ١٢١، وللتوسع في هذه العلاقة انظر لاحقاً من هذا الفصل.

(٣) ابن الأثير. الكامل، جـ ١٢. ص ٣١٣ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٦٥، ٢٤٥ ؛ وأبو شامة، الروضتين، جـ ٢، ص ٢١٣ ؛ و ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٤١٨ - ٤١٩ ؛ والنعيمي. الدارس. جـ ٢، ص ١٤٤.

لأمير صغير في العمر(١). ويؤخذ بالحسبان عند عقد مجلس التحليف لوراثة السلطة وصية السلطان السابق لابنه المستخلف بعده.(٢)

واعتاد الأيوبيون أن يقرأوا منشور الولاية والتقليد سواء كان تقليداً صادراً عن ديوان الخلافة العباسية، أو تقليداً صادراً عن مجلس التحليف، يقرأ في المسجد الجامع(٣)، أمام صاحب الشأن ملكاً كان أو أميراً أو مقطعاً، ويلبس الوالي الجديد خلع ولايته ويحيط به رجال الإدارة، يسيرون معه إلى مقر مؤسسته ويهنئونه بمركزه الجديد.(٤)

ويبدو أن رجال الإدارة الأيوبية على اختلاف مراتبهم، قد استخدموا لباساً خاصاً بوظائفهم، فوجدت دار الطراز وولي عليها ناظر ومشارف مختص بعمله، يعرف بدقائق وتفاصيل العمل في هذه الدار ؛ ولأهمية مثل هذا العمل فقد تولاه رجال الدولة الثقاة(٥)، حيث يتسلم العرفاء في هذه الدار القصب المغزول ويعملون الرسم المطلوب، ويسلمونه للرقامين، الذين يتولون صناعته تحت إشراف العرفاء، الذين يتأكدون من جودة الصناعة حتى لا يدخلها خلل أو عيب(٦)، إذ ربما إذا ما اختلى الرقّام بنفسه خان في صناعته، بأن يجري التعديلات في الرسم لكي يوفر الخيوط، فيجعل خيط ونصف بدل خيطين في الطراز، أو يلجأ إلى تغيير عيار الذهب في الخيوط المنوي تطريزها على الثياب(٧). وصنع من هذه الألبسة الرسمية

---

(١) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري. ص ١٦١ ؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ ٣، ص ٢٥٢.

(٢) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ١٢٣ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٢٢٣ ؛ والمقريزي. السلوك. جـ ١، ص ٢، ص ٣٢٦.

(٣) حمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ص ٣٨٦.

(٤) ،وتتكون هذه الخلع من فرجية وجبة وقباء وأطواق الذهب وحصان وسيف ولواء وغيرها، والفرجية هي ثوب فضفاض واسع، له كمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلاً أطراف الأصابع، وقد تعني الجبة نفسها، وهكذا القباء وهو لباس خارجي للرجال ولكن كميه ضيقان، انظر : ابن منظور. لسان العرب، م٢، ص ٣٤٣، ٣٤٤. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٤، ص ١٢٩ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ١٢٨ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٦، ص ٤٩٥، ٤٩٩، ٥١٢ ؛ ودوزي. المعجم المفصل، ص٢٦٥، ٢٨٦. وجب. دراسات في حضارة الإسلام، ص ١٣٣ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٨١.

(٥) ابن الأزرق. بدائع السلك، جـ٢، ص ٢٢٥.

(٦) المخزومي ؛ المنهاج، ورقة ٧٤ أ ؛ ٧٥ ب. وابن الأزرق. بدائع السلك، جـ ٢، ص ٢٢٥. وصلاح الدين البحيري. دار الطراز، ص ٣٧-٤٨.

(٧) صلاح الدين البحيري، ص ٤٨.

لرجال الدولة ؛ الكلوتة والشاشة[1] أو الشربوش للرأس[2]. واستخدم الأيوبيون الكزاغند - المعطف القصير - وخاصة في مهماتهم الحربية[3]، يقول ابن واصل برواية العماد الأصفهاني عن السلطان صلاح الدين في أحداث سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢م : «ولم أجد عليك كزاغنداً وما كان له عادة أن يركب بدونه»[4]، إذ يذكر أن صلاح الدين قد طلب الكزاغند فلم يكن قد جهز بزركشته المعهودة[5].

وللوظائف السلطانية العليا هيبة في نفوس الناس، ولها شارات خاصة بها تدل على نفوذهم، فالسلطان ونوابه من الملوك يخطب بأسمائهم على المنابر وتنقش صورهم وألقابهم على النقود المستخدمة في مختلف ممالك الدولة وأعمالها.[6] فقد لاحظ الباحث بعد إطلاعه على قطع نقدية أيوبية مضروبة في دمشق وحلب والرملة وغزة، نقش على وجهها لقب الخليفة العباسي واسمه ومكان الضرب وتاريخه، وعلى الوجه الآخر نقش لقب السلطان الأيوبي واسمه، بالإضافة إلى آيات قرآنية مختلفة[7].

ومن الشارات التي أخذها الأيوبيون عن سابقيهم الزنكيين السنجق، وهذا السنجق كان دليلاً على الإرتباط الإداري لممالك الدولة الأيوبية بمؤسسة

---

(١) «والكلوته ملابس تشريفية ينعم بها السلطان وهي عبارة عن غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة، حيث تلف حولها وتصنع من الجوخ الأصفر» انظر ؛ أبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ١٣٨ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤ ؛ والبقلي. التعريف، ص ١٦٠، ٢٨٨. ودوزي. المعجم المفصل، ص ٢٥٠.

(٢) «والشربوش قلنسوة طويلة أعجمية تلبس بدل العمامة، وهي شارة للأمراء ولا يلبسها القضاة ورجال العلم والكتّاب، يقول صلاح الدين يوسف صاحب حلب لمجموعة من الأمراء ؛ والله لا أعود أرى أحداً منكم في دار السلطان أو موكبه يلبس شربوشاً إلا ضربت عنقه». انظر ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٦١. والبقلي، التعريف، ص ١٩٧. وعاشور. الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٩١٠. ودوزي. المعجم المفصل، ص ١٨٤.

(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٤٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٤١٥ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ٤٤.

(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٤ ٤١٥. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٨٥.

(٥) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٤٣.

(٦) أبو شامة. الروضتين، جـ ٢، ص ٢٢٥ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٣٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٤١٠، ٥٧٠ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ ١، ص ١٢٨.

(٧) للمزيد انظر ؛ شما. النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، ص ٥٧ - ٥٨. والمسكوكات الإسلامية. ص ٧٢-٧٥. ومسكوكات العالمين القديم والإسلامي. ص ٧٤-٧٥. وخلف الطراونة. دراهم فضية وفلوس أيوبية، ص ٨٥-٩٣. وسهام محمد المهدي. دينار صليبي، ص ٧٩-٨١.

السلطنـــة أو حاضرة المملكة، وكان سنجقهـــا راية صفراء في وسطها صورة النسر يرفعها الأيوبيون فـوق مؤسساتهم ومنها شارة على رؤوسهم يحملهـا قادة جيوشهم[١]، وتعتبر شارة السنجق دليلاً على هيبـة السلطـــان ورتبة الوالـي إذ تعتبر شعاراً لديوان السلطنة، وتوضع على المناشيـر الصـادرة من إدارة الدولـة الأيوبيـة بـحق الولاة والمقطعين في ممالكها وأعمالها المختلفة[٢]، هذا ويرى ابن الفـرات المتوفى سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، أن السنجق كـان من اختـصاص السلطان الأيوبي لا من اخـتصـاص الملـوك التابعـين للإدارة السلطانية[٣]، وإن خالفت الكثير من الإشارات في المصادر هذا الرأي، هذا إلى تراتيب خاصة بالولاية والتقليد ليس هنا مجال بحثها.[٤]

وتحـدثنا روايات المصـادر عن تعـدد الألقـاب التي اتخـذها سـلاطين بني أيوب وملوكـهم مـثلما تـعددت القـاب الزنكيين من قـبلهم[٥]، ويبـدو أنهـا ألقـاب تشريفـيـة حصل عليها بعض الأيوبيين من ديوان الخلافة العباسيـة، نظراً لـدورهـم الحربي الذي قامـوا بـه في مواجهـة الأخطار التي كانت تهدد منطقة ولايتهـم من ممالك دار الخلافة ؛ يقول عمارة اليمني المتوفى سنـة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م ؛

«وألقابكم في الدين مثل فعالكم   تنم بها الأخبار عن كرم الخبر

لها أسد ونجم، ومنكـــــــــــم   صلاح وسيف إن ذا غاية الفخر»[٦]

واتخـذ بعض ملوك بني أيوب ألقـاباً مـستمـدة من التراثين الـفارسي والتـركي

---

(١) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٩٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٨٥ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٢٢٤ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١١ ؛ وابن الفـرات. تاريخ، م٤، جـ ٢، ص ١٠٨، ١٥٢ ؛ والحنبلي. شفـاء القلوب، ص ٢٨٢ ؛ ومحسن حسين. جيش صلاح الدين، ص ٤٧ ؛ ومونروند. الحروب المقدسة، م٢، ص ١٤٤، ٢٤٨، Regan. Saladin, p. 123.

(٢) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٣، ص ٦٦ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٢٨، ٢٣٢ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٤ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٢٠٢.

(٣) ابن الفرات. تاريخ، م ٤، جـ ٢، ص ١٠٨، ١٥٢.

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٤٢.

(٥) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٥٨ ؛ ابن منقذ. الإعتبار، ص ١٢٨، ١٢٤ ؛ ابن ميسر. أخبار مصر، ص ١٤٥، ١٥٥ ؛ ابن النجار. الذيل، جـ ٣، ص ١٣ ؛ ابن رجب. الذيل، جـ ١، ص ٤٣٧.

(٦) عمارة اليمني. النكت العصرية، ص ٢٧٠ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٠، ص ١٠٣ ؛ ومآثر الأنافة، جـ٣، ص ٨٧ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٧١ ؛ ورنسيمان الحروب الصليبية، م٣، ص ١١٦ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢١٨.

السلجوقي في المنطقة مثل: خوند وشاهنشاه وتاج الملوك وغيرها.[١] وأصبحت بعض هذه الألقاب تدل على صاحبها كدلالة اسمه، فصلاح الدين مؤسس هذه الدولة اسمه يوسف، زادت ألقابه بعد اشتراكه مع الجيش الزنكي الذي توجه لفتح مصر سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤م[٢]. وعرف فيما بعد «بالملك الأجل، السيد، صلاح الدين، ناصر الإسلام، عماد الدولة، جمال الملك، فخر الملة، صفي الخلافة»، وغيرها من الألقاب التي أنعم بها الخليفة العباسي عليه[٣].

أما بالنسبة للقب الملك، فقد اتخذ معظم حكام الأيوبيين كما ذكرنا سابقاً لقب ملك، ولم يتخذ لقب سلطان إلا بعضهم مثل صلاح الدين، وأخيه العادل، إذ يرى بعض المؤرخين أن العادل قد لقب «بالملك الأجل والسيد، الكامل، المجاهد، المرابط، نصير الدين، ركن الإسلام، أثير الأنام، تاج الملوك والسلاطين» وغيرها[٤] ولقب الملك الكامل محمد بن الملك العادل بالسلطان، حيث تبعت لسلطته بعض الممالك الشامية بالإضافة إلى مصر حاضرة السلطنة والسلطان كما ذكر لنا البعض[٥]، هو من له السيادة ولو اسمية على كافة الإقطاعات والممالك في بلاد الشام ومصر، فبعد أن قسّم صلاح الدين مملكته بين أبنائه اتخذ لقب سلطان، وهكذا كان أخوه العادل، بحيث أصبح نفوذه واسعاً ودولته شاسعة،[٦] وهذا ما توضحه لنا المكاتبات والرسائل الصادرة عن ديواني دار الخلافة العباسية ومؤسسة السلطنة الأيوبية الخاصة بالتقاليد والتشاريف الخلافية والسلطانية في العصر الأيوبي.[٧]

---

(١) ابو شامة. عيون الروضتين، ق ١، ص ١٨٢، ؛ ابن الساعي. الجامع المختصر، جـ ٩، ص ٩٩ ؛ سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ٢، ص ٦٥٠ ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٦٥ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ ٢٢، ص ١١٨ ؛ الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ٨٢، ١٩٩، وستبحث هذه الألفاظ في التراتيب اللاحقة

(٢) عمارة اليمني. النكت العصرية، ص ٢٧٠. والقلقشندي. مآثر الأنافة، جزء ٣، ص ٨٧. محمد زنيبر. معركة حطين، ص ١٧٣
وقارن. Mayer. Saracenic heraldry, p. 366.

(٣) رسالة من ديوان الخلافة. انظر ؛ القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٠، ص ١٥٣. والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٤٠.

(٤) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٠، ص ١٠٣. ومآثر الأنافة، جـ ٢، ص ٨٧.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٥، ص ١٥.

(٦) ابن منظور. مختصر، جـ ٢٨، ص ٦٩ ؛ و القاضي الفاضل. الدر النظيم، ص ٥ ؛ و Holt. The Age of the Crusades, p. 67 ؛ و الدوداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ١٣٠، ١٤١ ؛ السيوطي. حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٢٥ ؛ بدوي. القاضي الفاضل، ص ٦١ ؛ والباشا. الألقاب السلطانية، ص ٥٠٠، ٥٠٥.

(٧) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ١ وما بعدها وخط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١ وما بعدها.

مهام السلطان والملك وواجباتهم :

عرفنا في الأسطر السابقة اختلاف هذين المفهومين السلطان والملك، وكل منهما في العصر الأيوبي قد تلقى مرسومه من الخليفة العباسي، والذي يحدد فيه واجبات هذا السلطان أو الملك، ولكن مما لا شك فيه أن هذه السياسة التي رسمها الخليفة قد اختلفت في الممارسة الفعلية لأولئك السلاطين والملوك، فيزودنا القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م برسائل مختلفة موجهة من الخليفة إلى سلاطين وملوك بني أيوب، اخترنا منها رسالة موجهة من الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن محمد المستضيء بأمر الله، أرسلها للملك العادل محمد أبي بكر بن أيوب، والتي تعتبر من النماذج الموضحة لمهام وواجبات السلطان الأيوبي وملوك الأقاليم المختلفة، فبعد الحمد والشكر تشير الرسالة إلى مقاومة الملك العادل للخطر الفرنجي، ويدعوه الخليفة العباسي فيها إلى ضرورة الأخذ بأوامره واتباع ما يراه الخليفة في منشور الولاية الذي منحه إياه «وضرع في الإنعام عليه بمنشور شريف إمامي يسلك في إتباعه هداه، والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل» واعتبر هذا المنشور تقليداً جامعاً بزعامة العادل على مختلف الوظائف الإدارية في مملكته من مثل أعمال الحرب والشحنة وسائر الجبايات والمظالم والحسبة وغيرها، ويعتبر المنشور أن كل ما يتم استعادته من الفرنج تحت زعامته، وله حرية الاجتهاد في تولية من يراه مناسباً على أعماله ويخاطب الملك العادل بعدة ألقاب «الملك الأجل السيد الكامل المجاهد المرابط، نصير الدين ركن الإسلام، أثير الأنام تاج الملوك والسلاطين، قامع الكفرة والمشركين قاهر الخوارج والمتمردين» ويأمره في هذا المنشور بتقوى الله تعالى والعمل بكتاب الله، وإقامة الصلاة وخاصة أيام الجمع والأعياد، ويدعوه إلى العناية بالمساجد، فيرتب لها من يقوم على خدمتها، ويأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثغورهم، وعليه تفقد أحوالهم، ومراقبة المعاقل والحصون والعناية بها، بأن يزودها بما تحتاج إليه من

ميرة وذخائر، وأن يولي عليها من ثقاته، ويدعوه في هذا المنشور إلى مواصلة الرباط والجهاد ضد الفرنج، ويأمره بالعدل برعيته ومساواة القوي بالضعيف، ويدعوه إلى تنظيم قافلة الحاج إلى بيت الله الحرام، ويشير هذا المنشور إشارة واضحة إلى أهمية القضاء وقضاته ورفع شأنهم «والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوي الاستحقاق والشد على أيديهم فيما يرونه من المنع والاطلاق» وأن يلزم المتخاصمين بالحضور إلى مجلس القضاء، ويطلب الخليفة من الملك العادل في هذا المنشور بأن يولي على أعماله من يتصف بالكفاءة والنزاهة، وخاصة ولاة الخزانة منهم، حيث يتولون جمع الزكاة «وجباية الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأدائها في أول السنة واستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمسكنة» ويأمره بتفقد أولئك الولاة الذين يتم تعيينهم في أجهزة الإدارة ومراقبة سياستهم في الرعية، ويدعوه إلى ترتيبهم في ديوانه «من يرتب العرض والعطاء وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في ضبط أسماء الرجال» وهذا ما يدعو موظفي الديوان إلى عمل جرائد خاصة بالجند، ويطلب من الملك العادل أن يحدد لكل من موظفي الديوان واجباته ومهامه، ويدعوه في المنشور إلى الاهتمام بأمر الحسبة وأن يكون ناظرها عارفاً بالاحكام الشرعية، ويولي اهتمامه بالموازين والمكاييل، هذا بالاضافة إلى مهام أخرى يلفت الخليفة انتباه الملك الأيوبي إليها للعناية بها والعمل على تنظيمها.(١) وهذا ما رآه النابلسي المتوفى سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م الذي تولى في ديوان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، أن مهام السلطان تتلخص في : «تقرير المصالح واستخراج الأموال وترتيب الدواوين والنظار والولاة»(٢). وربما نظر بعض الملوك الأيوبيين إلى مطالب الخليفة السالفة الذكر بعناية خاصة إن لم تتعارض مع مصالحه، وحاولوا من خلال ذلك كله الوصول إلى رضى الخلفاء

---

(١) للمزيد انظر : الأصفهاني. الفيح القسي، ص٦٤٥. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص٩٩-١١١.
(٢) النابلسي. لمع القوانين، ص٦٩.

العباسيين[١]. وسنحاول اقتفاء أثر سياسة بعض هؤلاء الملوك، والمشاكل التي عانت منها مؤسسة السلطنة الأيوبية في بلاد الشام.

اعتمد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وخلفاؤه على خاصتهم من المماليك والرجال المقربين من أسرتهم الموالين لهم، فصلاح الدين قد سمع لمشورة أخيه الملك العادل وعمل برأيه «فإذا كان العادل حاضراً سمع من رأيه وإن لم يكن حاضراً يكاتبه»[٢]، وتذكر المصادر سيرة صلاح الدين مع ولاته، بأنه كان يكرمهم ويقربهم إليه، يقول قاضي عسكر صلاح الدين بهاء الدين يوسف بن رافع المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م: «كان يسأل الواحد منّا عن مرضه ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله»[٣]. وكان يراقب ولاته ويحاسبهم، فيذكر أنه قد سمع عن كاتبه العماد الأصفهاني انحرافه عن السلوك القويم، فأمر مشيره وكاتبه القاضي الفاضل أن ينهاه بأمره، ولم يخاطبه مباشرة منه إليه[٤]، فيقول الأصفهاني فيه:

«رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
سجيته الحسنى وشيمته الرضى وبطشته الكبرى وعزته القعسا
فلا عدمت أيامنا منه مشرقاً ينير بما يولي ليالينا الدمسى»[٥]

ومن جهة أخرى كانت الحروب هي السمة الغالبة على عهده، حيث فتح الكثير من الحصون، وقضى معظم وقته في ميادين القتال، حتى شغلته أمور الجهاد هذه عن الحج[٦]؛ يقول ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م:

---

(١) للمزيد عن هذه العلاقة انظر؛ علاقة الأيوبيين الإدارية بديوان الخلافة العباسية.
(٢) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٥٢.
(٣) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٢١، ٣٨٠؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢. ص ٤٣٨؛ وطرخان. النظم الإقطاعية، ص ٤٠؛ والحبيب الجنحاني. حطين، ص ١٨٠.
(٤) ابن حجه الحموي. ثمرات الأوراق، ص ٢٠.
(٥) ياقوت. معجم الأدباء، جـ ٦، ص ٢٦٢٩.
(٦) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦١٩؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٣٧٢؛ والقرماني أخبار الدول، ص ١٩٥.

«لابن أيوب دانت كل مملكة   بالصفح والصلح أو بالحرب والحرَب»[١]

وحاول صلاح الدين تحسين علاقته مع بعض الإمارات الصليبية المحيطة، ومع بعض سكانها، فيذكر القاضي الفاضل في رسالته، أن صلاح الدين قد أرسل لبردويل حاكم القدس، معزياً بوفاة والده مخاطباً إياه : «أما بعد، خص الله الملك العظيم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصادق، والنعي بالملك العادل الأعز الذي لقاه الله خير ما لقى مثله، وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه، وليعلم إنا له كما كنّا لأبيه، مودة صافية وعقيدة وافية، ومحبة يثبت عقدها في الحياة والوفاة»[٢]. واستطاع صلاح الدين تحييد بعض القوى في صراعه مع الصليبيين، فعقد الاتفاقيات مع الامبرطورية البيزنطية ومع الجمهوريات الإيطالية وخاصة بيزا[٣]، فاستطاع بحنكته أولاً ضمان حياد الدولة البيزنطية، إذ عندما دخل إلى بلاد الشام سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م اتصل بالامبرطور البيزنطي مانويل الأول وتبادل معه السفراء، فأخبره مانويل بمؤامرة صقلية ومملكة بيت المقدس ضد حكمه لبلاد الشام، فتوثقت العلاقة بين الطرفين مما جعلها في تحسن مستمر، ولا سيما نظراً لسوء العلاقة بين الامبراطور من جهة والقوى الصليبية الغربية من جهة أخرى، فاستمر الاتصال بين صلاح الدين والامبراطورية البيزنطية، فترد الإشارة إلى أن الامبراطور البيزنطي قد أطلق سراح الأسرى المسلمين لديه، فاستجاب صلاح الدين لهذه السياسة وأفرج عن الأسرى البيزنطيين، وتعهد الامبراطور البيزنطي لصلاح الدين بضمان عدم اشتراك أسطوله إلى جانب الصليبيين بمحاربة المسلمين، واشتدت هذه العلاقة متانة بوصول الامبراطور البيزنطي إسحاق الثاني أنجيليوس إلى سدة الحكم (٥٨١-٥٩٢هـ/ ١١٨٥-١١٩٥م) فوافق صلاح الدين على وضع الاماكن الدينية

---

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٠.

(٢) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٧، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص٢٢٨. وابن الساعي. الجامع المختصر، جـ٩، ص٢٤٣. والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص٥٠. وغوانمة. معاهدات الصلح والسلام، ص٣٧. وإبراهيم. حطين، ص٨٠.

المسيحية في بلاد الشام تحت رعاية رجال الدين الأرثوذكس[١]. أما العلاقة مع بعض المدن الإيطالية التجارية فتوضحها لنا الرسالة الفاضلية على لسان صلاح الدين التي وجهها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ؛ يبين له فيها مصلحة دولته من هذه العلاقة ؛ «ومن هؤلاء البنادقة والبياشنة والجنوية، كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضراوة ضرّهم، وتارة يكون سفاراً يحتكمون على الإسلام في الأموال المجلوبة، وما منهم إلا من هو الآن يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وتلاده، وكلهم قد قررت معهم المواصلة وانتظمت معهم المسالمة على ما نريد ويكرهون، وعلى ما نؤثر وهم لا يؤثرون»[٢]. وحاول صلاح الدين بعد ذلك إنشاء علاقات ودية ليس مع الأباطرة والقادة فقط وإنما مع سكان المناطق المحيطة كذلك ؛ فيؤكد لنا كلود كاهن عمق العلاقة بين صلاح الدين وسكان المناطق الخاضعة للحكم الصليبي، فعمل طبيب عموري الأول ويدعى أبي غالب في خدمة صلاح الدين[٣]، واسكن صلاح الدين صاحب شقيف أرنون الصليبي في دمشق.[٤]

ونظراً لهذه السياسة الداخلية والخارجية المتوازنة فقد وجد الناس ضعفاً ظاهراً في إدارة الدولة بعد وفاة صلاح الدين، فخرج البعض على سلطة الدولة، وتنافس الأمراء واشتد الصراع فيما بينهم[٥]، فأبناؤه تنقصهم شخصية رجل الإدارة، فابنه الأفضل وارث المملكة الدمشقية لم يستطع الحفاظ على هيبة دولته ولقب بالملك النوّام، وكان وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م صاحب الكلمة الأولى في دولته[٦]، وهكذا الظاهر غازي في حلب حتى استطاع

---

(١) للمزيد عن هذه العلاقات انظر ؛ أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص١٦٠. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص١٢٢، ١٣١. وعاشور. الحركة الصليبية، جـ٢، ص٧٩٤، ٧٩٥، ٨١٣.

(٢) للمزيد انظر نص الرسالة في ؛ أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص٦٢١-٦٢٢. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٣، ص٨٨.

(٣) كاهن. الشرق والغرب. ص ٢١٧.

(٤) طرخان. النظم الإقطاعية، ص ٤٢.

(٥) توفي صلاح الدين في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ / ٢ آذار ١١٩٣م. انظر ؛ الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٣٧.

(٦) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٣٢ ؛ وابن حجه الحموي. ثمرات الأوراق، ص ٢٧ ؛ وحمادة.الوثائق السياسية والإدارية، ص ٨٧.

Text Stamp

الملك العادل الأيوبي توحيد الممالك تحت سلطته، ووصف بالمكر والدهاء والنشاط، إذ كان قد تدرب على القيام بالمهام الإدارية في حياة أخيه صلاح الدين، واستشاره صلاح الدين فيما صعب عليه من أمر(١)، ورغم هذا كله لم يلق العادل قبولاً إدارياً عند الناس، إذ جاء بعد حكم سلطانين هما: نورالدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الأيوبي الذين أحبوا سيرتهما فيهم(٢).

اتبع العادل الأيوبي سياسة أخيه صلاح الدين، ولكنه كان أكثر شدة مع ولاته ومقطعيه، يقول لأحدهم: «لو استقام العود لما اعوّج ظله، ولو انتهيت أنت لانتهى غيرك، ولو كنت تكلم المسيئين وأنت غير شريك في الإساءة لكان أمرك أقوى وعزمك أنفذ، ولكنك ملجم عن إنكار ما أنت شريك فيه».(٣)

وحكم الملك الكامل محمد بعد أبيه العادل، ووصفه بعض المؤرخين «بأنه رجل سلام وشرف» وهذا ربما نظراً لتلك الاتفاقيات التي عقدها مع الصليبيين وسلمهم القدس دون حرب(٤). وحاول الملك الكامل ضم مختلف الممالك الأيوبية لإدارته من خلال الحصول على تأييد حكام الممالك الشامية، إذ عقد لبناته على أمرائها، فزوج ابنته فاطمة خاتون من الملك العزيز -صاحب حلب- وزوج غازية خاتون من الملك المظفر -صاحب حماة-(٥) وعقد لابنته عاشوراء على الملك الناصر داود - صاحب الكرك - ثم أبطل عقدها لوحشة حدثت بينه وبين الناصر.(٦)

وإلى جانب هؤلاء من لقبوا بالسلاطين تولى ممالك بلاد الشام ملوك عجزوا عن إدارة ممالكم، مثل الجواد يونس بن مودود بن محمد بن أيوب، الذي أقطع في دمشق، فكاتب الملك الصالح نجم الدين أيوب -صاحب مصر - وعوضه الصالح

---

(١) أبوشامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥٢؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٦٧؛ ورنسيمان. الحروب الصليبية، جـ٣، ص ١٥٥؛ و Holt. The Age of the Crusades, p. 62.

(٢) البغدادي. الخليفة الناصر، ص ١١؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ ٥، ص ٦٥.

(٣) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١٠٣

(٤) رنسيمان. الحروب الصليبية، جـ ٣، ص ٢٦٥، ٣٦٦

(٥) غوانمة. إمارة الكرك، ص ٢٣٣

(٦) موسى العليلي. الناصر داود، ص ١١٦.

عنها بسنجار وعانة من البلاد الشرقية[١]، فجعل منها الصالح نجم الدين نيابة تتبع لمؤسسته الإدارية في مصر.[٢]

ويحدثنا بعض المؤرخين في تحليلاتهم لمشاكل الادارة الأيوبية منذ أن استطاعت ضم بلاد الشام إلى دولتها، فالممالك الأيوبية قد واجهت بلا شك ظروفاً صعبة، وخاصة بصراعها المستمر مع القوى الصليبية التي تهدد أمنها، بالإضافة إلى تلك العلاقات غير المستقرة بين أفراد الأسرة الحاكمة، وفراغ الخزانة في كثير من الأحيان من الأموال، بدءاً فصلاح الدين -مؤسس هذه الدولة-، لم يبخل بالمكافآت المادية مع أفراد أسرته، ومختلف الفئات في دولته، مما أدى بخزانته إلى العجز عن توفير الإمكانيات المادية اللازمة لمواجهة الظروف الطارئة، فضعفت قوته، وبالتالي جعل البعض من أمرائه يطمعون في ممالكه، وتذكر المصادر أن شمس الدين عبدالملك بن المقدم قد عصى بمملكة بعلبك، ولم يتخذ صلاح الدين إجراءً عسكرياً ضده[٣]، ثم عمل صلاح الدين على تقسيم ممالكه بين أبنائه، وقلده أخوه العادل في سياسته هذه، مما أدى إلى تبعثر القوى بين هذه الممالك واشتداد حدة التنافس بين أمراء الأسرة الأيوبية[٤].

ومشكلة الوراثة من المشاكل التي واجهت إدارة مؤسسة السلطنة والملك في الدولة الأيوبية، فيذكر من حالاتها أن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه قد طالب بملك أبيه في الشام وشرق الفرات، مما أوجد الاختلاف بين أفراد الأسرة الأيوبية، اذ كان صلاح الدين قد أقطع بعضها لابنه الأفضل[٥]. وتؤكد قصائد الشعراء بعض هذه المشاكل التي كانت تعاني منها الدولة الأيوبية،

---

(١) «وسنجار مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام في الطريق المؤدي إليها وهي قصبة ديار ربيعة، شرق خط طول ٤٢ْ شرقاً وعلى خط عرض ٣٦ْ، ٢٢ْ شمالاً، وعانة من أعمال الجزيرة كذلك تقع بين الرقة وهيت، وتشرف على الفرات». انظر : ياقوت معجم البلدان، جـ٣، ص٢٦٢، جـ ٤، ص ٧٢. ودائرة المعارف، م١٢، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢) الكتبي. فوات الوفيات، جـ ٤، ص ٢٩٦، وللمزيد انظر : نائب السلطان فيما بعد.

(٣) Gibb. Saladin. pp. 20, 24, 28 و Humphreys. From Saladin p. 146.

(٤) الحريري. الأعلام والتبيين، ص ٨٨ - ٨٩ ، وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ص ٨٩ و Holt. THe Age of the Crusades, p 63

(٥) الحياري. صلاح الدين، ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

وخاصة أشعار ابن عنين، محمد بن نصر بن مكارم بن الحسين الدمشقي المتوفى سنة ٦٣٠ هـ / ١١٣٢م، وكتابات ابن المسجّف، عبدالرحمن بن أبي القاسم بن غنائم ابن يوسف الكناني العسقلاني المتوفى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨م وغيرهم[١].

ونستطيع ملاحظة مشاكل أخرى لهذه الإدارة من خلال ما أوصى به الملك الصالح نجم الدين أيوب آخر الملوك الأيوبية في مصر فيوصي ولده تورانشاه مخاطباً إياه : «يا ولدي أنت تعلم ما سبب تأخير طلبك، إلا ما أعلمه منك من الصبيانية والجرأة وقلة الثبات، والمُلك ما يحتمل هذا، وأثبت في جميع أمورك، وأترك الأشياء على ما هي عليه، كل أحدٍ متول الشغل الذي هو فيه، والوصية بجميع الأمراء وارفع منزلتهم، فهم جناحك الذي تطير فيه، وظهرك الذي تركن إليه، وطيّب قلوبهم وزد في إقطاعاتهم، وانفق الأموال وطيب قلوب الرجال يحبوك...» ويبدو أن هذه الرسالة قد وجهها الملك الصالح لابنه تورانشاه قبيل وفاته، ولكنه تأخر في المجيء، فأوصى الملك الصالح بتسليم البلاد للخليفة العباسي ليرى فيها رأيه، ولكن زوجته شجرة الدر -أم خليل- أرسلت لابنه تورانشاه في حصن كيفا، فقدم وتولى الأمر حتى مقتله سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٢]. فهذه الإدارة الأيوبية العامة المتمثلة في شخص سلطانها، غير محدودة المعالم بشخص ملكها وواليها وعمره ومؤهلاته غير إنه ابن للسلطان والملك السابق، ونظمها غير ثابتة، غلب عليها الطابع العسكري[٣]، وإنتهى حكمها في مصر سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، وإن استمر وجود بعض الأمراء الأيوبيين في بعض الممالك الشامية حتى فترات لاحقة مع امتداد السلطتين المملوكية والمغولية إلى هذه الممالك.

---

(١) للمزيد انظر : ياقوت. معجم الأدباء، جـ٦، ص ٢٦٦٢ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ١٧ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٤٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ٥، ص ١٢٢-١٢٦، و جـ٩، ص ٢١٦ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ ٢، ص ٢٨٦.

(٢) Cahen. d'Al-Malik AS-Sa'lih, p. 99.

والمنشور في مجلة المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٧م. وعن مزيد من العلاقة عن وضع المملكة قبيل وفاة الملك الصالح انظر : علاقة الأيوبيين الإدارية بديوان الخلافة العباسية.

(٣) المنهاجي السيوطي. إتحاف الأخصا، ق١، ص ٢٨٦.

Humphreys, From Saladin, p.p. 145-146.

Text Stamp

مماليك السلطان وأمرائه :

المملوك اصطلاح أطلق على من يباع ويشترى من الرقيق، وخاصة الفئات البيضاء منهم الذين تم استجلابهم إلى الممالك الإسلامية وهؤلاء المماليك يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة، حيث يعملون عبيداً في القصور حتى تكونت منهم، بعض الفرق العسكرية الخاصة بالسلاطين والملوك(١). ومن المناطق التي أصبحت مورداً للرق ، سمرقند والقبجاق في أواسط آسيا ومناطق القوقاز كذلك، وهذا نتيجة لعاملين رئيسيين أولهما : أن أهالي هذه المناطق كانوا يعانون من ظروف صعبة مما اضطرهم إلى بيع أبنائهم، وثانيهما سيطرة التتار على هذه المناطق، فاستعبدوا أهلها وباعوا بعضهم رقيقاً في أسواق النخاسة(٢)، ولسبب ثالث فقد يتحول بعض الأسرى إلى مماليك إن لم يستطيعوا فداء أنفسهم(٣). وبدءاً بدأ دور المماليك الأتراك في العصر الأيوبي عندما كون بعض أمراء الأسرة الأيوبية من هؤلاء فرقهم العسكرية، فترد الإشارة إلى أن أسد الدين شيركوه قد أقطع في حمص وتشكلت إلى جانبه فرقة المماليك الأسدية نسبة إليه، وكان عددهم خمسمائة رجل(٤)، ثم فئة أخرى عرفت بالمماليك النورية نسبة إلى نور الدين محمود بن زنكي، استمر دورها الفاعل منذ العهد الزنكي إلى العصر الأيوبي(٥). وهكذا كان من صلاح الدين أن تشكلت له فرقة من المماليك بعد أن تولى الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد بعد وفاة عمه سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، وسميت بالمماليك الصلاحية أو الناصرية نسبة إليه، ولربما كان عددهم يقارب عدد المماليك الأسدية(٦). وهناك فئة المماليك

---

(١) الصوري. الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ١٠٠٢.

(٢) الصوري. الحروب الصليبية، جـ١، ص ١٥٢. وياقوت. معجم البلدان، جـ ٢، ص ٥١٩. وابن الأثير. الكامل، جـ ١٠، ص ٤٠١، ٤٠٢. والذهبي، سيق أعلام النبلاء. جـ ٢٣، جـ ١٩٢. والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٤١٥-٤١٦. والحروب. المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية، ص ٢٧-٢٩.

(٣) ابن العبري. مختصر الدول، ص ١٢١.

(٤) ابن الأثير. الكامل، جـ ١٠، ص ١٣. وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٣٩-٤٠. وأبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ٢، ص ٤٣٨. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٣٠٩.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ٢، ص ٤٣٩.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١، ص ٢٧٩. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٢٧٥. وجب. صلاح الدين، ص ١٥٥.

الأشرفية نسبة للأشرف موسى بن الملك العادل، وكان يرأسهم عز الدين أيبك الأسمر[١]، ولم تقف سياسة استقدام المماليك واستخدامهم عند هذا الحد فقد سار باقي ملوك بني أيوب على هذه الشاكلة وأكثروا من شراء المماليك وخاصة آخر ملوكهم الملك الصالح نجم الدين أيوب -صاحب مصر وبلاد الشام-[٢].

تكون من هؤلاء المماليك جند الحلقة السلطانية، وأصبحوا رافداً للقوة العسكرية الأيوبية نظراً للحاجة الماسة إلى زيادة عدد أفراد الجيش، ولربما كانت هذه الفئات أكثر ولاء من أبناء الممالك الشامية لسلاطين الدولة الأيوبية وملوكها، فأبناء المنطقة ربما يرون لأنفسهم الحق بحكم بلادهم وانتزاعها من أيدي أفراد الأسرة الأيوبية الذين قدموا إلى المنطقة مع بدايات ذلك العصر[٣]. ومن فئة المماليك هذه يتم تعيين الموظفين غالباً، وأصبحت لهم مكانة مرموقة عند السلاطين، ينادمونهم، ويحمون أنفسهم بهم، إذ نظمت فرق الحرس للسلطان الأيوبي من هؤلاء فأكثر الملوك من عطائهم وزادوا في إقطاعاتهم[٤]؛ ومنهم المملوك الأبيض بهاء الدين قراقوش الأسدي المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م، الذي ولاّه صلاح الدين على عكا، وتولى عمارة سورها بأمره[٥]، وانظم هؤلاء الأسدية إلى صلاح الدين الأيوبي بعد وفاة سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، فاستعان بهم وأضاف إليهم مماليكه الصلاحية، وتذكر المصادر ان مقدم الأسدية كان أبو الهيجاء السمين، ومقدم الصلاحية يعرف بسليمان بن جندر المتوفى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١م، ومن

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٥، ص ٢٧٢.

(٢) النويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ١١٦، ١١٩. وابن خلدون. تاريخ، جـ ٥، ص ٨٠٤. والمقريزي. السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ١٢٢.

(٣) ،يذكر أن أصل الأيوبيين من بلدة دوين من إيران في آخر حدود أذربيجان، انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٦٨ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ ١، ص ٥٠ - ٥١.

(٤) نظام الملك الطوسي. سياست نامه، ص ١١٣ ؛ ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١٦٢ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٦١١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ١، ص ٣٢٨ ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٣٩٨، جـ ٣، ص ١٥، ١٦ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٠، ص ٣٢٤ ؛ الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ٢٥ ؛ البقلي. التعريف، ص ١١٤.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٣٩. والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٩٣. وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ ٤، ص ٣٣١-٣٣٢.

أتباعه زين الدين قراجا الصلاحي - صاحب صرخد- المتوفى سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م، ومنهم فارس الدين ميمون القصري وفخر الدين جهاركس بن عبدالله الصلاحي المتوفى سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١م، والمبارز بن يوسف بن خطلخ وسنقر الحلبي وقرا سنقر وأيبك فطيس وغيرهم.(١)

أصبح بعض هؤلاء المماليك أمراء إقطاعيين في ممالك بلاد الشام، ومن هنا حتمت عليهم مصلحتهم التدخل في الصراعات الدائرة بين أفراد الأسرة الأيوبية ؛ يقول بعض أمراء الصلاحية لسيدهم المقطع في نابلس ميمون القصري بعد أن سيطر الملك العادل على الحكم سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وعزل الملك المنصور بن العزيز ؛ «إنا قد افتضحنا بين الناس، بأننا نقيم في كل يوم ملكاً ونعزل آخر، ثم إلى من نسلم هذا الأمر»(٢)، ولم يقتصر الأمر على إنحيازهم لأحد الأمراء، واشتراكهم في صراعات الأمراء، بل تنافسوا فيما بينهم للحصول على مزيد من الإمتيازات التي يمنحها لهم السلطان الأيوبي، ولا سيما التنافس ما بين أمراء الأسدية والأمراء الصلاحية.(٣)

ربطت بين هؤلاء المماليك رابطة عرفت بالخشداشية(٤) ؛ صداقة تجمعهم على تحقيق أهدافهم، ولا سيما بعد اشتداد الصراع بين ملوك الأيوبيين مع نهايات الدولة الأيوبية. إذ لعبت هذه الفئات دوراً مؤثراً في نهاية العصر الأيوبي، وعرف منهم القيمرية- نسبة إلى موقع قيمر القلعة بين الموصل وخلاط- وسيدهم ناصر الدين حسين بن عبدالعزيز القيمري مقدم الجيوش الناصرية - نسبة إلى الناصر

---

(١) ابن واصل مفرج الكروب، جـ ٣، ص ١٧٥ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٥٣٨-٥٧٩. وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ ٢، ص ٤٦ - ٤٧. والمقريزي. الخطط، جـ ٢، ص ٨٩. «وجهاركس بمعنى أربعة أنفس» النعيمي. الدارس، جـ ١، ص ٢٨٠.

(٢) للمزيد انظر ؛ ابن الأثير. الكامل، جـ ١٢، ص ١٨ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق٢، ص ٥٧٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ١٩، ٢٠ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٣٤ ؛ وابن خلدون. تاريخ، جـ ٥، ص ٣٩٩.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٤٦ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ ٢، ص ١١٢.

(٤) الخشداشية أو الحمية رابطة من الزمالة والإتفاق والقربى والصحبة، وقد يرث الصديق صديقه في هذا. انظر ؛ ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٥ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٣٨ ؛ و Holt. The Age of the Crusades, p. 91.

يوسف - آخـر الولاة الأيوبيـين في بلاد الشـام[١]، إذ هم الذين اسـتـقـدمـوا الملك المعظم تـورانشاه من حصن كـيفا ليولوه السلطة في مصر وبلاد الشام بعد وفاة أبيـه الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم طـلبـوا من الناصر يوسف - صـاحب حلب- القـدوم الى دمـشق، وساعـدوه في بسط نفـوذه على مـعظم المـمـالك الشامـيـة حتى استطاع المغول السيطرة على هذه المنطقة.[٢]

ديوان الإنشاء :

تُحدثنا المصادر بمعلومات وافية عن المراسلات التي كتبت في العصر الأيوبي، وتعددت مـواضيعـها باخـتلاف الجهـات التي كانت توجـه إليها هذه الرسـائل، ويعتبر الإنشاء من أكثر التـراتيب ارتباطاً بمؤسسة السلطنة الأيوبية. وتعـرّفنا هذه المصادر بوظيفة الكاتب الأول الذي كان في مـحل الوزارة المعروف عند الـدويلات السابقـة لحكم هذه الأسـرة، لذا تعددت مـهام الديوان واخـتلفت واجـباته، والتي نتناولهـا عند الحديث عن موظفي الكتـابة في ديوان الإنشاء، سـواء مـا كـان منها في المـركز، أو في باقي مـمـالك الدولة الأيوبيـة ؛ فـوصف ديوان الإنشاء في ذلك العـصـر : «بأنه ديوان عظيم المقدار كثيـر الأخطار، وهو خزانة الأسرار شريف بمراسلة السلطان ... ولذا لا بد لمـرتب هذا الديوان من أن يكـون مـتـضلعـاً بالعلوم، عنده القــدرة على النظـم والنثر، فإذا أفضى له السلطـان معنىً، نظمـه بقلمـه إنشاء موضحاً، مفهوماً في ألفـاظـه[٣]» ... يمـتاز بالسرعة والإتقـان، لا وفق هـواه وغرضـه[٤]، ويحـفظ الكاتب من القرآن والحـديث ودواوين الشـعـر، وسير الخلفـاء، وأخـبار السلاطين وتواريخ الأمـم[٥]. وتطور ديوان الإنشاء وأصبحت رتبـته عاليـة قد تلي رتبة السلطنة فـي نظر البعض

(١) ومنهم حسـام الدين بن أبي الفـوارس القـيـمري الـذي اقطع بالرقـة سنـة ٦٣٩هـ/١٢٤١م. انظر : ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ ٣، ق ١، ص ٨٢، والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣٢٥.

(٢) ابن الوردي. تتمة، جـ ٢، ص ٢٦٤ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ ١، ق٢. ص ٣٦٦.

(٣) الأصفهـاني. الفـيح القـسي، ص ٦٥٩ ؛ وابن الأثيـر، الوشي المـرقوم، ص ٥٧ ؛ واليـافـعي. مـرآة الجنان، جـ٤، ص ٣٠.

(٤) النويري : نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٨ ؛ ومحمد الشافعي، لغة الإدارة. ص ٥٧-٥٩.

(٥) القـاضـي الفـاضل. الدر النظـيم، ص ٤، ورسـائل خط رقم ٥٥٠٨، ورقـة ٨٣ ومـا بعـدها ؛ وابـن الأثيـر. رسائل جـ٢، ص ١٥٤، وللمزيد حول هذه الشروط. انظر : القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٤، ص ١٢٤.

Text Stamp

لعونه إياها وعضده معها في مسؤولياتها المتعددة لقربه من الإدارة السلطانية من جهة والمجتمع المحيط من العامة من جهة أخرى، حيث قام الكاتب بمهام إدارية اجتماعية متعددة بين السلطان ورعيته[1]، يقول القاضي الفاضل: «وكل من أنشأ أقام السلطان بإنشائه سلطاناً»[2]، واعتمد السلطان على هؤلاء الوزراء، والكتّاب وأصبحوا محط ثقته وعنايته، مع اعتماده عليهم إذا كان بعيداً عنهم يراسلهم فيطلب رأيهم، فطالما راسل صلاح الدين قاضيه الفاضل في مصر، بالرغم من نيابة العماد الأصفهاني في ديوانه بدلاً من كاتبه الأول[3].

فالكاتب رتبته عالية مميزة وجامكيته[4] في زيادة وليس أدل على مكانة الكاتب ومسؤوليته من قول صلاح الدين في كاتبه: «وسيدنا مسؤول في المكاتبات لا مأذون له كما قال، وإن كان لا يقول إلا سديداً، فإذا أنعم بها زاد في الفهم، فأما الود فما يستطيع فيه مزيدا»[5]، ثم رواية الكاتب العماد الأصفهاني عن نفسه في أحداث سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م، بقوله: «وأحضرني السلطان تلك الليلة عنده وأمددت الأقاليم من مداد أقلامي بالإمداد وحكمت وأحكمت، ونقضت وأبرمت، وافتكرت وابتكرت، وأطنبت وأوجزت، ونسجت وطرزت، وقلدت وفوضت، وابتدأت وأنهيت، وبريت وبرأت، وحللت وعقدت...»[6]، ويذكر الأصفهاني أنه كان يحضر هو والقاضي الفاضل والفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري مجلس السلطان، ولا سيما في مناقشة الأمور التي يتراسل بها سلطانهم مع ديوان الخلافة العباسية، وكان حضورهم هذا المجلس بقصد: «السماع والإنهاء والتحمل والأداء ...»[7]. وصلاح الدين يكرّم الكتّاب، ويخصص ساعة من ليله ونهاره ليجلس معهم، وخصص لهم المنح

---

(١) للمزيد انظر: دجاني. القاضي الفاضل، ص ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١.
(٢) ابن حجة الحموي. ثمرات الأوراق، ص ٦٧.
(٣) نصر، سوسن. القاضي الفاضل، ص ٢١١؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ٢٢٦.
(٤) «الجامكية هي العطاء أو الراتب الشهري أو السنوي». انظر: البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٠١.
(٥) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٧، ورقة ٢١أ.
(٦) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٤٦٢. والبرق الشامي، جـ٥، ص ١٠٨-١٠٩، ١٥٣.
(٧) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ٣٩.

Text Stamp

والإقطاعات والخلع المختلفة[١]، وفي المقابل يتابع مراقبتهم ليكن على اطلاع في أسرار سلوكهم[٢]. «فالكاتب كاتم سر سيده، ونديم الكاتب دفتره، وصاحبه قلمه، والقلم أمير صاحبه، والديوان أمين كل هذه الأسرار»[٣]، فمن الديوان تصدر الخلع ومناشير التقليد بالولاية والتعيين[٤]، وهذا الديوان هو من يراجع دفتر الخزانة المالية المختص بنفقات الدولة، فيسائل صاحبها، فإذا وجد إسقاطاً وصله[٥]، وقد يلجأ ناظر الديوان إلى اختيار معاونيه ومرتبي ديوانه برأيه، وخاصة إذا ما وجد فيهم الآهلية لمثل هذا العمل[٦]، وان كان استبدالهم يأتي بإرادة السلطان إذا وجد عجزاً في نظم ديوانه[٧]. فالكاتب هو المستشار المؤتمن لسيده، لا يعيد السلطان قراءة ما كتبه، حتى قيل في الفاضل؛ أنه غلب على صلاح الدين واستبد عليه في رأيه[٨]، يقول صلاح الدين مخاطباً عساكره : «لا تظنوا أنني فتحت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل»[٩].

وطالما قام بمهام سيده وناب عنه حتى في عمل التراتيب الخاصة ببعض الولايات[١٠]، فاستمرت هذه المكانة وتلك المنزلة لبعض الكتّاب بعد اعتزالهم عملهم، ولا يحاسبون على سلوكياتهم قبل تاريخ ولايتهم[١١]، وهذا كله لشروط توفرت في الكتّاب مثل : اللباقة والإتزان والحكمة والزيادة في العلم وغزارة الفضيلة والذكاء والروية واختراعهم المعاني؛ «فهو لسان المملكة المرهب للأعداء بوقع كلمه،

(١) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٣٦ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٤١٤.
(٢) الصفدي. الغيث المسجم، م١، ص ١٥٥ ؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص ١٤٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١، ص ١٢٣.
(٣) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١١٤، ١١٦، ١١٧
(٤) الشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ٤١٧.
(٥) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ٨٩.
(٦) نصر، سوسن. القاضي الفاضل، ص ١٤٤.
(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٩.
(٨) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٤ ؛ وابن الساعي. الجامع المختصر، جـ ٩، ص ٢٩ ؛ والحميري. الروض المعطار، ص ١١٩ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٥٧.
(٩) للمزيد في ذلك انظر : القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ٨٦ب، ١٩٥ أ ؛ وأبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٤-٢٥.
(١٠) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٥٠-٢٦٥ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٣٠.
(١١) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٤٤ ؛ واليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، ص ٩٩.

والجاذب للقلوب بلطف خطابه»[١]، ولابدّ للكتّاب من العلم بالأحكام الشرعية والإجتهاد فيها، ولا بدّ من معرفتهم بالحسابات الدقيقة[٢].

ولا بد للكاتب من معرفة مراتب مكاتبيه المراد بهم خطابه، على اختلاف فئاتهم مما يليق بكل منهم من عناوين وأدعية بألفاظها[٣]، ويبين صلاح الدين في رسالته الفاضلية لديوان الخلافة بعد فتحه القدس سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م، دور هذا الكاتب في ديوانه قائلاً : «نفذنا لساناً شارحاً، ومبشراً صادحاً، يطالع بالخبر على سياقته، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته»[٤].

ويبدو أن هذا الديوان لم يكن دون قانون ينظمه ويحدد الأطر العامة للتعامل في سجلاته ودفاتره لتنظيم متجدداتها، وهكذا فلسفة الديوان للتعامل مع ما يتوافق ومذهب سلطانه وعقيدته، وطالما جلس الكاتب لهذا الديوان مع السلطان ليوقع كتبه بسرية ويصادق عليها[٥]، حيث متطلبات المحافظة على سرّية الكتب الصادرة وعدم التزوير في مضمونها، فتختم بختم الديوان ويحتفظ بمسوداتها في سجلاته[٦]، حتى أصبح ما يكتب حول مختلف الشؤون الإدارية جريدة رسمية لكل ما يرد على صاحب السلطة ويصدر عنه[٧]. وقد يقوم الكاتب بمهام أخرى الى جانب ما ذكر، فيستعرض الأسرى ويكتب البشارة للدويلات الأخرى ؛ ففي فتح القدس كتب العماد الأصفهاني حوالي سبعين بشارة «وكل كتاب بمعنى بديع وعبارة مختلفة»[٨]، والكاتب يؤرخ لهذه الكتب خوفاً من الإلتباس، والغموض في دفاتر الديوان[٩]. إذ ربما أخّرت هذه الكتب عن تاريخها لعدم توفر الرسل

---

(١) القرشي. العقد الفريد، ص ١٥٠ ؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ٣٢.
(٢) البغدادي. كتاب الكتّاب، ص ١٤٦.
(٣) البطليوسي. الإقتضاب، ق١، ص ١٤٠، ١٤١ وقارن ذلك في : ابن أبي الربيع، سلوك الممالك، ص ١٥٩.
(٤) القاضي الفاضل. الدر النظيم، ص ٣٤.
(٥) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٣٠٥ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١١١.
(٦) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٣٦ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٤١١.
(٧) شاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ١٢٠.
(٨) أبو شامة. عيون الروضتين، ق ٢، ص ١٥٦-١٥٧.
(٩) م. ن، ق٢، ص ٩٢.

لحملها[١].

والتقليد والولاية في هذا الديوان قد تكون الوراثة إحدى طرقها، فأربابه يرسلون أبناءهم وغيرهم لتعلم فن الكتابة على أيدي من سبقوهم[٢]، ويستبد هؤلاء الأرباب لأبنائهم بهذا المنصب، فيتمارض ويستكتب ولده ليجعل له من ذلك دربة على الكتابة وإظهاراً لشخص ولده أمام أصحاب الشأن من رجال الدولة[٣]، يذكر الأصفهاني عن حاله؛ بأنه لم يكن في بادئ أمره يتقن هذه المكاتبات، فبدأ بإثبات الأحداث وتدوينها وحفظها، حتى روض نفسه على ذلك، وأصبحت له شهرته[٤].

وإذا ما أراد السلطان أو الملك ترتيب كاتبٍ في دولته استدعاه بمنشوره[٥]، فيتابع معه قراءة المناشير وصياغتها حتى يأخذ أسرارها ويتقن أصولها[٦]، وقد يولى في كتابة الديوان لفترة قصيرة مؤقتة إذا ما حدث عارضٌ للكاتب الأصلي[٧].

وتعددت أصناف الكتّاب في ذلك العصر، فعرف منهم كاتب السر ويسمى كاتب الدست بجلوسه بين يدي السلطان[٨]، الذي يهتم بقراءة الكتب الواردة للديوان، ويكتب لها الإجابة بتوقيع السلطان وختمه ويسمى أحياناً ناظر الإنشاء أو رئيس كُتّاب الإنشاء، ويكون تعيينه بتوقيع شريف من الباب السلطاني، فهو محل ثقة عند سلطانه، ويخصه بالعلاقة الودية[٩]، وإذا ما توفي أو عزل، رسم السلطان لغيره بهذه

---

(١) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ٤٨أ.

(٢) ابن الأثير. الوشي المرقوم، ص ٥٥ ؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ٢٦، ٤٢.

(٣) النابلسي، لمع القوانين، ص ٦٢.

(٤) الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ٣٤٧.

(٥) «المنشور أمر سلطاني مكتوب، يكتب على قطع معينة من الورق تختلف باختلاف رجال الدولة». ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٨. والقلقشندي. صلات، جـ١٣، ص١٥٨.

(٦) البنداري، سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٢.

(٧) أبو شامة، عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٤ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٩٨ ؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ٢١، ص ٢٤٦.

(٨) «كاتب الدست من أجَلّ الوظائف يجلس مع السلطان في دار العدل وهو واسطة للرعية يعرض على السلطان شكاويهم». انظر ؛ القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص٣٠. والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٣٤ ؛ وناظم رشيد. المجالس الأدبية، ص ٤. والبقلي. التعريف، ص١٣٦.

(٩) ابن حجة الحموي. ثمرات الأوراق، ص ٣٢٤ ؛ وجبران. مملكة حماة، ص ١٤٠-١٤٢.

Text Stamp

الولاية[1]، فيرد ذكر كاتب السر المنشىء جمال الدين عبدالرحيم بن علي بن حسين ابن شيث القرشي الذي تولى للملك المعظم عيسى كتابة سره[2]. ويذكر من مسميات هذه التراتيب في حلب لسنة ٦٠٩هـ/ ١٢٠٢م كتابة الدَّرْج[3]، وهكذا أخذت تتعدد وظائف الكتابة ومراكزها بتعدد مهامها، منها ما اختص بكتابة الرسائل، فاشترط في صاحبها الخط الواضح، واستعان بغيره لكثرة مهامه، ومنهم من اختص بتبييض الرسائل فاشترط في صاحبها حسن الخط، ومنهم من اختص بمراجعة هذه الكتب والرسائل خوفاً من السهو والخطأ واللحن، ومنهم من اختص بكتابة التذاكر والدفاتر المتضمنة تعليقات الديوان، فيكتب : «فصل من كتاب فلان، ورد بتاريخ كذا، مضمونه كذا، أجيب عنه بكذا، حتى يؤرخ كل من هذه الكتب بسنته التي صدر أو ورد فيها إلى هذا الديوان»[4]، ووجد صنف آخر من الكتّاب، اختص بمكاتبات رجال الدولة وأمرائها من النواب والقضاة وغيرهم، واشترط فيهم مثل صفات غيرهم.[5]

استخدم هذا الديوان أدوات ورد ذكرها مثل الدواة بمفردها وتعددها، والمداد والقلم بخطوطه المختلفة والورق بمقاييسه وأصنافه، وغير ذلك مما يدعو لتوثيق الكتب عند ورودها وصدورها ؛ من أختام سلطانية وتواقيع ملوكية[6]، واستخدم البعض الأدوات المحلاة، فأنكرها آخرون زهداً في الكتابة وبعداً عن مظاهر الترف[7].

وتعددت العناصر التي تولى أصحابها العمل في مؤسسة الديوان السلطانية

---

* Thoumian. B. Les Civils Et A'Administration, p. 41.

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ٢٢، ص ٢٠١.

(٣) «يكتب كاتب الدَّرْج ما يوقع به كاتب الدست وسمي بذلك لكتابته في دروج الورق، والمقصود بالدَّرْج الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، يكتب عليه ويلف». انظر ؛ ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٥٢ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ١، ص ١٣٠-١٣١. جـ٤، ص ٣٠. والبقلي. التعريف، ص١٢٤.

(٤) الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١١١-١١٢.

(٥) م. ن، ورقة ١١١.

(٦) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٩٣ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٤٧٢ ؛ والبطليوسي. الإقتضاب، ق١، ص ١٦١، ١٩٥.

(٧) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٥٩ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ٤٢٦.

Text Stamp

وكان بعضهم كاتب أول في محل الوزارة، مثل القاضي الفاضل، الذي خدم صلاح الدين طوال حياته الإدارية وقبل توليه السلطنة، واستمر في مكانته هذه عند ولده العزيز وأخيه الأفضل وعمهم العادل، وتوفي يوم الأربعاء في السابع من ربيع الآخر سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م[١].

وهكذا العماد الكاتب، محمد بن محمد بن حامد بن عبدالله الأصفهاني، الذي خرج إلى الشام وتولى الكتابة لصلاح الدين بمشاركة القاضي الفاضل وناب عنه[٢]، ويبدو أن الإتصال بين عائلة الأصفهاني والأيوبيين قد سبقة هذه الفترة التاريخية ولا سيما في تكريت منذ عهد السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقي، الذي أمر بقتل نصر بن حامد الأصفهاني المعروف بالعزيز، وكان يعمل مستوفي في الديوان، فوشي به، إلا أن تدخل نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه لإنقاذه ترك في نفس عائلة الأصفهاني جميلاً للعائلة الأيوبية بالرغم من إعدامه[٣]، وطالما اعتمد السلطان الأيوبي -صلاح الدين- على القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن شداد بن رافع بن تميم المتوفى سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م في كتابة متجدداته[٤]، واستناب صهره جمال الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن كويه، فعرفت منزلته وارتفعت درجته في الكتابة[٥]، وتولى الكتابة في ديوان صلاح الدين القاضي المرتضى بن قريش الكاتب المتوفى سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وأخوه[٦]، والقاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي الذي ناب عن القاضي الفاضل في الكتابة لصلاح الدين، ثم استوزره الملك الأشرف موسى بن العادل، وهؤلاء تم الاستعانة بهم لقدراتهم الكتابية المميزة وملاءمتهم ذلك العصر بمعرفتهم

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص ١٥٨، ١٦٢ ؛ وابن حجة الحموي. ثمرات الأوراق، ص ٤٧ ؛ ونصر. سوسن. القاضي الفاضل، ص ١٢١ وما بعدها.

(٢) ابن الساعي. الجامع المختصر، جـ٩، ص ٦١.

(٣) ياقوت. معجم الأدباء، ص ٢٦٢٣ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ١٢.

(٤) الأصفهاني، الفيح القسي، ص ٣٣٢.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٩٥.

(٦) الأصفهاني. ص ٤٦٤ ؛ وأبو شامة. جـ٢، ص ١٨٢.

الأحكام الشرعية الخاصة بفن هذا العمل وخطورته[١]، وكتب أبو غالب عبدالواحد بن مسعود الكاتب للملك الظاهر في حلب[٢]، وأحضر الجلال بن نباته، لجودة قلمه من ميافارقين، فاستكتبه الملك الأشرف في دمشق[٣]، وكتب مجد الدين بن المطلب الكاتب لتقي الدين عمر بن شاهنشاه في حماة[٤]، ثم نقلت كتابة ديوانها للشيخ مؤيد الدين الطغرائي - صاحب لامية العجم - ثم لأبي البركات الفضل بن سالم ابن مرشد التنوخي المعري، ثم لزكي الدين عبدالرحمن بن وهب بن عبدالله القوصي[٥].

وتولى الكتابة للملك الكامل الأيوبي، سراج الدين جعفر بن حسان بن علي الأسنائي، حيث تولى رئاسة ديوان الكتابة في دولته[٦]، وكتب للملك المعظم في دمشق عبدالرحمن بن علي بن الحسن بن شيث - السالف الذكر[٧]- وكتب له فخر القضاة نصرالله بن هبة الله بن محمد بن بساقه[٨]. وكتب لأبنائه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي، وبهاء الدين زهير، وشمس الدين محمد بن سعد الكاتب المقدسي[٩]، وتولى في هذا الديوان صفي الدين الأسود كاتباً للملك الأشرف في حلب ؛ فألف في قوانين الكتابة ومنهجها، فارتفع شأنه بمؤلفاته[١٠]، ثم كتب في ديوان حلب أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي.[١١]

---

(١) ياقوت. معجم الأدباء، جـ٥، ص ٢٠٢٣، ومعجم البلدان، جـ٢، ص ١٠٧ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١، ص ٢٨٣.

(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات. جـ١٩، ص ٢٧٧.

(٣) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٤٦.

(٤) الصفدي. جـ٢٢، ص ١٢٥.

(٥) م. ن، جـ٤، ص ٢٢٧، وجـ ٢٤، ص ٤٢ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٣٠٤ ؛ وابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١ ص ٢٥٥.

(٦) الصفدي. جـ١١، ص ١٠٠.

(٧) للمزيد انظر ؛ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٧١ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٨٨. ،وسمّاه ابن تغري بردي عبدالرحيم،

(٨) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٤، ص١٨٧.

(٩) وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٨٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٥٩ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٤٣ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٣، ص ٢٥٨.

(١٠) ياقوت. معجم الأدباء، جـ٥، ص ٢٠٢٥.

(١١) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٣، ص ١١٧.

وتولى الكتابة في باقي الممالك كما هو شأن الممالك المركزية، كتب أمين الدين عبدالمحسن بن محمود بن المحسن الحلبي لعزالدين أيبك المعظمي في صرخد[١]، وكتب الجمال إبراهيم بن النجار بن سليمان بن حمزة القرشـي للأمجد - صاحب بعلبك -[٢].

التراتيب الإدارية العليا :

سيقتصر حديثنا هنا على أمثلة للتراتيب الإدارية العليا التابعة لمؤسسة السلطنة الأيوبية، وتبدو هذه التراتيب مرتبطة أشد الإرتباط بإدارة الدولة العسكرية على وجه الخصوص، وإن كان لها مهام أخرى مدنية في الوقت نفسه، لذا آثر الباحث أن يضع ملحقاً خاصاً بهذه المصطلحات الإدارية، ويفسرها تفسيراً مختصراً من خلال ما توفر لديه من مصادر[٣]. فالأيوبيون استمروا بالعمل في تنظيمات من سبقهم وطوروا عليها، إلا أنهم لم يبلغوا بها ما وصلت إليه التنظيمات الإدارية في العصر اللاحق لعصرهم.

لذا كانت بعض تلك المصطلحات الإدارية ألقاباً فخرية ليست إلا، ولكنها مما لا شك فيه أنها قامت بالمهام المختلفة في المؤسسة السلطانية الأيوبية.

الأتابك :

الأتابكية وظيفة إدارية عسكرية حتمتها الظروف التي حكم بها سلاطين السلاجقة في ظل الخلافة العباسية، إذ تولى أبناء السلاطين الصغار إدارة بعض الممالك وعين لبعضهم مرب سمي بالأتابك الذي أطلق عليه «الأمير الأب السيد المربي لهذا الأمير الصغير»[٤].

وترد الإشارة إلى أن أول من لقب بالأتابك هو نظام الملك الطوسي وزير

---

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٩، ص ١٢٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢٥٣.

(٣) انظر ملحق المصطلحات الإدارية في العصر الأيوبي.

(٤) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٦، ص ٣، ٤، ١٨ ؛ وابن كنان. حدائق الياسمين، ص ١١٣ - ١١٤ ، والجميلي. دولة الأتابكة، ص ٢٧. و E.I.^{2} Atabak. P. 731

ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م، ثم من جاء بعده من آل طغتكين(١)، وآل زنكي الذين لقبوا بالأتابكة. وتعددت هذه الأتابكيات في ممالك الدولة السلجوقية عامة(٢).

تعددت المهام التي أوكل للأتابك القيام بها، وحرص بعض هؤلاء الأتابكة على مراعاة مصلحتهم ومصلحة أسرهم في الإحتفاظ بنفوذهم، وخاصة عندما يصبح الأمير قادراً على تسيير أمور مملكته بنفسه، ويحاول الأتابك الإبقاء على نفوذه في هذه الحالة، فيخطب باسمه، ويذكر على النقود التي يصدرها، إذ هو مشارك فعلي بالسلطة للأمير الصغير حتى يكبر(٣). حتى أصبحت بعض هذه الأتابكيات إمارات وراثية، حتى استبد بعض هؤلاء الأتابكة بأمرائهم، وكان للأتابك الكلمة الأولى في تسيير أمور المملكة، وخاصة بعلاقتها بالممالك المجاورة، والأخطار التي تتهددها، لذا نظر البعض إلى أن هذا الأمير الصغير غير قادر على إدارة مملكته بنفسه، مما أعطى للأتابكية أهمية كبيرة في ذلك العصر والعهود اللاحقة، ولا سيما إذا ما نظرنا الى توسع مهامها، وتطور تنظيمها كمؤسسة إدارية مرتبطة أشد الإرتباط بالسلطنة(٤)، وبالمهام العسكرية خاصة(٥).

ويصدر ديوان الإنشاء منشوره بتعيين هذا الأتابك، ويؤخذ له اليمين

---

(١) طغتكين طاهر الدين أبو منصور بن عبدالله أمين الدولة مملوك السلطان السلجوقي تتش، ولاه تتش تربية ابنه دقاق وعند وفاة تتش تولى طغتكين أتابكاً سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م حتى توفي دقاق فأعلن طغتكين نفسه سلطاناً في دمشق واعترفت به الخلافة العباسية حتى وفاته سنة ٥٢٢هـ/ ١٠٢٨م، فتولى ابنه تاج الملوك بوري الحكم من بعده، فاستولى نور الدين محمود بن زنكي على دمشق سنة ٥٤٩هـ/١١٥٢م وانتهى بذلك حكم آل طغتكين. المقريزي. السلوك، جـ١، ص٤٤٩. وانظر : ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٢٨، ٧١ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١٨ ؛ ودريد نوري. أتابكية دمشق، ص ١١٥، ١٣٥.

(٢) للمزيد عن هذه الأتابكيات انظر الهامش بداية الفصل ؛ سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٣٦٧ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٧ ؛ والمعاضيدي. الحياة السياسية، ص ١٩٧ ؛ و E.I.V.1, Atabak, New Edition, p. 731.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٤، ص ٣٠٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٢٢٠ ؛ والسيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٥ ؛ و فيصل السامر. ابن الأثير، ص ٢٥ ؛ وجب. صلاح الدين الأيوبي، ص ٥٣.

(٤) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ١٥٤ ؛ و بيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ٢٦ ؛ ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ ٢، ص ١٧٧ ؛ وابن عبدالهادي. ثمار المقاصد، ص ٨٩ ؛ والبقلي. التعريف، ص ١٤.

(٥) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٤٦١. وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص١٩٨.

على أمراء الدولة وقضاتها، ويشترط على الأمير الصغير في هذا التقليد السلطاني إستشارة أتابكه في كل صغيرة وكبيرة من أمور الدولة، وهذا كله قد وجه الأنظار إلى الأتابك، وجعله محسوداً من باقي الأمراء من جهة، ومن الملك الذي هو أتابكه من جهة أخرى[١]، فيسعى هذا الملك للحد من نفوذ مؤدبه، ويذكر أن الملك العزيز ابن الملك الظاهر - صاحب حلب - قد استبد بأمره أتابكه شهاب الدين طغريل، فعندما بلغ العزيز الثامنة عشر من عمره انتزع من أتابكه الخزائن، وجرده من مهمته في تعيين بعض الولاة على اقطاعاتهم[٢]، ثم اشترط على الأتابك بأن يعود إلى السلطان في تنفيذ بعض المهام العسكرية التي يتوكل بها، فلا يهادن إلا بأمره.[٣]

ونظم الأيوبيون مؤسسة الأتابكة وخاصة في حلب، فيذكر أن صلاح الدين قد عيّن لولده الظاهر غازي أتابك هو سيف الدين يازكج الأسدي[٤]، ثم رتب مملوك الظاهر غازي الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغريل الرومي المتوفى سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م -السالف الذكر- أتابكاً للملك العزيز بن الملك الظاهر، وسيّر أمور المملكة بمشاركة أم العزيز صفية خاتون بنت الملك العادل، وصدر لشهاب الدين هذا منشوره بالأتابكية من ديوان إنشاء الملك العادل الأيوبي[٥]، حيث ظن به حسن السياسة والقدرة على إدارة مملكة حفيده العزيز، واستمر أتابك حلب على تبعيته للسلطان العادل حتى وفاته، فأعلن تبعيته للملك الأشرف موسى بن العادل.[٦] ويذكر من الأتابكة ، الملك العادل الذي تولى أتابكية الملك المنصور بن الملك

---

(١) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١٦١ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٢، ص ١٨٦، ١٩٩ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٢٥١.

(٢) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري. ص ١٩٥ ؛ ابن العديم. جـ٣، ص ١٧٥، ١٧٨، ٢١٣ ؛ وابن واصل. جـ ٤، ص ٣٠٩.

(٣) ابن العديم، جـ٣، ص ١٩٦، ٢٠٠ ؛ وابن خلدون، تاريخ، جـ ٥، ص ٤١٢.

(٤) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص٥٠١. وابن خلدون. جـ٥، ص٣٥٩.

(٥) م. ن، جـ ١٢، ص ٣١٤ ؛ وابن واصل. جـ ١٢، ص ٣١٤ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص٩١ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ ٤، ص ٨٦ ؛ وابن خلدون. تاريخ، جـ ٥، ص ٣٥٩ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ١٥٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٦، ص ٣٢٨.

(٦) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري. ص ١٤٠.

العزيز[١]. وتولى شمس الدين لؤلؤ الأميني أتابكة الناصر يوسف بن الملك العزيز[٢]. ويذكر من الأتابكة في حمص لسنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، أرسلان بوغا الذي رتبه صلاح الدين أتابكاً لأسد الدين أبا الحارث شيركوه بن ناصر الدين، حيث ولي حمص وعمره ثلاث عشرة سنة[٣]، وتولى سيف الدين سنقر الحلبي مملوك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م أتابكاً للناصر محمد بن سيف الإسلام[٤]. وتولى أتابكاً للعساكر في حلب الملك المنصور بن الملك العزيز في عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين[٥]، وتولى شهاب الدين بن القطب أتابكاً لعساكر حماة سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[٦].

الأستادار :

الأستادارية موضوعها «التحدث في أمر بيوت السلطان ويمشي بأمر السلطان، ويحكم في غلمانه وباب داره، ويتولى توفير ما يحتاج إليه أهل السلطان»[٧]، ويذكر البعض أن لفظ الأستادار عربياً بدون الذّال، وإنما الأستاذدار أعجمية بالذّال[٨] .فالأستادار إذاً يتولى الإشراف على قصر الملك حيث يوفر له المؤونة اللازمة ويشرف على إقطاعه، «وليتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها»، أي يتولى أمر ترتيب الخدم في قصر سيده، وربما تولى هذه الأستادار النيابة عن الملك في إدارة شؤون المملكة، فيصبح هو صاحب الكلمة النافذة في تنفيذ مهام المملكة.[٩]

---

(١) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص١٧٧.
(٢) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص١٥٤. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص١٥٨. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص٢١٧.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٢٦٩. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص١٧٦-١٧٧.
(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص١٣٧-١٣٨. والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص١٥٦.
(٥) م. ن، جـ٣، ص٢٤٩.
(٦) م. ن، جـ٤، ص٨٨.
(٧) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص٢١. والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص٢٢٢.
(٨) الباشا. الألقاب الإسلامية، ص٢٨٥.
(٩) نظام الملك الطوسي. سياست نامة. ص ١١٢ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٥٥ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١١، ص ١٦٧ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٢٦ ؛ وابن طولون. نقد الطالب، ص ٦٠.

وترد الإشارات المتعددة الى وظيفة الأستادار ونفوذ أصحابها مثل : صارم الدين قايماز النجمي المتوفى سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩م، أستادار السلطان الأيوبي صلاح الدين، حيث أصبح له شأن كبير في الدولة الصلاحية، فإذا فتح صلاح الدين بلداً سلمها لأستاداره أي يصبح الأمير المؤقت، ينظم أمورها حتى يولي عليها والياً(١)، ومنهم الأمير فخر الدين جهاركس الصلاحي، أستادار الملك العزيز - صاحب حلب -(٢) والأمير الدكز العادلي أستادار الملك العادل،(٣) والأمير نور الدين علي بن الأمير فخر الدين عثمان أستادار الملك الكامل محمد(٤)، وعز الدين أيبك المعظمي، مملوك الملك المعظم عيسى بن العادل - صاحب دمشق - الذي تولى أستادية الدار للملك المعظم وابنه الناصر داود، فاشترك في تنظيم المؤسسة الإدارية في عهديهما، وتولى أعمال العمارة في المملكة الشامية، فبنى المدرسة العزّية البرانية، والتربة الأستادارية في دمشق(٥)، ومنهم الأمير سيف الدين طغريل بن عبدالله، أستادار الملك المظفر تقي الدين محمود - صاحب حماه-(٦)، وحسام الدين أبو علي ابن محمد بن أبي علي الهذباني أستادار الملك الصالح نجم الدين أيوب -صاحب مصر-، الذي اختص بصحبة الملك الصالح ورافقه في حله وترحاله(٧)، وولى الملك الصالح أستادية داره لجمال الدين آقوش النجيبي النجمي الصالحي(٨). وتولى ناصر الدين يغمور أستاداراً للملك الصالح إسماعيل -صاحب دمشق-(٩).

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ ٢، ص ٢٣٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٤٣٩.

(٢) ابن واصل. جـ٣، ص ١١، ٣١، جـ ٥، ص ٢٢١ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١ ق١، ص ٢٦١ وجـ١، ق٢، ص ٢٨١.

(٣) المقريزي. جـ١، ق١، ص١٦٧.

(٤) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص٥١. والمقريزي. ص٢٦١.

(٥) أبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ١٢٨ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ ١، ص ١٥، ٢٤١ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٦٧ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ٤٨٠ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٢٠٧ ؛ والحريري. الأعلام والتبيين، ص ٩٤ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ ٢، ص ١٧٧.

(٦) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٣٤٥ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ ١، ص ١٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٥٧ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٦، ص ٤٥٨.

(٧) ابن واصل. جـ٥، ص ٢٠٨، ٢٢٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ٧٣. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص٢٨١.

(٨) النعيمي. الدارس، جـ١، ص٢٥٨.

(٩) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص٢٥٢. والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص٣٥٩.

فالأستادار لسان سيده وراعي شؤونه الخاصة والعامة أحياناً، مما أوجد حقداً عليه من الآخرين، ولا سيما رجال الفقه والدين[١]. وربما تولى الأستادار نيابة إحدى الممالك، كولاية آقوش الصالحي النجمي -السالف الذكر-، ولاية دمشق تسع سنين لسيده الملك الصالح نجم الدين.[٢]

الدوادار:

وظيفة الدوادار هي : «من لفظين عربي وهي الدواة، ودار بالفارسية وتعني ممسك، أي ممسك الدواة»[٣]، ويتولى الدوادار في باب السلطان، وخاصة إذا كان القادم من سفراء الدويلات الأخرى وملوكها[٤]، حيث يتلقى رسائلهم ويعطيها لكاتب سر السلطان ليقرأها بلسانٍ فصيح[٥]. ويتولى هذا الدوادار أمر التفتيش على ديوان الإنشاء للبحث في سجلات الديوان ورسائله.[٦]

وممن تولى الدوادارية في إدارة الدولة الأيوبية الأمير شمس الدين سنقر[٧]، والأمير أزدمر بدر الدين العزيزي تولى دواداراً للملك العزيز -صاحب حلب-[٨]. أما الحاجب والذي سمي بالدوادار فيما بعد[٩]، فهو عبارة عمن يبلغ الأخبار من الرعية إلى السلطان ويأخذ لهم الإذن منه، وهذه الوظيفة بدأت مع نشوء الدولة الإسلامية[١٠]. ويبدو أن بعض السلاطين والولاة قد اتخذوا حجّاباً على أبوابهم، حيث تعددت مهام صاحبه فسمي بالأمير الحاجب الذي يقود بعض الحملات العسكرية، ويتولى حل مشاكل الجند وما عسر عليه رده الى السلطان، بالإضافة الى مهام

---

(١) ابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٣.
(٢) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٥٨.
(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٤٢٤ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١١٩.
(٤) المقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٢٢ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ٤، ص ٤٢٨.
(٥) الخالدي. المقصد الرفيع. ورقة ١٠٦.
(٦) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٨ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات،جـ ١٤، ص ٢٣٦.
(٧) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص١٤١.
(٨) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص٣٨.
(٩) السبكي. معيد النعم، ص٢٥. وابن طولون. نقد الطالب، ص٥٩.
(١٠) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٢٢.

الأمن «الشحنة» التي يقوم بها أحياناً[١]. زاد عدد الحّجاب في دولة صلاح الدين ومنهم الحاجب لؤلؤ العادلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١م مقدم الاسطول في الدولة الصلاحية[٢]، ويبدو أن صلاح الدين لم يتشدد في احتجابه عن الناس حتى تعرض لمحاولات الإغتيال من قبل رجال الإسماعيلية، وهكذا بالنسبة لباقي سلاطين الأيوبيين الذين أوكلوا مهام الحجابة لموظفي الأستادار والدوادار وغيرهم[٣]، وينتقل الأمير الحاجب إلى وظائف أخرى كأن ينوب عن السلطان في ولاية بعض المدن أو يرسله السلطان في سفارته الى الممالك الأخرى، ويوكل له الملك الإشراف على مختلف العمائر والإصلاحات في مملكته[٤]، فتولى بدر الدين إبراهيم بن شروه الهكاري الحجابة لصلاح الدين يوسف بن أيوب، ثم ولاه قلعة حمص[٥]، وتولى في حجابته كذلك أبو بكر العادلي[٦]، وأيدغمش المجدي[٧]، والطواشي سنقر الخلاطي[٨]، وحسام الدين لؤلؤ الأميني[٩]، وخليل الهكاري[١٠]. وتولى جمال الدين بن عجم الموصلي حجابة الملك الأفضل[١١]، وتولى شجاع الدين عيسى بن بلاشو الحجابة للملك الظاهر في حلب[١٢]، وتولى حسام الدين علي حجابة الملك الأشرف[١٣]، وتولى

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٦٥ والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٢٤٢ ؛ وابن كنان. حدائق الياسمين، ص ١١٩، والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١١٨ ؛ ودريد نوري. نظم دمشق، ص ٩٩ ؛ وعماد الدين خليل. مملكة نورالدين، ص ٦٣.

(٢) «وهو من تولى مطاردة القوات الصليبية بزعامة أرناط التي حاولت إحتلال الحجاز» انظر ؛ سبط ابن الجوزي. جـ٨، ق١، ص ٣٦٩ ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٩٩ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ٢٤، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ؛ ورنسيمان. الحروب الصليبية، م٣، ص ١٣٦.

(٣) ديوان ابن سناء الملك، ص ١٩ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٩٤-٩٥ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١، ص ٢٩٢ ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٧٥، ٢٩٢ ؛ الصفدي ؛ الوافي بالوفيات، جـ ١٠، ص ٣٢٠.

(٤) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٤١ ؛ والأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق١، ص ٧٦ ؛ وابن واصل، جـ٢، ص ١٣٩، جـ٣، ص ٦٦ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٦٩.

(٦) رنسيمان. الحروب الصليبية، م٣، ص١٣٦.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص٣١٢.

(٨) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص١٢.

(٩) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص٣٦٩. وابن أبي الهيجاء، تاريخ، أحداث سنة٥٧٨هـ.

(١٠) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص٢٩٩.

(١١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص٦٦. وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٩٠.

(١٢) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٧٠.

(١٣) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص١٩٢.

إبراهيم بن جمال الدين أبي محمد عبدالرحيم بن علي بن إسحاق حجابة الملك الناصر داود[١]، وتولى جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م حجابة الملك الصالح إسماعيل[٢].

فشأن الحاجب قد ارتفع، ومكانة صاحبها أصبحت محط أنظار أمراء الدولة حتى جعلت وراثية في بعض الأسر، وامتدت وظيفتها إلى الممالك الأقل أهمية وأصبح لبعض الولاة حجّابهم.[٣]

الاسفهسلار :

الاسفهسلار لقب عسكري فخري عرفته التنظيمات الإدارية في الدويلات السابقة للعصر الأيوبي «وأصل كلمة الاسفهسلار فارسي تركي، فاسفه تعني بالفارسية مقدم، وسلار تعني بالتركية العسكر وبذلك تعني مقدم العسكر وقائد الجيش[٤]»، وهذا ما لقب به بعض أمراء الأسرة الأيوبية.[٥]

كان نجم الدين أيوب بن شاذي والياً لقلعة تكريت، فلقب بالاسفهسلار، وأطلق هذا اللقب على أخيه أسد الدين شيركوه، وخاطب نورالدين محمود بن زنكي قائده صلاح الدين بلقب الاسفهسلار[٦]. ونظراً للمهام العسكرية التي كانت توكل لبعض الوظائف الأخرى مثل الأتابك والوالي، فقد لقب أصحابها به مثل : أتابك دمشق سعيد آبق بن محمد بن بوري[٧]، والاسفهسلار بهاء الدين قراقوش الأسدي

---

(١) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٤١.
(٢) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢٥٧. والحريري. الإعلام والتبيين، ص٩٨.
(٣) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٥٤ ؛ ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ١٩٢ ؛ سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٦٤-٦٦٥ ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٢٧ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢٥٧ ؛ والحريري. الأعلام والتبيين، ص ٩٨.
(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٧، ص ١٥٥ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٦، ص ٦ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٣٦٢.
(٥) ابن الأثير. الكامل، جـ ١١، ص ٣٤٤ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ ١، ص ٣١٣.
(٦) للمزيد انظر : ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٢٧، ٢٣٠، ٣٥٢ ؛ وابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٤٢ ؛ وابو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٤٠٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ١، ص ٢٥٧ ؛ ابن العبري. مختصر الدول، ص ٢١٣ ؛ وابن عبدالهادي. ثمار المقاصد، ص ١٢٤ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ ٢، ص ٢٧٤.
(٧) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٨٤.

المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م[١]، واسفهسلار العساكر الأيوبية عند حصار الفرنج لعكا سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين[٢]، ووالي القدس الاسفهسلار عزالدين سعيد أبو عمر عثمان بن علي بن عبدالله الزنجيلي ٥٩٧ - ٦٠٤هـ/ ١٢٠٠- ١٢٠٧م[٣]، حتى تطور هذا اللقب فأصبح ترتيباً وظيفياً رئيسياً في إدارة الدولة بعد هذا العصر، يقول فيه القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨م : «الاسفهسلار زمام كل زمام، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته يقف الحجّاب على اختلاف طبقاتهم[٤]».

ويتبع لما سبق من تراتيب إدارية وظائف إدارية مختلفة مثل : نقابة الجاندار - حامل السلاح - وقد يتولى الجاندار باب السلطان، ويعرض عليه البريد بدل الدوادار[٥]، ويرافق الجاندار السلطان في ترحاله، فيذكر أن طغريل أمير جاندار صلاح الدين يوسف بن أيوب هو الذي دفع الإعتداء عن سيده عندما هاجمه رجال الإسماعيلية وأرادوا قتله[٦]، وربما رُتب الجاندار نائباً وواليًا في ممالك الدولة المختلفة[٧]. وتحدثنا بعض المصادر عن ترتيب المهمندار الذي يتولى الضيافة في ديوان السلطان «والمهمن بالفارسية هو الضيف، والدار هو الممسك» أي أن وظيفة المهمندار تنظيم الضيوف الواردين إلى ديوان السلطنة[٨]، هذا بالإضافة إلى تراتيب سلطانية خاصة أخرى سنشير لها في ملاحق البحث.[٩]

---

(١) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٩، ورقة ١١٧ب.
(٢) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص١٣٤.
(٣) العليمي. الأنس الجليل، جـ ٢، ص ٢٠.
(٤) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٥٥٤.
(٥) الأصفهاني. البرق الشامي. جـ٣، ص ١٢٩ ؛ أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٨٧ ؛ المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٣٣، ١٣٤.
(٦) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص٦١١. وسبط بن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص٣٢٨.
(٧) انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٢٤ ؛ وأبو الفداء. المختصرجـ ٢، ص ١٧٦ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٠٠ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٥، ص ٣٢٩.
(٨) انظر : ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٢، ص ٢٣٥ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٥٠ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٢٢ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٠٣ ؛ وابن طولون. نقد الطالب، ص ٦١.
(٩) انظر ملحق المصطلحات الإدارية في العصر الأيوبي. وابن العديم. زبدة الحلب،جـ٣، ص ٢٣، ٢٥٠ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣٠٢، وجـ٥، ص ١٩٤، ٢٨٣ والصفدي. الوافي بالوفيات جـ٢٤، =

علاقة الأيوبيين الإدارية بديوان الخلافة العباسية :

كان الزنكيون ومن بعدهم الأيوبيون قد حرصوا على اتصالهم بديوان الخلافة العباسية، يتبادلون فيما بينهم الرسائل الديوانية، ويرسل الخليفة العباسي خلعه وتشاريفه لملوك بلاد الشام، حتى استطاع نورالدين محمود بن زنكي إعادة الخطبة في مصر لذلك الخليفة، ففرح العباسيون بهذا، وأصبحت العلاقة بينهم أكثر ارتباطاً وودّاً، وخاصة في الشؤون الدينية، فنور الدين محمود بن زنكي قد تدين بطاعة الخليفة العباسي[١]، وهكذا سار على نهجه صلاح الدين الأيوبي، ففي رسالة من الخليفة الناصر لصلاح الدين عقب فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، يدعوه بها إلى تعليقها على باب الأقصى ويخاطبه قائلاً : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، والحمدالله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأقام خليفته القائم بحق الله وسيد عترة رسول الله «ﷺ» وثمرة شجرته المعرفة إليه ؛ أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ... وهو المحمود المشكور على أن أجرى هذا الفتح على يدي محيي دولته وسيف نصرته والقائم بطاعته والناشر بند سطوته، المخلص في عبوديته المجاهد تحت رايته ؛ يوسف بن أيوب معين أمير المؤمنين»[٢]. ويذكر أن تركة صلاح الدين يوسف بن أيوب قد أرسلت للخليفة العباسي عند وفاته سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م[٣]، ويلجأ ملوك بلاد الشام في حل خلافاتهم ومشاكلهم الإدارية إلى ديوان الخلافة العباسية[٤]، كالنزاع بين الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين وعمه الملك العادل[٥]، وطمع الملك الكامل في أملاك ابن أخيه

---

* ص ٣٩٠ ؛ الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣٢٦ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٣٦ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٣٥، ٣٧، ١٣٩ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٣٠ ؛ وسعيد عاشور، نظم الحكم والإدارة، موسوعة الحضارة، م٣، ص ٥٥٥ ؛ Thoumian. Les Civils Et L'Adminisitration p.p.30etc.

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٥٠٢. وسبط ابن الجوزي.. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣١٣.

(٢) ابن الكازروني. مختصر التاريخ، ص ٢٤٦.

(٣) السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٤٥٤.

(٤) ابن القيسراني. النور اللائح، ص ٥٤ ؛ وأبو شامة، الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٥٠٢، ٥٤٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ٢١٦ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٦١، ٢٠٧ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢٣٤ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٥٦-٥٧ ؛ وفليفل. علاقة الأيوبيين بالخلافة العباسية، ص ٢٩.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٦٩.

الناصر داود في دمشق وما حولها[1]، وكذلك النزاع بين الصالح اسماعيل وأخيه الملك الكامل[2]، والنزاع بين الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخيه الملك العادل الثاني بن الكامل[3].

تتفاوت متانة العلاقة التي كانت تربط بين ممالك بلاد الشام الأيوبية بالخليفة العباسي في بغداد، وإن حافظت على استمرارها وودها منذ نشأة هذه الممالك، ويهمنا هنا ذلك الارتباط الإداري الذي جعل الأيوبيين في بلاد الشام يحافظون على علاقتهم هذه من خلال بعض التنظيمات الإدارية. وتذكر المصادر أن هذه العلاقة كانت تفتر حيناً وخاصة عند ضعف الخلفاء وتشتد أحياناً، ولا سيما أن الخليفة العباسي كان يحرص أن يبقى الأنموذج والمرجع الإداري الشرعي لأي إدارة إقطاعية في ممالك دولته.[4]

أعلنت الإدارة الأيوبية في بلاد الشام الخطبة للخليفة العباسي، وبقيت على اتصالها بديوانه لإخباره بشؤون الدولة ومستجداتها، وخاصة مع حالة التوتر التي كانت تعيشها المنطقة نتيجة الوجود الصليبي المجاور لهذه الممالك من جهة، ومشاكل الإدارة الأيوبية نتيجة النزاع بين أمراء هذه الأسرة من جهة أخرى[5]، إذ تلقى الأيوبيون المساعدات المالية والعسكرية لمواجهة الأخطار التي تتهدد دولتهم.[6]

بدءاً أعاد صلاح الدين بأمر نورالدين محمود بن زنكي الخطبة على منابر مصر للخليفة العباسي، ويرى بعض المؤرخين أن هذه المبادرة من صلاح الدين واجهتها صعوبات تمثلت بتلك الثورات التي قام بها عمارة اليمني في الصعيد[7]،

---

(١) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٥٧.

(٢) المقريزي. السلوك، جـ١، صق١، ص ٢٥٧.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢١٨.

(٤) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٤٤ ؛ وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ص ٧١.

(٥) الشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ٣٦١ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٥٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، ص ٢١٨ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٥٧، والقلقشندي. مآثر الأنافة، جـ٣، ص ٣٠١ وما بعدها.

(٦) الأصفهاني، الفيح القسي، ص ١٨٣، ٣٦٥ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٩٧، ١١٨، ١١٩، ٢٢٨ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب. جـ٢، ص ٣١٤ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ١، ص ٢١١.

(٧) ابن الطقطقا. الفخري، ص ٢٦٤ ؛ وابن العبري. مختصر الدول، ص ٢١٥.

حتى توفي نور الدين محمود بن زنكي واستطاع صلاح الدين السيطرة على الممالك الشامية، فطلب تقليداً من الخليفة على هذه الممالك، وارسل الخليفة إليه التقليد في ١٩ رمضان سنة ٥٧٠ هـ / ١٣ نيسان ١١٧٥م[١]، ويقرأ مثل هذا التقليد في المسجد الجامع بحضور رجال الإدارة الأيوبية، وتلبس الخلع والتشاريف التي يرسلها الخليفة، وبها يستطيع السلطان الأيوبي إثبات شرعيته في الحكم على تلك الممالك.[٢] ويتضمن التقليد الزعامة الإدارية للسلطان، ويوصيه من خلاله إختيار الموظفين الذين تتوفر عندهم القدرة الإدارية وخاصة في إدارة الشؤون المالية[٣]، فيذكر ابن أبي طي أن أول خلعه من الخليفة الناصر لدين الله للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كانت سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، حيث أرسلها مع صدر الدين شيخ الشيوخ أبو القاسم، وأرسل للملك العادل مثلها وكانت الخلعة : ثوب أطلس واسع أسود، واسع الكم مذهب، وبيقار أسود مذهب[٤]، وطيلسان[٥] أسود مذهب، ومشده سوداء مذهبه[٦]، وطوق وتخت وجواد من مراكب الخليفة عليه سرج أسود وسلال سود، وطوق مجوهر وقصبة ذهب وعلم أسود وسيوف وعدة خيول وبقج[٧]. وهكذا لبقية ملوك بني أيوب سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٦م، حيث بعثت الخلع للملك الأشرف موسى صاحب البلاد الشرقية، والعزيز غياث الدين محمد بن الظاهر -صاحب حلب-،

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ٦٢٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٩، ٣٤ ؛ القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١، ص ٢٣٢، و جـ٨، ص ٢٨٣. Regan. Saladin, p. 37.

(٢) القاضي الفاضل. الدر النظيم، ص ١٧ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٦٧ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٧٠٨ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤٣٥ ؛ ؛ وابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص ١٠٦ ؛ وابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص ٢٠٤ ؛ السيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٢٠.

(٣) القلقشندي. مآثر الأنافة، جـ٣، ص ٨٧ وما بعدها ؛ والنويري. جـ٢٩، ص ١٧٧ ومابعدها.

(٤) «البيقار برده لها كمين، مصنوعة من وبر البعير» الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٦٥. ودوزي. المعجم المفصل، ص٧٤.

(٥) «الطيلسان نوع من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفين». دوزي. المعجم المفصل، ص٢٢٩.

(٦) «المشده شبه العمامة ، طرحة لامعه بذهبها توضع مشدودة على رقبة الفرس» انظر ؛ ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٣١٣. ودوزي. المعجم المفصل، ص ١٨٠.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق١، ص ٢١٠، جـ٢، ص ١٩. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٨١. وابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ٢٠٤.

والملك المعظم عيسى -صاحب دمشق-[١]. وتزودنا المصادر بصور تلك المراسلات ومنها رسالة صلاح الدين يوسف بن أيوب للخليفة العباسي، أرسلها مع الخطيب شمس الدين محمد بن الحسين بن الوزير بن أبي المضاء، يقول فيها : «كان أول أمرنا إن كنا في الشام نفتح الفتوحات مباشرين بأنفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعساكره، نحن ووالدنا وعمنا، فأي مدينة فتحت وإنا نسطلي الجمرة ونملك الكسرة .. ثم يضيف برسالة أخرى : «فما زلنا نسحتهم سحت المبارد للشفار، ونتحيفهم تحيف الليل والنهار للأعمار»[٢] وفي رسالة أخرى ينعم بها الخليفة العباسي على صلاح الدين بالألقاب قائلاً : «ولما كان الملك الأجل السيد صلاح الدين ناصر الإسلام، عماد الدولة جمال الملك فخر الملة، صفي الخلافة تاج الملوك والسلاطين قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمردين، عز المجاهدين، يوسف بن أيوب أدام الله عزه، على هذه السجايا مقبلاً ...» وإلى غير ذلك من الألقاب التي ترد في مثل هذه الرسائل الخلافية[٣].

إذاً اعترفت الخلافة العباسية بالسلطنة الأيوبية، وخاصة سلطنة الملك العادل فيما بعد[٤]، والخليفة هو من يمنح الألقاب لملوك الأسرة الأيوبية[٥]، مثل خليل أمير المؤمنين، وناصر أمير المؤمنين، ومحي دولة أمير المؤمنين، وملك الملوك والولي المهاجر وغيرها[٦]، وربما يتدخل في تعيين بعض الموظفين وخاصة أرباب

---

(١) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) للمزيد عن هذه الرسائل انظر : الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٠١. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ٦١٦-٦١٨. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٦، ص ٥٠٢-٥٠٤. جـ٨، ص ١٨٤-١٩٦، جـ١٢، ص ٨٣، ٨٥.

(٣) انظر : القلقشندي. جـ١٠، ص ١٥١.

(٤) ابن الكازروني. مختصر التاريخ، ص ٢٤٦ ؛ والباشا. الألقاب السلطانية، ص ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٤٠ ؛ و Humphrey. From Saladin, p 140. يذكر أن هناك إتصالات مبكرة بين العادل ودار الخلافة انظر : ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٦٤.

(٥) ياقوت . معجم الأدباء، جـ٥، ص ٢٠٨٠ ؛ الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٥٣ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ١٧٠ ؛ وابن الفرات تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٦٥، ١٦٦، ٢٥١ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٧١ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ١٥٢، ١٥٤.

(٦) الكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ٤٨٢. والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١١٨. والحنبلي. شفاء القلوب، ص ٢١٨. والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٠٠، ص ٢٠٧، ٢١٢.

العمائم[١] في الممالك الشامية، وترتبط أحياناً مؤسسات الممالك الأيوبية الدينية بمؤسسات ديوان الخلافة العباسية،[٢] فترد الإشارة في العهد الزنكي إلى أن الخليفة المكتفي وقاضي قضاته قد كتب عهداً سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م، للقاضي أبو الفضل هبةالله ابن أبي غانم في حلب وأعمالها[٣]، وولى الخليفة الناصر أحمد قضاء حلب، وأعمالها للقاضي محي الدين بن زكي الدين المتوفى سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م[٤]، وانتقل القاضي ضياء الدين بن يحي بن عبدالله بن الشهرزوري وكانت إليه القضاء والحسبة والأوقاف والمدارس في الدولة الأيوبية، فولي الإفتاء في دار الخلافة[٥]. ويذكر أن صلاح الدين قد أمر بتعيين صدرالدين عبدالله بن درباس الموصلي الشافعي سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، قاضياً شافعياً في القاهرة إرضاءً للخلافة العباسية[٦]. وتفيض المصادر بإيراد تلك المراسلات التي توضح علاقة ممالك بلاد الشام بديوان الخلافة العباسية حتى نهاية الحكم الأيوبي بها، يقول الصالح نجم الدين أيوب لأستاداره : «إذا مُت لا تسلم البلاد إلا للخليفة المستعصم بالله، ليرى فيها رأيه».[٧]

ويبدو أن هذه العلاقة لم تكن على وفاق تام في عهد مؤسس الدولة الأيوبية، فوردت إشارات بعض المؤرخين ودلائلهم في ذلك ...؛ تذكر المصادر أن الخليفة العباسي قد أنكر على صلاح الدين تلقبه بالناصر، وهذا بلاشك لقبه هو، إذ وجد في صلاح الدين المنافس له في ممالك الشام ومصر[٨]، وأنكر عليه كذلك تأخره بمراسلته[٩]، وأنكر عليه إثارته للأكراد والأتراك ضد مؤسسة الخلافة، وعاتبه في

---

(١) «العمامة قطعة من القماش تلف عدة لفات حول الطاقية -الكلوتة- ». دوزي. المعجم المفصل، ص٢٦٥.

(٢) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص٢٢٩. المقريزي. السلوك، جـ١، ق ٢، ص ٣٤٢.

(٣) ياقوت. معجم الأدباء، جـ٥، ص ٢٠٨٠.

(٤) للمزيد انظر : الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٥٣. وابن الفرات. تاريخ، م ٤، جـ٢، ص ٢٥١.

(٥) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٦٥، ١٦٦

(٦) الحياري. صلاح الدين، ص ١٥٢، ١٥٤.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٢١ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٧١ ؛ والقلقشندي. مآثر الأنافة، جـ٣، ص ٨٦ ؛ وابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٣٣ ؛ الحريري. الأخبار السنية. ص ١٠٧ ؛ شاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ٣٨٠.

(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٧ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٦، ص ٥١٦.

(٩) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٢٢ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، ص ٢٤٩ ؛ ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٤٩.

بعثه رسالة البشرى لنصر حطين سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م مع شاب بغدادي هو الرشيد بن البوشنجي، وكان مكروها عند الخليفة[١]، وحاول الخليفة النيل من عزيمة صلاح الدين في بعض حروبه[٢]، وساءت العلاقة بين الطرفين بعد مقتل أميرالحاج الشامي ؛ شمس الدين محمد بن عبدالملك بن المقدم سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٦م، على يد أمير الحاج العراقي مجير الدين طاشتكين المستنجدي وذلك لاختلافهما في أيهما الأحق بالطواف أولاً، ورفع العلم رمز إدارة الدولة ثانياً، وتزودنا بعض هذه المصادر بأن الخليفة العباسي قد كانت شكوكه تزداد بازدياد نفوذ صلاح الدين ومكانته فاتهم طاشتكين -السالف الذكر- بمحاولة الاتصال مع صلاح الدين سلطان الممالك الشامية[٣]. ويذكر ابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨م «أنه -أي صلاح الدين الأيوبي- كان «عزم بعد استقرار الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة على قصد بغداد»[٤]، ثم يشير ابن واصل إلى طبيعة هذه العلاقة بعد صلاح الدين، أن الخليفة العباسي قد أنكر على أمير الحاج الشامي في عهد الملك الكامل بأن يتقدم أهل الشام على أهل العراق بالطواف[٥]. وباستثناء هذه الإشارات لم أجد -حسب اطلاعي- ما أضعف علاقة الممالك الأيوبية الشامية بديوان الخلافة العباسية في بغداد، وإنما بقيت المراسلات بين ملوكها وسلاطينها متصلة مع ديوان الخلافة العباسية.[٦]

---

(١) كاهن. الشرق والغرب، ص ١٩٥، ٦٢٤.

(٢) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ١٨٨-١٨٩ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٢٣ ؛ وسبط ابن الجوزي. جـ٨، ق١، ص ٦٢٤ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٢٢ ؛ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٠٥.

(٣) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٧٤، وجـ١٣، ص ٤٩.

(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٧١.

(٥) م. ن، جـ٤، ص ١٢٥.

(٦) للمزيد انظر ؛ الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٥٠ ؛ والناصر داود. الفوائد الجلية، ورقة ٢١ ؛ وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٦٠، ٨٤، ٩٣ ؛ ابن واصل. مفرج الكروب جـ٣، ص ٥٠ ومابعدها ؛ وأبوالفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٠٩ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ٤٢٥.

Text Stamp

الفصل الثاني

التقسيمات الإدارية الأيوبية في بلاد الشام

مقدمة

الإدارة العامة لممالك بلاد الشام :

- **تراتيب دمشق وأعمالها**

الولاية: "والي المدينة، والي القلعة، إدارة المؤسسات، مدينة القدس"

- **تراتيب حلب وأعمالها**
- **تراتيب بعلبك وأعمالها**
- **تراتيب حماة وأعمالها**
- **تراتيب حمص وأعمالها**
- **تراتيب الكرك وأعمالها**
- **إدارة المناصفات**

مقدمة :

اختلفت التقسيمات الإدارية في بلاد الشام من أونة لأخرى، حيث وجدت تراتيب إدارية خاصة بها تمثلت بالأجناد في العصور الإسلامية الأولى والممالك لاحقاً. وهذه التقسيمات الإدارية (الأجناد أو الممالك) وجدت لمتطلبات أمنية تستطيع من خلالها الحفاظ على أمنها وسلامتها في دفع الأخطار التي كانت تواجهها المنطقة على مر العصور مثل : الخطر البيزنطي في العهود الإسلامية الأولى، والأخطار الصليبية في العصر الأيوبي - موضوع البحث[١]- فقسمت بلاد الشام في صدر الإسلام إلى أجناد : «دمشق وفلسطين والأردن وحمص وقنسرين»[٢] وضم كل جند عدداً من الكور التي تتبع للمركز، وتوفرت لكل جند القوة الكافية للدفاع عنه، وحاولت هذه الأجناد كفاية نفسها من المؤونة اللازمة لبقائها وقيامها بواجباتها الموكلة إليها.[٣] وبهذا لربما هناك تماثل ظاهر بين هذه الأجناد التي انتهت مع بداية العصر السلجوقي والممالك الأيوبية، وإن كانت الأجناد متقاربة في مساحتها، إلى جانب إختلافات إدارية أخرى.

وتتفاوت الروايات في الحدود الجغرافية للممالك بلاد الشام : يقول ابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م، بأن آخر حدود الشام الجنوبية هي رفح[٤]. وتمتد شمالاً حتى جبل اللكام في بلاد الروم[٥]، وقال من جاء بعده من الجغرافيين بامتداد بلاد الشام الجنوبية حتى الحجاز وعريش مصر بالقرب من رفح، أما حدودها الشرقية فامتدت حتى بريّة السماوة[٦] وجبل طي وعلى امتداد نهرالفرات

---

(١) ديوان ابن سناء الملك، ص ٨١٤ : ودريد نوري. أتابكية دمشق، ص ١١٣.

(٢) البلاذري. فتوح البلدان، ص ١٣٤ : وابن حوقل. صورة الأرض، ص ١٥٣، ١٥٤، ١٦٥ : وابن عساكر. تهذيب تاريخ دمشق، جـ١، ص ٢٧ : ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٣١٢ : وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٨.

(٣) انظر : ابن عساكر. تهذيب تاريخ دمشق، جـ١، ص ٢٨ : ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ٥-٦ : الدمشقي. حدائق الأنعام. ص ٧.

(٤) «رفح هي منزل في طريق مصر بينها وبين عسقلان يومان» انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٥٤.

(٥) ابن حوقل. صورة الأرض، ص ١٦٥.

(٦) «برية السماوة هي بادية بين الكوفة والشام» انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٢٤٥.

في الشمال الشرقي، وعسقلان على البحر المتوسط في الغرب[١]، فتبعت لها ملطّية[٢] ومنبج وطرسوس وغيرها[٣]. ونتيجة للأخطار التي واجهتها بلاد الشام بدويلاتها المتلاحقة، لموقعها التجاري المتوسط ووجود الكثير من الأماكن الدينية المقدسة على أرضها[٤]، تعرضت لأخطار خارجية عدة، فانتقلت الإدارة الأيوبية إليها من مصر للقيام بواجبها في مواجهة تلك الأخطار، مع المحافظة على تلك التقسيمات الإدارية التي عرفتها قبل ذلك العهد، يقول صلاح الدين الأيوبي : «لا ريب أن الشام أفضل، وأن أجر ساكنه أجزل، وأن القلوب إليه أميل، فالشام أقرب للرباط، وأوجب للنشاط، وأجمع للعساكر من سائر الجهات»[٥]، ولكن المناشير كانت تصدر بقراراتها وأوامرها الإدارية من مصر إلى مختلف المناطق التي تتبع لإدارة الدولة.[٦]

ضمت بلاد الشام ممالك رئيسة يحكمها ملوك في ذلك العصر آثرنا ترتيبها حسب الأهمية ؛ هي دمشق وأعمالها وحلب وأعمالها وبعلبك وأعمالها وحماه وأعمالها وحمص وأعمالها والكرك وأعمالها، بالاضافة إلى مناطق تم إدارتها مناصفة بين المسلمين والصليبيين، وهذه الممالك كمراكز رئيسة كانت أكثر ثباتاً في ضوء التقلبات الإقطاعية التي تتطلب تغيير الولاة المرتبين في إدارة بعض المؤسسات، إذ خصصت تلك الممالك لملوك بني أيوب وأمرائهم طيلة العصر الأيوبي تقريباً، فقسمت هذه الممالك بعد وفاة صلاح الدين بين أبنائه، ثم استطاع الملك العادل السيطرة على مختلف هذه الممالك فقسمها بين أبنائه.

---

(١) انظر ؛ ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ٨ ؛ والقزويني، آثار البلاد، ص ٢٠٥ ؛ وابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص ١٦٧ ؛ وابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب، ورقة ٣أ.

(٢) «ملطية مدينة من بلاد الروم تقع على الحدود مع الشام»، انظر ؛ ياقوت. معجم البلدان، جـ٥، ص ١٩٢.

(٣) شيخ الربوة. نخبة الدهر، ص ١٩٢ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٢٥ ؛ وللمزيد انظر ملحق خريطة ممالك الشام.

(٤) نوري. سياسة صلاح الدين، ص ٥٠-٥١.

(٥) انظر ؛ ديوان ابن سناء الملك، ص ٢٨١ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥٩ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٨٠ - ٣٨١ ؛ وبيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ٩٢ ؛ ابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٣٨ ؛ الحنبلي. شفاء القلوب، ص ١١٢-١١٣.

(٦) انظر ؛ المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٤٨ ؛ والمنهاجي السيوطي، إتحاف الأخصا، ق١، ص ٢٨٤.

الإدارة العامة لممالك بلاد الشام :

كانت بلاد الشام قد قسمت بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ٤٨٦ هـ/ ١٠٩٢م إلى ممالك، عندما اقتسم أبناؤه دولته، ولما كانوا صغاراً وليست لديهم القدرة على القيام بالمهام الإدارية، فرتب لكل منهم أتابك ومرب يساعده في تأدية مهامه.[١] ويبدو أن نظام الممالك الأيوبية والنيابات المملوكية قد كانت تمثل امتداداً لهذا التقسيم مما يخدم أهدافها العسكرية في توفير الجند والمقاتلة وقت الحاجة، وإن كان يحد من سلطتها المباشرة على إدارة أقاليمها.[٢]

رتب الأيوبيون المؤسسات الإدارية في كل مملكة مثل : الولاية، القضاء، الحسبة، والشحنة، علماً بأن المملكة تتبع لها عدة مدن وقرى تشكل عبرتها[٣] مورداً أساسياً لخزينة المملكة وبالتالي خزينة الإدارة المركزية للدولة عامة[٤]، وترتبط مؤسسة المملكة والولاية ارتباطاً اسمياً بإدارة الدولة العامة، غير ما يختص بتعيين الملك أو عزله من قبل السلطان، وإدخال اسم السلطان في خطبته وسكته[٥]، ويبقى الملك أو السلطان على اتصال بولاته، يشملهم بزياراته، ويراجع سجلات الولاية ويطلع على شؤون الولاية وتزويده بها من حين لآخر، لتقييم تصرفات ولاته وتقويم الإعوجاج الذي يراه في حينه[٦]، ويعتبر هذا الأمير هو المسؤول الأول عن شؤون تلك القرى التي تتبع لإدارة مدينته، وإذا ما أراد السلطان أو الملك زيارة أحد إقطاعاته، كتب إلى واليه بمقدمه[٧]، يذكرالناصر داود أنه قد كتب إلى والي صرخد أثناء إمارة الناصر على دمشق قائلاً له : «وصلت مكاتبة المولى أطال الله

(١) الكيلاني. هكذا ظهر جيل صلاح الدين. ص ٧٣.
(٢) ربيع. النظم المالية. ص ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٢.
(٣) «العبرة هي معدل ما يغله الإقطاع من نقد ومحصول خلال فترة زمنية معينة» انظر : المخزومي. المنهاج، ورقة ٨٢أ-ب. وابن منظور. لسان العرب، م٤. ص ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٢٢. وابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٢٢١-٢٢٢.
(٤) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١٢٢ب ؛ و Humphreys. From Saladin, p. 143.
(٥) سميل. الحروب الصليبية. ص ٧٠، ٧٣ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين. ص ٤٤١.
(٦) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩، ورقة ١٢٩أ ؛ والأصفهاني. الفيح القسي. ص ٦١٦ ؛ والهروي. التذكرة الهروية. ص ٦٧ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ١، ص ١٨٢ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٨١ ؛ والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٣٢.
(٧) ابن يحي. تاريخ بيروت. ص ٤٩-٥٠.

Text Stamp

بقاه وأدام تقاه ويسر لقاؤه، وسربه أصدقاؤه، واستدللت منها على باطن الأمور..»[١].

يمكننا القول من -خلال ما سبق- أن الدولة الأيوبية كانت تقوم بتوزيع مهامها وسلطتها، علماً بأن لكل من تلك الممالك مراكزها الرئيسة، تتولى فيها سلطة عسكرية مكونة من الوالي ونائب القلعة -إن وجد- وتراتيب أخرى لباقي الوظائف الإدارية[٢]، وإن هذه المؤسسة الإدارية الإقطاعية هي التي تتولى توفير الجند لإدارة الدولة، وتجهيزهم بكافة معداتهم إذا ما كانت هناك أخطار تهدد حدودها وسيادتها، وهذا ما يمثل تطوراً إدارياً في المؤسسة الأيوبية حيث تتكامل المهام لمختلف تفرعاتها، وهذه الواجبات الإقطاعية تحددها قدرة الإقطاع وإمكانيته، فلربما تفاوت عدد الفرسان ما بين ٥٠-٢٥٠ فارساً من إقطاع لآخر يقدمهم المقطع عند الحاجة[٣]، بالإضافة إلى ضريبة العشر المالية من ٢-٣ دراهم لكل أردب يغله إقطاعه، لعمل الإصلاحات العامة في الدولة الأيوبية، وهو المسؤول عن الإشراف على زراعة أرض إقطاعه والاهتمام بها.[٤]

هذه هي واجبات الأمير المقطع تجاه إدارة الدولة المركزية، أما واجباته الداخلية، فهو من يتولى تنظيم إقطاعه بإشراف السلطة المركزية، ويتولى هو نشر الأمن والنظام والقيام بالأعمال العمرانية المختلفة في حدود إقطاعه وولايته، ولابدّ في كل مملكة إقطاعية من قوات عسكرية يجعلها قادرة على مواجهة الأخطار التي تتهددها، وخاصة إذا ما كانت هذه من الممالك الرئيسة التي يتولى إقطاعها أفراد من الأسرة الأيوبية.[٥]

---

(١) الناصر داود. الفوائد الجلية، ورقة ٧٤ - ٧٥ ؛ وعزالدين أيبك صاحب صرخد، توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م ؛ أو سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧م على حد ما يذكره بعض المؤرخين وليس هو أيبك الدوادار أول سلاطين الدولة المملوكية في مصر». ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٠١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٦٦٦ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٢٧.

(٢) للمزيد انظر ؛ ابن فضل الله العمري، التعريف. ص ٢٢٦ - ٢٢٨.

(٣) السيد الباز العريني. الإقطاع في الشرق الأوسط، ص ١٤٠، ١٤٣.

(٤) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص٢٣-٢٤. وأبو دمعه. الحياة الاقتصادية، ص ٧٥ -٧٧ ؛ وحماده، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٣٦٠.

(٥) انظر ؛ ابن العميد. أخبار الأيوبيين. ص ١٣٥ ؛ والحسن بن عبدالله. آثار الأول، ص ١٦٤ ؛ والكتبي. عيون التواريخ، جـ٢، ص ٢١ ؛ وHolt, The Age of Gusades p. 69.

فالملك أو المقطع يتولى ترتيب إدارته وتعيين المستخدمين في وظائفهم ، كالوزراء والقضاة والكتّاب، وتكتب للموظفين التواقيع الإقطاعيه ومناشير التعيين بعد استشارة السلطان الحاكم الأعلى للسلطة الأيوبية.[1] وهذه الولاية الإقطاعية ضرورية لكل مدينة أيوبية وما يحيطها، لرعاية شؤون الناس وإدارة المنطقة، نيابة عن السلطان المشغول بأمور أكثر أهمية في ظل الأخطار المحيطة بالدولة. ويقيم هذا الملك أو الأمير في القلعة، يمارس مهامه الإدارية إلى جانب وجود سكن له فيها.[2]

ويبدو أن الأيوبيين قد حافظوا على النظام الإقطاعي الوراثي في بعض ممالكهم ومدنهم، وامتدت هذه الوراثة إلى الوظائف الإدارية الأخرى، فالابن مكان أبيه في إقطاعه ووظيفته[3]، إلا إذا كان هناك ضرورة للتنقلات في ضوء الاستحقاقات الإقطاعية والوظيفية الجديدة، فيؤخذ الإقطاع من هذا ويعطى لذاك، فمثلاً أعاد صلاح الدين ترتيب إقطاعاته وممالكه سنة ٥٨٢ هـ /١١٨٦م «فرتب ابن أخيه تقي الدين عمر في حماة وابن عمه ناصر الدين في حمص، وأخيه شمس الدين تورانشاه في بعلبك، وسيف الدين علي بن المشطوب في شيزر، وشمس الدين عبدالملك بن المقدم في بعرين وكفر طاب وقرى في المعرة، وعزالدين فرخشاه في حوران[4]». وهذه التغييرات الإقطاعية قد تكون لحاجة إدارية أو ازدياد نفوذ بعض الولاة والمقطعين، فيطالبون بولايات أكبر مساحة لتكون عبرتها وارداتها في زيادة[5]. وتزداد مساحة الإقطاع تبعاً لطاعة المقطع لسلطانه وتقديمه خدمات جليلة لإدارة الدولة، أو تنتزع منه إذا ما فكّر بالخروج عن طاعتها، فيستبدل

---

(١) أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ١٠، ١٦٥ ؛ والنابلسي. لمع القوانين، ص ٣٨ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٤٥ ؛ ونصر الله. تاريخ بعلبك، جـ١، ص ١٥٥ ؛ وسبانو. مملكة حماه، ص ١٤٣.

(٢) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩ ؛ ورقه ١٤٩ب.

(٣) انظر ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١١٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٠٠ ؛ وجبران. مملكة حماه. ص ٤٩ ؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ١٩٢ ؛ Humphreys. From Saladin, p. 142 ؛ إذ يرى همفري أنهم لايورثون السلطة بل الإقطاع.

(٤) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١٣٥ وأبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٥٤

(٥) انظر ؛ ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ١٧١ ؛ وابن الأزرق. بدائع السلك، جـ١، ص ٣٨٣ ؛ وسعيد عاشور. المجتمع الإسلامي. المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م، ص ٢٢٩ ؛ وقارن ذلك في النظام الإقطاعي الأسري الملكي الصليبي في ؛ الحياري. صلاح الدين، ص ٣١٢-٣١٤.

المقطع بغيره حينئذ[١].

اتبع الأيوبيون نهجاً إدارياً باهتمامهم بالأمور الدفاعية كتحصين الأسوار وترتيب حامية مناسبة بمعداتها، وإضافة الطابع الإسلامي لتلك المدن التي استعيدت من أيدي الصليبيين، وخاصة فيما يتعلق بالأماكن الدينية والمؤسسات الاجتماعية «البيمارستان» وأوقافها[٢]، وهذا ما يتجسد في معظم المدن التي استعادها نور الدين ومن بعده صلاح الدين، من مثل مدينة عكا التي أوكل صلاح الدين بناء تحصيناتها وسورها لمملوكه بهاء الدين قراقوش الأسدي. ومدينة القدس التي نظم أوقافها وأعاد إليها طابعها الإسلامي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م[٣].

وهكذا أصبح الشام ست ممالك رئيسه في كل منها مركز إداري عُيّن ملك لكل منها، إذ قسمها صلاح الدين بين أبنائه وأقاربه وجعل لكل منهم مملكته[٤]. وأول هذه الممالك هي مملكة دمشق التي وجدت فيها مختلف البُنى المؤسسية ابتداءً بالملك في هذه المملكة ومضافاتها، ووجد بجانبه ديوان الإنشاء بمختلف وظائفه الإنشائية والمالية، ثم هناك الوالي الذي يُعين بمنشور من السلطان، وإلى جانب الوالي هناك نائب القلعة. وأصبحت دمشق تمثل مركز قاضي القضاة لممالك بلاد الشام قاطبة، وهناك مؤسسات أخرى كالحسبة والشحنة، أي أن دمشق قد مثلت مختلف الوظائف والتراتيب اللاحق ذكرها.

وفي حلب كذلك تمثلت هذه التراتيب كاملة، وفي بعلبك كانت هذه التراتيب على شاكلة الممالك السابقة، إلا أنه لم تسعفنا المصادر بالحديث عن بعض المؤسسات الإدارية في هذه المملكة، ومنها الحسبة والشحنة. وهكذا كان النقص في تراتيب كل من حماة وحمص والكرك، وهذا النقص ربما كان قياساً لأهمية كل

---

(١) انظر : نظام الملك الطوسي. سياست نامه، ص ٦٧ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢٠٠ ؛ وأبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٧٤.

(٢) الحياري. القدس، ص ٧٨-٨٠.

(٣) الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٢. «فأخذ نور الدين نيفاً وخمسين مدينه، وأخذ صلاح الدين نيفاً وسبعين».

(٤) انظر : القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١١٨ أ.

Text Stamp

من هذه الممالك. ومما لا شك فيه أن لكل من هذه الممالك قواتها وإن تفاوتت هذه القوات في أعدادها وعُدتها حسب مساحة المملكة وواردها، إذ يتبع لكل مملكة مجموعة من الأعمال يعين لولايتها والٍ -أمير مقطع- ويتبع هذا الأمير المقطع للملك المقطع في مركز المملكة، إن كان هذا الملك من الأسرة الحاكمة.

وحاول بعض الأيوبيين إعطاء إقطاعات متباعدة عن بعضها لمنع المقطع من أن يشكل خطراً على سلطتهم[1]، ففي منشور إقطاع الملك العادل من أخيه صلاح الدين يتبين فيه أن ذلك الإقطاع قد اشتمل على جهات مختلفة ومناطق متباعدة في : الديار المصرية والشامية وبلاد الجزيرة وديار بكر[2]، ويبدو أن هذه التقسيمات الإدارية كانت أكثر وضوحاً مع نهاية حكم صلاح الدين، فولده الأفضل كان في مصر، ثم فكر صلاح الدين في نقل ابنه العزيز إليها، فكتب إلى الأفضل وأهله يستقدمهم، وأصبح أخوه العادل والياً مقطعاً في حلب[3]، وفي سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م، حدث لصلاح الدين مرض طارىء، فواصل تقسيم بلاده بين أبنائه «الملوك»، مستعيناً برأي مستشاره ووزيره القاضي الفاضل[4]، فأعطى دمشق والساحل ومعهما بيت المقدس وصرخد وبصرى وهونين وتبنين والسواد وغزة والداروم لولده الأفضل علي[5]، وإن كانت بصرى بإقطاع أخيه الظافر خضر،[6] وأعطى حلب وأعمالها : دربساك وتل باشر وحارم وإعزاز والراوندان وتل خالد ومنبج وبالس وشيزر وبرزيه لولده الظاهر غازي - فرتب الظاهر أخيه الملك الزاهر داود على البيرة. وأعطى حران وجعبر وسيمساط والرقة والكرك والشوبك لأخيه العادل، وأقطع حماة وسلميّة والمعرة والبقاعات لابن أخيه عمر بن شاهنشاه، وأقطع حمص وأعمالها لابن عمه أسد الدين شيركوه، وأعطى بعلبك للملك الأمجد بهرامشاه بن فرخشاه

---

(١) آشتور. التاريخ الاقتصادي، ص ٣٠. وسبانو. مملكة حماه، ص ٥٢.
(٢) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٣، ص١٤٤-١٤٨. والمقريزي. السلوك، جـ١، ص٢٣٨-٢٣٩.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٦٩ -٧٠.
(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق١، ص ٣٨٨.
(٥) ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٠١ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٢١-٢٢٢.
(٦) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٦٠.

ابن شاهنشاه، وأقطع أمرائه في بعض أعماله ؛ فولى صلاح الدين بدر الدين دلدرم ابن ياروق على تل باشر، واستقر بصهيون وحصن برزيه ناصر الدين منكورس بن خمارتكين، واستقر بعينتاب ناصر الدين - شحنة حلب- وكان بعجلون وكوكب أسامه ابن منقذ، وفي بعرين وكفر طاب وأفامية ابراهيم بن شمس الدين بن المقدم[1].

وجد البعض في هذه التقسيمات ضعفاً لصلاح الدين أمام أبنائه وولاته[2]، فثلاثة من أبناء صلاح الدين- والذين بلغ عددهم السبعة عشر ولداً - كانت لهم ممالك كبيرة، بينما جعل للباقين ممالك ومقطعات صغيرة إلى حد ما،[3] مما أضعف هيبة الدولة في نفوس مقطعيها، وخاصة في المناطق البعيدة عن مركز الدولة فاتخذ سيف الدين بكتمر -صاحب خلاط- لقب الملك الناصر بعد وفاة صلاح الدين، وأراد الخروج على سلطان الدولة حتى قتلته الإسماعيلية[4]، ونهج السلطان العادل نهج أخيه، فقسم ممالكه بين أبنائه «وأعطى الكامل الديار المصرية، وللمعظم عيسى البلاد الشامية بما فيها دمشق وبيت المقدس وطبرية والكرك والشوبك واللاذقية وجبلة وغير ذلك من الحصون، وأعطى ولده الحافظ أرسلان قلعة جعبر وحمص وحماة، وأقطع الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية، وأعطى للأوحد مناطق مختلفة «وأصبح هو عمدة ممالك أبنائه جميعها»[5].

ولابد لولاية هذه الإقطاعات من براءات ولاية يصدرها ديوان الدولة، فيذكر النص : «وقد وليناك مدينة كذا وأعمالها، وما تنتهي إليه في سهلها وقدرها، وتحتوي عليه من حجولها[6]، وغررها[7]، وإسهر عيناك رعيتها في حفظ عقودها وإقامة

(١) ابن واصل. مفرج الكروب. جـ٣، ص ٣-٤ ؛ وابن العبري. مختصر الدول، ص ٢٢٣ ؛ وابن دقماق. الجوهر الثمين، جـ٢، ص ١٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب. جـ٢٨، ص ٤٤٠-٤٤١ ؛ وكرد علي. خطط الشام، جـ٢، ص ٦٩-٧٠ ؛ و Holt. The Age of the Grusades, p. 60.

(٢) نصر، سوسن، القاضي الفاضل، ص ٢٢٤.

(٣) الحريري. الأخبار السنية، ص ٢١٥-٢١٦.

(٤) للمزيد انظر : أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٢٢٦.

(٥) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٧٦ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٣٤ ؛ وابن دقماق. الجوهر الثمين، جـ٢، ص ١٢٦، ١٢٧ ؛ وجبران. مملكة حماة، ص ٦٥.

(٦) «حجولها ... هي طيور القبج» انظر : ابن منظور. لسان العرب، جـ ١١، ص ١٤٣.

(٧) «غررها ... ربما قصد بها السمك، كناية عن كل ما تحتوي عليه هذه الولاية من البر والبحر ...» .

حدودها ...»[1]، إضافة إلى بيان قدرات الوالي المراد توليته هذا العمل أو ذاك : «واعلم أنه قد كثر الحواسد لما قدرناه من صنعك، وبسطناه من ذرعك، فاشبح حلوقهم لإستحقاق المزيد، وارق في درجات الصعود، والفراسة تعرب عيونها وتصدق ظنونها، وقد عوّلنا في ولاية فلان على فلان ...»[2] إذ تأتي رسل طالبي الإقطاع لطلب هذا التقليد، ففي رسالة فاضلية إلى ديوان الخلافة العباسية على لسان صلاح الدين يذكر فيها : «وفي هذه السنة كان عندنا وفد قد شاهده وفود الأمصار، ورموه بأسماع وأبصار، مقداره سبعون راكباً، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليداً، ويرجو منّا وعداً، ويخاف وعيداً، وقد صدرت عنّا بحمد الله تقاليدها، وألقيت إلينا مقاليدها، وسيّرنا الخلع والمناشير والألوية بما فيها من الأوامر والأقضية»[3]. وهذا ما يوضح حرص الديوان على الارتباط المباشر مع إقطاعات الدولة والاجتماع مع ولاتها والبحث في شؤونها، وفي المقابل قد يرسل التقليد لصاحبه بالقول : «خرج أمر الملك الفلاني بكتابة هذا السجل باستخدامك في أعمال البلاد الفلانية، فباشر ما عرف بك من هذه الولاية معتمداً على تقوى الله التي هي خير ما أعد لميعاد المعاد وميقاته، عاملاً بقول الله «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**» وابسط العدل على ما تتضمّن هذه الأعمال من الأصاغر والأكابر، وأبذل جهد الحريص على إستقامة أمورهم. وأحسن فيهم التدبير والإيالة.. وأقم الحدود على من استحقها، وعامل التجار بالإكرام وبالغ في تيسير أمور الحجاج إلى بيت الله الحرام ...» وغير ذلك من الأمور الواجب على الوالي اتباعها في ولايته، وخاصة فيما يتعلق بالأمن وإقرار العدل بالقضاء، بصفته وتد

---

* انظر ابن منظور. لسان العرب، جـ٥ ص ١٤.

(١) للمزيد، انظر : ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١٥٧-١٦٤.

(٢) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩، ورقه ٤٢ب - ٤٣ب ؛ ابن الأثير. الوشي المرقوم، ص ٢٨ - ٢٩ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ١٠٤٩.

(٣) أبو شامه. الروضتين. جـ١، ص ٦٢ - ٦٢١ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٣، ص ٨٧.
وقارن ذلك في الأصفهاني، الفيح القسي. ص ٥٥٥، «حيث العادل يطلب ولايته»

الشريعة، ومعاقبة المفسدين وتوخي الحيطة والحذر من أعدائه المجاورين.[١]

وعند تلقي الوالي المنشور، فلا بد من رسالة رد لديوان السلطنة، يوضح فيها موقفه من السلطان والسياسة المنوي اتباعها في بلاد ولايته، بصفته مساعداً للسلطان، منفذاً لأوامره ونواهيه[٢]، ويبقى هذا الوالى على معرفة وإطلاع بأحوال السلطنة من هذه المكاتبات التي ترده من ديوانها أو التي يرسلها إلى الديوان.[٣]

أما الألفاظ الواردة في هذه المناشير فقد تتفاوت وتختلف في كلماتها ؛ كتولى وسلم وأقطع وأعطى ورتب وعين ... وهذا لربما نجد به تفاوتاً في السلطة المخصصة للوالي، والمهام التي يوكل إليه تنفيذها[٤]، وما يصدر عن الديوان العام، يسمى تقليداً وتوقيعاً ومرسوماً[٥]. وغالباً ما تكون هذه الولاية نظير خدمة قدمها الأمير المقطع، أو شجاعة شهد له فيها[٦]، وكما يذكر في بعض هذه المناشير، بأن تتوفر فيه بعض شروط الولاية من الأمانة والذكاء والقدرة على إدارة شؤون الإقطاع[٧].

وإذا ما عجز الأمير المقطع عن إدارة إقطاعاته ومؤسستها، عوضه السلطان أخرى تتناسب وقدرته الإدارية[٨]، وقد يحدد السلطان لذلك الأمير المقطع عدد الجند الممكن إبقاؤهم في إقطاعه ؛ عشرة أو مئة أو زيادة على ذلك.[٩]

وربما هناك تراتيب خاصة بدخول إقطاع ما تحت إدارة شخص وخروجه من آخر، فدأب الأيوبيون عند مثل هذا الانتقال على إصدار التوقيعات الإقطاعية،

---

(١) الشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ١٤٤، والقلقشندي. صبح الأعشى. جـ١٢، ص١٤٦، ٢٤٧، ١٥٣ ؛ وقارن ذلك ؛ ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٣٨ ؛ وأبو شامه. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢١ ؛ وشاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ٣٧٤. ،حيث تَذكر وصايا صلاح الدين ورسائل القاضي الفاضل حول أوضاع بلاد الشام في هذه الفترة،.

(٢) سيذكر النص لاحقاً في الملاحق. انظر ؛ الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٥٦.

(٣) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩، ورقه ٦٣ب ؛ خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ٥ب.

(٤) عماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٦٣.

(٥) انظر ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٣٢٤ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١١، ص ٣٠ -٣٢.

(٦) طرخان. النظم الإقطاعية، ص ٢٩.

(٧) انظر ؛ ابن الأثير. المثل السائر، جـ٣، ص ١١٠ ؛ والقرشي. العقد الفريد، ص ١٤١.

(٨) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧١٨.

(٩) E.I. V. 1, p. 802.

وخاصة عند موت سلطان وولاية آخر مكانه، فكان هناك ما يسمى بالنظام «القانون» لهذا الانتقال الإقطاعي.[١]

اعتمدت الإدارة في كثير من هذه التقسيمات الإقطاعية بشكل عام على عنصر الأكراد، ربما لعدم الثقة بالعناصر الأخرى من أبناء المناطق التي يحكمونها، وأوكلت المهام الكبرى لأفراد هذه الأسرة الحاكمة وخاصة في بني أيوب، فتجاوزوا عن الشروط النظرية للولاية، وحتى أن الجيش الأيوبي -كما سنذكر لاحقاً- ربما اقتصر بإدارته وقيادته العليا على هذه الفئة، دون الأثر الواضح للسكان المحليين الذين يشاركون على نطاق محدود في إدارة أجهزة الدولة ومؤسساتها، لذا كان الخلاف على أشده بين العناصر التركية والكردية[٢].

تراتيب دمشق وأعمالها :

كانت دمشق تمثل مركزاً سياسياً واقتصادياً ودينياً متكامل الإدارة،[٣] فبدأ الوضع الطبيعي يسود هذه المدينة، منذ أن تسلم صلاح الدين قلعتها من ابن المقدم نائبها، في ٢٩ ربيع الأول سنة ٥٧٠ هـ / ٢٨ تشرين أول سنة ١١٧٤م[٤]، بدأ سياسته بعلاقات وديّة مع رجال المدينة وإدارييها، حتى يجعل منها مرتكزاً لإدارته في بلاد الشام عامة، وولى مملكتها لأخيه طغتكين وأسكنه قلعتها، وبقي هو على ولائه وتبعيته للملك الصالح إسماعيل.[٥]

ورتب الأيوبيون المؤسسات الإدارية المدنيّة والعسكرية في مدينة دمشق وحرصوا على تولية الثقات من رجالهم لهذه المؤسسات مثل الديوان وما يتفرع عنه، والمؤسسة العسكرية التي نالت الاهتمام الأكبر عن غيرها من المؤسسات، بالإضافة إلى التراتيب الدينية المختلفة مثل القضاء والخطابة والحسبة ؛ هذه

---

(١) أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٦١ ؛ ربيع. النظم المالية، ص ٣٧.
(٢) أبو شامه ؛ الروضتين، جـ٢، ص ١٩٩.
(٣) سوفاجيه، دمشق الشام، ص ٣٨.
(٤) يوسف غوانمه، مفهوم الأمن القومي. ص ٩٥.
(٥) انظر ؛ ابن أبي الهيجاء. تاريخ أحداث سنة ٥٧٠ هـ، Ehernkreutz. Saladin p. 127.

المؤسسات التي كانت على علاقة وثيقة غير مباشرة بمؤسسات أقل مرتبة في المدن والممالك الأخرى من جهة، وأكثر ارتباطاً بالأعمال التي تعتبر في حدود مملكة دمشق ومضافاتها من جهة أخرى.

أما الأعمال والضياع التي تبعت دمشق في هذه الفترة، فيبدو أنها في تفاوت مستمر، فكثيراً ما يتردد ذكر الأعمال الحورانية أو الأعمال والمضافات الدمشقية(١)، وإن حاول البعض تحديدها في فترات لاحقة(٢). فعقب وفاة صلاح الدين ضّمت المناطق الفلسطينية إلى دمشق بما فيها القدس وكانت في إقطاع الملك الأفضل(٣)، وأضيفت أعمال أخرى بقلاعها مثل بانياس(٤) وتبنين والقريتين، فيولى على هذه وتلك الأعمال بمرسوم صاحب دمشق، وهكذا هونين وجميع الأعمال إلى الداروم -قرب غزة- ونوى وبصرى(٥)، حتى وصلت مضافات دمشق عقبة فيق(٦)، وامتدت بحدودها إلى ضمير(٧).

وكما ذكرنا سالفاً فالملك المعظم عيسى قد استقرت إدارته في دمشق، بعد أن كان على ولايتها أبوه الملك العادل، فأضاف إليها المعظم القدس وطبريا وسواد الأردن حتى الكرك(٨)، وأتبع لإدارته معان حتى أطراف الحجاز.(٩)

ويبدو لنا من خلال الأحداث أن ملك مدينة دمشق كان غير واليها(١٠)، وهذا

---

(١) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٢٢٦ ؛ وأبو شامه. الروضتين، جـ١، ق١، ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) ابن فضل الله العمري. التعريف. ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٢٤ ؛ والحياري. القدس، ص ٨٧.

(٤) «بانياس هذه المدينة وقلعتها الصبيبة، تقع على الطريق الشمالي لهضبة الجولان، كانت تتبع ملك القدس الصليبي حتى فتحها نور الدين سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤م، فضمها والي القدس لإمارته بهذا العهد والعهود اللاحقة، في الوقت الذي كان للفرنج محاولات كثيرة للسيطرة عليها وضمها لإدارتهم في القدس...» للمزيد انظر : مصطَفى الحياري. مدينة بانياس، ص ١٦٢، ١٨٦.

(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٦٩٢، ٧٦١ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين. ص ١٣١ ؛ و البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٦٤ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٩٤، ١٩٧ ؛ والحنبلي. شفاء القلوب، ص ٢٢١ ؛ وغوانمه. معاهدات الصلح والسلام، ص ٦١ ؛ Holt. THe Age of the Grusades, p. 61.

(٦) حول عقبة فيق انظر الخريطة في الملاحق. ابن واصل. مفرج الكروب ، جـ٥، ص ١٤٧.

(٧) انظر : النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٤٤. «وضمير قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة شرقاً - بادية بين الكوفه والشام». انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٦٣.

(٨) الملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٣٦٣.

(٩) الحنبلي. شفاء القلوب، ص ٢٨٤.

(١٠) أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٢٠

الملك يتبع لإدارته أجزاء من سوريا الجنوبية[١]، وربما عين باتفاق الأمراء[٢]، ويتبعه والي دمشق السالف الذكر - الذي يوكل إليه تنفيذ أوامر السلطان[٣]، وسنذكر في الصفحات اللاحقة الفرق ما بين الملك والوالي في مملكة دمشق وما شابهها.

ووجدت وظائف أخرى، قامت بمهامها في دمشق وما حولها مثل : قاضي القضاة وقاضي العسكر والخزانة العامة وخزانة السلاح وغيرها من الوظائف والتراتيب المالية والأمنية[٤]، التي ترتبط بالديوان العام في دمشق، ارتباطاً وثيقاً للقيام بمهامها وواجباتها، وترتبط بهذه المؤسسات الإدارية مؤسسات أصغر رتبة في المدن والقرى المحيطة يتولاها أشخاص بصفتهم نواب عن الولاة ونواب عن المشدين[٥] ونواب عن مختلف الدواوين الرسمية في الدولة .[٦]

ويمكن القول بأن الأيوبيين قد فضلوا أفراد أسرتهم على غيرهم في حكم دمشق وإدارة شؤونها أو الإستئثار بها لأنفسهم، إبتداءً بالملك الأفضل نورالدين بعد وفاة والده ؛ فيقول لأخيه الظاهر وقد طالبه إدارة دمشق في فترة نزاعهم : «دمشق لي من أبي فلا أعطيها لأحد»[٧]، ولكن وإن حكمت دمشق من أمراء هذه الأسرة فلم تكن الوراثة صفة عامة لحكمها.[٨]

تعاقب على حكم دمشق وإدارتها مجموعة من الملوك والأمراء مثل سيف الدين طغتكين وعزالدين فرخشاه بن شاهنشاه وولاية شمس الدين بن عبدالملك

---

(١) Humphreys. From Saladin, p. 145.

(٢) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٨، ق٢، ص ٦٣٥.

(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٣٥ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهر ،، جـ٦، ص ٢٤٨ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٩٠.

(٤) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٥٧، وقارن ذلك في صلاح الدين المنجد. ذكر دمشق، ص ١٢٠ وتراتيب هذه الوظائف في الفصول اللاحقة.

(٥) «الشاد هو المفتش ويتولى إدارة الديوان، وقد يختص بجهة من جهاته كشاد الوالي وشاد الأوقاف وشاد الزكاة وغير ذلك». البقلي. التعريف، ص ١٩٣. ودهمان. معجم الألفاظ، ص ٩٥.

(٦) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٤٥-١٤٦.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٧٠-٧١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٤٦٣ ؛ ابن العبري. مختصر الدول. ص ٢٢٦ ؛ العليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣١٧.

(٨) Humphreys. From Saladin, p. 145.

ابن المقدم المتوفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[١]، ثم أقطع فيها الملك الأفضل نور الدين والملك العادل والمعظم عيسى بن العادل، وكان واليها في هذه الفترة هو المعتمد مفاخر الدين ابراهيم المبارز بن موسى، إلى أن عزل وولى غيره عليها[٢]، ثم تولى إدارتها الملك الناصر داود سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م[٣]، حتى انتزعها منه عمه الكامل، واستخلف عليها أخاه الأشرف موسى سنة ٦٢٦-٦٣٥هـ/١٢٢٨-١٢٣٧م، فتسلمها الصالح اسماعيل ثم الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل[٤]، وتولى أمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨م فأناب بها ابنه المغيث عمر[٥]، حتى عاد إليها الصالح اسماعيل من سنة ٦٣٧-٦٤٣هـ/١٢٣٩-١٢٤٥م[٦]؛ فاستعادها الصالح نجم الدين وولى عليها سعد الدين محمد بن الشيخ محي الدين محمد بن العربي المتوفى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ثم حسام الدين ابن أبي علي المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م[٧]، ثم جمال الدين بن مطروح، ومعين الدين ابن شيخ الشيوخ محمد بن عبيدالله بن عصرون المتوفى سنة ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م، حتى وفاة الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، فملكها ولده تورانشاه وولى بها جمال الدين بن يغمور[٨]، فسلمها هذا بدوره للناصر يوسف، فولى بها لؤلؤاً الأميني[٩].

وإلى جانب الملك من أبناء الأسرة الأيوبية فقد وجدت بعض الوظائف في مملكة دمشق:

---

(١) أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٣٢، ١٢٢؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢١٤؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٤، ص ٣١٥.

(٢) ابن العبري. مختصر الدول، ص ٢٤٣-٢٤٤؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٠٩؛ وابن كثير. البداية والنهاية. جـ١٣، ص ٩٩.

(٣) حول أحداث ولايته انظر: ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٦٠٩؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ٤١٩؛ وزامباور. معجم الأنساب، ص ١٥١ وللمزيد انظر الملحق الأول.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٤٧٣؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٢٤.

(٥) الناصر داود. الفوائد الجليه، ورقه ٥٢؛ والصفدي. أمراء دمشق، ص ١٥.

(٦) الصفدي. ص ٩؛ وابن حبيب. درة الأسلاك، جـ١، أحداث سنة ٦٤٨ هـ.

(٧) أبو شامه. ذيل الروضتين. ص ٢٨؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص ١٨٩.

(٨) انظر: أبو شامه. ذيل الروضتين، ص ١٩٤، ٢٠٠؛ وابن طولون. أعلام الورى، ص ٣٠؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهره، جـ٦، ص ٣٦؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ٢٣، ص ١٩١.

(٩) الأمير الكبير شمس الدين أبو سعود الأميني، كان من قادة الناصر يوسف صاحب حلب، ولد سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، وقتل عند لقائه مع الجيوش المصرية في العباسة سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. انظر: القلقشندي. صبح الأعشى. جـ٤، ص ١٧٢، ١٧٣؛ والصفدي. أمراء دمشق، ص ١٤٨-١٥٣؛ والوافي. جـ٢٤، ص ٤٠٧؛ وشميساني. مدارس دمشق. ص ٢٢، ٢٣، ٢٤.

الولاية:

والي المدينة:

وظيفة والي المدينة هي الاستعلام عن تراتيب إدارة ولايته والبحث عن المنكر وعلاجه[١]، واختلفت الألفاظ الدالة على هذه الوظيفة في العصر الأيوبي، فمنهم من سمّاها بالنائب تعميماً سواء كان الملك أو الوالي[٢]، ومن المؤرخين من قال الأمير المقطع في دمشق، والبعض الآخر سمّاها بالوالي وهذا ما نود البحث به هنا من خلال دراستنا النصوص التاريخية التي سنذكرها لاحقاً، علماً أن الملك النائب في دمشق وأعمالها قد تم بحثه سابقاً. حيث لاحظنا عند حديثنا عن السلطنة أنها قد اقتصرت على عهود بعض الملوك مثل صلاح الدين والملك العادل وابنه الكامل، ولم تعرف نيابة السلطنة فعلياً في عصر حكم بني أيوب إلا في سلطنة صلاح الدين في أحداث سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، عندما توجه إلى بلاد الشام وترك أخاه العادل نائباً عنه في مصر[٣]، وتتوارد النصوص المخالفة بولاية مدينة دمشق وعلى شاكلتها بقية المدت الرئيسة، فيذكر ابن العميد المتوفى سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، في أحداث سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، أن المرسوم قد خرج بولاية نائب السلطان وبجانبه والي اشتركا في إدراة مملكة دمشق[٤]. ويبدو أن من سموا الولاية بالنيابة أكثرهم ممن كتب عن الحكم الأيوبي وعاصر حكم الأسرة المملوكية التي أصبحت النيابة فيها ترتيباً إدارياً هاماً وعرف واليها بكافل المملكة[٥].

وليس هناك اختلاف كبير في تراتيب الإدارة الأيوبية بما يسمى النائب أو الوالي أو الأمير المقطع فكل منهم ينوب عن السلطان ثم عن الملك في مدينته أو إقطاعه ولا سيما النيابة عنه في الأمور العسكرية، إلا ما يخص النائب أو الملك

---

(١) ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص ٥٩. والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٥٧. وعماد الدين خليل. عماد الدين زنكي، ص ٢٣٠.

(٢) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، جـ١، ص١٤. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص٢٣٢.

(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٤٤.

(٤) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٥٦.

(٥) السيوطي. حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ١٣٠.

بأنه من أبناء الأسرة الأيوبية، لذا اعتبر النائب والوالي من أرباب السيوف وإن كان هذا التصنيف كذلك قد أصبح أكثر وضوحاً في العهود اللاحقة. فنظراً للظروف العامة التي عاشتها الدولتان الزنكية والأيوبية، والتي كانت تحتم على السلطان الخروج في الحملات الجهادية خاصة، فقد أصدر بعض هؤلاء السلاطين تشريفاً سلطانياً مؤقتاً، يوكل لأحد الأشخاص المقربين النيابة عنه طيلة فترة غيابه عن مركز الإدارة[1].

استمرت الولاية عن السلطان، حيث يتلقى الوالي المراسيم السلطانية التي تحدد له الأعمال الواجب عليه القيام بها في حدود ولايته، أو التي يكلف بها خارجها، فتولى في دمشق في عهد صلاح الدين، الأمير شمس الدين محمد بن المقدم المتوفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، حيث كان مقطعاً في بعلبك ورفض أمر صلاح الدين بالتنازل عنها، حتى فاوضه السلطان ونقله والياً في دمشق وأعمالها، بعد وفاة ابن أخيه معز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م[2]، ويزودنا العماد الأصفهاني بمنشور تعيين ابن المقدم، ويحدد لنا من خلاله واجبات هذا الوالي ومهامه، فيبدأ المنشور بالتحميد ثم بيان كفاءة هذا الوالي، ويأمر مقدمي المدينة وعساكرها بطاعة هذا الوالي، ويدعوه إلى تفقد أحوال هؤلاء العساكر وتجهيزهم، بحيث يكونون على استعداد دائم، ولا يغيب أي منهم عن معسكره إلا بإذن من هذا الوالي، ويعتبر المنشور طاعة الوالي من طاعة السلطان، وخاصة في حديثه إلى القبائل العربية النازلة حول دمشق، فعلى الوالي احصاء نفوسهم وتقدير الأموال التي يحتاجونها في نفقتهم، وللوالي حفظ الأمن والاستقرار في حدود

(١) الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ١٥٤. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٩٤. وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٣١٢. Elisseeff. Nur Add-din. V.2, p.p. 388-789 .فيذكر أن محاسن بن أبي الفوارس بن محاسن العثماني الدمشقي المتوفى سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، قد أصبح والياً على شهرزور من قبل السلطان صلاح الدين،. للمزيد انظر ؛ ابن المستوفي. تاريخ إربل، ق ١، ص ٣٤٠.

(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ٤، ص ٣٩. وابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٣٤٩. ومصطفى الحياري. حصن حبيس جلدك، ص ١٥٨.

ولايته «ويأخذ على يد المفسدين ويؤلف بين قلوبهم المتنافرة» وله مهمة ترتيب الشحنة التي تقوم بمثل هذه المهام، ويتولى الوالي تنظيم ديوان الولاية ويعين للديوان نوابه ويستمر في مراقبتهم، وتوكل للوالي مهمة رد الخارجين عن طاعة السلطان، وللوالي الأمر والنهي على المقطعين في دمشق وأعمالها فيمنعهم من ظلم رعيتهم، ويتولى الوالي قيادة العساكر بنفسه، إذا ما كانت هناك أخطار تتهدد الدولة الأيوبية، وله حق الطاعة على كل هؤلاء «فهو المطاع الآمر بأمرنا المطاع والمفوض إليه أمر العسكر والعرب في حالتي الإفتراق والإجتماع ..»[١]. وتولاها في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٦م، جمال الدين أبو الحسن يحي ابن مطروح، وأنعم عليه الملك الصالح بسبعين فارساً وقوات أخرى يستعين بهم لحفظ الأمن في ولايته[٢].

وترد الإشارة إلى أن ولاية دمشق المدينة هي لأحد الأمراء لم تكن وراثيه في أسرة بني أيوب، فهي مركز إدارة السلطان أو الملك وإن وجد إلى جانبه الوالي من رجال الإدارة الأيوبية، ويحتفظ هذا الوالي بوجود الملك من بني أيوب أو السلطان ببعض سلطته، أما في باقي المدن الإقطاعية الأخرى، فإن الوالي أكثر استقلالاً عن إدارة الدولة المركزية، حيث تتوفر عنده الموارد التي يستطيع بوساطتها تشكيل القوة اللازمة لحماية ولايته. وتلك الممالك التي كانت وراثيه في أبناء الأسرة الأيوبية في معظمها فإن ما يسمى بالملك يتولى مملكتها بعد وفاة والده، ويجتمع القضاة ورجال الإدارة في تلك المملكة ويكتبون اليمين المطلوب من الملك إتجاه ولايته، ويأتي التشريف السلطاني بولايته هذه[٣]. وتتفاوت هذه الممالك الوراثية من فترة لأخرى بتفاوت مساحتها ويزداد نفوذ هذا الملك باتساع إقطاعه وقوة

---

(١) للمزيد انظر الملحق ؛ منشور ولاية ابن المقدم الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ٧٥-٧٧، ١٠٥، ١٠٩. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ١٧٨. ودريد نوري. نظم دمشق، ص ٩٤.

(٢) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٨٠. والكتبي. عيون التواريخ، جـ٢٠، ص ٢٩. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق ٢، ص ٣٢٦. وعاشور. الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٧٦٠، ٧٧٠، ٧٧٣.

(٣) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٩٤. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٦٤. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١١٧.

سلطانه، وقدرته على حفظ الأمن والنظام في مدينته وأعمالها، وبذلك يصبح محل ثقة السلطان ويشرفه بالخلع والإمتيازات الإقطاعية الجديدة[١].

ومن خلال ما سبق يظهر للعيان أن الوالي سواء كان ملكاً أو أميراً، كان ذا إرتباط مباشر أو غير مباشر بالإدارة العامة الأيوبية وإذا شك السلطان في إنتمائه وولائه عزله عن ولايته[٢]، ولا سيما فيما يتعهد بتقديمه لإدارة الدولة من أموال تحتاجها للإنفاق على خدماتها، فيخاطب صلاح الدين أخاه الملك العادل في إقطاعه في حلب قائلاً : «يسّير لنا الحمل من مالنا أو من ماله»[٣]. وإذا ما ضعفت السلطة المركزية كان هذا دافعٌ للوالي للخروج عن أمرها، يقول العادل الثاني في واليه على دمشق : «أنا ملكته دمشق فكيف يخالفني؟ فقيل له : صدقت، أنت فارقته أميراً وتعود وقد صار سلطاناً»[٤]، ومن هنا كان بعض السلاطين والملوك يبقون على اتصال بولاياتهم وإقطاعاتهم، ويحرصون على دوام المراسلة مع عيونهم بها[٥]؛ فتولى في دمشق سيف الدين علي بن المشطوب[٦]، ثم تولاها سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، صفي الدين نصر بن علي بن القابض الدمشقي[٧]، ووليّها صفي الدين بن كريم الملك أحمد بن أسعد بن عبد الرزاق المزدكاني[٨]. وتولى في دمشق الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أونبا بن عبدالله الصوابي المتوفى سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، الذي وليّ

---

(١) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٦. وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٤٢. وابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٤٢٢. والعيني. عقد الجمان، جـ١، ص ١٩، ٢١.

(٢) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٤٥. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٨١. والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١٩٢.

(٣) «وحمل البعير يقدر بـ ٢٤٣ كغم»، انظر : أبو شامة. عيون الروضتين، ق ٢، ص ٧٨. وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٧٤. وهنتس. المكاييل والأوزان، ص ٢٦.

(٤) الذهبي. تاريخ الإسلام، أحداث سنة ٦٣١ - ٦٤٠هـ / ص ٢٠.

(٥) القاضي الفاضل. رسائل، خط، رقم ٥٥٠٨، ورقة ٤ب - ٥ب، ٦ أ- ٦ب، ٧ ب - ٨ب. والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣٨٠. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٢٤، ٢٥٦.

(٦) «سيف الدين أبي الحسن على بن أحمد بن أبي الهيجاء بن عبدالله الهكاري المعروف بابن المشطوب، ولاّه صلاح الدين عكا مع بهاء الدين قراقوش، وتوفي سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢ م»، انظر : ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ١، ص ١٨٢ - ١٨٣. وابن الفرات. تاريخ، م ٤، جـ٢، ص ٩٠.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٣٩. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٦٩.

(٨) ولد في دمشق سنة ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م، وتولى إدارتها ثم في بعلبك حتى وفاته سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م. الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ٢٤٥.

دمشق في نهاية عهدها الأيوبي سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م، بعد حسام الدين لاجين بن أبي علي[١]، ولم يدم مجاهد الدين ابراهيم في ولايته طويلاً، فتولاها بعده محمد ابن إياز بن افتخار الدين الحراني الحنبلي المتوفى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م[٢]، وغيرهم مما تتفاوت ولايتهم وتتجاوز كتب التراجم عند ذكر نسبهم وسيرة حياتهم[٣]. ويبدو أنه إذا ما عجز الملك أو الوالي عن إدارة دمشق أخذت منه أو استبدلت له بغيرها[٤].

والي القلعة :

النوع الثاني من أنواع الولاية العامة في المدن الرئيسة ولاية القلعة «الدزدار» الذي يتولى فتح باب القلعة واغلاقها أمام العساكر، وله مهمة حفظ القلعة وصيانتها، بالإضافة إلى مهامه وخاصة العسكرية منها[٥]. وتؤكد الإشارات المتعددة إلى أن الزنكيين ثم من بعدهم الأيوبيين قد فصلوا بين ولاية المدينة وولاية القلعة، فيذكر أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، أن حمص وحماة وبارين وتل خالد وغيرها، كانت في إدارة فخر الدين مسعود بن الزعفراني، الذي عرف بسوء سيرته مع الناس مع نهاية عهد نورالدين محمود بن زنكي ومطلع العصر الأيوبي، ولكن القلاع كانت خارجه عن سلطته، وإنما جعل لها نور الدين ولاة من قبله[٦].

إدارة المؤسسات:

زودتنا بعض الدراسات بمجمل لحياة المجتمع الإسلامي في العصر الأيوبي، ولكنها كانت سرداً لمختلف العادات والتقاليد والقيم التي كانت سائدة في هذا المجتمع، وعند الطبقات العليا خاصة[٧]، وخصصت لنا في بعض حديثها عن تنظيمات هذه الجماعات التي كانت تعتبر استكمالاً للنظام الإداري الذي عرفته الدولة

(١) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، جـ١، ص ١٤.
(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ٢٣٢. وللمزيد حول ولاة الممالك الأيوبية ونوابها انظر الملحق الأول.
(٣) الذهبي. تاريخ الإسلام، جـ١، أحداث سنة ٦١١ - ٦٢٠ هـ، ص ١٠، ٩٧.
(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٢٩، ٣٣١. وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٧٢.
(٥) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢٤، ١٩١. وعماد الدين خليل. عماد الدين زنكي، ص ٢٣٦. للاستزاده عن والي القلعة. انظر ، الإدارة العسكرية ، إدارة القلاع.
(٦) أبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٥٦.
(٧) زعرور. الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي.

الأيوبية في مختلف ممالكها ولاحظناه من خلال ما عرضناه من تنظيمات إدارية. فيذكر أنه قد وجدت بعض الدور الخاصة بهذه الجماعات وخاصة الصوفية منها، كالأربطة والخانقاوات بالإضافة إلى التكايا الخاصة باستضافة الغرباء، ووجدت الدور التي ضمت نقابات الأشراف من نسل علي بن أبي طالب، وأخرى ارتبطت بالنقابات المهنية التي ترتبط بالمهن الصناعية والتجارية التي عرفت في ذلك العصر.

فالإدارة الأيوبية ارتبطت بكل هذه الطوائف، بعلاقات إدارية غير مباشرة، وذلك من خلال تعيين شيخ كل من تلك الطوائف أو النقابات، أو من خلال تقديم العون المادي لها وخاصة تلك الأوقاف التي حُبست من قبل رجال الدولة على منافع تلك الدور وطوائفها الاجتماعية.[1]

وتعتبر خانقاوات الجماعات الصوفية هي دور عبادتهم، بالإضافة لما كانت تقوم به في ضيافة الغرباء وإيواء بعض الجماعات الفقيرة[2]، فازدادت مثل هذه الخانقاوات والأربطة في ظل الظروف السياسية والعسكرية السائدة، فاهتم الأيوبيون بتنظيمها، ورتبوا لها إدارتها، وعين من كل جماعة شيخ، عرف عنه المعرفة بعلوم الدين خاصة، فأنشأوا له تقليداً من ديوان الإدارة السلطانية[3]، وعرف من هؤلاء عائلات مشهورة، كتاج الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن حمويه المتوفى سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م، ففوضت إليه مشيخة الصوفية في بلاد الشام قاطبة، مما يدعونا للاستنتاج بأن هذه الجماعات باختلاف مواقعها كانت ترتبط فيما بينها بمصلحة ما، يمثلها بها شيخ الشيوخ[4]، حتى اعتبرت هذه البُنى المؤسسية مستقلة بشيخها هذا، الذي يرتب شؤون الرباط والخانقاه، ويشاور أصحابه، ويسمعوا له ويرشدهم في

---

(١) ابن كنان. حدائق الياسمين، ص ١٤٦.

(٢) « الجماعات الصوفية هم من انقطعوا للعبادة وممارسة شعائرهم الدينية في معظم وقتهم». ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٥٥ ؛ وجبران. مملكة حماة، ٢٢٤.

(٣) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣٢-٣٣ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق١. ص ١٩٣ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ١٦٥ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ١٤٦ ؛ وابن كنان. حدائق الياسمين، ص ١٤٣.

(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٤٨ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٥٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٩٣-١٩٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٨، ص ١٢٤ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٢٠-١٢١.

أمور دينهم، حيث كان يخرج بموكبه وحوله جماعته من الصوفية، حتى يدخل المسجد فيصلي ويجلس بهم لقراءة القرآن والعبادة(١).

أما نقابة الأشراف من نسل علي بن أبي طالب، والذين وجدوا في بعض ممالك الشام وخاصة في دمشق وحلب، فقد رتب لها الأيوبيون نقابتها ومؤسستها، إذ كان لهؤلاء مكانتهم في نفوس سلاطين بني أيوب، فعينوا نقيباً لهم من نسبهم، وصدر له تقليده من الديوان، فيمارس هذا سلطته على أفراد جماعته حتى لقب بالأمير(٢)، وكانت لها إقطاعاتها مثل غيرها من مؤسسات الإدارة في ممالك الدولة الأيوبية، فتولاها في دمشق في عهد صلاح الدين شهاب الدين بن الشريف فخر الدين بن أبي الحسن(٣). وممن تولى نقابة الأشراف في حلب، الحسن بن زهرة العلوي المتوفى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م(٤)، وعز الدين أبو الفتوح مرتضي بن أبي طالب أحمد بن أبي الحسن الممدوح الحسيني المتوفى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م(٥).

والطوائف غير الإسلامية ربما وجدت لها تنظيماتها في ذلك العصر، فيذكر أنه قد كان للجماعة اليهودية رئيس يلقب بالملك، ويحرر له السلطان توقيعه وتقليده ليتولى رعاية شؤون هذه الطائفة وأعمالها في مختلف الممالك الشامية.(٦) هذا بالإضافة إلى الجماعات المسيحية في بلاد الشام، فأمنتهم الدولة الأيوبية على أنفسهم وأموالهم وأملاكهم، وجعلت لهم من يتولى أمرهم من بين أنفسهم، وعين لكنائسهم القساوسة الذين يقومون على أمرها(٧).

واهتمت الدولة الأيوبية بمختلف الفئات الاجتماعية وخاصة من لا عائل لهم

---

(١) رحلة ابن جبير، ص ٣١ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ١٢٤ ؛ وابن طولون. نقد الطالب، ص ١٧١، ١٧٢ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٧٤.

(٢) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ١٨-١٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ١٨-١٩ ؛ وابن حبيب. درة الأسلاك. جـ١، أحداث عام ٦٥٣هـ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٥٧ ؛ جـ١١، ص ١٦١.

(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٥٠. والكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص٢٨٢.

(٤) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص١٨، ١٩.

(٥) ابن حبيب. درة الأسلاك، جـ١، أحداث سنة ٦٥٣هـ.

(٦) رحلة بنيامين، ص ٨٩ وما بعدها ؛ والشيزري. المنهج المسلوك، ص ٥٢ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٦، ص ١٦٥.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص١١٢. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص٣١٦.

مثل الأيتام، فرتبت لهم ناظراً يبحث عن شؤون هذه الجماعة ممن فقدوا آباءهم في الحروب وغيرها، ويقدم لهم المعونة اللازمة، وممن تولى نظر الأيتام رشيد الدين أحمد بن الفرج بن علي بن عبدالعزيز بن مسلمة الدمشقي المتوفى سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م[1].

وتذكر المصادر أن هناك أعمال ومضافات قد تبعت لإدارة مدينة دمشق بعد معركة حطين إضافة إلى ما كان يتبعها في السابق، ومن هذه المضافات القدس الشريف وما حولها، وسنورد ذكرها في هذا السياق نظراً لأهميتها في العصر الأيوبي، بالإضافة إلى توفر النصوص الإدارية الخاصة بولايتها.

مدينة القدس :

سيطر الصليبيون على مدينة القدس بعد أن انتزعوها من الفاطميين منذ سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨م، وكوّنوا بها المملكة الصليبية اللاتينية، بتنظيم إداري جديد، وبعض الشبه بمؤسسات إدارتها السابقة[2]، وتتناقض بعض الروايات التي تحدد الاطار العام للسيطرة الأيوبية على هذه المدينة، وتنظيم إدارتهم بها[3]، وإن كان المؤرخون الحديثون قد حددوا ذلك في السابع والعشرين من رجب لسنة ٥٨٣ هـ/ الثاني عشر من تشرين الأول لسنة ١١٨٧م، حيث كانت المواجهة العسكرية المتواصلة بين الطرفين الأيوبي والصليبي منذ معركة حطين، في صباح يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الآخر، الرابع من تموز للسنة نفسها[4]، كان هذا التاريخ بداية للتغير السكاني لهذه المدينة بصبغتها الإسلامية الجديدة[5]، والتراتيب الإدارية من سمات الإدارة الأيوبية لأي مدينة يتم فتحها، فرتب بها صلاح الدين خانقاة للصوفية وجعل في كنيستها[6] بيمارستاناً، وأوقف لكل هذه ما يقوم على مصالحها،

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٨، ص ١٨٥.
(٢) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ١٨٨.
(٣) الشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ٣٢ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٨٣.
(٤) الحياري. صلاح الدين، ص ٢٣٤ ؛ والمعاضيدي وآخرون. الوطن العربي، ص ١٧١، ١٧٣ ؛ والبيشاوي. الممتلكات الكنسيّة، ص ٢٢٥.
(٥) البيشاوي. الممتلكات الكنسيّة، ص ٢٢٥.
(٦) ربما قصد بالكنيسة هنا كنيسة لم يعرف اسمها على طريق كنيسة القيامة.

ثم سمح بممارسة الطقوس العامة المعتادة عند المسيحيين[١]، فأعاد صلاح الدين لهذه المدينة طابعها الإسلامي من جديد، وعين الموظفين لمثل هذه المهام والواجبات، وجعل للقدس والياً من قبله، وأوجد في قلعتها حامية تقوم على أمرها[٢]، فأناب بها القاضي بهاء الدين بن شداد[٣]، ثم جعل ولايتها لضياء الدين عيسى الهكاري، ورتب شياروخ التركي ناظراً لحرمها[٤]، وإن ذكره آخرون بأنه كان والي القدس ولربما عُين مؤقتاً لولايتها[٥]، ووظف لها أربعة وعشرين خادماً وخطيباً يرأسهم بدر الدين الأسدي، وأوقف لها الأوقاف في إقطاعات مصر والشام[٦].

اتخذ والي القدس لقب الاسفهسلار لمهامه الحربية ودوره في المرابطة[٧]، وكان للقدس شأن مثل غيرها من الإقطاعات، يذكر أن صلاح الدين قد أقطعها لعزالدين جُرديك النوري، وولى عليها ابنه العزيز أبي الهيجاء السمين[٨]. ويبدو أنها اصبحت مملكة مستقلة حيناً وتابعة أحياناً، من أنقاض نظام البارونيات الصليبية حيث كانت تضم كونتية يافا وعسقلان وطبريا وصيدا وغيرها[٩]. ولم نستطع تحديد مضافاتها وأعمالها بعد انتقالها للسلطة الأيوبية، ولكن ومما لا شك فيه، أنه قد تبعت لها اقطاعات وضياع خصصت للإنفاق على مؤسساتها المتعددة[١٠]، حتى أتبعها الأيوبيون لإدارتهم المركزية في دمشق في بعض فترات تاريخها.[١١]

ربما خص الأيوبيون البعض بإدارة ولايتها ، وإنما اعتمدنا عليك لإجتماع خلال الكفاية

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٨ ؛ وابراهيم، حطين، ص ٨١.

(٢) ابن الأثير. الكامل، جـ ١٢، ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ؛ ومصطفى الحياري. القدس تحت حكم الصليبيين من كتاب القدس في التاريخ، ص ١٨٩.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٨ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٨٩.

(٤) مصطفى الحياري. القدس تحت حكم الصليبيين من كتاب القدس في التاريخ، ص ١٩٢، وللمزيد حول ولاتها انظر المحلق الأول.

(٥) الأصفهاني. الفيح القسي، ص٥٧٩. والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٢٩١.

(٦) انظر ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٧، ص ٢٢٥ ؛ وابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢١٣.

(٧) العسلي. بيت المقدس في كتب الرحلات، ص ٢٤١.

(٨) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٩) شاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ٤٤.

(١٠) ابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٨٨ هـ.

(١١) انظر ؛ ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١١٩ ؛ و Humphreys. From Saladin, p. 145.

والشهامة والديانة فيك»[١] ويعتبر واليها نائباً للسلطان مثل غيره من الملوك[٢]، ويعين بمنشور يقرأ أمامه، ولهذا الوالي قيادة قافلة الحج، وله ما لغيره من الحق في عمل تراتيب ولايته والاشتراك في العمليات الحربية العسكرية مع الصليبيين في المناطق المحيطة[٣]، ويتولى هذا الوالي الإعمار والبناء في ولايته، بموجب منشور يرده من ديوان الإدارة العامة[٤].

وتعددت المناشير التي يوكل فيها الديوان هذا الوالي بمهام عديدة، ويزودنا الأصفهاني بنص ولاية شياروخ النجمي على مدينة القدس سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م حيث يبين هذا المنشور أهمية مدينة القدس ثم يعرفنا بمن وليها قبل حسام الدين المذكور، ويذكر في المنشور أن حسام الدين من الأمراء المقيمين في مدينة القدس العارفين بأحوالها، ثم يعود للتحميد والتذكير بفتح القدس وأهميته حتى أختير لها هذا الوالي المؤهل لولايتها، ويبين له المهام المطلوبه منه «وحكمناه في تحصيل مصالحها وسداد ثغرها ورعاية أمورها» ويدعو الوالي إلى إقامة العبادات ومحاربة الفساد في مدينة القدس وأعمالها، ويبين المنشور بأن على والي القدس مراعاة تقوى الله في أعماله وأفعاله، وعليه أن يقيم حدود الشرع فيما يحل ويعقد في إدارة مدينته[٥]. وها هو الناصر داود يخاطب واليه ونائبه على القدس : «سلام على حضرة الوالي الشريف الحبيب النسيب، فتح الله له أبواب عرفانه، وأركبه جواد الهداية في حلبة القدس وميدانه، وأظهر عليه آثار عنايته ورضوانه، وجعله قدوة للفضلاء والنبلاء ...» ولهذا وذاك كان لمدينة القدس المكانة في نفوس ملوك بني أيوب[٦]، حتى كان خرابها بأمر الملك المعظم عيسى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩م لخوفه أن يدخلها الصليبيون ويتحصنوا بها، حيث كانت محط اهتمامهم وهدفهم في حملاتهم المتتالية.[٧]

---

(١) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦١١.
(٢) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٣٤.
(٣) انظر : العسلي. بيت المقدس في كتب الرحلات. ص ٢٤١ ، والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٦٤- ٦٥.
(٤) سترانج. فلسطين، ص ١٥١.
(٥) للمزيد انظر النص في الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٥٧٩ - ٥٨١. وحول ولاة المدينة انظر الملحق الأول.
(٦) الناصر داود. الفوائد الجلية، ورقة ٦٥.
(٧) بيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ١٢٧ ، والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٩٣ ، و ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٤٤ ، وحول ولاتها وقضاتها انظر الملحق الأول.

تراتيب حلب وأعمالها :

لقد أعطى التقسيم الإقطاعي للممالك الأيوبية حلب مكانة خاصة على غيرها في بلاد الشام فوصفت «بالدينار على غيرها من الدراهم»[١]، ولطالما طالب بها رجال الدولة ومقطعيها[٢]، لتلك المكانة التي ينعم بها من يتولى أمر إدارتها وإقطاعها[٣]، فلثغر حلب أهمية خاصة منذ القدم[٤].

وصفت حلب في ذلك العصر بازدهار تجارتها، وتبعت لها قلاع وضياع كثيرة[٥]، فمن أعمالها حارم[٦]، وتل باشر[٧]، وبزاغة واعزاز ومنبج[٨]، وجبله[٩]، وبهنسا[١٠]، وهكذا امتدت مملكتها حتى تدمر[١١]، وتبع لها في بعض فتراتها التاريخية أفامية وسرمين والجبول وجبل سمعان[١٢] واللاذقية[١٣] ، وبلاطنس[١٤] ومعرة النعمان[١٥] والراوندان وكفر طاب[١٦] والياروقيه[١٧] وقراحصار[١٨].

---

(١) رسالة فاضلية. انظر : ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٣٣١.
(٢) ابن أبي الهيجاء. تاريخ. أحداث سنة ٥٨٢ هـ؛ وسبانو. مملكة حماة، ص ٥١.
(٣) رحلة ابن جبير، ص ٢٠٢ ؛ ورحلة بنيامين، ص ١٢١ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٧٣ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات. جـ٢١، ص ٣٦٥
(٤) انظر : الإدريسي. نزهة المشتاق، م٢، ص ٦٤٨ ؛ وقارن ذلك في : سبانو. مملكة حماة، ص ٣٦.
(٥) وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ١٥٨، ٢٢٠ وانظر الخريطة ؛ و Cohne. La Syriedu. Nord, p. 194
(٦) «حارم حصن وكوره جليله تجاه إنطاكيا». انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٢، ص ٢٠٥.
(٧) «تل باشر : قلعة حصينة وكوره واسعة في شمال حلب». انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٠.
(٨) أبو شامه. عيون الروضتين، ق٢، ص٦٢ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٧٠ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٢٢ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ١، ص ١٩٢. و «إعزاز التي تكتب بالالف وبغيرها، بلدة شمال حلب» معجم البلدان، جـ٤، ص ١١٨. و «منبج : من أعمال حلب بينهما عشرة فراسخ». نفسه، جـ٥، ص ٢٠٦.
(٩) انظر : ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٣١ ؛ وابن الفرات، تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٠٧ ؛ وخرابشه. نيابة طرابلس، ص ٢٨. و «جبله قلعة مشهورة بساحل الشام قرب اللاذقية استردها صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م». انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٢، ص ١٠٥.
(١٠) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٣٢.
(١١) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.
(١٢) انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ١٩ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٣٤.
(١٣) انظر : E.I. V.1, p. 799 ؛ و «واللاذقية كانت مدينة عامرة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كثيرة الخيرات وتقع على البحر ولها ميناء حسن». انظر : الإدريسي. نزهة المشتاق. م٢، ص ٦٤٥.
(١٤) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٦٩. «بلاطنس حصن منيع بسواحل دمشق مقابل اللاذقية من أعمال حلب» انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ١، ص ٤٧٨.
(١٥) الادريسي. نزهة المشتاق. م٢، ص ٦٥٢.
(١٦) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص٢٥٢. وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٢٢٥ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ١٩٠.
(١٧) « الياروقية : مملكة كبيرة بظاهر مدينة حلب، تنسب لأحد الأمراء التركمان في عهد نور الدين» انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٥، ص ٤٢٥.
(١٨) «قراحصار. مرج كبير من نواحي شمال حلب». انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٤، ص ٣١٥. =

زاد من وجود القلاع في إقطاعية حلب أهمية موقعها في مواجهة الأخطار القادمة من الشمال بصفتها مواجهة للأخطار التي قد تتعرض لها الدولة الصليبية، ومن هذه القلاع ؛ البيره وقلعة الروم وقلعة الكختا وكركر وبهنسا وعين تاب والراوندان ودربساك وبغراص وأبي قبيس وشيزر وغيرها[١]، حتى تطورت إدارتها ليتبع لها في العصر اللاحق ما يقارب الواحد وعشرون نائباً في الأعمال السالفة الذكر، كل يتلقى مرسومه وتشريفه من ديوانها[٢]. وكانت تمثل منطقة الدفاع الأول عن ممالك الشام، لذا حرص الأيوبيون على إيجاد مؤسسة مدنية وعسكرية متكاملة في حلب ومضافاتها لتتولى شؤونها الداخلية والخارجية على حد سواء[٣]، وولوا حلب لثقاتهم وأبناء أسرتهم.

اعتبر البعض دخول صلاح الدين لبلاد الشام واضعاً نصب عينيه مدينة حلب ومسألة أمرائها أبناء الداية خاصة[٤]، حتى أصبح انضمام حلب لإدارة الدولة الأيوبية يمثل فتحاً إدارياً وعسكرياً على مؤسساتها الأخرى، ففتح حلب كان تمهيداً لفتح القدس ؛ يقول القاضي محي الدين بن الزكي.

«وفتحكم حلب بالسيف في صفر　　مبشر بفتوح القدس في رجب»[٥]

حتى تحققت مقولته، فأقطعت حلب لأفراد الأسرة الأيوبية، وبقيت وراثية في عائلتهم[٦]. ورغم إدارة المملكة الوراثية، بقيت حلب محط اهتمام سلطان الدولة، يتابع مراقبة أمرها، فيقر من يراه أهلاً للثقة ويعزل من يشك في ولائه.[٧]

▪ وللمزيد حول موقع الكثير من هذه انظر الخريطة في الملاحق.

(١) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٣٢-٢٣٤

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٧، ص ١٨٨-١٩٣

(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٤٢ ؛ والنويري. نهاية الأرب. جـ٢، ص ٣٨٦ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٨٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٣٥.

(٤) ابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٧٠ هـ.

(٥) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢٣١. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٦٦.

(٦) انظر ؛ ابن الأثير. الكامل، جـ ١٢، ص ٤٧٣ -٤٧٤ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٧٢ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص ٩-١٠ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٨٠، جـ ٥٤، ص ٢٢-٢٤ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٧٧-١٨٧.

(٧) أبو شامة. الروضتين. جـ٢، ص ٣٨٦ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٨٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٣٥.

نزل صلاح الدين في حلب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، ورتب أمورها وأوجد لها الأيوبيون وظائفها الإدارية، فهي مملكة في إقطاع أحد الأمراء الأيوبيين، ووجدت لها ولايتها ولقلعتها نيابتها ورتب أمر القضاء والحسبة والشحنة في مدينة حلب[١]. وأقطع صلاح الدين يوسف بن أيوب أعمالها : تل باشر وتل خالد، لبدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق المتوفى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م، وقلعة عزاز لعلم الدين سليمان بن جندر المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م[٢]، وأوكل لولده الظاهر أمرها بقصبتها وقلاعها وكافة بلادها، فتبع أولئك المقطعين لإدارته، وتلقوا أوامرهم من مجلسه وديوانه[٣]، ولا شك أن قلعتها المشهورة كانت المركز لإدارة مؤسستها وديوانها[٤]، هذا الديوان المختص بميزانيتها وماليتها، ولها شحنكيتها فتولى فيها سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م، شجاع الدين محمد بن برغش النصراوي، وحسام الدين تميرك بن يونس، وكان للملك الظاهر كاتبه الخاص الصنيعه ابن النحال النصراني[٥]. يتولى هذا الكاتب إدارة الديوان الذي يصدر التقاليد الخاصة بتلك الإقطاعات، ويفوض صاحب الإقطاع سلطة مطلقة أو مشروطة، عليه الالتزام بها وإلا تم عزله، فكتب صلاح الدين لأخيه العادل بإقطاعه في حلب : «لقد جعلنا لأخينا الملك العادل من الممالك التي تملكناها والبلاد التي فتحناها، وقلدناه أمور المعاقل، وفوضنا إليه جميع الأمور، فبيده الحل والعقد وإليه الولاية والعزل»[٦].

نظم الملك الأيوبي مملكته في حلب، فأقر الملك الظاهر أخاه الزاهر على البيره، ودخلت حماة في دائرة نفوذه وسلطانه[٧]، وهو من يقوم بعمل الإصلاحات

---

(١) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٥٤.
(٢) انظر : أبو شامه. ذيل الروضتين. ص ٨٧، ١٤٥، ١٤٦ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ. احداث سنة ٥٧٩ هـ.
(٣) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٨١.
(٤) انظر : أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٤٣، ٤٤ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٧٠. «حيث يذكر أن صلاح الدين عندما وصل حلب لم يكن يريد الا القلعة بأحجارها دون مؤنها».
(٥) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٧١، ٧٥ ؛ وأبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٥٢ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص ٢٤٢. ولم أجد ترجمة له فيما توفر لدي من مصادر.
(٦) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٥٩-١٦٢.
(٧) أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٢٢٦.

المناسبة، فاحضر الظاهر الصّناع من دمشق وأشرف بنفسه على سير الإصلاح في قناتها لإيصال المياه إلى مختلف أحيائها وبساتينها.(١)

اعتاد الملك أن يحيط نفسه بمجموعة من الأمراء والأعيان، يستشيرهم، ويوكل إليهم بعض الوظائف المدنية الدائمة والأعمال الإصلاحية الوقتية(٢)، بالإضافة إلى أنه كان للوالي نائبه الذي يتبعه مجموعة من الشحنه مهمتهم حراسة الأسواق لفرض الأمن والنظام في أحياء المدينة(٣)، وربما جمعت لوالي القلعة -السالف الذكر- ولاية العسكر وأمانة الخزائن(٤)، حتى تطورت مثل هذه التراتيب، وعرفت حلب الوظائف بمسمياتها في العصور اللاحقة - وخاصة من أرباب السيوف - كالنائب من مقدمي الألوف ونائب القلعة وحاجب الحجاب وغيرهم.(٥)

وألزمت إدارة حلب بإقطاعاتها المتسعة بمجموعة من الجند بلغ عددهم خمسمائة جندي أحياناً بكامل تجهيزاتهم تقدمهم لإدارة الدولة، مع العلم أن هذا العدد قد يتفاوت من آونة لأخرى بحسب مساحة الإقطاع وإنتاجه.(٦)

تراتيب بعلبك وأعمالها :

سيطر الزنكيون على بعلبك، ونقل عماد الدين زنكي نجم الدين أيوب من تكريت وولاه دزداراً(٧) بقلعتها في العشرين من ذي القعدة سنة ٥٣٣ هـ / التاسع عشر من تموز سنة ١١٣٨م. فأصبح ماسكاً لقلعتها ومستحفظاً فيها «وكتب له ثلثها ملكاً» فعمر بها الخانقاة النجمية، واستمرت إدارته لإقطاعها حتى مقتل زنكي، فحاصرها مجير الدين آبق بن طغتكين - صاحب دمشق - وصالحه نجم الدين على تسليمها، وعوضه ببعض الإقطاعات الدمشقية، فكانت هذه المدينة الهامة

---

(١) ابن الشحنه. الدر المنتخب، ص ١٤٢-١٤٣.
(٢) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٢، ص ١٧٨.
(٣) م. ن، ص ٣٩.
(٤) م. ن، ص ٥٤.
(٥) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٧، ص ١٨٨.
(٦) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٨١.
(٧) «الدزدار» هو حافظ القلعة ومتولي أمرها» انظر: ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص٣٤١. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق١، ص٧٦.

منطلق الأسرة الحاكمة ومولد بعض ملوكهم[١]، حيث أعاد نورالدين زنكي، نجم الدين أيوب وأسرته إلى إقطاعهم في بعلبك[٢]، فنظم مؤسستها، واحتفظ الملك الزنكي لنفسه بحق إقامة بعض التراتيب الإدارية بها، كالقضاة مثلاً، وهكذا بقيت سياسة لاحقيهم من بني أيوب، تزداد إهتماماً بهذه المدينة الهامة.[٣]

دخلها صلاح الدين بعد وصوله دمشق بأيام[٤]، فأقرها على شمس الدين محمد بن المقدم، حتى عصى أمر صلاح الدين، فقصده وتصالح معه واقتطعها منه، وأعطى إدارتها لأخيه شمس الدولة ثم ولى عليها ابن أخيه عزالدين فرخشاه[٥]. فأصبحت مطمعاً لأمراء الأسرة الأيوبية، ولصاحبها المكانة الخاصة عندهم[٦].

خصصت بعلبك إقطاعاً لامراء بني أيوب، فتملكها بعد عزالدين فرخشاه ولده الأمجد -مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه- خمسين سنة[٧]، إلى أن تسلمها الأشرف موسى بن العادل من الملك الأمجد بعد أن حاصره بها، وأعطاها لأخيه الصالح إسماعيل سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م[٨]، ثم انتقل إقطاعها لسيطرة الملك الصالح نجم الدين أيوب فولى عليها من قبله، حتى انتهت إلى نفوذ الملك الناصر صلاح الدين يوسف - صاحب حلب - سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م، قبيل سيطرة المغول عليها.[٩]

هكذا كانت لبعلبك الأهمية الكبرى عند ملوك بني أيوب، وكانت لها مؤسستها ومضافاتها[١٠]، كمؤسسة مستقلة بإدارتها الذاتية وتبعيتها اللامركزية للإدارة في

(١) أبو شامه. الروضتين، جـ١، ق١، ص ٨٧ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ ٢٢، ص ١١٦ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ١١٣ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهره، جـ٦، ص ٥ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٣٦، ١٣٨.

(٢) الناصر داود. الفوائد الجليّة، ورقة ٤ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٢٩١

(٣) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢١٨ ؛ وابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٣٥٤ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٢٧٢ ؛ والذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث ٦٣١ - ٦٤٠ هـ، ص ١٣.

(٤) أبو شامه. الروضتين، جـ١، ق٢٠، ص ٦٣١.

(٥) ابن شداد. الأعلاق الخطيره، جـ٢، ق٢، ص ٤٨ - ٤٩.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٣٦٢.

(٧) اليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٦٥.

(٨) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٣٦-١٣٧ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٣٦-١٣٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهر، جـ٦، ص ٢٧٥.

(٩) انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٢٦-١٢٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهره، جـ ٢، ص ٣١٥ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٣٩.

(١٠) «يذكر أن اللبوة من أعمال بعلبك»... انظر : ابن الأثير. التاريخ الباهر. ص ١٤٥.

Text Stamp

دمشق والقاهرة، فوجدت التراتيب الإدارية في بعلبك كغيرها من الممالك مثل الوالي وناظر الديوان والقاضي وناظر الوقف والمفتي ونقيب الأشراف وحافظ القلعة الذي يترأس الفرق العسكرية لهذه المملكة.[١]

وأصبحت مملكة مستقلة في بعض فتراتها، يتولى أمرها أحد أفراد الأسرة الحاكمة، ولم تبق التقسيمات الإدارية الإقطاعية على حالها، فربما أصبحت بعلبك بإدارة ذاتية مستقلة[٢]، وإن طلب بعض الملوك والمقطعون إضافتها لإدارتهم وإقطاعهم في دمشق[٣].

تذكر المصادر أن صلاح الدين قد اهتم بأمرها، يقول الأصفهاني : «وأقام حتى أمرّ أمرّها وأدر درها، وقسم لها من عدله، وحكم فيها بفضله، وكشف الظلم والمظالم، وأجرى من رسوم الأجر والمراسم»[٤]، وطالما إتجه السلطان لعزل واليها وانتزاع إقطاعها، ليجتهد في تولية من يراه كفؤاً لإدارتها، وإصلاح أمرها[٥]، وبرزت في بعلبك أسر إدارية فكان من الملك الأمجد بهرام شاه سياسة التقرب من السامرة اليهود، بحيث أصبح لهؤلاء شأن في مملكته، وخاصة الطبيب المشهور مهذب الدين ابن أبي سعيد بن خلف السامري، فاستوزره الأمجد، وأمر ونهى مهذب الدين في مملكته.[٦]

تراتيب حماة وأعمالها :

دخلت حماة في حوزة الأيوبيين في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م بعد أن سيطر عليها صلاح الدين بعد سيطرته على مدينة حمص، واقطعها لخاله شهاب الدين محمود ابن تتش الحارمي المتوفى سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧[٧]، وتابع صلاح الدين سيره لاستكمال

---

(١) نصرالله. تاريخ بعلبك، جـ١، ص ٢٢٦.
(٢) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢٠٨.
(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٨٠. ونصرالله. تاريخ بعلبك، جـ١، ص١٤٧-١٥٠.
(٤) انظر : الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢١٨ ؛ وابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٣٥٤.
(٥) نصر الله. تاريخ بعلبك، جـ١، ص ١٥٢.
(٦) م. ن، ص ١٥٩-١٦٧.
(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٤ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣١٩ ؛ وجبران. مملكة حماه، ص ٤٦ ،وشهاب الدين هو الذي تدخل في الصراع بين صلاح الدين والإسماعيلية -

السيطرة على ممالك الشام، إلا أن حلب استعصت عليه فعاد إلى حماه، لينظم أمورها، ويرتب مؤسستها لجعلها قادرة على دفع الأخطار عن الممالك الداخلية للدولة الأيوبية، ونظمت المؤسسة المدنية في مدينة حماه بتبعيتها للإدارة الأيوبية المركزية في مدينة دمشق. أما مؤسستها العسكرية، فيبدو أنها قد نالت الاهتمام الأكبر، وأصبح لمقطعها القوة الكافية لمواجهة الأخطار المحيطة، ولاسيما بتواجد بعض القوى المحلية التي تشكل خطراً على امتداد النفوذ الأيوبي في بلاد الشام، مثل الإسماعيلية، هذه الجماعة التي كانت تعيش بمحاذاة إقطاع حماه، وتتحالف مع الصليبيين ضد الحكم الأيوبي لبلاد الشام.[١]

امتد إقطاع حماة فيما بعد، ما بين مملكتي حلب وحمص[٢]، فضاقت مساحته مقارنة بغيره من الإقطاعات، مما جعل الأيوبيون يلحقون مناطق بعيدة عن مركزها بإدارتها، حتى بلغت هذه المملكة أقصى اتساع لها في عهد المظفر تقي الدين عمر المتوفى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١م، فوصلت إلى الرستن جنوباً[٣]، وتبعتها سلميّة والمعرة شرقاً، وامتدت حتى قلاع الإسماعيلية في مصياف غرباً[٤]، فكان من أعمالها : المعرة ومنبج وقلعة نجم وأفامية وجبلة واللاذقية، بالإضافة إلى ما تبع لمقطعها من مناطق الجزيرة وديار بكر.[٥]

كانت مملكة حماة وراثية في بيت من أسرة بني أيوب، هم الأسرة التقوية، أحفاد تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين[٦]، واستمرت تحت حكم هذه الأسرة

• بقيادة راشد بن سنان، لإدراكه أهمية ذلك لأمن وسلامة الدولة من الصراع الداخلي وتأثيره على هيبتها، انظر : سبانو. مملكة حماه، ص ٤٦.

(١) ورد التعريف بالإسماعيلية سابقا. انظر : من تاريخ ابن أبي الدم في : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٨٨ ؛ وسبانو. مملكة حماه، ص ٥٤، ٧٨، ٧٩ ؛ و E.I. V.I, p. 801.

(٢) ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص ١٢٦.

(٣) ،الرستن هي بليدة ما بين حمص وحماه تقع على نهر العاصي، انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٣.

(٤) انظر : م. ن، جـ٣، ص ٢٤ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٣٥ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٣ ؛ وسبانو. مملكة حماه، ص ٤١، ١٣٩.

(٥) انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٨٠ ؛ وجبران. مملكة حماه، ص٥، وما بعدها.

(٦) جبران. ص ٥٢.

الى ما بعد انتهاء الحكم الأيوبي في بلاد الشام. ويزودنا جبران بقائمة من الجداول تبين أسماء من تولى إدارتها من أمراء هذه الأسرة[١]، وترد الإشارة إلى أن آخر من تولى أمرها هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل التقوي، الذي صنف تاريخاً مشهوراً استفدنا منه في دراستنا، هو «المختصر». وكان ذلك حوالي سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م، مع امتداد النفوذ المملوكي على بلاد الشام.[٢]

نُظم لمملكة حماة ديوانها، الذي يختص بإصدار التقاليد الإقطاعية في أعمالها ومضافاتها بعد استشارة السلطان[٣]، بارتباطه الوثيق بديوان الإدارة العام، حيث لا يتولى صاحب حماه إلا بأمر السلطان الأيوبي، وللديوان العام الحق في نقل بعض تلك المضافات الى إقطاع أمير آخر؛ وهذا إدراكاً من إدارة الدولة بخطورة بعض المقطعين، إذا ما اتسعت اقطاعاتهم وتنامى نفوذهم. وارتبطت المؤسسة القضائية خاصة في حماة بإدارة قاضي القضاة في دمشق، وكان من حق هذا المقطع الإشراف على هذه التراتيب في مؤسسة إقطاعه، وله الحق في تعيين ولي عهده، إذا ما وجد مصلحة في ذلك[٤].

ونلاحظ في مملكة حماه تفاوت إقطاعها من حين لآخر[٥]، فقد تمارس سلطتها المباشرة على المناطق المحيطة بما يسكنها من قبائل، أو تكون هذه الجماعات خارجة عن سلطة أميرها[٦]، ونالت مملكة حماه اهتمام سلاطين بني أيوب، فزرعوا من حولها البساتين، وأقاموا بها الأسواق والحانات حتى أصبحت مملكة مستقلة تكفي حاجاتها بعبرة إقطاعها ومضافاته.[٧]

---

(١) للمزيد انظر ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٧٤ - ٧٥ ؛ وسبانو. مملكة حماه، ص ٢٠٠، وقارن ذلك في ؛ جبران، مملكة حماه، ص ٨٣، ٨٤، ١١٩، ١٢٩.
(٢) الزبيدي، ترويح القلوب، ص ٥٦.
(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ١٨٦. وحول أرباب وظائف حماة انظر الفصول اللاحقة.
(٤) ابن الوردي، تتمه، جـ٢، ص ١٩٨ ؛ وسبانو. مملكة حماه، ص ١٤١.
(٥) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٢٥.
(٦) الحياري. الإمارة الطائية، ص ١٠٣.
(٧) ابن الوردي. تتمه، جـ٢، ص ١٧٠.

تراتيب حمص وأعمالها :

يرتبط تاريخ حمص بالأيوبيين منذ العهد الزنكي، عندما أعطى نورالدين محمود بن زنكي هذه المدينة لقائده أسد الدين شيركوه فاستمرت في ذرية البيت الأسدي حتى عهود لاحقة[١]، وأصبحت محط اهتمام سلاطين بني أيوب بعد وفاة ناصر الدين بن أسد الدين، فنقل صلاح الدين اقطاعها لابنه أسد الدين شيركوه وهو ابن اثنتي عشرة سنة حيث ملكها ستاً وخمسين سنة، وكتب له صلاح الدين بها منشوراً، مع إضافة تدمر والرحبة وسلمية ووادي بني حصين وزلبيا «وأنعمنا عليه بكل ما كان لوالده - رحمه الله - من البلاد والضياع والمعاقل والإقطاعات والولايات ....» وولى على قلعة حمص الأمير الحاجب بدر الدين إبراهيم بن شروة الهكاري ثم أمير الأسدية أرسلان بوغا[٢]. «وأصبح لملك حمص سطوة تخاف وبأس يحذر»[٣]، لذا اتهم البعض صلاح الدين أنه سقى - صاحب حمص - ناصر الدين السم، حيث بلغه مكاتبته لأهل دمشق وطمعه للاستئثار بالسلطة والاستقلال بولايته، إذ رأى في نفسه أهلاً لقيادة الأسرة الأيوبية لقرابته من فاتح مصر - أسد الدين شيركوه-.[٤]

وبعد وفاة أسد الدين بن ناصر الدين شيركوه سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م، استولى عليها بمضافاتها ابنه الملك المنصور ابراهيم، كما استولى على تدمر وسلمية والرحبة وأرسل للصالح نجم الدين أيوب يطلبه عهداً بالولاية والاقطاع ليدخل في طاعته[٥]، ومع نهاية الدولة سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦م. أقطعت للملك الأشرف موسى[٦]،

---

(١) انظر : القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ١١٦ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٠٧

(٢) أبو شامه. الروضتين، جـ٢، ص ٦٩ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٧٧ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٧٧.

(٣) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٢٠-٢٢١

(٤) انظر : أبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٧٠ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٦٦ ؛ وشاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ١٨٩ ؛ ورشيد عبدالله الجميلي. حمص في عصر الأمراء الأيوبيين، ص ١٨٠ وما بعدها.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٥٦-٢٥٧ ؛ وابن الوردي. تتمه، جـ٢، ص ٢٥٤

(٦) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣٥٩ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٨٦.

فقايض بها بتل باشر مع صاحب حلب وتنازل عنها[1].

لم تكن حمص بأهمية غيرها من ممالك الدولة الأيوبية في بلاد الشام، فموقعها القريب من مدينة دمشق، وتوسطها بين دمشق وحماة جعلها عرضة للتنقلات الإقطاعية في تلك الفترة ؛ فتبعتها سلمية أحياناً وإن انتقلت لتبعية حماه في أحيان أخرى[2]، وتبعها حصن صهيون[3] وناحية الحولة[4] والقرشية[5] واللاذقية[6] وآفامية[7] وعانة[8]، وقد رتب السلطان في هذه الأعمال الولاة من قبله[9].

أقطع الأيوبيون حمص لامراء الممالك المجاورة[10]، فحمص مدينة صغيرة بمدينتها وإقطاعها وتراتيبها[11]، وإن أخذت هذه المدينة بالتطور التدريجي في العصور اللاحقة، فأصبحت نيابة على شاكلة غيرها، وأصبحت كرسياً للملك وداراً للإمارة، ونظمت مؤسستها المدنية والعسكرية[12].

يبدو لنا من خلال هذه الفترة الأسدية من حكم حمص وإقطاعها أنه قد نظمت مؤسستها بتراتيبها ووظائفها مثل : القضاء والديوان والبريد وماتحتاج إليه لإدارة شؤونها، فولي مجدالدين اسماعيل بن ابراهيم بن أبي القاسم بن كميرات ناظراً لديوانها، وولي غيره لباقي وظائفها[13].

وهذا المقطع أو ذاك من ولاتها قد طوّر في تراتيبها وحسن في عمارتها

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣٥ ؛ والبنداري، سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٨٩.

(٢) رشيد عبدالله الجميلي، حمص في عصر الأمراء الأيوبيين، ص ١٩٤.

(٣) «صهيون حصن في سواحل بحر الشام من أعمال حمص، استولى عليه الصليبيون حتى استعاده منهم الملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م»، انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٣، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٤) م. ن، جـ٢، ص ٣٢٣.

(٥) م. ن. جـ٤، ص ٣٢٣.

(٦) انظر : م. ن. جـ٥، ص ٥ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٧٤ - ١٧٥ ؛ وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٢٣٢ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٠٧.

(٧) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٨. ص ٤٠٨.

(٨) الذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث سنة ٦٣١ - ٦٤٠ هـ، ص ١٦.

(٩) العليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٥٢

(١٠) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢٥٦.

(١١) رحلة ابن جبير، ص ٢٠٩.

(١٢) شيخ الربوة. نخبة الدهر، ص ٢٠٢ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢٠٩.

(١٣) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ٢٥٥.

Text Stamp

وعدل في رعيتها، فحارب الفساد والمنكر بمقدرته، ولا سيما إذا ما تصورنا طول مدة ولايته عليها(١)، وكُلفت حمص مثل باقي ممالك بلاد الشام بدفع بعض الأموال لخزينة الدولة، وإذا أرادت مؤسسة الدولة العليا تضييق الخناق على نوابها ومقطعيها زادت مقدار الأموال المفروضة عليهم بما لا تستطيع وارداتهم توفيره لخزينة الدولة.(٢)

تراتيب الكرك وأعمالها :

منذ أن فتحت في عهد صلاح الدين الأيوبي في شهر رمضان سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م سلمها لأخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب، الذي جعلها في ولاية ابنه الملك المعظم عيسى بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م(٣)، فولى المعظم عليها وبقي هو مقيم في دمشق(٤). ويذكر أن قد تبع لها في هذه الفترة عمل الشوبك(٥)، فتولى فيه من قبل المعظم، سعد الدين مسعود سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م(٦). وامتدت مملكة الكرك حتى «عقبة الصوان جنوباً وبلاد البلقاء شرقاً وبحيرة لوط شمالاً، وتيه بني إسرائيل غرباً»(٧)، فتبع لها اللجون أو المنزلة - شرق الكرك - وأدر والربة والنقوب وزيزا والرقيم والبلقاء وعمان والزرقاء والضليل، وأصبحت منزلاً لبعض الملوك والسلاطين(٨).

كانت الكرك بتفاوت تقسيماتها(٩) تابعة لغيرها، حتى أصبح لها شكلها الإداري في شعبان من سنة ٦٢٦ هـ / تموز ١٢٢٩م، أنشأ بها الناصر داود مملكته الخاصة

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٧١ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٦٦ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٥٥.

(٢) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٣١.

(٣) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق٢، ص٧٢. والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٨١.

(٤) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص٨٧. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١١، ص٣٦-٣٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٦٢-١٦٣. وموسى العليلي. الناصر داود، ص١١٤.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٦٤٧. وابن فضل الله العمري. التعريف، ص٢٣٧.

(٧) ابن فضل الله العمري. ص٢٣٧، ٢٦٢.

(٨) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٥٦. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٣، ١٥ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١١، ص ٣٦-٣٧.

(٩) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٣٧.

وأحبه أهلها[1]، واتسعت مضافاتها فشلمت أعمال: عجلون وحسبان[2]، والصلت والبلقاء ومركزها عمان[3]، والأغوار، وبعض الأراضي الفلسطينية من أعمال -كالقدس ونابلس وبيت جبريل-، حيث ضم الناصر داود لإدارتها المدينة المقدسة بعد أن استعادها ثانية من الصليبيين في جمادى الأولى سنة ٦٣٧ هـ / كانون أول سنة ١٢٣٩م[4]، وأضيفت لها مدينة إيلة وقلعتها[5]، لتتأرجح الكرك في تاريخها ذاك بين التبعية لدمشق في ظل حكم الملك الأشرف موسى، والتبعية للقاهرة في ظل حكم الملك الكامل الأيوبي.

وجد بالكرك ديوانها ولها أمراؤها وأعيانها، ويشير عبدالعزيز عبدالجليل في دراسته لنقش عثر عليه إلى وجود مؤسسة إدارية في هذه الإمارة الأيوبية[6]، فالوالي هنا يتلقّى تعليماته بمناشير ترده بعض الأحيان من ملك دمشق[7]، ولأهمية هذه الإمارة فقد خصّها الأيوبيون لأبناء أسرتهم، فأقطعها صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ /١١٨٨م لأخيه العادل، واقطعها العادل لابنه المعظم عيسى[8]، فولى فيها مجدالدين أسامه بن منقذ الكناني[9]، ثم تولى المملكة الناصر داود فأناب بها الطواشي عزيز الدولة ريحان، ورحل إليها هو نفسه بعد أن انتزعت منه دمشق[10]، ثم أقطعت لابنه الملك الأمجد مجدالدين عيسى فباعها للملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[11]، فولى هذا إدارتها للطواشي بدرالدين الصوابي الذي ساعد الملك المغيث

---

(١) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٣٠، ٢٣٤.
(٢) اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص١٢٩. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص٢٧٨.
(٣) فيذكر في أحداث سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م أن قاضي عمل البلقاء هو جمال الدين بن عبد الحق المغربي. انظر ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص٣٣٠. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص٤٧.
(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٦ ؛ وغوانمه. إمارة الكرك، ص ٢٣١، ٢٥٩ ؛ والملك الناصر داود. ص ١٠١، ١٠٣
(٥) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٨، ورقة ١٧أ.
(٦) أبو شامه، ذيل الروضتين، ص ٨٧ ؛ وعبدالعزيز عبدالجليل، نقش أيوبي، ص ٢٠٨.
(٧) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٤٣.
(٨) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٦٢ - ٢٦٣.
(٩) ابن أبي الهيجاء. تاريخ. أحداث سنة ٥٨٤ هـ
(١٠) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٥ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٨١ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص٢٣٠.
(١١) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٤٤ -٤٥. والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص٣٨٠.

عمر ابن الملك العادل للاستقلال بإدارتها مع نهاية الحكم الأيوبي[1]. وكانت الكرك كإقطاع يساهم في نفقات الإدارة العامة[2]، حتى نهاية حكم الأسرة الأيوبية لها سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[3].

إدارة المناصفات:

وهناك نوع آخر من التقسيمات الإدارية -المناصفات-[4] عرفتها بعض المناطق منذ السنين الأولى لوجود الصليبيين في بعض مناطق بلاد الشام، ومناطق المناصفات هذه هي بلاد حدودية، تقع على الحدود بين الدويلات الإسلامية والممالك الصليبية، ويبدو أن هذه المناطق قد كانت تتبع أحياناً للمسلمين فيتنازلون عن نصف ايرادها للصليبيين، أو قد تكون تابعة للصليبيين فيتنازلون عن نصف ايرادها للمسلمين، دفعاً كل منهما لشر الآخر، ومن هذه المناطق الحدودية كانت منطقة بانياس، فيذكر وليم الصوري أن هذه المنطقة قد أصبحت مناصفة بين الفرنج مع بعضهم، فحاكم القدس بالإضافة إلى تبنين والجليل وبانياس همفري، اتفق مع الاسبتارية على المقاسمة في غلات بانياس نظير تحملهم أعباء الدفاع عن بعض حدود مملكته[5]، ثم نلاحظ بعض هذه الإشارات إلى مثل هذه المناصفات بين المسلمين والصليبيين ابتداءً من سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م، حيث ترددت الرسل بين بلدوين الأول حاكم القدس، وظهير الدين طغتكين أتابك دمشق على جعل السواد وجبل عوف أثلاثاً «للأتراك الثلث وللافرنج والفلاحين الثلثان»، ثم تكررت المهادنة بين الطرفين سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م، حول منطقة البقاع القريبة من بعلبك «الثلث للإفرنج والثلثان للمسلمين والفلاحين»[6]، وتتابعت المهادنة وإدارة المناصفات بين

---

(١) اليونيني. ذيل مرآة الزمان. جـ١، ص ١٦٦ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٥٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص٤٤١-٤٤٢. والزبيدي. ترويح القلوب، ص ٨٠. وحول ملوكها وولاتها انظر الملحق الأول.

(٢) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص٤٤-٤٥.

(٣) الحياري. الإمارة الطائية، ص١٠٦.

(٤) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٧٩.

(٥) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٨٤٤.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٤، ٢٧٣.

المسلمين والصليبيين، فيذكر في أحداث سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م أن الطرفان قد اتفقوا على اعتبار الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة بينهم[١]، وفي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م اتفق الأتابك عمادالدين زنكي وأهل قلعة حارم من الافرنج على مناصفة بلدتهم معه[٢]، وتواصلت مناصفتها في عهد ولده نورالدين محمود بن زنكي، حيث أنه في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، حاصرها حتى صالحه أهلها على مناصفة غلاتها، وهكذا فعل مع الإفرنج في طبرية سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م[٣]، وبهذا تؤكد لنا مثل هذه الاشارات إلى أن نظام المناصفات قد سبق المهادنات والمناصفات الأيوبية الصليبية بعقود حتى كان صلح الرملة، حيث شمل نظام المناصفات مناطق مثل يافا التي افتتحها صلاح الدين، ثم استولى عليها الصليبيون بموجب صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م، حيث كانت إدارتها مناصفة بين الأيوبيين والصليبيين إلى أن استعادها الملك العادل وخربها سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧م.[٤] وخضعت منطقة حوران والسواد من الأردن للإدارتين الأيوبية والصليبية بمقاسمة الغلات وجباية الرسوم والضرائب من المنطقة، حتى خلصت منطقة السواد للإدارة الأيوبية بحصنها المعروف ومركز إدارتها «حبيس جلدك» على المنحدر الجنوبي لنهر اليرموك[٥]. وكانت هناك مناصفة لبعض المناطق الأخرى ولا سيما في ظل الاتفاق بين الكامل الأيوبي والامبراطور فريدريك الثاني، حيث سلمت القدس للصليبين في ٢٨ ربيع الأول سنة ٦٢٦ هـ/ ٢٥ شباط سنة ١٢٢٩م[٦]، فيذكر نص الاتفاق قوله : «ويكون الرجوع في الرستاق إلى والي المسلمين، ويكون لهم -أي للصليبين - من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط ....»، أي أن إدارة القرى وبعض الأعمال بقيت إدارة أيوبية مشتركة مع إدارة الصليبيين[٧]، وهكذا

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٢، ص ٥٩٥-٥٩٦م.

(٢) ابن الأثير، الكامل، جـ١٠، ص ٦٦٢، ٦٦٣. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ٣٠. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٧، ص ١٥٨.

(٣) ابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ١٤٩. والنوريري. نهاية الأرب، جـ٢٧. ص ١٥٨.

(٤) انظر ؛ ياقوت. معجم البلدان، جـ٥، ص ٤٢٦ ؛ والبيشاوي. الممتلكات الكنسيّة، ص ٣٣٤.

(٥) مصطفى الحياري. حصن حبيس جلدك، ص ١٥٨ - ١٦٠.

(٦) غوانمه. الملك الناصر داود. ص ٩٨ - ١٠١.

(٧) انظر ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٤٤ ؛ والعليمي. الأنس الجليل. جـ١، ص ٤٠٦ ؛ .

كانت إدارة المناصفة في الرملة والناصرة[١]. ويذكر ابن نظيف الحموي في أحداث سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م أن المظفر -صاحب حماة- قد صالح الفرنج بحصن الأكراد على مناصفة «بارين» وأن الملك العزيز بن الظاهر -صاحب حلب- قد صالح الداوية على نصف شيزر[٢].

أما التنظيم الإداري في مثل هذه المناطق المناصفة، فيبدو أنه لكل طرف نائب يمثل سلطانه، ويتفق الطرفان على كل صغيرة وكبيرة في إدارة البلاد المناصفة، ويتبع لكل نائب من هؤلاء مرتبون مختصون بجمع الضرائب وفض المنازعات بين الناس، وتنص المعاهدات على أمن وسلامة كل من الأطراف المشتركة في الإدارة والرعايا المسافرين وتنظيم التعامل فيما بينهم[٣]، ويتولى هؤلاء الموظفون جمع الضرائب من الفلاحين ويتركون لهم ثلث انتاجهم، ثم يقسم الثلثان بين المسلمين الافرنج[٤]، وتنص المعاهدة بين الطرفين على حرية تنقل الفلاحين وأمنهم وسلامتهم بالإضافة إلى تحديد مناطق المناصفات، ومدة الهدنة المعقودة بين الطرفين وتأريخها[٥]. أما في المناطق التي افتتحها الأيوبيون جديداً، فقد يبقون على إدارتها وإقطاعها بيد أصحابها ؛ يذكر أن حسام الدين لاجين -صاحب نابلس - قد استمال المسيحيين الشرقيين في بعض أعمال نابلس ومضافاتها، وتركهم على أموالهم وأعمالهم مقابل دفعهم الجزية المقررة لخزينة الولاية[٦]، علماً بأن رعايا المسلمين الخاضعين للحكم الصليبي يدفعون بعض الضرائب المقررة عليهم للإدارة الصليبية كذلك، فكانوا يدفعون «ديناراً وخمسة قراريط ضريبة رأس» بالإضافة إلى ضريبة أخرى على ثمر الشجر في ممتلكاتهم[٧].

---

* ومصطفى الحياري. القدس تحت حكم الصليبيين. من كتاب القدس في التاريخ، ص ١٩٤.

(١) النويري. نهاية الأرب. جـ ٢٩، ص ٣٥.

(٢) ابن نظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص٢٥٢، ٢٦١.

(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٤٥-٤٦.

(٤) انظر نص المعاهدة بين طغتكين أتابك دمشق وبلدوين الأول ملك بيت المقدس. ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٤، ٢٧٣.

(٥) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣١، ٤٠. وانظر جوني. دمشق، ص ١٠٧-١٠٩.

(٦) البيشاوي. الممتلكات الكنسيّة، ص ٣٢٤.

(٧) سعيد عاشور، المجتمع الإسلامي ؛ المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م، ص ٢٣٧ ؛ وغوانمه. معاهدات الصلح والسلام. ص ١١٣-١١٧ ؛ وسالم. تاريخ صيدا، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٣٤.

Text Stamp

الفصل الثالث

الإدارة المالية في العصر الأيوبي

* تمهيد

* أنواع الدواوين :

" الوزارة، الناظر، المشارف، متولي الديوان، المستوفي، المُعين، الكاتب، الناسخ، المساح".

* إدارة الإقطاع في العصر الأيوبي :

* المكوس والضرائب في ممالك الدولة الأيوبية.

* دار الضرب.

تمهيد :

اعتبر بعض المؤرخين أن الإدارتين الزنكية والأيوبية تعكسان الازدهار الظاهر في الحياة الاقتصادية لإهتمامهما بالزراعة ووسائل الري خاصة، أو من خلال التغيير والتعديل في نوعية الضرائب التي كانت ترد إلى خزينة الدولة، أو من خلال علاقاتهما الاقتصادية الوثيقة بالدويلات والممالك المجاورة، فأقيمت المنشآت العمرانية وازدهرت من خلالها الحركة التجارية، وكان هذا لإهتمام السلاطين الأيوبيين بالشؤون الاقتصادية وتنظيم مؤسساتها المالية؛ بتلك الدواوين ومرتبيها الذين أخذ على عاتقهم القيام بهذه المهام رغم انشغال رجال الإدارتين الزنكية والأيوبية بالحروب الداخلية والخارجية على حد سواء(١) «فبالمال قوام المملكة ودوامها»(٢). ولإدارة هذا المال وتنظيم موارده ونفقاته أهمية كبيرة في تحقيق أهداف الدولة السالفة الذكر، لذا لا بد من تدخل السلطان لحفظ هذه الأموال التي تحتاجها الدولة في مهامها المتعددة(٣)، فالزنكيون قد كانت لهم وزارتهم المختصة بالشؤون المالية ومن وزرائهم موفق الدين خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني(٤)، ونظموا ديوان بيت المال، ورتبوا له ناظره وكاتبه وباقي وظائفه، وممن تولاه في العهد الزنكي مخلص الدين أبو البركات عبدالقاهر بن أبي جراده الحلبي، المتوفى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م(٥)، وتولى في هذا الديوان أبو سالم بن همام الحلبي(٦).

ونظم الزنكيون اقطاعهم، وحاول عماد الدين زنكي ألا يجعله وراثياً وأعطى لكل أمير إقطاعاً يستغله(٧)، ثم جاء إلى الحكم ابنه نور الدين محمود بن زنكي

---

(١) انظر الكيلاني. هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص ٢٥٩ وما بعدها، وابراهيم زكي وآخرون. دائرة المعارف، م٥، ٤٤٣.

(٢) ابن أبي الربيع. سلوك الممالك. ص ١٣٩.

(٣) النابلسي. لمع القوانين، ص ١١.

(٤) ابن القيسراني. النور اللائح، ص ٥٣-٥٤. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ٢٥٧-٢٥٨. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٣، ص ٢٨٣. والكتبي. عيون التواريخ، جـ ١٢، ص ٤٦١.

(٥) ابن منقذ. المنازل والديار، ص ١٦٩- ١٧٠. وابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٤٥.

(٦) الحياري. صلاح الدين، ص ٣٣.

(٧) ابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ١٢١.

فجعل الإقطاع وراثياً في بعض الأسر، فيذكر أنه جعل لشمس الدين علي بن الداية ما كان لأخيه حسن[١]، وأقطع باقي أمرائه في مختلف أراضي مملكته[٢]. فكان لكل إقطاع إدارته الذاتية التابعة لإدارة الدولة العليا، فتجمع واردات الإقطاع وتبعث بحصة الخزينة من هذه الواردات. وإلى جانب هذه التنظيمات المالية أوجد الزنكيون في بلاد الشام دوراً للضرب، وتنوعت نقودهم من دنانير وقراطيس[٣]، وسار الأيوبيون على هذا التنظيم الإداري المالي[٤]، فتابع السلطان أمر هذه الأموال بنفسه، ويحاقق المستخدمين عليها، «لما لهذه الأموال من أثر في استقرار إدارته وتحقيق الأمن لمؤسساته من أي طارئ»[٥]، ويبدو أن إدارة الأيوبيين المالية في مصر قد سارت بخطى أكثر ثباتاً في شكلها وإقطاعها وعبّرتها من خلال النص بوجود ديوان المال بوظائفه، الذي يقوم بتنظيم هذه الأموال وتنظيم نفقاتها، هذا في الوقت الذي تكاد تختلط الأمور في ممالك بلاد الشام إلى مثل ذلك التنظيم، وهذا أدى إلى عشوائية ما بزيادة نفقات الشام المالية بتعدد أعبائها الإدارية، ومحدودية تنظيم المؤسسة المالية في ممالكها.[٦]

وجد هناك بعض المشاكل التي سجلها بعض المؤرخين على إدارة الأيوبيين المالية وخاصة في بلاد الشام فأخذ على بعض الأيوبيين أنهم قد اعتمدوا على الأقباط والنصارى في دواوينهم[٧]، وهؤلاء الموظفون قد يضمنون[٨] بعض واردات الديوان، ويحاولونَ جمع المزيد من الأموال على حساب خزانة الدولة من جهة

---

(١) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٣٥٩. وأبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ١، ص ٢٠.
(٢) م. ن، جـ١١، ص ١٩٩. وأبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ٤٧.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ٢٦، ٢٥١. وابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ٢٤. وكرد علي. خطط الشام، جـ٢، ص ٤٠.
(٤) أبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٧٠.
(٥) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٢٨ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٢٨، ٢٣٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٨، ص ٣٦٢-٣٦٣.
(٦) طرخان. النظم الإقطاعية، ص ٣٣ وما بعدها ؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ٣٣٢.
(٧) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢١٥. وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٦٦.
(٨) «من طرق تعيين الموظفين البذل بأن يتعهد الموظف بزيادة المتحصل من وظيفته، أو الضمان كأن يدفع المتأخرات على ذلك الديوان» انظر : ربيع. النظم المالية، ص ٨٦ - ٨٧.

وعامة الناس من جهة أخرى[١]؛ حتى باع بعض الموظفين ما وجد في الديوان للتجار، ثم عادوا فاشتروها بأسعار باهضة، واستأجروا المراكب بعد أن كانت ملكاً للديوان، واقتطعوا مقابل ذلك مبلغاً من المال لأنفسهم، فانتشرت الرشوة وشر استغلال المنصب في ذلك العصر، وأثر كل هذا على حياة الناس[٢]، ولا سيما بعد وفاة صلاح الدين إذ افتقرت الممالك الأيوبية إلى نظم إدارية مالية ثابتة[٣]. غير ما عرف عن ملوك بني أيوب البذل وكثرة العطاء حتى يصفهم ابن الأثير بقوله : «فإن السلالة الأيوبية تتوارث هذا الخُلق على تنقل أطوارها، وهي كالنجوم تتشابه في أقدارها وأنوارها»[٤]، وكثيراً ما وصف الشعراء صنيعة بني أيوب في هذا، وخاصة صلاح الدين، الذي أعطى وبذل، وربما كانت خزانته تفرغ من هذه الأموال أحياناً، وكان مبتغاه في البذل جمع الرجال وتآلف القلوب وزيادة العمارة والبناء[٥]، ومن هنا كثيراً ما كانت تقترض الأموال، وقد تقع في الحرج والضيق في أوقات الحاجة[٦]، مما دعا البعض لوصف صلاح الدين وبعض ملوك بني أيوب بضعف إدارتهم المالية، وخاصة في ضوء المخزون المالي المتوفر في خزينتهم، فكثيراً ما أدرك المستخدمون الماليون أبعاد هذه السياسة، وطالبوا صلاح الدين بالاقتصاد في عطائه إلا أنه لم يعبأ بقولهم، راداً عليهم بوجهة نظره، قائلاً لهم : «يا فلان ترى هذه الأموال، والله إنما شريت بها رؤوسهم ومهجهم ...» أي أنه يشتري من الناس أنفسهم للإقدام على طاعته ومحاربة أعدائه.[٧]

---

(١) ربيع. النظم المالية، ص ٨٦-٨٧.

(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ٣٩. وربيع. النظم المالية، ص ٩١-٩٢. و Gibb Saladin, p. 76

(٣) للمزيد انظر ؛ رنسيمان. الحروب الصليبية، م ٢، ص ١٤٩.
Gibb. Saladin, p. 76. Cahen. La, Syria du. Nord, p. 123.

(٤) ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١٨٣.

(٥) عمارة اليمني. النكت العصرية، ص ٢٨٩ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٣٢٤ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٣.

(٦) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢١٧ ؛ الكتبي. فوات الوفيات. جـ٤، ٢٦٢ - ٢٦٣ ؛ وابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٢٨٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٤٧ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٤٢٩.

(٧) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢. ص ٢٩٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١١٨ ؛ وابراهيم زكي واخرون. دائرة المعارف، م٥، ص ٤٤٨.

Text Stamp

أنواع الدواوين :

الديوان اسم أعجمي يطلق على مجالس الحكم والإدارة، وخاصة الإدارة المالية، التي توثق مستخرجاتها ومدخلاتها بوثائق خاصة، كلٌّ في حينها[١]. فتعددت الدواوين التي تقوم بأمر القبض والإنفاق في الممالك الأيوبية، فلاحظنا مسبقاً عند حديثنا عن ديوان الإنشاء في إدارة الدولة العامة، أنه كان على علاقة وثيقة بالأمور المالية، لما كان يتوكل به من تنظيم إدارتها وتخصيص نفقاتها. ولهذا الديوان مستخدميه، كل في موقعه، وإن لم تتضح لنا صورة صلاحيات كل منهم، فديوان الإنشاء قام بمهام الإدارة المالية إلى جانب مهامه الأخرى. ونظراً لإتساع المدن الأيوبية ونمو أسواقها وخاناتها تطلبّ ذلك ترتيب الدواوين لهذه الخانات والأسواق، وخاصة في الممالك الرئيسة التي كانت على علاقة مباشرة بواردات الإدارة العامة ونفقاتها.[٢] لذا وضعت الإدارة لهذه الفهارس سجلاتها، وأصبح عنوانها الرئيس حاصلات الممالك وثرواتها، ورُتب لها المستخدمون من الإدارة المدنية، حتى يحقق ذلك الديوان المهمة التي وضع من أجلها، فكل أمر سلطاني لابدَّ من إيداع نسخة عنه في هذا الديوان[٣].

اهتم الأيوبيون بالديوان مما دفع بعض مرتبيه لوضع مصنفات خاصة بتنظيم إدارته، فيُذكر أن الوزير الأيوبي ابن مماتي قد صنف في قوانين الدواوين، ثم جاء النابلسي فصنف في هذا المعنى كتاباً في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وإن كانت هذه المؤلفات خاصة بمصر، فيبدو أن مثل هذا الديوان بحالته المفردة هو ما يخص أقاليم الدولة وممالكها مع وجود ما يعرف بالديوان العام أحياناً، الذي يقوم بالإشراف على المؤسسات المالية المتفرعة عنه.[٤] فديوان بيت

---

(١) المخزومي. المنهاج، ورقة ٨١ أ - ب. والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٩١.

(٢) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٦ ؛ والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٤٢، ٥٥.

(٣) انظر ؛ الذهبي. تاريخ الإسلام، أحداث سنة ٦٣١ - ٦٤٠ هـ . ص ١٥ ؛ وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية. ص ٣٦٦.

(٤) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٢٩٧ - ٣٠٦. النابلسي. لمع القوانين، ص ٥، ٣٠.

المال وجد جنباً إلى جنب مع السلطان الأيوبي في مركزه ومع الأمراء المقطعين في إقطاعاتهم، ويتلقّى هذا الديوان أوامره ونواهيه من السلطان، فطالما دعا صلاح الدين لعمل الأوراق الماليّة الخاصة برواتب الناس، فاهتم ديوان الإنشاء بهذه السجلات ليصدرها في حينها ويهتم بتوثيقها(١)، ولا بدّ من التقويم الدوري للحسابات حتى لا تتراكم في سجلاتها، فيضيع العمل وتختلط مثل تلك الأمور، فتؤرخ كل منها في حينها(٢)، وحرص السلطان على مباشرة شؤون الأموال بنفسه، أو قد يوكل عنه من ثقاته من يتولى التدقيق في معاملات الإقطاعات المالية؛ يقول القاضي الفاضل: «فبيوت أموالهم في بيوت رجالهم، وعقد أيامهم في قلوب خدّامهم»(٣).

أخذ الأيوبيون عمن سبقهم مجموعةً من الدواوين المتفرعة عن ديوان الإنشاء(٤) مثل ديوان الإقطاع، وديوان الحبوس، ولكل ديوان من دواوين الإدارة المالية ولا سيما الإقطاع مدير مدبر، ويلقب هذا بناظر الديوان ويساعده صاحب الديوان، وتتشعب عن كل من هذه الدواوين فروع في كل إقطاع من ممالك الدولة الأيوبية(٥)، ويقدر كل واحد منها عبرة البلاد وحواصلها وأسماءها(٦)، وتختلف مهام كل ديوان عن الآخر، لذا لكل صاحب ديوان ألقابه ومخاطباته الخاصة.(٧)

بادئ ذي بدء كان بيت المال هو المؤسسة المالية العامة في الدولة الأيوبية إلى أن انقسمت هذه الدولة إلى ممالك عدة، فأصبح لكل مملكة ديوانها بمهامه المختلفة(٨)، ويبدو أنه كان لكل منها علاقته المالية مع الديوان الآخر(٩)، وأولى هذه

---

(١) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٧ ورقة ٧٢أ؛ والأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢٤.
(٢) الهروي. التذكرة الهروية، ص ٧٠؛ وبدوي. القاضي الفاضل، ص ١٠٩.
(٣) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٨، ٦٠ أ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٨٨؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٤٢٩؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٨٢ هـ.
(٤) المخزومي. المنهاج، ورقة ١٠٤ أ.
(٥) بولياك. الإقطاعية، ص ٦٦؛ و E.I.V.1, p. 801.
(٦) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٦.
(٧) الباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٩١.
(٨) المخزومي. ورقة ٨٣ أ.
(٩) ابن شيث. ص ٢٦.

الدواوين الديوان العالي «خزانة السلطان» أو ديوان الصرف السلطاني الذي كانت ولايته في حاجات القصر ومرتبات مستخدمي القصور والأسمطة والولائم الخاصة بالقصر واحتفالاته، وكل ما يتعلق بحياة السلطان ونفقاته[١]، ثم هناك ديوان المجلس الذي يختص بالنظر في أموال الزكاة والجوالي[٢] وهو زمام الدواوين. ويذكر المخزومي أن القاضي الفاضل قد تولى هذا الديوان في الدولتين الفاطمية والدولة الناصرية - نسبة إلى الناصر صلاح الدين- ، ويذكر الصفدي بوجود ديوان الزكاة[٣]، مع وجود أرباب هذا الديوان الذين أصبح لهم نفوذ قوي في صدر الدولة الأيوبية[٤]، حيث يتولون تقسيم أموال الزكاة إلى أسهمها، لتصرف وتنفق في مصارفها الشرعية، ففي أيام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م، كان ضابط ديوان زكاته سديد الدين مظفر بن أبي المعالي بن المخيخ الحلبي، فأوكل له الظاهرُ قياسَ بعض الأراضي وتقدير نصاب الزكاة عليها[٥]. ويُذكر أن الملك الكامل قد جعل على ديوان الزكاة القاضي الأسعد بن عياش[٦].

ثم هناك ديوان الأحباس فوصِف صاحبه بملك العلماء لما له من أهمية في الممالك الأيوبية، فاختص بشؤون الأوقاف والشؤون الدينية، واقتصر نظر هذا الديوان على عائلات بعينها ، وجد عندهم من العلم والفضل والأدب والنزاهة والعفاف، فصاحبه حُكمه نافذ حتى على كبار العلماء والفقهاء، وارتفع بعمله على أمر السلطان أحياناً[٧].

وترد الإشارة إلى ديوان المواريث الحشريّة الذي كان إختصاصه تسجيل أسماء الأموات وإحصاء مواريثهم، وقد يتواجد في كل نيابة واقطاع مشارف لديوان

---

(١) ربيع. النظم المالية، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠.
(٢) انظر ، النابلسي. لمع القوانين، ص ٣٦ ، والصائغ. عصر الملك الكامل، ص ١٦٦.
(٣) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٢٦.
(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٥٢٤.
(٥) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ٥٥.
(٦) المقريزي. الخطط، جـ١، ص ١٠٩.
(٧) النابلسي. ص ٢٦-٢٨ ، وكراتشوفسكي. الأدب الجغرافي، جـ١، ص ٣٤٩ ، وربيع. ص ٧٢، ٧٧، ٧٨.

المواريث الحشرية هذه، مهمته حصر إرث من لا وارث له ورده إلى خزينة الدولة الأيوبية[١]، فيذكره القاضي الفاضل بالقول : «وخرج الأمر العالي أنه لما كانت المواريث الحشرية من واجبات بيت المال المعمور بحق إرثها، وما تعيّن لها بأمر شرعي لا سبيل إلى نقض سببها لأكيدها ونكثها».[٢]

وهناك ما يعرف بديوان الجيش الذي يتولى أمر الأجناد، فيذكر أن الملك الظاهر قد اهتم بهذا الديوان، وكتب به أسماء عساكره وعطائهم، ويتولى صاحب هذا الديوان توزيع الإقطاعات والصرف على الجيش من تعبئة وإعداد المؤن وتحصين القلاع، ويهتم بالتوثيق لأعداد الجند، بالإضافة إلى اهتمام صاحب ديوان الجيش بواردات الدولة المالية، فيتتبع الأحوال الزراعية في الإقطاعات مع مراعاته للتفاوت الإقطاعي بين قادة الجيش الأيوبي وحصة كل منهم حسب اخلاصه للإدارة العسكرية الأيوبية.[٣]

وتذكر لنا المصادر دواوين أخرى، مثل ديوان الماء أو ديوان الزرع الذي يعنى بزراعة الأراضي وحراثتها وشق الترع وصيانة السدود وكل ما يخص تنمية الأراضي الزراعية وتولاه في حوران، زين الدين عبدالقاهر أبو القاسم بن الحسن بن عبدالقاهر بن ثُمامه بن الحسين بن شجاع بن المطهر الدمشقي المتوفى سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م.[٤] وترد الإشارة إلى ولاية البر - الصدقات - في إقطاعات الأيوبيين وممالكهم، فوليّها في حماة ثم في سلمية سنة ٦٠١ هـ/١٢٠٤م، شهاب الدين أبو القاسم البلاغي[٥]، وولاها نجم الدين بن أيوب، عز الدين أيبك المعظمي.[٦]

---

(١) النابلسي. لمع القوانين، ص ٥٤ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٦٧ ؛ وجبران. مملكة حماة، ص ١٧٩ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٣٣٥.

(٢) القاضي الفاضل. رسائل خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١٠ب.

(٣) للمزيد انظر ؛ الفصل اللاحق ؛ الإدارة العسكرية. ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص٦ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٦٢، ٦٣، ٦٧.

(٤) انظر ؛ الشيزري. المنهج المسلوك، ص ٥٧ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٩، ص ٥٢.

(٥) أبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٠٦ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٧٥ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٢٣٢، م٥، جـ١، ص ٢٣.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٦٦.

وربما وجدت بعض الدواوين الخاصة برجال أسرة بني أيوب وقادتها، فيذكر أنه كان للخاتون ست الشام ديوانها، وكان على ولايته الصدر بن فخر الدين أبو بكر محمد بن الشيرجي عبدالوهاب الأنصاري الدمشقي المعدل المتوفى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م .[١]

وبالإضافة إلى أعمال الدواوين السالفة الذكر، فقد اهتم بعض ملوك بني أيوب بإيجاد ديوانيين رئيسيين لتسجيل الواردات والنفقات واحصائها لمعرفة إحتياط الخزينة ومدخراتها العينية والنقدية، أولهما ديوان الإهراء للإشراف على الخزن والحديث في أمور الزيادة والنقصان، احتياطاً لأي طارىء، وصاحب هذا الديوان مسؤول مسؤولية مباشرة أمام السلطان ولهذا الديوان تفرعاته في ممالك الدولة وإقطاعاتها، ثم هناك ديوان التحقيق الذي يتولى مراجعة سجلات الديوان الأول[٢]، وفي ديوان المال هذا أو في دار العدل قد تجري المناقشات المالية لاستقصاء العبر والدروس لسيرة من سبق أن شغل هذه الوظائف الديوانية، وكل هذا وذاك لتنمية الإدارة المالية وتطويرها، وبالتالي زيادة وارداتها وخاصة بولاية من يحسن الإدارة المالية ويمتاز برجاحة العقل في هذا المجال على غيره.[٣]

ويبدو أن إقرارات الديوان بسجلاته ووثائقه قد كانت صعبة النقض، وتسهل على ولاة الأمر أمر المتابعة، لذا تحدث صاحب الديوان بلسانه دون قلمه، وخاصة في أمور الخير والعطاء والمنح، وهذا ما ذكر في ولاية القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني لديوان صلاح الدين، فيقول العماد في ولايته : «وحكمّني في ديوانه، وعدل في سلطانه عليّ، ورعى فيّ معرفة أسلافه لأسلافي» حتى عزله وعاد فولاّه ديوانه لثقة سلطانه به وقدرته على تسيير أمور ديوانه ومعرفته بتفاصيل مهامه[٤].

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٤٣-١٤٤ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٢٥.

(٢) «ويروى أن ديوان التحقيق هذا من التراتيب الفاطمية ولم يعمل به إلا بين عامي ٦٢٤-٦٢٦ هـ / ١٢٢٦-١٢٢٨م» انظر : الحياري. صلاح الدين، ص ٤٢٣ ؛ والصانغ. عصر الملك الكامل. ص ١٦٨، ١٧٠ ؛ وماجد. ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٠٠.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢. ص ٢٤٩ ؛ والصائغ.، ص ١٦٥ ؛ و Cahen.d, Al-Malik As-Salih,p.103.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٥٧-٦٥٨ ؛ وخريدة القصر، جـ٣، قسم شعراء الشام، ص ١٤ ؛ والبنداري. =

وتذكر لنا المصادر بأنه كان لهذه المؤسسة المالية «ديوان بيت المال» الوكلاء في ممالك الأيوبيين المختلفة في بلاد الشام، مع ارتباط كل ديوان من دواوين الممالك الأيوبية بديوان الإنشاء السلطاني، وبالتالي ديوان الإقطاعات المتفرع عنه، حيث يحتفظ الديوان ببراءة إقطاعية في سجلاته، ومن خلال البراءة الإقطاعية يحدد للأمير المقطع الإلتزامات المطلوب منه أداؤها لإدارة الدولة العامة، والأوامر المطلوب منه تنفيذها، لذا اصطلح البعض على تسمية ولاة الدواوين في الممالك الشامية بالوكلاء عن الديوان الرئيس، ويتم التنسيق بين وكلاء هذه الدواوين، ولا سيما إذا ما كانت هناك حاجة إلى إنزال عقوبة أو تنظيم عمل[١]، فتولى أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن خضر المقدسي وكالة بيت المال بالقدس، وفوض إليه صلاح الدين الأيوبي بيع الأملاك الخاصة ببيت مال هذه المدينة.[٢]

فالإدارة المالية الأيوبية قد اعتمدت على الموظفين من أبناء المناطق المراد ولايتها أحياناً، واعتمدت كما ذكرنا على الأقباط وغيرهم من النصارى لولاية خزانتها، فيذكر أن كريم الدولة بن شرارة النصراني قد تسلّم استيفاء[٣] حلب وتولى حسابها سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وهكذا كانوا في خزانة عكا سنة حصارها[٤]، وهذا المستخدم لمثل هذه المهام المالية لابد من ثقة السلطان به، فيحصل على تشريفه وثقة جميع أمراء بلده ومقدميها، ويبقى أحياناً تحت إشراف الوالي، وتتبعه بعض الفرق العسكرية لتوفير الأمن له، ولتمكنّه قوته من اتخاذ القرار وتنفيذ المهام الموكلة له وخاصة فيما يتعلق بموظفي الإدارة الآخرين[٥]، فيذكر أن شهاب الدين

---

* سنا البرق الشامي جـ١، ص ٢٥٣ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٧٢ ؛ وابن الزيات. الكواكب السيارة، ص ٣١٠.

(١) ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١١٢.

(٢) العليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ١٤٤.

(٣) «الاستيفاء وظيفة ديوانية لصاحبها ضبط عمل الحسابات اليومية وتحرير الوثائق الخاصة بهذه الحسابات، وله أمر المراقبة على جباية الأموال في مواعيدها». انظر لاحقاً ؛ القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٣٧. وربيع. النظم المالية، ص٨٢.

(٤) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ١٤٦-١٤٧ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٣٣١.

(٥) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٥٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٥١ ؛ و .E.I.V.1 p. 802

طغرل قد وليّ خزائن حلب وقلعتها «فالمال عنده بالقلعة وهو فيها ينتصف ممن خالفه»[١]، وتبدو أن الإشارات في عناصر الإدارة المالية الأيوبية قد اختلفت عن ولاية باقي تراتيب الإدارة الأخرى، فاستخدمت الطوائف من غير المسلمين، وإن اتجهت بعض الآراء إلى تحريم استخدام الذمي، فأهل الذمة كما عرف عنهم كانوا من أصحاب الأموال والتجارة، ولهم التأثير المباشر على خزائن الدولة، فاستخدمهم السلاطين في دواوينهم، وكان منهم موسى بن ميمون اليهودي الأندلسي المتوفى سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، وغيره من النصارى والأقباط الذين عرفهم ذلك العصر.[٢]

ويتدخل السلطان لتسيير الأمور المالية، والمحافظة على ثبات إدارته المالية، وإذا ما أساء صاحب الديوان أو أحد عماله نقله إلى وظيفة أخرى؛ فيذكر أن السلطان صلاح الدين قد حاسب صاحب ديوانه فكان في ذمته تسعون ألف دينار فما طلبها منه وولاّه ديوان جيشه بأهميته لعله يؤثر في نفسه وينصلح حاله ويخلص في إدارته[٣]، أو قد يعزله عن وظيفته، فيذكر أن الملك الأفضل قد شفع في أحد عمال الملك الظاهر صاحب حلب، بعد أن حقق في أمره «وهو يزعم أنه نهض بحمله وكفى في شغله»[٤].

وتذكرّنا المصادر بأن القلاع هي المناطق الآمنة لحفظ الأموال فاستخدمت قلعة الكرك ثم قلعة دمشق لحفظ الأموال التي جمعت من الممالك المختلفة، فأينما وجدت الأموال كانت الإدارة المالية تقوم بمهمتها في حفظها.[٥]

وقد تأتي عملية استخدام الموظفين والمرتبيين الماليّن خاصة في مصر لينتقلوا إلى ولاية الأعمال الماليّة الشاميّة[٦]، سواء من كان منهم ناظراً أو متولياً أو

---

(١) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣. ص ١٧٧.

(٢) ابن العبري. مختصر الدول، ص ٢٣٩ ؛ الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣٥٢ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ١٤٠ ؛ و Gibb. Saladin, p. 66.

(٣) الحنبلي. شفاء القلوب، ص ١٩١.

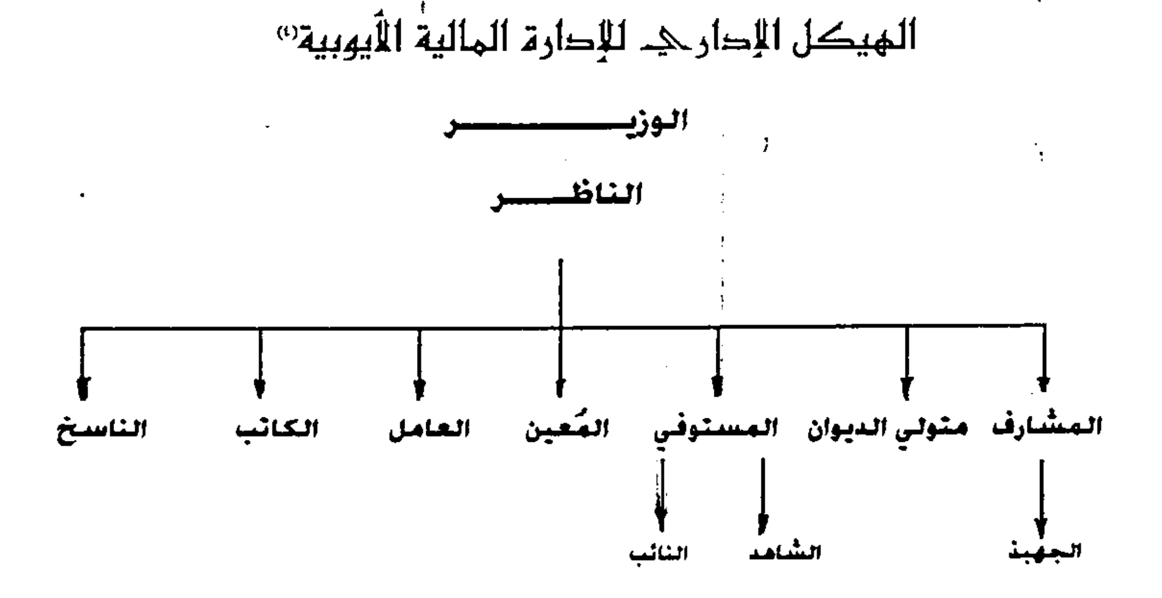
(٤) ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١١٩-١٢٩ ؛ وأبوشامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٣٢٠.

(٥) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٤٨٤ ؛ وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٧٧ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١٩٩ ؛ والحميري. الروض المعطار. ص ٤٩٣.

(٦) النابلسي. لمع القوانين، ص ٦٥.

مستوفياً أو مُعيناً أو ناسخاً أو حافظاً[1] أو مشارفاً أو عاملاً أو كاتباً أو جهبذاً أو مشاهداً وغيرهم من مرتبي ديوان بيت المال[2]، والتي يحددها ابن مماتي بسبعة عشر موظفاً ديوانياً، ولم يذكر الوزير كأحدهم، واجتهدنا بتصنيفه على رأس قائمة أرباب الوظائف الديوانية -أرباب الأقلام- وإن كان حال الوزارة متذبذباً في هذا العصر[3]. ومن هنا سنقتصر في حديثنا على أرباب هذه المناصب الديوانية سواء ما كان منها في مصر أو في ممالك بلاد الشام المختلفة لنبين علاقتها بموضوع بحثنا في الإدارة المالية، وكذلك علاقتها بالتراتيب الإدارية الأخرى.

الهيكل الإداري للإدارة المالية الأيوبية[4]



ويتبع للديوان وظائف أخرى مثل: "الأمين والماسح والدليل والحايز والخازن والحاشر".

---

(١) «يشرف الحافظ على الاضبارات والدساتير والفهرسة» انظر : الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١١٢.

(٢) «فيذكر أن المتولى أو صاحب الديوان له الإشراف على تعليمات الناظر وتصديق البيانات الصادرة عن الديوان وترتيب الدرج أما المعين فهو المختص بتحرير السجلات» انظر : القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٣٧ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٨٠-٨٦.

(٣) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٢٩٧.

(٤) وإن كان هذا الهيكل قد خصص لمصر أكثر منه لممالك بلاد الشام، للمزيد حول مهام كل وظيفة انظر : المخزومي. المنهاج، ورقه ٧٧أ، ٧٩ ب، ٨٢ أ، ٨٧ ب. وغيرها. وابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٢٩٧ - ٣٠٦. وربيع. النظم المالية، ص ٨٠ - ٨٧.

الــــــوزارة :

الوزارة من المناصب التي فقدت بعض نفوذها في ذلك العصر، وذلك لغلبة إدارة «المماليك» كما لاحظنا، فكانت بمطلعها هي الآمرة والناهية في الأمر والتدبير عند من سبق الأيوبيين(١) ؛ ولا يذكرها المخزومي المتوفى سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، وابن مماتي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م، عند ذكرهما لأرباب الوظائف الديوانية في العصر الأيوبي، وهما من ولاة الديوان الأيوبي وأربابه في مصر(٢)، هذا وإن كان البعض يشير إلى أن الوزارة وإن اختلفت تسميّتها هي أعظم وظائف الدولة وأرفعها في ذلك العصر، استناداً إلى وظيفة الكاتب الأول في الديوان، كمكانة القاضي الفاضل عند السلطان صلاح الدين وإن لم يتلقب بها «فكان وزيراً صالحاً مجتهداً لم ينطلق قلمه قط إلا بايصال رزق أو سبب خير أو تجديد نعمة»(٣). وبقيت لها مؤسستها «دار الوزارة»، وتلقب واليها بالصاحب والمجلس والجناب.(٤) وبقيت محتفظة بنفوذها الواضح وخاصة في إدارة الشؤون الماليّة للدولة وولاية ديوانها ورئاسته(٥)، حتى كان الخلط بين أمور الكتابة والوزارة ؛ فمن مهام الوزير التحدث بالأموال بلسانه دون قلمه أحياناً إلى جانب المهام السياسية والإدارية الأخرى في إدارة الدولة العامة(٦)، فيقوم الوزير بترتيب ولاية المدينة الأيوبية، أو إخراج الوالي منها والاستبداد بأمرها، ولم تعرف الوزارة اللفظ الإداري العام الموحد إلا في عهود لاحقة من ذلك العصر(٧)، ويصبح هذا الوزير نديماً للملك، ويغلبه على أمره،

---

(١) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٦، ص ٢٥٩ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٧١-١٩٢ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ والحياري. الدواوين، ص ١٨.

(٢) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٢٩٧- ٣٠٦.

(٣) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٥٣- ٣٥٤ ؛ وياقوت. معجم الأدباء، جـ٤، ص ١٥٦٢ ؛ . ابن الزيات. الكواكب السيارة، ص ٣١٠ وابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٢٨ ؛ وابن كنان. حدائق الياسمين، ص ٦٠.

(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٥ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٨٥، ٢٦٧.

(٥) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ٢٢١.

(٦) ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١٠٤. وابن العديم. أخبار الأيوبيين، ص ١٥٧. وبيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ٣٢. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص ٣٥٥، جـ١٩، ص ١٨٣، جـ٢١، ص ١٥٩.

(٧) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٣٤ ؛ وابن عبدالظاهر. الروض الزاهر، ص ١٤١ ؛ وابن واصل. جـ٣، ص ٥٩، جـ٤، ص ٨٦ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ١١٩.

ويستبد بالأمر ؛ مثل ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وزير الأفضل، وصفي الدين عبدالله بن شكر الدميري المتوفى سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م، وزير الملك العادل الأيوبي، وبذلك تصبح المملكة الأيوبية مرهونة بتدبير الوزير وخاصة ما يتعلق بشؤونها المالية.[١]

ويبدو أن مؤسسة الوزارة قد اختفت في بعض عهود ذلك العصر، فيروى أنه بعد وفاة الوزير صفي الدين - السالف الذكر - في عهد الملك الكامل، «فلم يستوزر واحداً بل كان يستنهض من يقع اختياره عليه لتدبير الأشغال، وكان الملك الكامل يباشر إدارة دولته بنفسه فيحضر الدواوين بين يديه ويحاققهم» حتى لا تخفى عليه خافية في إقطاعات دولته.[٢]

وتحدثنا المصادر بمن يتولّى الوزارة ويعرف قوانينها بدربته وبصيرته، وخاصة إذا ما تدرّج إليها من ديوان الإنشاء، ويذكر من هؤلاء جمال الدين القفطي وزير العزيز في حلب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م. وجمال الدين بن مطروح وزير الصالح نجم الدين أيوب[٣] ؛ إذ للوزير إشرافه أولاً على تلك الدواوين وولاتها حتى إذا رأى تجاوزاً صادر واستصفى الأموال لخزينة الدولة، وهكذا كانت مهامه المدنية تتسع حتى شملت الإشراف على القبائل المختلفة والطوائف والملل المتعددة في إقطاعات الممالك الأيوبية[٤]. «فينفذ الأشغال في داره وتحضر النظار والمستوفون كل يوم باكر إلى خدمته، ويقعدون بين يديه ويرتبون ويفصلون القضايا»[٥]. فها هو الوزير ابن شداد يخاطب قاضي حلب قائلاً ؛ «أن أيتام فلان

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٥٩. الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ٤٧٢. واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٩٨ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٢٠ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٢٠، ١٦٧.

(٢) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٤٤ ؛ وابن واصل. جـ٥، ص ١٦٧ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٦١ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٥٩ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢٣٨.

(٣) الهروي. التذكرة الهروية، ص ٦٤ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٧٧ ؛ والكتبي. عيون التواريخ. جـ٢٠، ص ٥٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٨، ص ١٥ ؛ وابن تغري بردي. جـ٦، ص ٢٨٠.

(٤) ابن العميد. ص ١٣١.

(٥) اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٤٢٧.

Text Stamp

حضروا عند الخادم، وقد شكوا أن متولي التركات بحلب قد منعهم حقهم، وقدر عليهم رزقهم، فجمع عليهم بين حيرة العَدِم وحسرة اليُتم».[1]

ويزودنا بعض المؤرخين بمناشير لوزارة ذلك العصر، التي كان يصدرها الديوان الأيوبي، فتبدأ بالتحميد وشرح آداب الوزارة، ومكانة ذلك الشخص الذي أوكلت له مهام الوزارة، ونعته بألقاب «الوزير الأجل السيد الصدر الكبير، جلال الدين شرف الإسلام ...» وإن كان بعض هؤلاء الوزراء من أبناء وزراء سابقين، إلا أن هذه المؤهلات قد وجدت في شخصهم : «لكنك خلّفت لنفسك مجداً منك ميلاده» ويدعوه هذا المنشور: «فلا تبيت إلا مستخدماً ضميرك في ولائها، ولا تغدو إلا مستجدياً كفايتك في تمهيدها، وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله، المفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا...» وتزودنا بعض المناشير كذلك بدور هذا الوزير في تعيين الولاة وترتيب الأعمال والمشاركة في مهام الإدارة العامة المختلفة: «وسياسة الملك في تقرير أصوله وتدبير محصوله، كالبلاد واستعمارها، والأموال واستثمارها، وولاة الأعمال واختبارها وتجنيد الجنود واختيارها، فكل ذلك لايصدر تدبيره إلا عن نظرك»، وللوزير من خلال هذه المناشير الأنظمة التي تحدد عمله ويسير وفق شروطها وخاصة الديوانية منها، فيطالبه بالعمل وفق الحدود الشرعية، وبالعدل في سياسته، وإلا كان مصيره العزل[2]، يذكر ابن العديم: «فغضب العزيز على وزيره زين الدين بن حرب وألزمه داره بقلعة حلب، وولّى الديوان مكانه الوزير جمال الدين الأكرم أبا الحسن علي ابن يوسف القفطي الشيباني»[3].

وللوزير خلعته التي تتكون من العمامه والطيلسان والبقيار[4]، وللوزير نائبه

---

(١) ابن الأثير. رسائل. جـ٢، ص١١٤.

(٢) للمزيد انظر : النص في القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١١، ص ٣٥-٣٨.

(٣) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٤ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ١٦٤، ٢٢١.

(٤) «البقيار هي بردة «لها كُميّن» انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٢٤٥. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٠١. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ١٠٢، جـ ١٢، ص ٦٥.

الذي ينوب عنه عند غيابه، فيقوم مقامه وينفذ مهامه ويلازمه عند حضرته[1].

عرف من وزراء ذلك العصر إلى جانب من ذكرنا سابقاً ؛ صفي الدين بن القابض وزير صلاح الدين وصاحبه[2]، وتاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندي وزير فرخشاه[3]، ومن وزراء حلب جمال الدين أبو غالب عبدالواحد بن الحصين البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م[4]، ونظام الدين محمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م، الذي تولى الوزارة في عهد الملك الظاهر[5]، ومن وزرائه كذلك، عبد الباقي بن أبي يعلا محمد بن علي بن اسماعيل بن عبدالباقي[6]، وتولي وزارة حلب بعده في عهد الملك العزيز بن الظاهر، القاضي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م[7]، الذي عزل سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م، وتولى بدلاً منه زين عبدالمحسن بن محمد بن حرب[8]. وتولى الوزارة الأشرف أحمد بن عبدالرحيم بن علي ابن القاضي الفاضل في سلطنة الملك العادل[9]. ومن وزراء الملك المعظم عيسى - صاحب دمشق - أبو المحاسن محمد ابن نصر الدين بن نصر المعروف بابن عنين الشاعر المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[10]، وعبدالوهاب بن صفي الدين أبي محمد عبدالله بن المخلص بن عبدالخالق المتوفى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م[11]، والقاضي الإمام جمال الدين عبدالرحيم بن شيث القرشي[12]،

---

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٩، ص ١٤١. وبدوي. القاضي الفاضل، ص ٤٣. ١٦٥.

(٢) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٥٢-٣٥٤ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤١٣- ٤١٤.

(٣) الصفدي. جـ١٥، ص ٥١.

(٤) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ١٣١، ١٢٢، ١٥٢.

(٥) م. ن، جـ٣، ص ١٦٣-١٦٤.

(٦) الصفدي. جـ ١٨، ص ١٥.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١١٩. والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٥٦٧. والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٢٣١.

(٨) ابن واصل. جـ ٤، ص ٣١٢.

(٩) الصفدي. جـ٧، ص ٥٧.

(١٠) ابن خلكان. وفيات الأعيان،جـ٥، ص ١٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٤٨ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٤٢.

(١١) ابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢١٦-٢١٧ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ٣٣٤.

(١٢) ابن العماد الحنبلي. جـ٥، ص ١١٧.

وتولى في حماة علاء الدين علي بن محمد بن نصر الله[١]، وزين الدين بن قريح سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م[٢]، وعبدالملك بن علي بن أبي صالح بن عبدالكريم بن أبي شيبة المتوفى سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م الذي تولى الوزارة للملك المنصور[٣]، ورشيد الدين ابن عبدالله بن المظفر الصفدي[٤]. وتولى في وزارة الأشرف موسى في حمص القاضي مخلص الدين ابراهيم بن إسماعيل بن قرماص المتوفى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م[٥]، وتولى وزارة الملك الصالح نجم الدين أيوب، تاج الدين بن الولي المعروف بابن مهاجر[٦]، وجمال الدين يحي بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح[٧].

وقد تكون نهاية الوزير تنزيل رتبته إلى كاتب كالصاحب صفي الدين بن شكر[٨]، أو يُعزل الوزير ويصادر نتيجة لخروجه عن المألوف في نظام وزارته[٩]. وتطول المدة التي يتولّى بها الوزير أو تقصر حسب الظروف السائدة[١٠]، أو قد يستعفي من ولايته بإرادته، إذا ما كان في مسؤولياتها عبء على كاهله[١١].

أما العناصر التي تولت في مؤسسة الوزارة في ذلك العصر فوجدنا تعددها باختلاف ملوك بني أيوب، فقد يستبعد الملك فئة على حساب فئة أخرى فيذكر أن الملك الأمجد بهرامشاه بن فروخشاه -صاحب بعلبك- كان قد استوزر مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامري، وأصبح للوزير اليهودي نفوذٌ كبيرٌ في مملكة الأمجد[١٢].

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص ١٥٢.
(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٤، ص ٨٦. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٢٦.
(٣) الصفدي. جـ ١٩، ص ١٨٣.
(٤) م. ن، جـ١٧، ص ٦٢٧.
(٥) الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ٣٦٢.
(٦) ابن واصل. جـ٥، ص ٢١٣.
(٧) الكتبي. عيون التواريخ، جـ ٢٠، ص ٥٤.
(٨) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٤٨.
(٩) ابن واصل. جـ٤، ص ٣١٢ ؛ واالنويري. جـ٢٩، ص ٧١ ؛ والصفدي. جـ١٢، ص ١٠٥ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٤٠، ١٦٤ ؛؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٦٢، جـ٢، ص ١٨٣.
(١٠) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٢٤ ؛ وابن كثير. جـ١٣. ص ١٣١، ١٤٤.
(١١) النويري. جـ٢٩، ص ١٤٧ ؛ وابن كثير. جـ١٣. ص ١٩٨.
(١٢) ديوان الملك الأمجد، ص ٢٩.

الناظـــــر :

الناظر هو شـخص ينظر في الأمـوال التي ترد إلى ديوان بيت المـال وينفـذ تصـرفاتهـا[١]، ويشـرف الوزير على ديوان المـملكة الأيوبيـة، أمـا الناظـر فهـو الرئيس الفـعلي الذي يـتـولى مـهـام النظر المـالية وغـيـرها بتـفـويـض سلطاني[٢]، ويؤكـد لنا المـخـزومي أن الـناظر هو الرئيس الفـعلي لديوان المـال الأيوبي، ويـشـرف على كل صغيرة وكبيرة، لما يقوم به العمـال الآخرون، حـيث يصنعون السجـلات بمخـرجات ومـدخلات الديوان، وترفع للناظر لـيصـادق بختـمه على هذه الوصـولات أو يردها[٣]، ويلتزم بضبط الديوان خرجاً واستخراجاً وعـمل السجلات الخـاصة بالكور المختلفة، وله كاتب يساعده إذا زاد عليـه العمل[٤]، وهو من يتـولى إرسال الجابي الكشّاف إلى الأعمال المختلفة، ليطلع على أحوال الولاة، فيأمر بتغيير الخلل وجمع المال لخزينة الدولة، فسيّر نـور الدين وزيره الموفق بن خالد القيسراني لتنظيـم حسابات صلاح الدين وجـرائد أجـناده في مـصـر[٥]، وسـار الأيوبيـون على مـثـل ذلك النهج، فـسيّر الناصر يوسف -صـاحب حلب- الكشـاف ابن شـداد إلـى حـران سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م، ليكشفها ويقدر محصولها.[٦] ويتولى الناظر بتوجيهات السلطان إبلاغ الوالي والمقطع أوامـره المراد اتبـاعهـا في إقطاعـــه[٧]، وينظر في الإنفـاق على العمـائر، ليتـولى من خلالها حصر الأموال ووضع السياسة المالية لممالك الشام كاملة.

تولى محـمد بن محـمد بن خـالد عـز الدين بن القيسـراني نظر دواوين الشام في عهـد صلاح الدين الأيوبي، وأوكلت له مـهام الناظر[٨]. وللناظر التـحقيـق بالأمور

---

(١) المخزومي. المنهاج، ورقه ٨٧ب. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٣٧.
(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٢. ص ٩٦.
(٣) المخزومي. ورقه ٩٥ب، ١٠١ أ-ب. والقلقشندي. جـ٥، ص ٤٣٧.
(٤) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٩.
(٥) انظر ؛ أبو شـامـة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٥٥٨ ؛ والنابـلسي. لمع القـوانين، ص ٤٤ ؛ وابـن كـثـير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٢٨٩، ٢٩٤.
(٦) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٣ ؛ ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٩٤.
(٧) الشيزري. المنهج المسلوك، ص ٥٥.
(٨) القرشي. العقد الفريد، ص ١٥٩ ؛ والصفدي. جـ١، ص ١٤١ ؛ والسيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٢٦-٢٧.

المالية فيما سبق عهده بإعادة كشف ما حصل من نقص في عهد المستخدمين السابقين[1]، وربما يقوم بمهام تجارية وخاصة في الثغور ؛ فيشتري البضائع ويشرف على بيعها ليحقق لبيت المال ربحاً، ولا سيما إذا كان لهذه الإدارة المالية الحق في احتكار نقل بعض السلع والمتاجرة بها بين ممالك الدولة المختلفة[2].

والناظر هو المسؤول عن هذه الحسابات أمام السلطان عند عودته من سفره، وعرف في مصر خاصة بما يسمى مجلس أصحاب الدواوين الذي كان يجتمع بحضرة السلطان ليختار الناظر أو الشاد[3]، وتذكرنا المصادر بأن لكل مملكة أيوبية قانوناً مالياً بهذا الخصوص تتبعه مؤسستها وينظم أجهزتها للقيام بالمهام الموكلة إليها[4].

من هنا يمكننا الإستخلاص بأن لصاحب ديوان الإنشاء «الناظر» مكانة خاصة في رسم سياسة الإيراد والإنفاق ؛ فيحتوي في دفاتره ألقاب رجال الإدارة من أمراء وقادة وأرباب الوظائف الدينية والديوانية الأخرى، ويكون على اطلاع بأحوال القبائل ورجالها، وكل ما يخص المؤسسة السلطانية المتولي أمرها[5]. فيشارك الوزير مهامّه بشمولية وظيفته واختلاف واجباتها[6]، هذا في الوقت الذي تتبع لهذا الناظر وظائف أخرى مختصة، سنأتي على ذكرها بعد قليل.[7]

ويتم تعيين الناظر بأمر السلطان، ويرتأي فيه الخبرة بأمور الحسابات،

---

(١) النابلسي. لمع القوانين، ص ٥٧.

(٢) م. ن، ص ٤٦.

(٣) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٢٩٨. ابن الطوير. نزهة المقلتين، ص ٦٤. وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٤، ص ١٥. وابن الشحنة. الذر المنتخب، ص ١٢٢، «يعتبر ديوان المجلس من أعلى الدواوين الفاطمية، هذا الديوان الذي يختص بإعداد ميزانية الدولة. ويذكر أن صلاح الدين قد أبقى هذا الديوان على هيئته، وتزودنا الدراسات بمعلومات عن صاحب هذا الديوان الفاطمي الذي كان يتسلم المكاتبات مختومة، ويقرأها على الخليفة، فإذا وجدها قد خالفت العادة في ورقها وألقابها وفواتحها وتراجمها، بحث في أمرها ليكون منها على بصيرة».
انظر ؛ النابلسي. ص ١٤-١٥ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٤، ١٠٤ ؛ وربيع، النظم المالية، ص ١٧، ٨٣، ٨٤.

(٤) الخالدي. ورقة ١٠٥.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٧٣ ؛ والخالدي. ورقة ١١٢.

(٦) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢٣.

(٧) ربيع. النظم المالية، ص ٨١.

ومعرفته الواسعة بدفاتر الديوان وجرائده، فتذكر المصادر أن ابن شداد، أبا عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي صاحب «النوادر السلطانية». كان خبيراً بالأمور الماليّة، فولاّه صلاح الدين ديوانه، وجعله أميناً على خزائنه[١]. وإذا ما كان هذا الناظر جاهلاً بأمر الديوان وسياسته، فيتدرّب على أعماله، كأن يرتقي الكاتب ويصبح ناظراً[٢]، ويتخلّق صاحب الديوان بأخلاق الناس، فيخاطب المعظم عيسى ناظر ديوانه جمال الدين بن شيث قائلاً :

«فاصبر على أخلاقهن ولا تكن متخلقاً إلا بأخلاق الناس»[٣]

وتوكل مهام هذا الديوان إلى من عرفت فيهم المعرفة والدراية الديوانية، من أهل البلاد المراد ولايتها ؛ مثل رجال الأقباط المسيحيين الذين أصبح لهم باع طويل في إدارة المال، فتولوا أمره رغم كراهية استخدامهم[٤]، فيزعم البعض أن صلاح الدين قد أمر بصرف أهل الذمة والمنع من استخدامهم في «أي شغل ديواني»[٥]، على الرغم أن عز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، يرى أن صلاح الدين قد أكثر من استخدام النصارى، وكانوا سبباً في سقوط عكا بيد الفرنج سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٦]، ويتولى الناظر بعد تنقله في مختلف التراتيب الديوانية لمختلف الممالك الأيوبية ؛ فيصبح بعدها مؤهلاً لتنظيم أجهزة ديوانه وسياسة مؤسسته[٧] ؛ فتولى المخزومي المتوفى بعد سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م صاحب المصنف الموسوم «المنهاج بعلم خراج مصر» ديوان مصر[٨]، في عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم تولاه صاحب كتاب قوانين الدواوين، الأسعد بن مماتي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م[٩]، واختص

---

(١) ابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٦، ٢٧، ٢٨ ؛ وابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٢ ؛ وكراتشوفسكي. الأدب الجغرافي. جـ٢، ص ١٦٩ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٧٣، ٧٤.
(٢) انظر ؛ النابلسي. لمع القوانين، ص ٤، ١ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١١، ص ١٥٠.
(٣) الصفدي. جـ ١٨، ص ٣٨٠.
(٤) المخزومي. المنهاج، ورقة ٤٨ أ، ١٠٢أ، ١٠٤ب، النابلسي. ص ٦١، ٦٤، ٧٣، ٧٨ ؛ وابراهيم زكي وآخرون. دائرة المعارف، م٥، ص ٤٥٧.
(٥) المقريزي. السلوك، جـ١، ق ١، ص ٤٧.
(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٥٥.
(٧) النابلسي. ص ٢٨، ٢٩، ٦٨، ٦٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤٥١ ؛ والصفدي. جـ١٨، ص ٣٧٩.
(٨) المخزومي. ورقة ١٢١ب.
(٩) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٩٢٧ وما بعدها.

البعض الآخر بولايته هذه مثل جعفر بن علي أبو محمد الآمدي المتوفى سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[١]، وخصصت لهؤلاء الولاة الجامكية[٢] التي تقوم على نفقاتهم، وخُلعت عليهم بعض الثياب كالطيلسان والعمامة التي أعطيت لأمثالهم من كبار رجال الإدارة الأيوبية.[٣]

وترد الإشارة الى ما يعرف «بنواب الخزانة وأمرائها» هؤلاء الذين طالما أشاروا للسلطان بالحد من النفقات المالية، خاصة مع حاجة الدولة للأموال في ظل الظروف الطارئة التي كانت تعيشها[٤]، أو قد يقوم مثل هؤلاء بإخفاء بعض الأموال تحقيقاً لمثل ذلك المبتغى بتحقيق مصالح الدولة[٥]. أو قد نجدهم على النقيض من ذلك يستبدون بهذه الخزانة عند ضعف الملك أو السلطان وفي ظروف طيشه وعدم قدرته على مراقبة ولاته نواب خزانته[٦]. ويذكر من نظّار الديوان زين الدين أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الذي تولّى نظر الخزانة والأوقاف، ثم آثر ترك الولاية والتزهد حتى وفاته سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م[٧]. ومنهم القاضي جمال الدين أبو محمد يونس بن بدران بن فيروز المصري المتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٦م، حيث تولى وكالة بيت المال في دمشق سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م[٨]، ومنهم نجيب الدين أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن فارس بن عبدالعزيز الإسكندراني المتوفى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، الذي تولى نظر ديوان دمشق وتولى الوزارة للملك العادل الأيوبي[٩]، وبدر الدين جعفر بن محمد بن علي الآمدي التي تولى نظر الدواوين الشامية في عهد الملك الكامل الأيوبي[١٠]، ونجم الدين

(١) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر ص ٢٠٣.
(٢) «ورد تعريف الجامكية سابقاً، وهي الراتي أو العطاء». البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص١٠١.
(٣) م. ن، جـ١، ص ١٠١ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ١٠٢.
(٤) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣. ص ١٢٧-١٢٨ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥.
(٥) أبو شامة. ق٢، ص ٢٠٧.
(٦) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٤٠-٢٤١ ؛ الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٥ ؛ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥. ص ٣٢٣.
(٧) العليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٢٣ ؛ ابن العماد الحنبلي. جـ٥، ص ٢٦١ ؛ الحاج خليل. مدينة القدس، ص ٦١.
(٨) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٢٣. والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٩٩. ١٣٨.
(٩) الصفدي. جـ٦، ص ٢٥٥.
(١٠) م. ن، جـ ١١، ص ١٥٠.

الحسن بن سالم بن علي بن سلام الدمشقي المتوفى سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م[١]، وشرف الدين يعقوب بن محمد بن حسن الهذباني الأربلي المتوفى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م[٢]، وشهاب الدين اسماعيل بن حامد بن عبدالرحمن الخزرجي القوصي المتوفى سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٥م[٣]، ومحمد بن يونس بن بدران بن فيروز القرشي العبيدي المتوفى سنة ٦٥٤هـ/١٥٦م[٤]، وسيف الدين علي بن عمر بن قزل بن جلدك التركماني المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م الذي تولى نظر الديوان للملك الناصر يوسف بن العزيز[٥]. وتولى في ديوان حلب في عهد الملك الظاهر، عز الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المولى وغيره[٦]. وتعددت الألقاب التي عرف بها الناظر كناظر المخزن ووكيل بيت المال ؛ لوكالته عن السلطان في حفظ الأموال إلى جانب مهامّه الأخرى التي سبق ذكرها[٧].

وقد يترقّى وكيل بيت المال هذا إلى وظائف القضاء والتدريس وغيرها ؛ ومنهم قاضي القضاة تقي الدين بن رزين الحموي حيث كانت له وكالة بيت المال في أيام صلاح الدين[٨]، وجمال الدين يونس بن بدران بن فيروز المصري -السالف الذكر- حيث تولى وكالة بيت المال ثم أصبح قاضي القضاة للملك المعظم عيسى[٩]، ومنهم القاضي عبدالرحمن التكريتي الذي تولى وكالة بيت مال بيت المقدس للملك المعظم[١٠]. وكذلك صدر الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة، شمس الدين أبو البركات بن سني الدولة التغلبي المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ومنهم الشيخ نجم

---

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٢، ص ٢٦.
(٢) ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ ٥، ص ٢٣٣.
(٣) الصفدي. جـ ٩، ص ١٠٥. والنعيمي. الدارس، جـ ١، ص٢٣٢. وابن العماد الحنبلي. جـ ٥، ص ٢٦١.
(٤) اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٢٤، ٢٥.
(٥) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٣، ص ٥١. وانظر الصفدي. جـ١، ص ١٤١.
(٦) الصفدي. جـ ٨، ص ٩١.
(٧) العليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٢٣٣ ؛ وابن العماد الحنبلي. جـ٥، ص ٢٦١ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٦١.
(٨) الصفدي. جـ ٢، ص ١٨.
(٩) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٢٣.
(١٠) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق٢، ص ٦٤٣، ٧٠٢.

الدين محمد بن عمر[١]، وعبدالله بن واصل[٢] . ومنهم من تولّوا في نظر الخزانة الأيوبية حتى أوكلت لهم مهامّ القضاء[٣]. أما تقليد الناظر وتعيينه من قبل السلطان فيرتب له إصدار منشور ديواني، يعرف من خلاله صلاحياته ويتضمن السياسة الماليّة من إيراد وإنفاق، المطلوب اتباعها والسير وفق خطتها[٤]، ويجعل له هذا المنشور كوساته[٥]، وأعلامه الخاصة ونظمه التي يُعرف من خلالها[٦].

المشارف :

يتولّى حيازة جميع المتحصلات المالية بعد عمل الجرائد الخاصة بها ما يعرف بالمشارف، ويساعده في عمله هذا العامل الذي يقوم بكتابة البراءات الخاصة بهذه المتحصلات ؛ ويزودنا المخزومي بإشارات متعددة لأعمال المشارفه وأقسامها، ولا سيما ما يتولى من مقابلة وتدقيق، ويذكر اسمه في سجلات الديوان ودفاتره، ويشارك الناظر في بعض مهامه، ويحتفظ لنفسه بنسخه من مستخرجات الديوان، ويشرف على ما يقوم به الديوان من شراء أو بيع في وارداته ونفقاته بيقظته وحذره ودربته على مثل هذه المهام[٧] ؛ فيذكر أن ابن النجار إبراهيم بن سليمان بن حمزة بن خليفة جمال الدين الكاتب قد كتب للأمجد - صاحب بعلبك- ثم ترقّى وأصبح مشارفاً في خزانته[٨]. وتولى عبدالباقي بن أبي يعلا محمد بن علي بن اسماعيل بن عبدالباقي مشارفاً لديوان حلب في عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين[٩].

---

(١) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٤٠.
(٢) الأصفهاني. خريدة القصر، جـ٢، ص ٧٣، ١٠٩.
(٣) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٤٠ ؛ اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٣٤, ٣٥، ٨٥ ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٩٩، ١٣٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص ١٨، ٢٧٠، جـ١١، ص ١٥٠ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٢٣.
(٤) الحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٣٢.
(٥) ,الكوسات هي قطع نحاسية يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص» البقلي. التعريف، ص ٢٩٤.
(٦) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٦٤.
(٧) للمزيد انظر ؛ المخزومي. المنهاج، ورقة ٧٤أ، ٧٧أ، ٧٩ب، ٨٢أ، ١٠٠ أ وغيرها ؛ وابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٩-٢١ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٨٥.
(٨) الصفدي. جـ٥، ص ٣٥٧.
(٩) م. ن. جـ١٨، ص ١٥.

ويساعد المُشارف مرتبون آخرون، ويستعين بوجوه المزارعين والقصابين - القياس بالقصب - ليساعدوه في قياس مساحة الأرض باشتراك المساح، سواء كان ذلك القياس بالخطوة أو الذراع أو الشبر أو الفرسخ أو غيرها من مقاييس ذلك العصر، لتحديد الضريبة وفق المعايير المتفق عليها، فإذا ماتم قياسها أقرّها الماسح وختمها الشاهد لتوثيقها، فتصدر براءتها : «رفعه فلان بن فلان الماسح، واشتملت عليه مساحة المفادنات[1] بالضيعة الفلانية كذا وكذا بحضور المشارف والعامل -ويذكر اسميهما- ودلالة فلان الدليل في مدة أولها يوم كذا - ويُذكر اليوم والشهر والسنة - ثم يذكر اسم الحوض، ويعلق المشارف بالإشتراك مع العامل والحائز على هذه السجلات بعد مقابلتها وتدقيقها بالتأريخ لها وقيمتها وشكلها ونفقاتها»[2]. أما فيما يتعلق بنفقات الإدارة فيكتب المشارف عليها للموافقة ويختمها بختمه، ويقدر المبلغ المراد انفاقه والمبلغ المتبقي في الخزانة من عين أو نقد، حتى إذا ما تلاه وال غيره دقق عليه في سجلاته، لتحصى أي زيادة في حوزة العامل والمشارف الجديد، ولا سيما في أمور الزكاة والمناطق المضافة لإقطاعات إدارية في مختلف الممالك الأيوبية.[3]

وتذكرنا المصادر ببعض المهام الأخرى التي كانت توكل للمشارف هذا وخاصة فيما يختص بمتابعته لأمر المراكب الرومية القادمة للممالك الأيوبية فترد الإشارة إلى اجتماع المراكب في عكا وبيروت وأنطرسوس والإسكندرونه من بلاد الشام[4]، وثغر الإسكندرية في مصر ؛ حيث يزودنا المخزومي بأن الناظر والمشارف والشاهد والعامل وكتّابهم كانوا يتولون أمر هذه المراكب ويعملون لها سجلات خاصة، لكل من هؤلاء المستخدمين تعليقاته على هذه السجلات التي تتضمن بلد المركب وبضاعته وأجناس أصحاب المراكب وتحديد المكس المفروض على هذه

(١) «المفادنات من الفدان والفدان مقياس يساوي ٤٢٠٠ متر مربع». هنتس. المكاييل والأوزان، ص ٩٨.
(٢) انظر : رحلة ابن جبير، ص ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٦ ؛ والمخزومي. المنهاج، ورقة ٨٠، ٩٨، ١٠١.
(٣) المخزومي. ورقة ٨٣ب.
(٤) ابن حوقل. صورة الأرض، ص ١٦١- ١٦٣. والإدريسي. نزهة المشتاق. م٢، ص ٦٤٥. ورحلة ابن جبير. ص ٢٧٦. وابن مماتي. قوانين الدواوين. ص ٢٠٢-٢٠٣. وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٩٣. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢،ص ٢٢٠-٢٢١.

التجارة، ثم يحدد تاريخ بيع البضاعة وأسعارها ولكل مركب «مخزومة»[١]، أي سجلاً يعين فيه اسم كل تاجر من الروم وكل تجارة بأصنافها وأسعارها، ويتولى كاتب الخمس متابعة أمر هذه المخازيم، وبعد استيفاء المكوس عليها ترفع حساباتها للديوان[٢]، والمشارف هو من يتولى مثل هذه المهام، فيذكرها في دفاتره : «المركب الفلاني في العدد الوارد من الموضع الفلاني، ويذكر بعدها تأريخ ورودها واسم رئيسها ومرافقيها وأجناسهم وتأريخ بيعها»[٣].

وربما توكل القاضي مهمة القياس بأمر الديوان، فيشارك المشارف مهامه حيث يقيس تلك الأراضي المخصصة لوارد الخراج، فيذكر من هذه الحالات أن القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن أبي الرداد قد تولّى قياس الأراضي المصرية سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م[٤].

متولي الديوان :

المتولي : هو موظف يتبع الناظر والمشارف بمهمة مراجعة حسابات الديوان[٥]، وله مهمة الكشف عن السفاتج التي يصدرها الديوان ويتولى التعليق بخطه على سجلات الديوان ويقدمها للناظر ليصادق عليها[٦]، وقد وليها في مصر أبو الحسن علي بن سلمان والقاضي أبو الحسن علي بن عثمان المخزومي القرشي المتوفى بعد سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م[٧]، وكان واليها في دمشق، سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م. صفي الدين بن القابض الدمشقي[٨]، ووليها سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، النجم بن سلام المتوفى سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٥م[٩].

---

(١) «المخازيم هي سجلات خاصة للتجارة وأنواعها وأسعارها، ويتولى الجهبذ وكاتب الخمس عملها لتحديد قيمة المكس، المفروضة عليها» انظر : ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٣٠٤.
(٢) المخزومي. المنهاج، ورقة ٨٨أ-٩٠أ.
(٣) م. ن، ورقة ٨٨أ، ٩٠أ.
(٤) النويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٣٨.
(٥) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٤٣٧.
(٦) المخزومي. ورقة ١٠٣ب، ١٠٤أ.
(٧) م. ن، ورقة ١٢١ب.
(٨) أبو شامة. الروضتين، جـ ٢، ص ١٥.
(٩) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٧٧.

المستوفي :

المستوفي من الوظائف الديوانية الماليّة لضبط سير عمل الحسابات اليومية في ذلك الديوان، وتحرير الوثائق الخاصة بهذه الحسابات، وللمستوفي الأمر في مراقبة جباية الأموال في مواعيدها المحددة[١]. ويزودنا ابن مماتي بمهام هذا الموظف في الديوان الأيوبي وأهمها أنه يأتي بعد متولي الديوان، فيطالب المستخدمين برفع الحسابات وينبه متولي الديوان لإستخراج الأموال في حينها ويعمل مطالباتها، حيث يقوم بهذه المهام عشّار يتولى هو أمرهم ويصادق على وصولاتها[٢]، ويتولى المستوفي أمر الإنفاق في الإقطاعات المختلفة، فيدقق في أسماء الأجناد، وما يختص بهم من جامكية وإقطاع[٣]، ومن هنا كان المستوفي هو الممثل للديوان العام في إدارة الدولة على إقطاعاتها، وخاصة بتنقله وترحاله وقت جمع إيرادات الخزانة. وتولاها في حلب في عهد الملك الظاهر سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، كريم الدولة ابن شرارة النصراني[٤].

المُعين :

المعين موظف يقوم بالكتابة إعانة لما يقوم به المستوفي من أعمال ويبدو أنه لم يطلب منه المصادقة على سجلات الديوان[٥].

الكاتب :

والكاتب هو المشرف المسجل، وسمي بكاتب الخراج، مختص بجميع هذه الأعمال الديوانية وخاصة المالية منها، من إيراد وانفاق إذ يقوم بعمل العامل من عمل الحسابات ورفعها للديوان بعد المصادقة عليها[٦]، لذا لا بد فيه من المعرفة

---

(١) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٤٢٧. ربيع. النظم المالية، ص ٨٢، والبقلي. التعريف، ص٣٠. و Thoumian. B. Les Civils Et'Administrations, p.p. 20-21.

(٢) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٣٠١. و Elisseeff - Nur Ad-din, V.3 p. 806.

(٣) أبو شامه. عيون الروضتين، ق١، ص ٢٤٢.

(٤) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٥) ابن مماتي. ص ٣٠١- ٣٠٢. والقلقشندي. جـ ٥، ص ٤٢٨.

(٦) المخزومي. المنهاج، ورقه ١١٥ب. وابن مماتي. ص ٣٠٢.

بأحوال الموارد المالية وأقسامها «علم نقل القناطر وتكسيرها»[١]، ووجوه صرفها وإنفاقها، وأحكام الأرض ومساحتها، ويسمى هذا بكاتب العامل أو صاحب الدست، فيكتب براءة أيّ من المعاملات المالية السابقة ويصدرها للديوان بعد توقيعها، وقد يساعده بعض الكتّاب الآخرين للقيام بمهامه المتعددة في هذا الشأن.[٢]

الناسخ :

الناسخ من موظفي الديوان الأيوبي وتوكل له مهمة نسخ صورة طبق الأصل عن كل ما يصدر عن الديوان من وصولات، وإذا وقع اختلاف بين الصورة والأصل سئل عن ذلك[٣].

المســـــاح :

وهو المختص بقياس مساحة الأرض ويقوم بعمل قانون وسجل خاص بقياساته،[٤] ويساعده شهود المساحة والأدلاء ووجوه المزاعين والقصابين، حيث يقدرون مساحة ما يتم قياسه في كل يوم ويصادق عليها المشارف والشاهد والعامل، ثم ترفع هذه السجلات إلى المشارف ويقال في صدرها : «رفعه فلان بن فلان الماسح بما اشتملت عليه المفادنات[٥]، بالضيعة الفلانية لسنة كذا وكذا بحضور المشارف والعامل، ويذكر اسميهما واسم الدليل والفترة الزمنية التي تم قضاؤها في القياس»[٦] وتولاها في حلب لقياس جبل بني عليم وغيره سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، سديد الدين مظفر بن أبي المعالي المَخيخ الحلبي[٧].

ويساعد في بعض المعاملات المالية هذه تراتيب وظيفية أخرى لربما وجدت في ممالك الشام كما وجدت في غيرها ؛ مثل الجهبذ الذي يقوم بتدوين حصيلة

---

(١) «التكسير هي القدرة على القيام بالأعمال الحسابية المختلفة».

(٢) انظر : المخزومي. المنهاج، ورقة ٧١ أ، وابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٤، ٢٨ ؛ والبطليوسي. الإقتضاب، ق١، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٥٦.

(٣) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٣٠٢.

(٤) م. ن، ص ٣٠٥. وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥.

(٥) «الفدان يساوي ٤٢٠٠ متر مربع» انظر : هنتس. المكاييل والأوزان، ص ٩٨.

(٦) المخزومي. ورقه ٤٥ب، ١٠١ أ-ب.

(٧) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٩٤. وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ٥٥.

Text Stamp

الأموال وتحرير الإيصالات بمستخرجاتها وترد هكذا بالجهبد عند المخزومي وابن مماتي،أو الجهبذ إذ ذكرها حسنين ربيع بالجهبذ.وهذه الوصولات لكل سنه تاريخها وكل ناحية بعينها يوثقها بختمه وتعليقه وذكر اسمه، ولكن لم تسعفنا هذه الدراسات بذكر أشخاص تولوا هذه الوظيفة في مصر وغيرها(١)، وهكذا الخازن الذي يتولى قبض الغلات وخزنها واخراجها(٢)، فتولاها في عهد صلاح الدين ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار(٣)، وصفي الدين بن القابض الدمشقي(٤). والشاهد الذي يهتم بضبط وصولات الديوان ويكتب حساباتها(٥). ليتم التمييز بين ما ورد في السنة الحاضرة وما تبقّى من قبلها، ويكتب هذا الخازن البراءة للعامل باستلامه الأموال منه ليودعها في بيت المال(٦). وعرف من هذه الوظائف الخزندار الذي كانت ولايته تقتصر على نفقات السلطان الخاصة، فيتولّى تدقيق حساباته وتنظيم الصرف على أهله(٧). ويرد ذكر العامل والدليل والحايز والحاشر والأمناء(٨)، ثم هناك النجّاب الذي يتولّى مهمة إيصال البراءات إلى أصحابها، ليتم تنفيذ أمركل منها في حينه(٩). والجابي الذي عرف بالكشاف أحياناً، فيتولّى جمع الضرائب والأموال من الفلاحين بالإضافة لإشرافه على بعض الأعمال الزراعية التي تخص بعض إقطاعات الممالك الأيوبية(١٠)، ومسؤولية هذا الجابي أمام ناظر الديوان، وقد يتوكل قاضي القضاة بمتابعته، يوقّع عليه العقوبة إن أخل في عمله، وهذا ما ذكر بحق جابي العزيزية أمام قاضي القضاة زكي الدين بن محي الدين بن محمد بن الزكي.(١١)

---

(١) وجدت هذه الوظيفة مع نشوء الدولة العباسية في العراق ثم انتقلت إلى مصر. انظر ، المخزومي. المنهاج، ورقه ٨٠ب، ٨١ب، ٩٦ب، ١٠٢ب. وابن شيث. معالم الكتابة، ص ٣١ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٨٦.

(٢) ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٣٠٦.

(٣) البندراري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٤٠.

(٤) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٢٥١.

(٥) ابن مماتي. ص ٣٠٤.

(٦) المخزومي. ورقة ١٠٨أ.

(٧) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١١٥.

(٨) المخزومي. ورقة ٥٥ب، ٨٢ب، ٩٨ب، ١٠٠أ، ١٠١ب. وابن مماتي. ص ٣٠٢ - ٣٠٦.

(٩) البنداري. جـ١، ص ١٤٦.

(١٠) الأسدي. التيسير والاعتبار، ص ٩٥، ١٩٩.

(١١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٦، ص ٤٠٨ ؛ وابن كثير. جـ١٢، ص ٩١ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٧٣.

إدارة الإقطاع في العصر الأيوبي :

موضوع الإقطاع هو اعطاء جزء من الأرض واباحتها لشخص ما، وقد يكون الإقطاع تمليكاً أو غير تمليك[١]، فسار الأيوبيون على نهج من سبقهم من السلاجقة والزنكيين في سياسة النظام الإقطاعي، وعرف في الدولة الأيوبية نوعان من الإقطاع : الإقطاع الإداري الذي اختص بأمراء الأسرة الأيوبية وكبار رجال الإدارة في العصر الأيوبي، والإقطاع الحربي الذي ارتبط بتقديم الأمير المقطع خدماته الحربية لإدارة الدولة وقت الحاجة[٢].

قسمت بلاد الشام إلى إقطاعات متباينة المساحة ومختلفة الموارد، فتميز الإقطاع الأيوبي بوراثته أحياناً، وتأكد هذا من خلال إشارات المصادر إلى بعض معاملات البيع التي يقوم بها بعض الأشخاص وإن كانت هذه الملكيات محدودة المساحة على حد ذكر بعض المصادر[٣]، وهذا ربما كان فيه اختلاف ظاهر عن الإقطاع في العصر الزنكي، فتذكر المصادر أن الأتابك عماد الدين زنكي قد نهى أمرائه ورجال دولته عن اقتناء الأملاك قائلاً لهم : «مهما كانت البلاد فأي حاجة لكم إلى الأملاك، فإن الإقطاعات تغني عنها»[٤]، والإقطاع الأيوبي عامة هو بلا شك اقطاع استغلال، حيث تمتلك الدولة الأراضي المختلفة، فتعطيها لأشخاص وإن كانوا من أمراء الأسرة الأيوبية، وهذا الاستغلال مرهون بالتزام الأمير المقطع بالشروط التي يمليها عليه ديوان الإقطاع بإشراف السلطان، وإلا انتزع منه هذا الإقطاع وأعطي لغيره.. وترفض الإدارة العامة أن تجعل ملكية الإقطاعات مرهونة بحاجتها للمال، فيذكر أن السلطان صلاح الدين قد اقترض مالاً من أخيه الملك العادل، ورفض أن يبيع للعادل مدينة حلب مقابل هذا المال، وقال له : «إنما تكون حلب

---

(١) ابن منظور. لسان العرب، م ٨، ص ٢٨٠- ٢٨١. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ١١١.
(٢) ابن الفرات. تاريخ ، م٤، جـ٢، ص ١٨١. وربيع. النظم المالية، ص ٢٦. ٢٧.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ٢، ص ٦٧٢. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٣٥. والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٣٤. وبولياك. الإقطاعية، ٧٣.
(٤) أبو شامة. جـ١، ق ١، ص١١٠. وابن واصل. جـ ١، ١٠١.

Text Stamp

إقطاعاً، أظننت أن البلاد تباع أو ما علمت أن البلاد لأهلها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين»[١]. ولكن ربما هناك بعض الإستثناء إذا ما احتاجت الدولة للمال، فيذكر أن صلاح الدين قد باع قرية من بيت المال وأنفق ثمنها على وفود الأمصار[٢]، ويكون الإقطاع الواحد من عدة مدن أو قرى ومزارع، فلا يكون هذا الإقطاع في موقع واحد ومتصل مع بعضه البعض، وإنما في مواضع متباعده أحياناً وهذا لربما حتى لا يشكل الأمير المقطع خطراً على سيادة الدولة من جهة، وتعمّر البلاد وتتقوى الإدارة العامة بواردات الإقطاعات من جهة أخرى، بالإضافة لما يتكفل به الأمير المقطع من الدفاع عن إقطاعاته وحمايتها، فيكفي إدارة الدولة هذه المهام[٣].

مارس الأيوبيون النظام الإقطاعي في العهد الزنكي فأقطع نجم الدين أيوب في بعلبك[٤]، وأقطع أسد الدين شيركوه في الرحبة وتدمر وحمص[٥]. ثم انتقل الحكم لصلاح الدين فأصبح الإقطاع ظاهرة عامة في ممالك بلاد الشام، فأقطع أخيه العادل في حلب[٦]، ثم أقطعه في مصر وبلاد الشام والجزيرة وديار بكر[٧]، وأقطعت حمص لأحفاد أسد الدين شيركوه[٨]، وأقطع الملك الأمجد بهرامشاه بن فرخشاه في بعلبك[٩]، ثم قسمت حلب بين مختلف الأمراء[١٠]، فأقطع فيها القاضي أبو المحاسن بن شداد[١١]، وأقطع فيها مجد الدين بن الخشاب وأولاده[١٢]، وأقطع

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥٢.

(٢) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٧. وأبو شامة. جـ٢، ص ٢٢٠.

(٣) أبو شامة. جـ٢، ص ٨٨-٨٩. وأبو دمعه. الحياة الإقتصادية، ص ٧٣.
Cahen. d'Al Malik As-Salih p. 102.

(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ٩.

(٥) ابن الفرات. تاريخ م ٤، جـ١، ص ٥٣.

(٦) أبو شامة. جـ٢، ص ٥٢.

(٧) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ١٤٤-١٤٨.

(٨) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٤٨٠. ٤٨١. والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٨. ص ٣٨٩.

(٩) ابن خلدون، تاريخ جـ٥، ص ٤١٩.

(١٠) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢٩. وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق ١، ص ٥٥. والمقريزي. السلوك، جـ ١، ق ١، ص ٦٢.

(١١) ابن خلكان. جـ ٧، ص ٨٩.

(١٢) ابن شداد. جـ١، ق١، ص ١٢٤.

الملك الزاهر بن صلاح الدين في البيرة(١)، وأقطع الأمير عيسى الهكاري في عكا(٢)، وأقطع الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، ثم سيف الدين بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب في نابلس(٣)، ويذكر أن ابن لاجين كان مقطعاً في صيدا وبيروت(٤)، ثم أقطع العزيز عثمان بن صلاح الدين نابلس ، لفارس الدين ميمون القصري سنة ٥٩١ هـ/ ١١٩٤ م، بسبعمائة فارس يقدمهم لإدارة الدولة عند الحاجة(٥). وأقطع فخر الدين إياس جركس في حصن شقيف أرنون(٦)، وأقطع هذا الأمير في بانياس وتبنين والشقيف، فأقام بها حتى وفاته سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م فأقرها الملك العادل على ولده(٧)، وهكذا أقطع مجد الدين بن الخشاب وابنائه في قرية حلب(٨)، وأقطع الأمير أبا الهيجاء السمين في نصيبين، وأقطع سيف الدين بن غرز الدين قلج في عجلون(٩)، وأقطع كرامه بن بحتر بن علي بن ابراهيم بن الحسين اسحاق بن محمد التنوخي في صيدا وبيروت(١٠). وتابع خلفاء صلاح الدين سياسته الإقطاعية فأقطع الملك العادل أبناءه في ممالك بلاد الشام، وأقطع أبناؤه أمراءهم في أعمالها. وتعتبر إمرة العرب الرسمية هي من الحوادث البارزة في عهد الملك العادل، فيذكر أنه جعل إماراتهم في آل فضل بن طي في بيت حديثه بن عقبه ابن فضل بن ربيعه ثم لابنه مانع بن حديثه المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، لقوتهم واتساع نفوذهم(١١)، وخصصت لهؤلاء الإعراب اقطاعات محددة بمساحتها، وما تستطيع امتلاكه من قوة تستطيع من خلالها الحفاظ على أمن الطرق التي تمر في

---

(١) ياقوت. معجم البلدان، جـ١، ص ٥٢٦.
(٢) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٩٠.
(٣) الأصفهاني. ص ٥٨٧. وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٨٨. ٢٠٩ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢،ق ٢، ص ٢٤٤. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق ١، ص ١٩٦.
(٤) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٣١٧. وابن يحي، تاريخ بيروت، ص ٢٠.
(٥) طرخان. النظم الإقطاعية، ص ٤٣.
(٦) ابن شداد. جـ٢، ق٢، ص ١٥٤-١٥٥.
(٧) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٤٧٩. والذهبي. تاريخ الإسلام، جـ ١٨، ق ١، ص ٣١٢.
(٨) سعيد عاشور. البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، ص ١٤.
(٩) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٦٥.
(١٠) المقريزي. الخطط، جـ٢، ص ١٧١.
(١١) ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص ٢٨-٢٩.

منازلها مع ولائها للسلطان الأيوبي، فيذكر في أحداث سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، أن مانع ابن حديثه قد ساعد الأشرف في الدفاع عن حلب عندما قصدها ملك الروم(١)، وما يمنح لأمير الإعراب هؤلاء يسمى : «وصية أمير العرب»(٢). فأقطع جمال الدين حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي في جبل بيروت من أعمال الدامور(٣). وأقطع الملك المعظم عيسى أستاداره الأمير عز الدين أيبك المعظمي في صرخد وأعمالها(٤)، وأقطع الملك الكامل أخيه الأشرف موسى في دمشق(٥)، وأقطع الناصر داوود سيف الدين بن غرز الدين قلج في عجلون(٦).

ونتيجة للعلاقة الوثيقة بين الإقطاع والإدارة العسكرية فيتولى ديوان الجيش أمر هذه الإقطاعات(٧). وهذا الديوان هو الذي يصدر المنشور «البراءة» المسماة ورقة المسير، ويكتب في هذه الورقة بما يسمى بالتواقيع الإقطاعية، وتنقسم هذه التوقيعات حسب الفئات الاجتماعية المتباينة في الممالك المختلفة. وخاصة الملوك من أبناء الأسرة الأيوبية وغيرهم من قادتها الأمراء، فينتقل الإقطاع من حسابات ديوان المال إلى اختصاص ديوان الجيش، فيتابع هذا الديوان الإشراف على الإقطاعات حتى يتولى أمره : الناظر والمستوفي والكاتب، ولكل منهم تعليقاته على الجرائد والسجلات المختصة بواردات الإقطاع(٨)، وسياسة الدولة المالية والعسكرية تقتضي أن يكون لكل أمير اقطاعه، ولهؤلاء الأمراء جامكياتهم أو حصصهم المقررة من ذلك الإقطاع(٩). ويذكر من هذه البراءات نص براءة إقطاعية من السلطان

(١) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٩٤.
(٢) للمزيد انظر : ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٨٨. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢١٣.والحياري. الإمارة الطائية، ص ٩٣-٩٤.
(٣) ابن يحي. تاريخ بيروت، ص ٤٥-٤٦. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٢، ص ٤٦٣.
(٤) الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ١٧٧. والصفدي. جـ٩، ص ٤٨٠. «ويذكر أنها كانت بيد زين الدين قراجا إلى أن توفي في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، وبقيت لأولاده حتى أخذها الملك المعظم بمرسوم أبيه العادل». ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق ٢، ص ٦٠.
(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٦٩٩. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٥٦. والنويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٢١٦.
(٦) ابن واصل. جـ٢، ص ٢٦٥.
(٧) أبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٥٦-٥٧.
(٨) بولياك. الإقطاعية، ص ٦٥. وشوفيل. صلاح الدين، ص ٩٢.
(٩) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٢ ؛ وابن واصل. جـ٥، ص ٤٣. وجب : دراسات في حضارة الإسلام، =

صلاح الدين سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م، بإقطاع أخيه العادل بعض الديار المصرية وبلاد الشام والجزيرة وديار بكر، فيبدأ بالتحميد، ويذكر بها حال السلطان وحال صاحب الإقطاع بما يقتضيه المقال من صفات المديح واستحقاقه لهذا الإقطاع، وتتضمن هذه البراءة مطالب السلطان بشأن السياسة الواجب اتباعها في إدارة تلك المناطق فيقول : «ليكون له من كلٍ منها حظٌ تفيض يده في أمواله، ويركب في حشد من رجاله، فليعدل في الرعية، ولاته ثقات لايجد الهوى عليهم سبيلاً، وقد فشا في هذا الزمن أخذ الرشوة وهي سحت، وأما القضاة فينبغي أن يعول فيهم على الواحد دون الإثنين، البلاد التي أضفناها إليك فيها مدن ذات أعمال واسعة، ومعاقل ذات حصانة مانعة، فولِ وجهك إليها، وبث الأمنة على أوساطها ... ويوصيه بالإحسان إلى من يجاوره والوفاء بالعهد إليهم وأن يكن مستعداً للجهاد، فإذا ما طلبت مساعدته، قدم ما يرجى منه، ويختتم براءته قائلاً : والله يشرح لك صدراً، ويسر لك منّا أمراً، ويشد أزرنا بك كما شد لموسى بأخيه أزراً»[1]. وفي منشور آخر من صلاح الدين لجمال الدين حجي بن كرامه بن بحتر التنوخي عندما أقره على إقطاعه في بيروت يقول فيه : «بأجر جمال الدين حجي بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت من أعمال الدامور لما وصل إلى الخدمة السلطانية، وتحققنا ما جرى عليه من جانب الكفر خذلهم الله وهو ملكه وارثه عن أبيه وجده، وذلك حبساً منا عليه وإحساناً إليه لمناصحته وخدمته، وكتب بأرض بيروت في العشر الآخر من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة» ويحدد هذا المنشور المناطق التي تم اقطاعها لهذا الأمير وفرض عليه ستين فارساً يقدمهم لإدارة الدولة عند الحاجة، وهذه المناطق كانت تابعة لآل بحتر منذ العهد الزنكي[2].

ويبدّل السلطان ويغيّر في إدارة الإقطاع واستغلاله من شخص لآخر بمتابعته

▪ ص ٩٨ - ٩٩.

(١) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ١٤٤-١٤٨.

(٢) ابن يحي. تاريخ بيروت، ص ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ٣٦٣.

للأمراء المقطعين، فتستبدل للمقطع منطقة بأخرى، فأخذ صلاح الدين حلب من أخيه العادل وعوضّه عنها بحران وميافارقين، أو قد يلجأ السلطان إلى تجديد عقود هذه الإقطاعات «البراءة» لمقطعيها، مما يدعونا للاستخلاص بأن استغلال هذا الإقطاع قد أقر لمدة محددة، ترتبط بتلك الخدمات التي يقدمها الأمير أو الوالي لإدارة الدولة[1]، ويمكن عزله أو نقله متى شاء صاحب السلطة العليا[2]، فيذكر عماد الدين الكاتب الأصفهاني في إقطاع صلاح الدين لجمال الدين أبي علي الحسين بن رواحة في حلب «وكتبت توقيعه وأراد الله تعويقه، وحملت توقيعه تلك الليلة إلى السلطان ليعلم فيه فما علم...»[3] أي أن التوقيعات الإقطاعية لا تصبح نافذة إلا إذا وافق عليها السلطان بعد توثيق براءتها في ديوان الإقطاعات.

وبهذا يمكننا القول أن النظام الإقطاعي الأيوبي قد مثل ظاهرة سياسية واقتصادية وحربية في آن واحد، وقام على فكرة استغلال الأراضي والاستفادة من محصولها «العبرة» مقابل الإلتزام بواجبات الأمير المقطع سواء كان عسكرياً أو مدنياً تجاه إدارة الدولة من جهة، واتجاه الرعايا المقيمين في حدود إقطاعه من جهة أخرى[4]؛ فيلتزم بتقديم جزء من عبرة إقطاعه لخزينة الدولة، ويكفي إدارة الدولة المالية مؤونته ومؤنة الجند الذين يلتزم بتقديمهم عند الحاجة. فألتزم الملك العادل سنة ٥٨٧هـ/١١٩٢م، بدفع ألف غراره[5] لإنفاقها على القدس مقابل إقطاعه في الصلت والبلقاء[6]. ويذكر في أحداث سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م، أن الملك العادل قد جعل حلب للملك الظاهر وألزمه بخمسمائة فارس يقدمهم للخدمة عند الحاجة بكافة تجهيزاتهم[7]، ويتولى الأمير المقطع حفظ الأمن والنظام في حدود اقطاعه، حتى

---

(١) أبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٧١.

(٢) E.I.V.I. p. 802.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣٠٢.

(٤) انظر : سعيد عاشور. نظم الحكم والإدارة، موسوعة الحضارة، م٣، ٢٤٢، ٢٤٣. وربيع. النظم المالية، ص ٣٣.

(٥) «الغراره مكيال دمشقي يساوي (٢٠٤,٥ كيلو غرام) ويذكر أن الأيوبيين قد استخدموا الصاع كمكيال ويساوي (٣,٢٤٥ كيلوغرام)». انظر : هنتس. المكاييل والأوزان، ص ٦٤-٦٤.

(٦) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٠٩، وابن الوارديِ. تتمة، جـ٢، ص ١٤٩.

(٧) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٨١.

أصبحت واردات هذه الإقطاعات مورداً لخزينة الدولة بما تحتاجه، مع احتفاظ الإدارة العامة بحق متابعة أمور الإقطاعات والإشراف عليها[1]، فيهتم المقطع بصيانة السدود والأقنية والجسور والطرق، ويضمن بذلك زراعة إقطاعه بشكل مناسب.

ولم تترك الإدارة العليا هذه الإقطاعات دون مراقبتها وإعادة تنظيمها بين وقت وآخر، فالظروف قد تحتم إعادة مسح وقياس الأراضي المقطعة، فيذكر في تنظيم «الروك الصلاحي»[2] أن هذا المسح وإعادة القياس كان لعوامل مادية واجتماعية استجدت على إدارة الدولة في ضوء الضرائب والمكوس المستحدثة التي أبطلت جبايتها، وقد يكون هناك دافع آخر لهذا المسح لعلاقة الأمراء المقطعين بعضهم ببعض، كأن يؤخذ الإقطاع من هذا الأمير ويعطى لذاك.[3]

ويعتمد الأمير المقطع على إدارة إقطاعه بالوكالة إن كان مشغولاً بالمشاركة في بعض المهام الأخرى، أو كان يقيم إلى جانب السلطان، أما إذا تفرغ لولاية إقطاعه وخاصة في الممالك المركزية، فينظّم إدارته بتراتيب ثابتة[4]، فيذكر أن بهاء الدين قراقوش كان له اقطاع في الشام، فأوكل إلى من يديره له، ويذهب هو إلى هذا الإقطاع وقت تحصيل وارداته[5]. ويشارك السلطان الأمير المقطع في تنظيم مؤسسته هذه، ويزوده بالفرسان الذين يحتاج إليهم في حماية إقطاعه، وفرض الأمن والاستقرار في أرضه، فتذكر المصادر أن نجم الدين أيوب قد رتب لجمال الدين بن يحي بن مطروح عُدة سبعين فارساً حينما ولاّه دمشق وإقطاعها

---

(١) بولياك. الإقطاعية، ص ٦٥. وشوفيل. صلاح الدين، ص ٩٢.

(٢) «الروك مصطلح يعنى الحبل دلالةً على عملية القياس، والروك الصلاحي هو مسح الأراضي الزراعية الذي قام به صلاح الدين لتعديل ما هو مفروض على البلاد من الأموال الخراجية بما طرأ على حال الأرض الزراعية من نقص وزيادة». انظر : ربيع. النظم المالية، ص ٤٢. وطرخان. النظم الإقطاعية، ص ٩٥، ٩٦.

(٣) ويذكر أن الصليبيين قد قاموا بمثل هذا المسح «الروك» سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م لمثل هذه الأغراض، حتى تتوفر لديهم المعلومات الكافية عن عدة قواتهم وإمكانياتهم، فرتبوا مزيداً من الضرائب للوقوف في وجه الأيوبيين لتحقيق أهدافهم من هذا المسح. انظر : ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٩٦ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٢٥٢. وطرخان. ص ٩٥، ٩٦.

(٤) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥٢. ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص ٩٢ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١١٧ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٧٠هـ و E.I.V.1, p. 801.

(٥) ابن شداد. النوادر السلطانيه، ص ٢٤٠. وأبو شامة. جـ٢، ص ٢٠٨.

سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م[1]، ويذكر لنا ابن واصل قوله : «فأقطع الملك الظاهر ميمون القصري عزاز وأماكن أخرى، وحمل إليه ثمانين ألف درهم، وخلقاً كثيرة له ولأصحابه، وعشرة رؤوس من الخيل العراب، وعشرة بغلات وعشرة زرديات ومائة ثوب ألواناً»[2]. أما إذا تهاون الأمير المقطع في الشروط المتفق عليها مع إدارة الدولة العليا، انتزع منه إقطاعه، وهذا ما تردد في المصادر حول تصرف السلطان صلاح الدين مع أمرائه في حصار عكا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وتصرف الملك الكامل الأيوبي مع أمرائه سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م فأخذوا منهم إقطاعاتهم.[3]

ويختلف دخل تلك الإقطاعات، فدخل إقطاع القاضي الفاضل كان خمسون ألف دينار سنوياً سوى ما خصص له في غيره[4]، وفي إقطاع قراقوش في بلاد الشام كان ثمانين ألفاً سنوياً[5]، وكانت عبرة إقطاع بهاء الدين بن شداد مائة ألف درهم في السنة[6]، ومغل إقطاع الصاحب بن شكر وزير العادل كان مائة وعشرين ألفاً[7]. وقد تسمى عبرة الإقطاع خبزاً، ولا يختلف الخبز بمعناه عن الإقطاع بوارداته، فيذكر في سيرة الملك الكامل الأيوبي مع أمرائه أنه «اقطع أخبازهم لمماليكه»[8]، والخبز قطعة من الأرض تمنح لأحد الأمراء ليستغل حاصلها، وتعني مؤونة الجندي المحارب في تلك الفترة[9]، مما يدعونا للقول بأنها كانت محدودة المساحة قياساً باتساع الإقطاع وتعدد وارداته التي ترد إلى خزينة الدولة[10].

---

(١) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٥٧ ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٢٣ ؛ وقارن الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص ٢٧٢.
(٢) انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٣١.
(٣) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٥٠٦ ؛ والنويري. جـ٢٩، ص ١١٨-١١٩ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٧٥.
(٤) ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٣٢٥.
(٥) ابن شداد. النوادر السلطانية. ص ٢٤٠ ؛ أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص ٩٢.
(٦) ابن واصل. جـ٥، ص ٩١.
(٧) الصفدي. جـ١٧، ص ٣٢٩.
(٨) النويري. جـ٢٩، ص ١١٨-١١٩.
(٩) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٤٠ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٦٦ ؛ والنويري. جـ٢٩، ص ٢٧ ؛ ودوزي ؛ تكملة المعاجم، جـ٤، ص ١٥.
(١٠) ابن شداد. ص ٢٠٩ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٤٩٠. «والغرارة مكيال دمشقي للحنطة وتساوي ٢٠٤,٥ كغم ويذكر أن الأيوبيين قد استخدموا الصاع كمكيال ويساوي ٣,٢٤٥ كغم» انظر : هنتس -

Text Stamp

المكوس والضرائب في ممالك الدولة الأيوبية :

«المكس هي الجباية والمكس هي دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع بالأسواق منذ العصر الجاهلي، والماكس هو العشّار، والمكس انتقاص الثمن في البياعة فنظر إلى هذه الوظيفة بأنها تنقص من الدين(١)، والمكس ضرائب مستحدثة جديدة فرضت على المتاجر وهي كالجمارك في أيامنا هذه، وتعتبر زيادة على واردات الإدارة المالية الإسلامية من خراج وجزية وزكاة وعشور»(٢).

والإدارة المالية شملت معظم المناطق، فنظر الأيوبيون إلى تلك الواردات التي ترفد خزينتهم من منظور شرعي، ومراعاةً لشؤون الناس وظروف معاشهم، فترد الإشارة إلى تعدد رسوم التجارة والضرائب ؛ فهناك الضرائب المستحدثة غير الشرعية «المكوس أو السحت»(٣) التي تقرر على بعض الدور التجارية، وكان لكل من هذه الدور ضامنها والقائم على أمرها، فما أن ينضم هذا الاقليم أو ذاك إلى ادارة الدولة ومؤسستها المالية فقد يقوم السلطان بإسقاط هذه المكوس ووقفها وإلغائها من ديوانه(٤)، وإن كان بعض السلاطين يعيدها بعد أن أسقطت عند من سبقه(٥). ومن المحتمل أن هذه المكوس الديوانية بقيت مفروضة على تجارات مختلفة في العصر الأيوبي، وتحددت نسبتها على كل سلعة بمساعدة سماسرة وخاصة على التجار الروم الذين يقومون بالبيع في الممالك الأيوبية حيث بلغ المكس خُمس البضاعة أحياناً(٦).

هذه الضرائب المتعددة قد تعطينا تصوراً عن الفعاليات الاقتصادية التي كانت سائدة في دولة بني أيوب والدولة التي سبقتها دولة آل زنكي، ونتتبع بالتالي سياسة الدولة المالية التي كانت أكثر حاجة لها في ظل الظروف العسكرية السائدة ؛ نظر

- المكاييل والأوزان، ص ٦٣، ٦٤.

(١) ابن منظور. لسان العرب، م٦، ص ٢٢٠.

(٢) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٩.

(٣) «سميت هذه الضرائب مكساً لعدم شرعيتها» انظر ؛ أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ١٠٤، ١٠٥. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٣٤. والنويري. جـ٢٩، ص ١٧. ديمومبين. النظم الإسلامية، ص ١٦٥.

(٤) أبو شامة. جـ٢، ص ٤٧ ؛ وعيون الروضتين، ق٢، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٥) المقريزي. الخطط، جـ١، ص ١٠٥.

(٦) المخزومي. المنهاج، ورقه ٦٣ ب، ٩٥ب، ٩٦ب، ٩٨أ.

الزنكيون ومن ثم الأيوبيون إلى هذه المستحدثات على أنها خارجة عن مألوف واردات الدولة الإسلامية في نظر الشرع والدين.

ونظراً لضيق حال المزارعين بهذه الضرائب مما يؤدي إلى هروبهم من أراضيهم وبالتالي خراب الأراضي الزراعية، فأنكرها الفقهاء(١)، وأصبح إسقاطها علامة بارزة في سياسة الأيوبيين المالية، رغم حاجتهم الماسّة للمال، وإن كان بعض ملوك بني أيوب يعيدونها لضيق موارد خزينتهم، واضطر بعض الملوك إلى وضع ترتيب خاص في إدارتهم المالية يضمن لهذه المنطقة أو تلك تعويضها من حاصل مال منطقة أخرى ووارداها(٢)، فيذكر أن ما أسقطه العادل من الضرائب في دمشق قد بلغ مائة ألف دينار.(٣)

تعددت أوجه أشكال هذه الضرائب وتفاوتت من فترة لأخرى ؛ فكان منها على الخمور والخواطئ «المحرمات»(٤)، ومنها هو مقرر على سوق الرقيق والدواب ودار البطيخ(٥) والعنب والملاهي والعصير والفحم والحديد وسباكي الفولاذ والزجاج(٦)، والشؤون الأخرى كالغناء وغيرها.(٧) ويبدو أن هذه الضرائب قد استمرت طيلة العصر الأيوبي، رغم ما يذكر عن بعض الملوك بطلبهم إلى الولاة إلغائها وإعفاء الناس من دفعها ؛ يذكر أن صلاح الدين قد أبطل هذه المكوس والمظالم التي استحدثها الفاطميون في مصر وكتب بهذا «المساميح» التي صدرت عن ديوانه(٨)، وعند دخوله

---

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٧٠ ؛ والكتبي. عيون التواريخ، جـ٢٠، ص ٢١.

(٢) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) م. ن، ق٢، ص ٦ ؛ وسبط ابن الجوزي. جـ٨، ق٢، ص ٥٩٥ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ٢٣٥ ؛ ابن الأزرق. بدائع السلك، جـ١، ص ٢٠٨ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٤١ - ٢٠٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٦١.

(٥) «دار البطيخ أو السلالين، سميت بهذا لحملهم السلال التي كانت تباع بها الفواكه بمختلف أنواعها» انظر ؛ ابن رجب. الذيل،جـ١، ص ٤٤٢ ؛ أبو البقاء. نزهة الأنام، ص ٦٢ ؛ وابن عبدالهادي. ثمار المقاصد، ص ٦٩.

(٦) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤٥١ ؛ وجبران. مملكة حماه، ص ٢٤٦. «فيذكر أن ضمان الخمر باثني عشر ألف دينار وضمان الأعناب كان سبعة وعشرين ألف دينار لزيادة عصيرها سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥م» المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٢٤، ١٣٦.

(٧) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٧٠.

(٨) السيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص ١٧ ؛ وابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٣٨ ؛ وماجد. ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٣٢١ ؛ والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٤٨.

دمشق ؛ أسقط ما استُحدث بعد وفاة سيده نور الدين، خلا ما أباحه الشرع مثل الزكاة والخراج والجزية والعشور[١]، وألغى مواضع التمكيس «الجمارك» التي استحدثها الصليبيون في بلاد الشام[٢]، يقول ابن جبير في رحلته : «وانتهينا إلى حصن كبير من حصون الإفرنج يعرف بتبنين وهو موضع تمكيس القوافل وصاحبته خنزيره تعرف بالملكة، فكان بيتنا أسفل ذلك الحصن، ومُكس الناس تمكيساً غير مستقصى، والضريبه فيه دينار وقيراط من الدنانير الصورية على الرأس، والدينار أربعة وعشرين قيراطاً.» فعندما فتح صلاح الدين هذا الحصن ألغى تمكيسه[٣]، ويذكر ناصر خسرو المتوفى سنة ٤٨١ هـ/١٠٨٨م، أن حلب كانت تمثل مركزاً للتمكيس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٤]، حيث تنطلق منها التجارة إلى بلاد الشام وديار بكر ومصر والعراق، وربما استمر دورها هذا حتى عهود لاحقة، ثم ما كان من أمرها حول سياسة ابطال المكوس المفروضة على تجاراتها المتنوعة في العصر الأيوبي ؛ حيث تتعدد الروايات بكتابة المناشير الخاصة بإسقاط مكوسها ومظالمها[٥] التي كثرت بعد أن ضعف أمرها بوفاة نورالدين وولاية ابنه الصالح اسماعيل، فسيّر صلاح الدين رسالته لديوانها «وأنهي إلينا أنه بمدينة حلب رسوما استمرت الأيدي على تناولها والألسنة على تداولها، وفيها بالرعاة إرفاق وبالرعايا إضرار، وقد رأينا بنعمة الله أن نبطلّها ونضعها وندعها، ويضرب عنها في أيامنا ونضرب عليها بأقلامنا»[٦]، وهكذا فعل في الرقه وغيرها بعد أن وجد أن في هذه الضرائب نوع من العبودية والرق، ومضرة بالرعايا أغنيائهم وفقرائهم، رغم أن بعض الملوك قد أعادوها إلى سابق عهدها[٧]، ويذكر أن صلاح الدين قد أسقط المكوس

(١) أبو شامه. الروضتين، جـ١، ق١، ص ٢٦، ٣٧، جـ٢، ص ٦٩.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٢٤٧ «ويذكر أن المكّاس في بغداد كان يلقب مختص الحضرة، ابن الجوزي. المنتظم، جـ١٨، ص ٧٨.

(٣) رحلة ابن جبير. ص ٢٧٤.

(٤) ناصر خسرو. سفرنامة، ص ٤٤-٤٥.

(٥) سيرد نص المنشور كاملاً في الملاحق. انظر : الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢١ ؛ وديوان ابن سناء الملك، ص ١٤.

(٦) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٩، ورقة ٣٠ ب - ٣١ب.

(٧) م. ن، خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ٥ أ - ٦ أ ؛ أبو شامه. جـ٢، ص ٤٧.

عن أهل مكة وبيت الله الحرام وسكانها ؛ فطلب إلى أميرها إعفاءهم من المكوس والرسوم مقابل أن يدفع له عوضاً عن ذلك من واردات مصر وأوقافها، «وكانت الضريبة سبعة دنانير ونصف مصرية»[١]، وكسب بذلك ود أهلها وأمن على قافلته من الاعتداء مع سوء الحال وضيق الموارد[٢]، وربما تابع الملك الأفضل سياسة والده الماليه، فنظر إلى هذه المكوس والمظالم أنها : «تخفف موازيين الأعمال، وإن كانت تثقل موازيين الأموال ولا خير فيما يبقى إصراً على حامليه : يسوّد صحائف الدواوين باثبات أقلامه»[٣].

ويبدو أن عملية جمع هذه الضرائب كانت تتم بالضمان، وذلك لصالح إحدى مؤسسات الديوان[٤]، فأبطلها العادل مخاطباً أحد الولاة : «لو استقام العود لما أعوجّ ظله ولو تنتهي أنت لانتهى غيرك»[٥]، وهذا ما يؤكد لنا بأن هذه المكوس قد كانت مستمرة في ممالك الشام قبيل حكم الملك العادل وبعده، فيذكر أن الملك العادل قد وظف الرجال ورفع لهم رواتبهم لمحاربة هذه الضرائب ومنعها وشدد على ولاته لمنع دخول المنكر إلى دمشق ومنع ضمان ما سلف ذكره، فيذكر أن بعض المغاني دخلت عليه، فسألها، فقالت : «ما قدرت أجيء وقد وفيتُ ما عليّ للضامن - ضامن القيان - فطلب واليه المعتمد وأمره بمنع هذا الضمان»[٦]. وهكذا كانت حمص في عهد شيركوه بن محمد بن شيركوه خالية من الخمر والمكوس[٧]، وأبطلت صفية خاتون بنت السلطان العادل -أم العزيز- المظالم والمكوس في حلب وما حولها.[٨]

وترد الإشارة إلى أن الملك المعظم عيسى قد أعاد المظالم وبعض المنكرات

---

(١) رحلة ابن جبير. ص ٣٠-٣١.
(٢) م. ن، ص ٢٣٢ ؛ والأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١٠٥ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٠٨.
(٣) ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ٩١-٩٢.
(٤) أبو شامه. ذيل الروضتين، ص ٨٩ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٧٥ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٦٥ ؛ والحريري. الاعلام والتبيين، ص ٩١.
(٥) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٥٢.
(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٩٥ ؛ وابن تغري بردي. جـ٦، ص ١٧٠.
(٧) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٦. ص ٢١٦.
(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٣١٣.

في حدود دولته ومملكته سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م مبرراً ذلك بضيق الموارد في خزينته وظهور خطر الصليبيين من حوله. «وضمّن هذا لأشخاص يتولون جباية هذه الضرائب مقابل دفعهم مبلغ من المال لخزينة المملكة»[١]. فأنكر عليه الفقهاء ذلك، مثل الإمام فخر الدين أبو منصور عبدالرحمن بن عساكر[٢]، ويذكر في أحداث سنة ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م وسنة ٦٤٢هـ/١٢٤٥م، أن المكوس قد كانت على حالها في دمشق، مما أثر سلبياً على اقتصاد المدينة وتجارتها[٣]، وهذا أدى لضيق الحال في حلب سنة ٦١٣ هـ/١٢٢١م وكان السبب في ارتفاع الأسعار في مختلف مدن بلاد الشام، وخاصة في مدينة حماه في عهد الملك الناصر سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م[٤].

واهتم الأيوبيون بتأمين المسالك التجارية الداخلية منها والخارجية، وحاصروا لهذه الغاية قلعة الكرك حتى تم فتحها، حيث كانت تمثل قطعاً للإتصال التجاري بين الشام ومصر[٥]، ثم ساعد السلاطين في تسويق السلع التجارية في أقاليم الدولة، فيذكر أن البضاعة قد كسدت عند بعض التجار في بلاد الشام سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م، فقال السلطان : «خذوها واكتبوا أثمانها إلى مصر ....» حيث كانت هذه السلع من روافد الخزينة برسومها وضرائبها المقررة عليها عند بيعها.[٦] وهكذا التجارة الخارجية «فتجار النصارى يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم»[٧]، ويبرر المستشرق الفرنسي كلود كاهن استمرارية التجارة في مثل هذه الظروف بالقول : «فالتجارة وتنقل التجار كانت موارد شبه مقدسة، فكان المس بها جناية كبرى، ولم تكن الحرب لتغيّر شيئاً من ذلك»[٨]. وكان على هؤلاء

---

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٩٧ ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٨٦ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٢٩ ؛ والحنبلي. شفاء القلوب، ص ١٨٢.

(٢) الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١١٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ٢٣٦.

(٣) سبط ابن الجوزي. جـ٨، ق٢، ص ٧٥٤ ؛ وآشتور. التاريخ الاقتصادي، ص ٣٠٦.

(٤) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٣١٢ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١٢٨.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٥٥.

(٦) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٨٦ ؛ وبدوي. القاضي الفاضل، ص ١٣٨.

(٧) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٥.

(٨) كاهن. الشرق والغرب، ص ١٧٧، ٢٦٢.

التجار بالإضافة إلى ذلك، دفع الضرائب على تجارتهم لخزينة الدولة، أو لصاحب الإقطاع الذي تمر به هذه التجارة، نظير الأمن الذي يوفر لهذه القوافل للحفاظ على سلامتها، فاستمرت الحركة التجارية نشطة بتراتيبها وتنظيمها، سالكة بمسالكها وطرقها طيلة العصر الأيوبي[1]. وتزودنا المصادر مايوضح صورة هذه العلاقات؛ يذكر في سيره أسد الدين شيركوه - صاحب حمص - بأنه : «جعل على التجار والمترددين إلى بلاده حقوقاً لم تجرِ بها العادة»[2] ومثلها كانت حلب ومختلف أقاليم الدولة وممالكها، حتى جعل بعض الأيوبيين تحصيل هذه الضرائب والرسوم بالضمان، فبلغ ضمان قصبة عكا سنة ٦١٢هـ/١٢١٦م مائة وعشرين ألف دينار[3]، ومثل هذه العمليات التجارية المستمرة اقتضت وجود الفنادق والخانات الخاصة بالتجار الغرباء، مما شجع على الاهتمام بالخانات على الطرق وترتيب القائمين على أمنها وسلامتها[4].

وإلى جانب هذه المكوس فقد تعددت الضرائب التي أصبحت مورد رئيسي لمالية الإدارة وخزينتها، وجمعت هذه الضرائب مباشرة من قبل مستخدمي الديوان أو بوساطة الضمّان[5]؛ ويذكر في أحداث سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م، أن سعر الأعناب قد غلى وارتفع وذلك لاحتكار الملك الأيوبي تضمين الرسوم المفروضة على عصيره وبلغ ضمانه سبعة عشرة ألف دينار[6]، حيث يتكفل هذا الشخص بجمع تلك الضرائب من الناس، مقابل دفعه مبلغاً من المال لخزينة المملكة وديوانها، هذا الديوان الذي كان من حقه تقدير قيمة هذه الضريبة، كما له الحق في تقدير تكلفة الإنفاق في أوجهها المختلفة[7].

---

(١) جب. صلاح الدين الأيوبي، ص ٢٠٤.
(٢) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٥١؛ والحميري. الروض المعطار، ص ٢٠٣.
(٣) ناصر خسرو. سفرنامة، ص ٤٤؛ وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٩٣؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١٩.
(٤) كاهن. الشرق والغرب، ص ١٧٣.
(٥) Elisseeff. Nur Ad-din, V. 3, p. 807 .
(٦) المقريزي. السلوك،جـ١، ق ١، ص ١٣٦.
(٧) بدوي. القاضي الفاضل، ص ١٠٦.

وتعتبر الزكاة من واردات بيت المال الإسلامي الرئيسة عبر العصور المتلاحقة، وفرضت على المسلم المالك للنصاب، فشدد بعض ملوك بني أيوب في طلبها وجمعها[١]. فيذكر أن صلاح الدين يوسف بن أيوب قد حرص على جباية أموال الزكاة على الذهب والفضة وعروض التجارة والماشية والمزروعات، وتطور مفهوم الزكاة فجمعت على بضائع المسافرين، يجمعها وكلاء الديوان حتى ولو لم يمضِ عليها الحول، وأصبحت توكل جبايتها أحياناً بالضمان حتى ضاق بها الناس[٢]، فيقول عبدالرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن المسحف عندما طلبه الملك المعظم دفع زكاة أمواله : «وكيف يقوم بالزكوات من لا يصوم ولا يحج ولا يصلي»[٣].

ويذكر أن أرباب ديوان الزكاة قد ألزموا سيف الإسلام طغتكين -أخو صلاح الدين- عند قدومه من اليمن إلى بلاد الشام بدفع زكاة متاجره[٤]. ويقول ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٨م، في رحلته للإسكندرية مع مطلع العصر الأيوبي :«فمن أول ما شاهدنا فيها أن طلع أمناء المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما جلب فيه، وسؤل كل واحد عما لديه من سلع أو ناض -دراهم ودنانير- ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل»[٥]. ويحدثنا المخزومي عن الزكاة وأهميتها في الإدارة المالية الأيوبية، حيث يتولاها مستخدمون يتولون تقدير المال على أصحاب التجارات «أرباب الأموال» بالتفصيل، فإذا تأخر شخص عن أدائها أخذت منه، وترفع حساباتها لديوان بيت المال بوصولات تتضمن قدرها والشهر والسنة اللذان جمعت لهما، ويذكر اسم مشارفها والجهبذ الذي ينضم حساباتها، ثم يشار إلى أنواع التجارات المفروضة عليها وقدرها حيث فرضت على كل مئة دينار، ديناران ونصف، وإذا ما كانت عيناً

---

(١) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٢٨٥.

(٢) المخزومي. المنهاج، ورقه ١٠ب. وابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٣٠٨-٣١٠. وربيع. النظم المالية، ص ٥٤-٥٥. Elisseff. Nur Al-Din, p. 3, p. 809.

(٣) الكتبي. جـ٢، ص ٢٨٥.

(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٥٢٤.

(٥) رحلة ابن جبير. ص ١٣. والمخزومي. ورقه ٨٥ب.

قدرت قيمتها، ففرضت على الغلات المختلفة كالقطن والكرم والنخل، وكذلك على المواشي، ويتولى مشارف الزكاة بحضور شاهدي الإنفاق توزيع أسهمها ونفقاتها «للفقهاء والصلحاء وأهل الخير» وقد يستخدم في كل كورة نائباً عن المشارف، ويتبعه كاتب يدون الوارد والصادر في كل يوم[1]، وممن تولى ديوان الزكاة في بلاد الشام، نجم الدين حسن بن سالم بن علي بن سلام الدمشقي المتوفى سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م[2]، وتولاها في مصر القاضي الأسعد بن مماتي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م[3].

وأخذت الجزية وضريبة الجوالي - من أهل الذمة - مقابل تأمينهم على أنفسهم ومساكنهم وأموالهم وحماية كنائسهم وضمان حرية العبادة لهم، فيذكر أبو شامة بعد فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م: «وأما النصارى الساكنون بالقدس فإنهم بذلوا مع القطيعة الجزية ليسكنوا ولا يزعجوا ويؤمنوا ولا يخرجوا وأقر من قسوس النصارى أربعة قوام لقمامة..»[4]، وتولى جمع هذه الضرائب مستخدمون من بيت المال، مثل المشارف والعامل والجهبذ، فُرضت لهم بعض الرسوم -الجامكية- من وارد ما يجمعونه من الضريبة التي كانت تحصّل في أواخر كل سنة هجرية لا شمسية نظراً لتسابق الشهورالعربية على شهور السنة الشمسية، حيث يتم عمل جرائد ورقاع خاصة بهذه الضريبة، فيذكر أسماء الأشخاص وطبقاتهم والمبلغ المقرر على كل منهم وهذه الرقاع خاصة بكل ناحية من نواحي الدولة، ويذكر اسم الشهر الذي بدء فيه بالجباية ومبلغ ما دفع عن كل واحد من أهل الذمة، وإذا ما أتم الجهبذ جمع الضريبة في يوم معين أخرج وصولاته، فيكتب المشارف والعامل عليها بالمقابلة والموافقة، وربما تتم هذه المقابلة لضرورة كتابة نسختين من كل وصل ثم ترفع هذه الحسابات إلى الديوان بعد تصديقها: «رفعها فلان

(١) المخزومي. المنهاج، ورقه ٨٣ب - ٨٦أ. والمقريزي. الخطط، جـ١، ص ١٠٩.
(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٢٦.
(٣) المقريزي. الخطط، جـ١، ص ١٠٩.
(٤) أبو شامة. الروضتين. جـ٢، ص ١١٥ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٣١٦ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٣١.

ابن فلان جهبذ الجوالي بالأعمال الفلانية فالمستخرج في اليوم الفلاني بمشارفة فلان بن فلان، وتولي فلان بن فلان» وعلى كل من يتولى ضريبة الجوالي هذه أن يطلب من عاملها السابق تقريراً مفصلاً عما حَصل من أهل الذمة سابقاً[١]. أما في باقي إقطاعات الممالك فالمقطع هو من يتولّى جمع ضريبة الجوالي[٢]. ويذكر أن نصابها قد يعادل نصاب الزكاة عند الشخص المسلم ؛ ويحدثنا المخزومي عن الجزية في مصر بأنها «كانت من الغني أربعة دنانير وسدس ومن المتوسط ديناران وقيراطان ومن الفقير دينار واحد وثلث وربع وحبتان، ثم يذكر بأن أكثر أهل الذمة كانوا من الطبقة السفلى».[٣]

ومن واردات الخزينة كذلك الفتوح الجديدة، فإذا ما فتحت بلاداً، قرر عليها القطيعة «الضرائب» وكلّفت من المال ما كانت تستطيع أداؤه بعد أن يقسم السلطان هذه الأراضي[٤]، فتكون الدولة هي المالك الحقيقي لكل الأراضي التي تشملها سيادتها سواء ما كان منها بأيدي المسلمين أو بأيدي غيرهم[٥]، فيذكر أن الممتلكات الكنسيّة التي كانت وقفاً على الأماكن الدينية المسيحية قبيل الفتح الأيوبي قد استمرت في أداء دورها بعد الفتح وخاصة في القدس والناصرة وبيت لحم واللد والرملة وصيدا.[٦]

سميّت الواردات من الجزية أو ما جمع من أوقاف هذه الممتلكات بالعبرة، فيذكر القاضي الفاضل في مياوماته أن عبرة البلاد سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م كانت (٥٣,٦٢٩) ثلاثاً وخمسين ألفاً وستمائة وتسعة وعشرين ديناراً، وتولّى جبايتها أبو الكرم بن معصوم العاصمي التنيسي، فجمعها عيناً بعد أن جباها من كان قبله نقداً[٧].

---

(١) المخزومي. المنهاج، ورقة ٧٧ب، ٧٩ب، ٨١أ.
(٢) ربيع. النظم المالية، ص ٤٥-٤٦.
(٣) المخزومي. ورقة ٧٧ب. نوري. سياسة صلاح الدين، ص ٤٢٦-٤٢٧.
(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٤٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٩٥.
(٥) مونروند. الحروب المقدسة، م٢، ص ١٠٠.
(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ ١٢، ص ٤٨٣. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٤١. والبيشاوي. الممتلكات الكنسيّة، ص ٢٢٦، ٢٤٥.
(٧) المقريزي. الخطط، جـ١، ص ١٠٠.

ويسترسل المخزومي الحديث عن عبرة الإقطاع لكل سنة في حينها : «العبرة المستقرة والعبرة الزيادة»[١]، وترد الإشارة إلى أن الخراج قد حصّل على الأراضي الزراعية حسب مساحة الأرض، وتقاس هذه المساحة بالفدان، فتكون ضريبتها أردبين ونصفاً للفدان الواحد[٢]، وتؤخذ على الغلال المختلفة مثل القمح والشعير والفول والحمص والجلبان والعدس، وهكذا المعادن المختلفة[٣]، خلا ما يستثنى حشاراً -المراعي- كاقطاع عام يستفيد منه الناس جميعاً فلا يقرر عليه خراج.[٤]

وتعد المواريث الحشرية مورداً هاماً من موارد بيت المال الأيوبي، هذه المواريث التي يحكم بها الشرع فتقسّم حسب حكمه، وما بقي منها لخزينة الدولة، وهكذا حصيلة ديوان الأحباس والأموال الهلالية من ايجارات شهرية على المساكن السلطانية وغيرها، وكذلك الأحكار الخاصة بالضرائب المقررة على العقارات والمصالح التي يتم تحويلها إلى منافع عامة، وموارد أخرى للخزينة من حاصل دار الضرب والعيار، ولكن لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن كل هذه الموارد أو بعضها قد تعرضت لعوامل وتقديرات متفاوتة تبعاً للظروف السائدة لإدارة الدواوين التي أخذت على عاتقها ترتيبها وتنظيم أمرها وعمل -الروك- الدوري لما يطرأ ويستجد على حالة هذه الأراضي والموارد من تغيّرات.[٥]

دار الضـــــرب :

استخدم الأيوبيون النقود[٦] التي كانت سائدة عند من سبقهم وعند الدويلات

---

(١) المخزومي. المنهاج، ورقه ١٧٨أ، ١٨٢أ.

(٢) «تبلغ مساحة الفدان ٤٢٠٠ متر مربع ويبلغ وزن الحنطة للأردب ٧٣,١٢٥ كغم ويبدو أن هناك اختلاف بين المقاييس المصرية والمقاييس الشامية، فكل مائتان وستون رطلاً بالمصري ثلاثة وأربعين رطلاً بالشامي» انظر : المخزومي. المنهاج، ورقه ٧١ب. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٥٨، ٩٨؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٤٢٦.

(٣) ربيع. النظم المالية، ص ٤٠.

(٤) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٧٧، ٧٨، ١١٢.

(٥) للمزيد انظر : ربيع. ص ٤٠- ٥٧.

(٦) «تسمى دار ضرب النقود دار العيار ودار السكة، والسكة هي دينار والدرهم المضروبين، لأنهما طبعا بالحديدة المعلمة لهما، وقد تعنى السكة سكة المحراث، لذا الأرجح أنها النقود حيث اشتقت من الكلمة اللاتينية Numiasma والتي تعنى النقود، أحد فروع علم النميات التي تشمل الأوزان والأختام كذلك». انظر : ابن منظور. لسان العرب، مادة سكك، م ١٠، ص ٤٤٠-٤٤١.

المعاصرة لهم، إلى جانب استحداثهم عملة خاصة بهم، حيث يمثل النقد مدى نفوذ الحاكم ويعتبر شارة من شارات السلطنة الأيوبية في مختلف إقطاعات الإدارة الأيوبية وممالكها، وتمثل دليلاً واقعياً على تطور البُنى المؤسسية، فعلى النقد يضرب اسم السلطان مع ذكر بعض العبارات بدلائلها حتى قيل أن دار الضرب هي «أسرار المملكة وناموس السلطنة»[١]، حيث حدد صلاح الدين في صدر دولته الأسس الرئيسة لناظر دار ضربه وسك نقوده، فجعل لها شكلها وتنظيمها الخاص[٢]؛ واختلف المؤرخون في تحديد مراكز دور الضرب هذه، فيذكر البعض أنها كانت في بلاد ما بين النهرين وفي مصر وفي بلاد الشام[٣]، واستطاع الباحث الإطلاع على نماذج من النقود الأيوبية، وكانت دراهم في معضمها، وكان أول دينار أيوبي ضربه صلاح الدين في دمشق بمناسبة فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وهذه النقود كانت بتقسيمات هندسية مختلفة بوجهين؛ الأول ضرب عليه لقب الخليفة العباسي واسمه، ومكان الضرب وسنته، والثاني ضرب عليه لقب السلطان واسمه، وبعض الآيات القرآنية، فعلى احدى الدراهم برز على الوجه : «الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين، لا إله إلا الله محمداً رسول الله وعلى الخلف ذكر : «الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب» ضرب بحلب سنة إحدى وثمانين وخمسمائة»، ويذكر من مراكز الضرب كذلك الرملة وغزة[٤]. ويحدثنا أبو شامة بأن صلاح الدين قد ضرب ما يسمى «بالدرهم الناصري» في حلب، وولّى ديوان دار الضرب هذه اسماعيل بن العميد الدمشقي[٥].

---

(١) ابن بعرة. كشف الأسرار، ص ٤٥ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ١٢٤ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٣١.

(٢) الأسدي. التيسير والإعتبار، ص ١٢٦.

(٣) المخزومي. المنهاج، ورقه ٧٢ب. وشاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ١٤٣.

(٤) للمزيد حول أشكال النقود الأيوبية ونقوشها انظر ؛ المسكوكات الإسلامية. ص ٧٢-٧٦. وشما. النقود الإسلامية، ص ٥٧. ومسكوكات العالمين القديم والإسلامي. ص ٧٤-٧٥. وخلف الطراونة. دراهم فضية وفلوس أيوبية، ص ٨٥-٩٢. وسهام محمد المهدي. دينار صليبي باسم صلاح الدين، ص ٧٩-٨١.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٤٧.

ومن هذا وذاك نستخلص الحديث إلى وجود موظفين في دور الضرب هذه مثل : القاضي فيتولى الاشراف على دار الضرب بتقليد سلطاني، ويتبعه نواب يتولون الاشراف على افتتاح الدار ومتابعة أمورها، ثم متولي العيار والمشارف الذي يتولى المخازن وحفظ العيار، وتحت يده السجلات بما فيها من بيانات، ثم الشاهد الذي يتولى الشهادة على ما تحتويه دار الضرب من خلال التقارير الدورية الخاصة بتلك السجلات، وهناك المقدم المختص بالسبك واختبار المواد المعدنية، من حيث الوزن فيثبت ذلك في ديوان الضرب وسجلاته، ومن حيث الختم فله المنع في احداث فروع خاصة لدار الضرب السلطانية «ويمنع الاقتراب من كور صهر المعدن ....» حفاظاً على نقائه، ثم هناك العامل النقّاش الذى يتولى النقش على السكة والاشتغال بالرسومات على وجهها، ويتولى صيانتها، وترد الاشارة إلى وظيفة الضّراب والسباك الذي يقوم بتحمية المعدن وصهره[1]، ويذكر أن العناصر المختلفة بمللها قد اشتركت في صناعة العملة وخاصة اليهود الذين تقدموا في سبكها والمتاجرة بها منذ عصور سابقة.[2]

وتضاربت الآراء كذلك في نوعية النقود وعيارها، فبدءاً نلاحظ أن دخل الدولة قد قدر بالعبرة وبما يسمى بالدينار الجيشي[3] لاستعمالات ديوان الجيش، هذا الديوان الذي أشرف على عبرة الإقطاعات وتولى جمع وارداتها إلى الخزينة، وربما كان هذا الدينار مسمّى لأحد فئات العملة المستخدمة بمصدرها وقيمتها بدينار ذهبي واحد[4]، سواء ما كان منها الدنانير الصورية المنسوبة لمدينة صور الفاطمية ثم الصليبية بعد احتلالهم لها[5]، أو الدنانير الناصرية المنسوبة لصلاح الدين

(١) المخزومي. المنهاج، ورقه ٧٢ب، ٧٤أ. وابن بعرة. كشف الأسرار، ص ٩٠ - ٩٣ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) جبران. مملكة حماة، ص ٢٧٥.

(٣) «الدينار الجيشي دينار فرضي غير حقيقي اختلفت قيمته من فترة لأخرى، استخدمه الأيوبيون في عطائهم لأجنادهم من الأتراك والأكراد والتركمان».
انظر : ابن مماتي. قوانين الدواوين، ص ٣٦٩. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٢. ص ٦٤.

(٤) ابن مماتي. ص ٣٦٩. والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٩ ؛ والبقلي. التعريف، ص ١٤٠ ؛ وربيع. ص ٦٤ ؛ و E.I.V.I, p. 800.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٨ ؛ والنابلسي. لمع القوانين، ص ١٤ ؛ وربيع. ص ٩٨.

الأيوبـــي[١]، أو القـراقـوشـيـة نسبـة إلى بهـاء الدين قـراقـوش مـملوك صـلاح الدين وقائده[٢]، أو الدنانير المصرية نـسبة إلى مصر إحدى ممـالك الدولة الأيوبية ومركز سلطنتها.[٣]

إذاً قد اختلفت النقود التي تعـامل بها الناس في ظل الحكم الأيوبي، وتفـاوتت في قيـمتهـا ومقـدارها من آونة لأخرى[٤]، ويمكننا القـول باستخـدام عملة أقل قيـمة من هذه سـميت «بيـزنط عـربي» وغلبت في صناعـتهـا مـعـادن دون الذهب[٥]. وهكذا كانت الدنانير الصورية أرفع قيمة وأدق عيـار من الدنانير المصرية «فيتفاوت صرف المصـري بالصوري» نظراً لنسبة المعـدن الخالص في سكه[٦]، فيـذكر أن عيار الدينار الذهبي عـند الأيوبيين قـد وصل إلى (٤,٧٢٢) غم[٧]، ثم تفـاوتت قـيـمتـه نتيـجـة للاضطرابات التي عاشتـها الممالك الأيوبية في بلاد الشام، فـعزّ على الإدارة الحصول على كـميـات وفيـرة من الذهب، وكـثرت الديون عـلى خزانتـها، فـخـفضّت في قيـمـة المعدن حـتى وصلت إلى (٥٠٪) أحياناً، ووجدت نقـود أقل قيمة كـالدراهم وما سميّ بالقراطيس السود العادلية والفلوس النحاسية الكاملية[٨]، ووجدت نقود ورقية كذلك[٩]. واسـتخـدم الأيوبيـون في معـامـلاتهم المالية بمـا يسمـى بالحوالة أو السـفـتجـة، هذه القيمة النقدية التي يتولّى توثيقها شاهد بيت المال الأيوبي أو متولي الديوان[١٠].

ويحدثنا المخـزومي عن الرسوم المقررة على دار العيار، فلكل ألف دينار، دينار واحـد وثلثان أجـرة لدار الضـرب، وأجرة الضـرابين عن كل ألف دينار، ثلاثة دنانيـر

---

(١) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٧٨.
(٢) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٢.
(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٧٣.
(٤) أبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٢٢٤ وما بعدها ؛ وجبران. مملكة حماة، ص ٢٦٨.
(٥) كاهن. الشرق والغرب، ص ١٨٠، ٢٥٦.
(٦) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٥٨ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢١٨ ؛ وابن واصل. جـ٢، ص ١٧٣.
(٧) هنتس. المكاييل والأوزان، ص ١٠.
(٨) ســبط ابن الجـوزي. مـرآة الزمـان، جـ٨، ق٢، ص ٦١٢ ؛ والنويري. نـهـايـة الأرب، جـ٢٩، ص ٦٧ ؛ والدواداري. جـ٧، ص ٢٧١ ؛ وآشتور. التاريخ الاقتصادي. ص ٢٨٧ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٩٤، وما بعدها.
(٩) المخزومي. المنهاج، ورقة ٧٣ب، ٧٤أ.
(١٠) م. ن، ورقة ١٠٣أ. والأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١٤٠ ؛ وابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٨.

ونصف، ونصف دينار شهرياً للوقادين بالإضافة إلى ما يحدده ناظر دار الضرب لباقي المستخدمين من عامل ونقاش وغيرهم[١].

وفي ختام حديثنا عن الديوان لا بد من الإشارة إلى التقويم المستخدم لتحصيل الأموال، فقد نظمّ الديوان عمله[٢]، وحَصّلت الأموال لكل طبقة بعينها، فكان العمال يصنعون جرائدهم على حروف المعجم، لتسهيل الخدمة الإدارية وتسريع الأداء، وعلى هذه الجرائد تعليقات كل من المشارف والعامل والجهبذ بتأريخها وقيمتها ونوعها ؛ عيناً كانت أم نقداً[٣]، ووضعت لهذه الغاية بما تعرف «بالروزنامجية» كسجل خاص بتقسيم أيام السنة حسب ايرادها وإنفاقها[٤]، وحاول بعض السلاطين رسم سياسة إيراد موحدة إلى خزانتهم، كأن يجمع خراج الأرض لكل سنة حسب حصادها، لا أن تكون الغلات منسوبة إلى السنة التي قبلها، مما كان يوقع الاضطراب المالي والنقدي، ويؤدي إلى تدني مستوى المحصول من هذه الأرض، فأخذت الجزية في مصر هلالياً مع مطلع محرم إلى آخر ذي الحجة «أي وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية» وعلى هذا السياق تنظم حساباتها كل عام، أما الزكاة فإنها تجمع بعد أن يمر حول، اثني عشر شهراً على اكتمال النصاب ؛ يقول المخزومي :«والزكوات وحولها على ما يستقبل به ملك النصاب، وهو إن كانت سنة هلالية اثنتي عشر شهراً، فإنها تختلف باختلاف ابتداء ملك صاحب المال، فينظم حسابها من أول محرم إلى آخر ذي الحجة»[٥].

---

(١) المخزومي. المنهاج، ورقه ٧٣ب-٧٤أ.

(٢) الحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٣٨.

(٣) المخزومي. ورقة ٧٩ب.

(٤) «الروزنامجية كلمة أعجمية فارسية، والرو تعنى اليوم، والنامج ناماه فهي الكتاب، أي كتاب كل يوم وتعني تقويم السنة وحساب أيامها وتقسيم الأزمنة» انظر : المخزومي. ورقة ٣٩ أ، ٤٢أ وما بعدها، ٨١أ. ودوزي. تكملة المعاجم، جـ٥، ص ٢٤٧.

(٥) المخزومي. ورقة ٤٢ب، ٧٥ب ؛ وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ص ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.

الفصل الرابع

إدارة المؤسسة العسكرية الأيوبية

* تمهيد

* إدارة الجيش

«الحلقة السلطانية وفئات الجيش، ديوان الجيش، الإقطاع العسكري، زي العسكر، التموين».

* ولاية الشحنة

* ولاية الحاج

* ولاية القلاع

* البريد والمخابرات

تمهيـــــــد :

قبل الحديث عن التنظيمات العسكرية الأيوبية، لابد من معرفة ما كانت عليه التنظيمات العسكرية الزنكية، التي تعد الأساس في تطور المؤسسة العسكرية الأيوبية، إذ كان الأيوبيون قد ورثوا عن أسلافهم الزنكيين الكثير من هذه التراتيب العسكرية، والتي سنستطرد في الحديث عنها في الصفحات اللاحقة. فالقيادة العسكرية كانت هي من مهام نورالدين محمود بن زنكي، ووجد إلى جانبه ما يعرف بالمقدم الذي يتولى قيادة الفرق العسكرية والإشراف على تدريبها، ومن مقدمي جيوش نورالدين محمود بن زنكي، أسد الدين شيركوه بن شاذي وغيره(١)، فعرف الزنكيون ديوان الجيش «الإقطاعات» بناظره وموظفيه، وترد الإشارة إلى أن هذا الديوان تولى توزيع الإقطاعات والجامكية على أمراء الأجناد في الوقت الذي يحدد فيه ما على كل مقطع من عسكر يقدمهم لإدارة الدولة عند الحاجة(٢)، وكان لهذا الديوان كتّابه ولا يتولى الكتابة إلا الثقات من أمراء الدولة الزنكية(٣)، فيذكر من كتاب الديوان ، أبو سالم بن عبدالرحمن الحلبي المتوفى سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م(٤). ومن التنظيمات العسكرية الديوانية ما يعرف بقاضي العسكر، وتولاه في عهد نورالدين، شمس الدين بن النحاس(٥) وإلى جانب هذه التنظيمات العسكرية، نظمت القلاع بحامياتها من مثل قلعة دمشق، وقلعة حلب، وقلعة حماة(٦)، مما دعا الزنكيون لتولية ما يعرف بالدزدار عليها(٧)، ومن هؤلاء الولاة نجم الدين أيوب بن

---

(١) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٤٠. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٣٨.

(٢) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٨٣. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٤٠. وابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٠٧.

(٣) ابن القلانسي. ص ٣٥٣. وابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٩٦. وسعيد عاشور. نظم الحكم والإدارة، ص ٢٤٥-٢٤٦. والمعاضيدي وآخرون. الوطن العربي، ص ١٣٥.

(٤) ابن القلانسي. ص ٣٥٢.

(٥) ابن أبي الهيجا. تاريخ، أحداث سنة ٥٦٩هـ.

(٦) Elisseeff, Nur Ad-Din, V.3 pp. 715- 714.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ٢٢٦، ٢٣٩. وابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٢٤. «والدزدار هو حافظ القلعة وواليها وماسكها» انظر ، ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٣٤١. وأبو شامة. ص ٧٦.

شاذي -والد صلاح الدين-[١]، وشاذبخت الخادم النوري، دزدار قلعة حلب[٢]، ثم وليها شهاب الدين اسحاق بن أميرك الجندار[٣]. ووجدت امرة السلاحدارية في دولة آل زنكي[٤].

ونظم الزنكيون ولاية الشحنة، وقامت بحفظ الأمن والنظام في المدن والطرق المؤدية إليها، وتولاها الأمير الحاجب[٥]، ويذكر البعض أن نور الدين قد أبطل عمل الشحنة وأوكل مهامها للقاضي[٦]، وربما يكون على حد قول أبو شامة المقدسي المتوفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، قد أبطل الشحنكية، إلا أن انتشار الفساد وانعدام الأمن قد جعله يعيد ترتيب نظام الشحنة في دولته[٧] إذ ترد الإشارات إلى تطور ولاية الشحنة منذ أن كان الزنكيون ولاة للشحنة في الدولة السلجوقية ؛ فيذكر أن الأتابك عماد الدين زنكي -مؤسس الدولة-، قد تولى هو نفسه شحنكية بغداد بعد وفاة أبيه قسيم الدولة أقسنقر[٨]، ثم شحنكية البصرة سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، حيث ولاه إياها السلطان ملكشاه السلجوقي[٩]، وتعاقب على ولايتها ؛ تورانشاه وأخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب في عهد نور الدين محمود بن زنكي[١٠]، ثم السلار زين الدين

(١) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ١١٨، ٢٤١. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٠، ص ٤٨. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق ١، ص ٤١، ٤٢. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٩.

(٢) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٤٩. وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٥٤. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٠٨.

(٣) ،الجندار هو الذي يستأذن في دخول الأمراء على السلطان للخدمة، انظر ؛ ابن منقذ. الاعتبار، ص ٢٠٠. وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٢، ص ٣١١، جـ٣، ص ٤٨. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ١٣١.

(٤) ،السلحدار هو من يتولى حفظ خزانة السلاح، انظر ؛ ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٢، ص ٣٠١. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ١٨٤. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ١٢٣. والسبكي. معيد النعم، ص ٣٤.

(٥) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٥٥. وأبو شامة. جـ١، ق ١، ص ٣٠٥. وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٢١٧. وابن الفرات. تاريخ، م ٤، جـ١، ص ١٠٨. والمعاضيدي. الحياة السياسية، ص ١٨٢. Elisseeff. Nur Ad-Din. V. 3, pp.825, 833.

(٦) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١١٨. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ٢٧. وابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ٤٠.

(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ٣٢.

(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص ٣١. وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ١، ص ٢٤٢.

(٩) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ١٨٩.

(١٠) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ق ١، ص ٢٥٠-٢٥١. والحياري. صلاح الدين، ص ٣٢. والعريني. الأيوبيون، ص ٢٩.

اسماعيل في حلب[١]، ثم محمود بن الختلوا[٢]، ثم بدر الدين حسن ابن الداية[٣]. وإلى جانب هذه التنظيمات الإدارية التي ورثها الأيوبيون عن الزنكيين، يذكر أن نور الدين محمود بن زنكي هو أول من نظم شؤون البريد الجوي للأغراض العسكرية، فاتخذ الحمام الزاجل لتسيير مراسلاته[٤].

إدارة الجيش:

عاش السلطان الأيوبي الأول حياة عسكرية فبنى وحصّن، وسعى لإيجاد مؤسسة عسكرية دائمة بعناصر الجيش الثابت المسجل في الديوان إلى جانب جند الممالك الأخرى الذين يستعان بهم عند الحاجة[٥]، فتذكر المصادر بأن الجيوش الأيوبية كانت تنطلق من مدينة دمشق وتعود إليها، فمن دمشق توجهت القوات للإغارة على الكرك وطبريا وحطين، وهذا ما يدعونا للقول باهتمامهم بالجيش وإعداده وتدريبه في منطقة الجابية قرب دمشق[٦]، وأقيمت للجيش بها دور خزن السلاح «السلاح خاناة» لتحفظ بها إلى حين الحاجة.[٧]

قاد صلاح الدين جيوشه بنفسه، وكان بمثابة القائد العسكري العام ولقب بألقاب الحرب[٨]، وقد توفرت المؤهلات القيادية في شخص صلاح الدين قبل تولّيه السلطنة، فتذكر المصادر أنه شارك عمه أسد الدين شيركوه بحصار دمشق وهو في الرابعة عشرة من عمره فلذلك أقطعه نورالدين محمود بن زنكي إقطاعاً ورتب له قوة صغيرة من المماليك عرفت باسمه فيما بعد، ومارس فن القيادة العسكرية مبكراً[٩].

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ١٦٥.
(٢) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٨٧-٨٨.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ٢، ص ٥٨٥. وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٤٩.
(٤) أبو شامة. ص ٥٢٠. Elisseeff, Nur Ad-Din V 2, p 784.
(٥) الكيلاني. هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص ٢٦٨.
(٦) «الجابية قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان» ياقوت. معجم البلدان، جـ٢، ص ٩١.
(٧) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٢، ص٣٠١. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص٢٢٢. وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١١٧-١١٩ ؛ والمومني. القلاع الإسلامية، ص ١٠٢-١٠٣.
(٨) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٣٠٢ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٥٠ ؛ و Gibb. saladin. p. 59.
(٩) الحياري. صلاح الدين، ص ٢٥، ٣٠، ٤٠ ؛ وجب. صلاح الدين، ص ١٥١ ؛ و Ehrenkteutz. Saladin, p.p. 32-33.

وشارك أمراء البيت الأيوبي في الحملات العسكرية كل ملك على جنده وخاضوا غمار المعارك وهذا ما يدعونا للقول بأن لكل مملكة قواتها الخاصة بها ، فتذكر المصادر أن عدد ملوك بني أيوب في إحدى معارك سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م كانوا أربعة عشر ملكاً، وشارك في المعارك أيضاً أبرز رجالات الدولة الأيوبية من مثل حسام الدين لاجين وصارم الدين قايماز النجمي وحسام الدين بشارة وبدر الدين دلدرم الياروقي أمراء الجيش النظامي الثابت، وكان لقادة الجند من أصحاب الأقاليم والإمارات المستقلة من مثل : صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة كان لهم دوراً قيادياً مهماً في تنظيم المعارك، وكان لمماليك صلاح الدين وأمراء القبائل على اختلاف مكانتهم الواجبات التي يتولون القيام بها أثناء سير المعارك[1]، ومن هؤلاء جميعاً كان يتكون مجلس حرب صلاح الدين[2].

وقاد صلاح الدين المعارك بالمرابطة والمثابرة وازدياد ثقته بنفسه وبعساكره، فيقول ابن شداد : «وما رأيته استكثر العدو أصلاً ولا استعظم أمرهم قط ....» وثابر صلاح الدين على متابعة سير المعارك بنفسه حتى وصف بانه «كالوالدة الثكلى بين جنده»[3].

يتخذ القائد خيمة «خركاة» خاصة به وسط عساكره، وتنظم هذه الخيمة لما تتطلبه طبيعة العمليات الحربية، أو قد يجد القائد العام في خيمة أحد أمرائه المكان الأنسب لعرض خططه العسكرية[4]، ويتولّى القائد توزيع عساكره على مواقعهم، ويحدد لكل فرقة مهامها على حسب موقعها وقوتها، ويجعل لكل فرقة أميرها، وهذا الترتيب يسبق بدء المعركة، تدريباً على القيام بمهامها فيقول لهم : «إذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة عساكرنا وصورة مواردنا ومصادرنا ومواضع

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ٢. ص ١٧٩. ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٥٧.

(٢) سيشار بعد قليل لمجلس الحرب.

(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٣٠. وابن منكلي. التدبيرات السلطانية، ورقة ٢٧ ب.

(٤) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ٧٢ أ ، والأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٥٦ ، أبوشامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٦٥٨ ، وابن أبي أصيعة. عيون الأنباء، ص ٦٥٢ ، وابن خلدون. تاريخ، جـ٥. ص ٢٨٤ ، و Minorsky. Saladin, p.p. 139-140.

أطلابنا ...»[١]. وهذا هو دور القيادة العامة وخاصة في حالة الحرب، وكانت لهذه القيادة أعلامها المرفوعة، وكوساتها[٢] المعروفة التي تعطي دليلاً على استمرارية القيادة، وعدم التفكير بالهزيمة[٣]، ولا بد من العودة للقائد العسكري العام في اتخاذ القرار النهائي الخاص بنتائج المعركة ؛ فانتظر من صلاح الدين أوامره ونواهيه لحساسية مثل هذه المواقف ودقتها[٤]. أما التنظيمات الأساسية في الجيش الأيوبي التي قامت بدور هام في حالة السلم والحرب معاً فهي :

الحلقة السلطانية وفئات الجيش :

تحدثنا في الفصل الأول عن فئة المماليك الأتراك الذين ارتبطوا ببعض أمراء الأسرة الأيوبية وإقطاعاتهم منذ العهد الزنكي، ومن هؤلاء المماليك تكونت الحلقة السلطانية، التي ترافق السلطان في حروبه، فتوجه صلاح الدين بسبعمائة فارس من المماليك الأتراك إلى بلاد الشام[٥]، وعرف هؤلاء بالصلاحية أو الناضرية فيما بعد[٦]، ثم ضم إليهم المماليك الأسدية -نسبة إلى عمه أسد الدين شيركوه- وكان عددهم خمسمائة رجل[٧]، ومنهم تكونت نواة الجيش الأيوبي وظهر منهم أبرز قادته[٨]، فتم بهم فتح برزية وبعض المواقع الأخرى[٩]. ويبدو أن هؤلاء المماليك الأتراك الأسدية والصلاحية هم الجيش الثابت في إدارة المؤسسة العسكرية الأيوبية، وكانت أسماءهم مسجلة في الديوان، ولم يكن عددهم كاف لمواجهة الأخطار التي

---

(١) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٨، ورقة ٦٤ب ؛ والأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٩، ٧٠ ؛ وابراهيم. حطين، ص ٢٤-٢٥.

(٢) «الكوسات هي صنوجات من نحاس يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص». انظر : القلقشندي. صبح الإعشى، جـ٤، ص٨.

(٣) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٣٢. والهروي. التذكرة الهروية، ص ٩٨. وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٤٢، وما بعدها.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٣٢٥ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣١٩.

(٥) سعداوي. التاريخ الحربي، ص ٥٨.

(٦) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٢٦ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٠ ؛ و Minorsky. Saladin, p. 141.

(٧) ابن الأثير. الكامل، جـ١٠، ص ١٣. وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٣٩-٤٠. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٤٣٨. والحياري، صلاح الدين، ص ١٢٤-١٢٥.

(٨) Holt. The Age of the Crusades. p.p. 61, 75. ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٤٨-١٤٩.

(٩) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ١٥. وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٧٨.

تتعرض لها الدولة الأيوبية، فاستعان السلطان بجند الأقاليم والممالك الأخرى، وإن كان هؤلاء يعودون إلى اقطاعاتهم عند انتهاء الحرب[١]. ومن هؤلاء المماليك قادة الجيش وأمرائه إلى جانب بعض الأمراء والمقدمين من أبناء الأسرة الكردية عامة والأيوبية خاصة، فالمملوك يشترى ويسلم للطواشي ليتولى هذا تربيته وتدريبه تدريباً عسكرياً، بالإشتراك مع أتابك العسكر[٢].

عرف من مقدمي العساكر الأيوبية الأمير الكبير عز الدين جاولي[٣]، ومنهم مقدم عسكر حماة سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م، الأمير ناصر الدين منكورس بن الأمير ناصح الدين خمارتكين[٤]، ومقدم عسكر دمشق في هذه السنة هو عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب[٥]، ثم تولى عسكرها شمس الدين محمد بن المقدم سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٦]، ثم تولاها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، صارم الدين قايماز النجمي[٧]. وتولى عسكر حلب بدر الدين دلدرم الياروقي[٨]، ثم تولى عسكرها سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، علم الدين سليمان بن جندر[٩]، وأصبح في هذه السنة الأمير الاسفهسلار حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدماً للعساكر الأيوبية[١٠]. ويذكر من مقدمي العساكر الأيوبية سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، فخر الدين اياز جركس[١١]، وسيف الدين اسماعيل بن أحمد الهكاري

---

(١) المقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص ١٢٢ ،لكل مملكة قوتها العسكرية الخاصة بها، انظر لاحقاً.

(٢) ،الطواشي مسؤول كبير في الجيش يتولى تربية العسكر وتدريبهم وله مهمة نقل الأوامر في ساحة المعركة، وسمي بالطواشي لأنه ممسوح ذهبت أنثياه وذكره، والأتابك سبق التعريف به في الفصل الأول. انظر ، المقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢١٣-٢١٤. والسبكي. معيد النعم، ص ٣٩. وسيرد ذكر الطواشي في الأسطر اللاحقة.

(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٢٣. والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٣٥٥. والحياري. صلاح الدين، ص ٢٠٧.

(٤) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١٢٨. وأبو شامة. عيون الروضتين، ق ٢، ص ٥١. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٧٠. وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٣. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٥٥.

(٥) الأصفهاني. ص ١٤٩، ١٦١.

(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤٩١.

(٧) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦١-٦٢. وابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٨٣هـ.

(٨) الأصفهاني. ص ٦١، ١٧٠. وابن أبي الهيجاء. أحداث سنة ٥٨٣هـ.

(٩) الأصفهاني. ص ٤٧٢.

(١٠) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٣٤.

(١١) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٣. وابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٣٩٩.

Text Stamp

المعروف بابن المشطوب[1]، وتولى صواب الخادم شمس الدين العادلي مقدماً لعساكر الملك الكامل الأيوبي[2]. وتولى الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب[3]، وتولى ناصر الدين حسن بن عبدالعزيز القيمري مقدماً للجيوش الأيوبية في عهد الملك الناصر يوسف، آخر الولاة الأيوبيين في بلاد الشام[4]، وكان حينها شمس الدين لؤلؤ الأميني المتوفى سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م مقدماً لعسكر حلب[5].

ويتولى أمير العسكر إمرة عدد من العساكر قد تبلغ مائة وخمسين فارساً، أو مائتي فارس أو الأقل منه مرتبة بإمرة خمسين فارساً[6]، ويذكر منهم يحي بن أبي الحسن بن محمد بن أبي الفضل محمد بن يحي بن الخشاب الحلبي الذي تولى في أيام العزيز بن الظاهر، والناصر يوسف -آخر ملوك حلب- تولى إمرة عشرين فارساً[7]، ومنهم ميلاد بن ابراهيم بن عدلان الأمير فخرالدين الهشتكي، الذي تولى في أيام الناصر يوسف إمرة خمسين فارساً[8].

ويكون موقع هذا الأمير في مقدمة عسكره وفرقته لمعرفته بمكائد المعارك والحروب[9]، حتى يكون نموذجاً مرشداً للعساكر أثناء العمليات الحربية[10]، يذكر البعض أن الأيوبيين قد ولّوا أقاربهم ومقربيهم ومماليكهم قيادة فرقهم العسكرية، وخاصة إذا لم يشارك السلطان في هذه الحروب[11]. ومن ضمن التنظيمات الخاصة بالقيادة العسكرية، والذي يتولى قيادة الفرق العسكرية ؛ الطواشي «وهو عبارة عن

---

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٤٢٠. واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٤٤.
(٢) اليافعي. جـ٤، ص ٧٥.
(٣) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٥٤.
(٤) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣٣٥.
(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٧٨٢. وابن حبيب. درة الأسلاك، جـ١، أحداث عام ٦٤٨هـ.
(٦) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٢١٩. وابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص٥٧. والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٥. والسيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص٩٤.
(٧) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٦٩.
(٨) م. ن، ص ٢١٩.
(٩) الأصفهاني. الفيح القسي. ص ٦١، ٦٢. والطرسوسي. تبصرة أرباب الألباب، ص ٢٤. وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٨٣.
(١٠) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ١، ص ٢٩٨ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٢٢ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٢٧.
(١١) ابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٤٠٥ ؛ والعليمي. جـ١، ص ٣٥٥ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ١٦٨.

مسؤول كبير لنقل الأوامر وتعيين مواقع القادة في ساحة المعركة، وسمي بذلك لأنه ممسوح ذهبت أنثياه وذكره»[1] وإن كانت هذه الدلالة غير واضحة في العصر الأيوبي، فالطواشي كانت له مهمة تربية العساكر «المماليك» وتدريبهم على العمل العسكري. والطواشي قد لعب دوراً رئيسياً في الأحداث الجارية، ويذكر منهم شمس الدين صواب العادلي، مقدم الجيوش العادلية، الذي خصص له من الخدم مائة مملوك[2]، ثم الطواشي مرشد بشير، وهو من قادة المنصور محمد بن تقي الدين -صاحب حماة-[3]، والطواشي عز الدولة نائب الناصر داوود على الكرك سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م[4]، والطواشي بدر الدين الصوابي الذي كان له دور كبير في ولاية الملك المغيث عمر بن الملك العادل في أعقاب وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[5]. ويتبع إلى هذه التراتيب العسكرية إمرة السلاح، وموضوعها «حمل سلاح السلطان أو الأمير، ويلقب صاحبها بالسلاح دارية»[6]، وقد يعرّف بالسلحدار أو شاد السلاح خاناة وهو الخبير بأنواع السلاح واستخداماته، يشرف على خزائن السلاح ويتولّى حفظها والتوقيع على ما تحتويه خزائنه[7]، ويتولّى مثل هذا العمل من هو جدير بثقة السلطان ويعتبر من ندمائه يشاركه في حله وترحاله[8]. وممن تولى السلاحدارية في عهد صلاح الدين، شجاع الدين طُغرل[9]، ثم حسام الدين سنقر الوساقي[10]، ثم سابق الدين سنقر[11]، وتولاها للملك الأفضل بن صلاح الدين،

---

(١) اليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ١١٩. والسبكي. معيد النعم، ص ٣٩.
(٢) اليافعي. جـ٤، ص ٧٥. و الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٦، ص ٣٣٩. و حسين. الجيش الأيوبي، ص ١٥٣.
(٣) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ٢١٧. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٢٠١.
(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٥.
(٥) اليونيني. ذيل مرأة الزمان، جـ١، ص ١٦٦. وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٥٨.
(٦) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص١٩. جـ٥، ص٤٢٨. وابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص٥٨.
(٧) المقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٢٢ ؛ وابن طولون. نقد الطالب، ص ٦٣ ؛ ونبيل عبدالعزيز. خزائن السلاح، ص ١١٤ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ٦، ص ١١٧.
(٨) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٩٥ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١، ص ٢٨٤.
(٩) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص١٩٥. وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص٢٥٣. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص٩١.
(١٠) المقريزي. الخطط، جـ٢، ص٢٦٣.
(١١) م. ن، ص٤٨٠.

شجاع الدين طغرل السلحدار(١)-السابق الذكر-.

وتذكر المصادر أن سلاطين بني أيوب قد اتخذو مجلساً للشورى «مجلس حرب» من هؤلاء القادة وأولئك المماليك، وهذا كان تنظيم عسكري متبع وخاصة عند انتهاء المعارك فيجتمع بهم السلطان لينظر في أمر الأسرى خاصة، ونتائج المعركة عامة(٢)، أو يعقد هذا المجلس أثناء سير المعارك لمراقبة أحداثها وإعادة النظر في خططها العسكرية، فيستمع لذوي الخبرة والرأي، ويتباحثون ويتشاورون في الأمور العسكرية والحربية التي تخص تنظيمات الجيش في ساحة المعركة(٣). فيروى هذا في حصار عكا «وانفصلت آراؤهم على أن المصلحة تأخير العسكر الى الخروبة ....» وهكذا في حصار صور وغيرها(٤). وفي تقليد ديوان الخلافة العباسية للسلطان العادل أبي بكر بن أيوب يدعوه إلى هذا بالقول : «أن يأخذ برأي ذي التجارب منهم والحنكة، ويجتني بمشاورتهم في الأمر ثمر الشركة، إن في ذلك أمن من خطأ الانفراد وتزحزح عن مقام الزيغ والاستبداد».(٥)

ويبدوا أن السلاطين الأيوبيين قد اهتموا بشراء هذه الفئة من المماليك، فازداد عدد أفراد الحلقة السلطانية، وبالتالي ازداد عدد الجيش الأيوبي ؛ فحملة تورانشاه إلى اليمن سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م قد بلغ تعدادها ألف فارس فقط(٦)، ويذكر أن جيش صلاح الدين لم يكن يتجاوز الثلاثة آلاف فارس في أحداث سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م(٧)، حتى اشترى اثني عشر ألفاً من المماليك الأتراك، ووزع عليهم الإقطاعات، وكون

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٩٢.

(٢) المنهاجي السيوطي، إتحاف الأخصا، ق١، ص ٢٥٧ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٢٨ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٣٠٨ ؛ وسعداوي. جيش صلاح الدين، ص ٣٢-٤٠.

(٣) الشيزري. المنهج المسلوك، ص ٦١١ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٥٢، ١٠٢ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٩٧ ؛ و Regan. Saladin, p.p. 146-147.

(٤) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٤٤ ؛ و الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٣٢٤ ؛ و ابن شداد. النوادر السلطانية. ص ١١٤ ؛ والحريري. الأخبار السنية، ص ١٤٦، ١٥٣ ؛ ورنسيمان. الحروب الصليبية، م٢، ص ٧٦٤ ؛ و E.I, V. 1, p. 799.

(٥) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ١٠٦.

(٦) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص٢١٧.

(٧) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٣٥ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ أحداث سنة ٥٧١هـ ؛ وأبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٥٩، ٦١.

منهم نواة جيشه[١]، فبلغ في أحداث سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م مائة وثمانية وستين طَلباً[٢]، ويقول وليم الصوري في أعداد القوات الأيوبية وأوصافها في إحدى المعارك التي عاصرها : «فقد أجريت تحقيقاً دقيقاً حول أعداد العدو، واكتشفت من روايات العديد من الناس الثقات، أن ستة وعشرين ألف فارس مسلحين تسليحاً خفيفاً بالإضافة إلى آخرين ممتطين صهوات الجمال وحيوانات التحميل كانوا قد دخلوا منطقتنا، ثمانية آلاف ينتمون إلى الجنود الرائعين، والثمانية عشر ألفاً الآخرون هم الفرسان العاديون المعروفون باسم قراغلام - العبيد السود- وعمل ألف من أشجع الفرسان كحرس لصلاح الدين، وكان جميع هؤلاء يرتدون حريراً أصفر فوق دروعهم، وهو اللون الذي كان صلاح الدين نفسه يرتديه»[٣]. ويبدو أن القرا غلام السالف ذكرهم هم من الخيالة من غير المماليك[٤].

ومهما كانت اعتبارات هذه الرواية، فنجد أن الجيش الأيوبي قد ازداد حتى بلغ قبيل معركة حطين ما يقارب الإثني عشر ألفاً من الجند المركزي وجند الممالك سوى المتطوعة وغيرها من الفئات التي شاركت هذا الجيش حروبه[٥]. أما الفئات التي يتكون منها هذا الجيش فقد تباينت تبعاً لتباين البنية السكانية للمجتمع الإسلامي أنذاك، حيث تكون هذا المجتمع من ؛ العرب من آل فضل من قبيلة طي، والأكراد ومنهم الخالدية والبختية والمحمودية، والتركمان من غز وترك[٦]، وهذا الاختلاف في التركيبة السكانية أدى إلى ظهور نوع من التنظيم والترتيب في سير المعارك وتنظيم

---

(١) أبو شامة. عيون الروضتين، ق١، ص ٤٩ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ١، ص ٩٤ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ١، ص ٢٧ ؛ وآشتور. التاريخ الاقتصادي، ص ٣٠١ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ١٣٦.

(٢) «الطلب هي فرقة عسكرية يتفاوت عددها من ٧٠-٢٢٠ جندي». انظر ؛ الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٩٥٢، ٩٦٣ ؛ والشيزري. المنهج المسلوك، ص ٢٨، ٢٩ ؛ والأسدي. التيسير والاعتبار، ص ٦٧-٦٨ ؛ ومجهول. خزائن السلاح، ص ٢٠٧. وجبران. مملكة حماة، ص١٥٢.

(٣) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٠٢.

(٤) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص١٤٩. وجب. دراسات، ص١٠٠.

(٥) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٥٣١ ؛ والحريري. الأعلام والتبيين، ص ٨١ ؛ والعريني. الأيوبيون، ص ٨١.

(٦) ابن منقذ. الاعتبار، ص ٩٥-٩٦. وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ١٥٨. وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٢٦. وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ١٤٥ وما بعدها. وكردعلي. خطط الشام، جـ٤، ص ٢٦٧.

Text Stamp

العساكر الأيوبية، فالقيادة أيوبية لعساكر الدولة النظامية، وإقطاعية متباينة لجند الإقطاع الذين كانوا يشكلون الهيكل العام للمؤسسة العسكرية الأيوبية، ومن هنا اعتبرت الجيوش الأيوبية خليطاً من تلك العناصر التي خضعت لإدارتها مباشرة أو كانت تابعة لتنظيماتها الإقطاعية، بالشكل الذي حافظ على استقرار هذه المؤسسة وتآلفها، وجعلها تحقق ما تصبو إليه من انتصارات في ظل هذا التباين بين الجند أنفسهم، وبين الجند والقادة على حد قول البعض[١]، فيقاتل كل جنس ببسالة حفاظاً على سمعته، إذ تطلب توحيد مثل هذه العناصر إستثارة الهمم من خلال الإدارة العامة التي اتصفت أحياناً بالحلم والدهاء والسياسة لتحقيق أهدافها[٢].

تخلص الأيوبيون من العناصر الساخطة في جيش من سبقهم وهؤلاء كانوا «من صقالبة ومصامدة وأرمن وعرب والعبيد الزنج»[٣]، واعتمد الأيوبيون في قيادة جيشهم على أبناء جنسهم من الأكراد، فأوكلت لهم قيادات عسكرية على حالتهم القبلية، إذ كان تنظيمهم القبلي هذا مدعاة للحفاظ على نقائهم وتآلفهم في آن واحد[٤]، هذا بالإضافة إلى مماليكهم الأسدية والصلاحية والأفضلية وغيرهم من القبائل التركمانية، الذين أصبح لهم رأي نافذ في سياسة الدولة وخاصة العسكرية منها[٥]، فتكوّن من هؤلاء الجيش النظامي الأيوبي حتى بلغ عدده إثني عشر ألفاً مع إضافات مختلفة من المتطوعة عند الحاجة[٦]، إذ حرص الأيوبيون على إشراك عناصر سكانية من القبائل العربية المحيطة[٧]، وإن استبعد البعض مثل هذا

(١) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ١٢٦ ؛ وشاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ٣٠٥ ؛ ويوسف غوانمه. الأردن، ص ٨٥. «استخدم مصطلح العسكر ليدل على الجيش الأيوبي النظامي والجند ليدل على جيش الأقاليم والجيش الإحتياطي» انظر ؛ سعداوي. جيش صلاح الدين، ص ٧.

(٢) Regan. Saladin, p. 96.

(٣) ابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٤٢ ؛ ولامب. شعلة الإسلام، ص ٢٨٤.

(٤) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٤٧ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان. جـ٨، ق١، ص ٤٢٠ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٦٩ ؛ وسعيد عاشور. البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، ص ١٨ ؛ و Minorsky. Saladin, p.p. 139, 142.

(٥) ابن خلدون. تاريخ ،جـ ٥، ص ٣٩٩.

(٦) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٢٦ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ١٨١. وآشتور. التاريخ الاقتصادي، ص ٣٠٠ ؛ والمعاضيدي وآخرون. الوطن العربي، ص ١٤٠، ١٤٢.

(٧) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٤١ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٥٤ ؛ والعليمي. الأنس =

الدور[١]، والأرجح أن العناصر السكانية قد كان لها دور في تشكيلة الجيش الأيوبي، وإن كان هذا الإشتراك على نطاق محدود، فترد الإشارة إلى ثلاثة عشر أميراً وقائداً عسكرياً إثنين من مواطني دمشق الأصليين وباقيهم من مصر وسوريا الشمالية والجزيرة الفراتية «المشارقة»[٢]. واستعان الأيوبيون بالنصارى والتركبلي[٣]، لخبرتهم بالمناطق ومسالكها وعوراتها، وتدبرّهم بالخطط العسكرية، وإن اعتبرهم البعض رديفاً للجيش النظامي لا أحد طَلَبه الرئيسة[٤]. وهكذا بحث الأيوبيون عن مجندين جدد لتغطية الحاجات العسكرية التي عاشتها دولتهم[٥]، فاستخدموا المغاربة في جيوشهم[٦]. ومارست مثل هذه الفئات التدريب العسكري في «الوطاقات» أي المعسكرات التي كان يقيم بها الجند كالجابية السابق ذكرها، وإذا ما احتاج السلطان إلى تبليغهم أمر ما جاء إلى وطاقاتهم هذه لإصدار تعليماته عليهم[٧].

أما جند الأقاليم فقد اختلفت مهماتهم[٨]، فبعض أهل حلب قد تخصصّوا في نقب الأسوار، فجعلّهم صلاح الدين على عملهم هذا عند فتحه حصن بيت الأحزان سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، ووفر لهم الحماية اللازمة لإنجاز مهمتهم[٩]، وهكذا لأهل باقي أقاليم الدولة الأيوبية في دمشق وحمص وحماة والموصل والجزيرة، حيث تتعاون هذه الجيوش فيما بينها إذا ما تعرضت لخطر ما، أو قد تقوم كل منها بمهمة توكل إليها تحت إمرة قيادتها القبليّة أو الإقطاعية[١٠]، ولربما جاءت سلبيات هذا

= الجليل، جـ١، ص ٣٥٨ ؛ والحياري. الإمارة الطائية، ص ٥٦ ؛ وجبرائيل سعادة. تاريخ قلعة صلاح الدين، ص٦٦. والعريني. الأيوبيون، ص ١٦٤-١٦٦.

(١) غوانمة. معاهدات الصلح والسلام، ص ٩٩ ؛ وسعيد عاشور. البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، ص ١٨.

(٢) للمزيد انظر سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٥٤١. والجدول في ؛ .Humphreys .Islamic History, p. 257

(٣) ، التركبلي من أب عربي وأم يونانية، انظر ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢. ص ٣٩٥.

(٤) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٥٤ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤٠٤ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٦٣. وسبانو. مملكة حماة، ص١٥٢.

(٥) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٩٤٨ ؛ وشوفيل. صلاح الدين، ص ٣٧٦.

(٦) عبد الهادي التازي. بلاد الشام، ص٤٣٤.

(٧) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٧٢ ؛ وسعيد عاشور. البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، ص ١٦.

(٨) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ٦٢ أ ؛ وعبدالهادي التازي. بلاد الشام، ص ٤٣٤.

(٩) مصطفى الحياري. حصن بيت الأحزان، ص ٥٦.

(١٠) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٣٦٢ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٩٢-٩٣ ؛ والبنداري. سنا =

التنظيم القتالي بالاضطراب أحياناً والانسحاب في اللحظات الحاسمة في أحيان أخرى(١)، أو قد يتعرض إقطاع هذه القوات لخطر ما في الوقت الذي تكون به هذه القوات على جبهة بعيدة عن حدود إقطاعها(٢).

وبالإضافة إلى هذه العناصر العسكرية في الجيش الأيوبي فهناك المتطوعة، الذين كانت توكل إليهم مهام عسكرية حسب الظروف السائدة كحرق الأعشاب حول الجيش الصليبي، كما كان في حطين وفي حصار صور(٣)، وهؤلاء المتطوعة غير مسجلين في الديوان، يتم استنهاضهم للقتال إذا ما كانت هناك حاجة إلى قوات إضافية، فيروى في أحداث سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ان سبط ابن الجوزي قد جلس في جامع دمشق ونادى بالتطوع لدفع الغزاة، فقام والي دمشق وأعيانها «وساروا إلى نابلس لقتال الفرنج»(٤)، وهذه القوات الإضافية قد تكون منفصلة عن الجيش النظامي، فتوكل لهم أحياناً مهمة الإغارة على الصليبيين قبل نشوب الحرب، أو مطاردتهم في حال تقهقرهم(٥). وهكذا كانت واجبات بعض فرق المرتزقة من التركمان والخوارزمية وخاصة في عهد المتأخرين من ملوك بني أيوب(٦)، وهناك جماعات من الغلمان والأوباش واللصوص الذين توكل لهم بعض المهام في المعسكر الصليبي، وإن كانت بعض نتائج أعمالهم عكسية على المعسكر الأيوبي أحياناً(٧). وكان للأطفال والنساء دور كبير في مساعدة العساكر النظامية وبعث الروح المعنوية في نفوس الجند، فيكون لهؤلاء الأطفال دربة على أعمال الطعن

• البرق الشامي، جـ١، ص ١٥٥ ؛ والعريني. الأيوبيون، ص ١٦١-١٦٣.

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣١١ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢١٢ ؛ والعريني. الأيوبيون، ص ١١٠.

(٢) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤١٥. وجب. دراسات في حضارة الإسلام، ص ١٠٢.

(٣) النويري. جـ٢٨. ص ٤١٥ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٢٨٧.

(٤) الصوري. الحروب الصليبية، جـ١، ص ٥٩٥ ؛ ومجهول. أعمال الفرنجة، ص ٥٢، ٩٩ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٨ ؛ وسوسن. القاضي الفاضل، ص ٦٦.

(٥) حسين. الجيش الأيوبي، ص ١٥٨.

(٦) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣٥٠.

(٧) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٥٨، ١٩٢ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١١ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٦٠، ٣٧٢.

والقتال في المستقبل[١].

أمـا أنواع القـوات المـسجلة في الـديوان، فكانت الطُلب ؛ منهـا مـا يعـرف بالطواشية -الطبقة العليا- ومنها ما يعرف بالقراغلامية - طبقة أدنى - من العسكر الثابت خلافاً لغيرها من الجند الإقطاعي المترحلة والمتنقلة، وكل من هذه الطُلب بأميرها وحاجبها[٢]، مع تفاوت أعداد هذه العساكر عامة وأعداد كل طُلب خاصة، فيذكر لأحداث سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م، أن الجيش النظامي الأيوبي قد بلغ عدده ١١١ أميراً و ٨,٦٤٠ فارساً و ٦٩٧٦ طواشياً و ١٥٥٣ قراغلامياً، بمجموع ما يقارب سبعة عشر ألف مقاتل، حتى بلغت نفقاتهم (٣,٦٧٠,٠٠٠ دينار)، هذا ما عدا المتطوعة والعساكر غير النظامية، وتختلف أعداد الجند من مملكة لأخرى، فيروى أنه كان للملك المعظم في دمشق ما يقارب ثلاثة أو أربعة آلاف فارس، اعتمد عليهم في حروبه[٣].

ومن فرق الجيش الأيوبي النظامية اليزك وهم طلائع الجيش ومن شروطهم الحيطة والحذر، وربما يفهم اليزك لغة عدوه، لذا كان المستأمنون من الفرنج، الذين أمنّهم المسلمون على أنفسهم قد عملوا في اليزك الإسلامي[٤]، ومهمتهم استكشاف الطرق التي يسلكها الجيش، وتقدير قوة العدو وعدته، وقد تقوم اليزك ببعض المناوشات العسكرية[٥]، وبلغ عددهم سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ألف فارس[٦]. ومن قادتهم ؛ مظفر الدين كوكبري الملقب بالذئب الأزرق، فتولى قيادة اليزك في

---

(١) الأصفهاني، الفيح القسي، ص ٤٧٠ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٠٨، ١٠٩ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٤٤، ٥٤٥ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٨٥ هـ.

(٢) طرخان. النظم الإقطاعية، ص ٣١ ؛ وجب. دراسات في حضارة الإسلام، ص ١٠٠ ؛ وشوفيل. صلاح الدين، ص ٣٢٥.

(٣) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٨٧ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١٢٢ ؛ والسيد الباز العريني، الإقطاع في الشرق الأوسط، ص ١٤٤ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٠٥ ؛ و E.I, p. 798.

(٤) وسميت اليزك بالكشافة عند الصليبيين وعند المماليك خلفاء الأيوبيين. انظر ؛ الصوري. الحروب الصليبية، جـ١، ص٤٧٥. وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٤٤. وابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص ١٣٧. وصلاح الدين البحيري. المخابرات الأيوبية، ص ١١٨.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ١٨٩. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٨٥.

(٦) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٣١

معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م[١]، وتولى علم الدين سليمان بن جندر يزك الجيش الأيوبي بعد سقوط عكا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٢]، وكان منهم صارم الدين قايماز النجمي الحراني[٣]، ومنهم جورديك النوري الذي تولى قيادة اليزك سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م[٤].

وكان للجيش الأيوبي ما يسمى بالبدل أو القوة الإحتياطية[٥]، الذين توكل لهم مهمة رفع المعاناة وإراحة الجيش الأصلي[٦].

واختلفت التنظيمات العسكرية الأيوبية من خلال العناصر السالفة الذكر كل حسب قدراتها، فيذكر أن الفرسان والأفصال - الرماة وحملة الرماح - كانوا من الأكراد والأتراك[٧]، والمشاة كانوا من غيرهم الذين لا يمتلكون العدة من الخيل، فأوكلت لهم مهام إقامة المنشآت وحماية المعسكرات وترتيب بعض الكمائن العسكرية وتزويد الجيش بالمؤن عند الحاجة[٨]. وانتظمت القوات النظامية في الجاليش والجاووش العسكري «الجاليشية تعبىء والجاووشية تلبىء»[٩]، فالجاليشية هم طليعة الجيش من رماة السهام، أما الجاووشية فهم من يتولّون مهمة التكبير والتهليل والتلبية لرفع الروح المعنوية القتالية عند العسكر، وينادون للقتال، وشعارهم: «يا للإسلام وعساكر الموحدين»[١٠] إلى جانب مهامهم السلمية فيطوفون البلاد ويخبرون الناس بولاية جديدة أو مُلك جديد[١١].

---

(١) عبدالجبار السامرائي. معركة حطين، ص ٢٠

(٢) العليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٧٩.

(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٣١. والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٤٣٩.

(٤) ابن شداد. ص ٢١٧.

(٥) الصوري. الحروب الصليبية، جـ١، ٥٩٥.

(٦) للمزيد انظر : أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٤٢-٢٤٣. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص٢٦٦، ٣٤٥. وابن الفرات. تاريخ، م ٤، جـ١، ص ٢٤٢. والحياري. صلاح الدين، ص ٣٩٩.

(٧) كاهن. الشرق والغرب، ص ٢٢١ ؛ وسعيد عاشور. البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، ص ٢٤ ؛ وجب. صلاح الدين الأيوبي، ص ١٧١-١٧٢.

(٨) مجهول. أعمال الفرنجة، ص ١١٦ ؛ وسميل. الحروب الصليبية، ص ٧٧.

(٩) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٣٥ ؛ انظر : بيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ٨٠ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ٢، ص ١٢٦.

(١٠) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٤٧، ٢٢٦ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٤٤ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٩٥.

(١١) ابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٠٨.

وهناك فرق عسكرية تتولى الكوسات والطبول لاستدعاء العساكر عند الحاجة، تتبادل القوات الإشارة من خلالها وخاصة مع المدن المحاصرة، فتدق الطبول ليردّوا عليها، ويتولى أمرها «الطبلخاناة» الذي يتبعه بعض الفرسان[١]، وصاحب الطبل هذا هو الأعلم بسر معنى نغمات كوساته وطبوله، ولا بد له من الحيطة والمحافظة على سرية عمله لذا لربما يختار السلطان كوسات عساكره بنفسه.[٢]

وللأدلاء دور رئيس في سلامة العساكر المحاربة، سواء المهاجمة منها أو المنسحبة، فاليهم يرجع الفضل في إنقاذ قوات صلاح الدين عقب هزيمته في وقعة الرملة سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، وهؤلاء يتم اختيارهم من أهل المنطقة العارفين بطرقها ومسالكها[٣].

ويتبع التنظيمات السالفة والتشكيلات العسكرية الرئيسية فرق هندسية من حجارين ونقابين الذين توكل إليهم مهمة نقب الأسوار وحفر الخنادق[٤]، إلى جانب مرافقة بعض الفرق الطبية للجيش، وإن كان هناك مستشفيات ثابتة يحمل إليها الجند المصاب عند الحاجة، وقد يكون لبعض الأطباء إختيار الموقع المناسب لإقامة العسكر، فيذكر أن الأطباء قد أشاروا على صلاح الدين في حصار عكا بالعودة للخروبة لفساد الأجواء بكثرة القتلى حول أسوارها سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م. وهناك حملة الأعلام يرافقون الجيش في حملاته، وهي عبارة عن شارات تميز الفرق العسكرية عن بعضها[٥].

ويبدو أن الأيوبيين قد اهتموا ببناء الأسطول البحري، لاستخدامه في محاصرة بعض المدن الساحلية، أو حتى الدفاع من البحر ضد الأخطار التي

---

(١) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١١٩، ١٦٢ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣٢٥، ٣٥٠ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٦٤ ؛ والعليمي. الأنس الجليل،جـ١، ص ٣٧٣.

(٢) ابن منكلي. التدبيرات السلطانية، ورقة ٢٢ أ.

(٣) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٤١ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٦١ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٢١١.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٧٦، ١٥٥.

(٥) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ١١٧ ؛ وابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٤ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٢٤٦ ؛ وابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٣٨١ ؛ وحسين. جيش صلاح الدين. ص ٤٦- ٤٧.

Text Stamp

تتعرض لها سواحل ممالكهم، حتى بلغت سفن هذا الأسطول ما يقارب (٣٠-٤٠) سفينة بحرية[1]، فأنشأ الأيوبيون ديواناً لهذا الأسطول، حيث اهتم به صلاح الدين ابتداءاً بسنة ٥٧٢هـ/١١٧١م، ولا يعرف تحديداً من تولى مقدماً له في هذه السنة، إذ يقول أبو شامة : «وولى فيه أحد أصحابه، وأفرد له إقطاعاً مخصوصاً وديواناً مفرداً»[2]، غير ما يرد في حصار صور سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، بأنه كان يتولاه شخص يقال له الفارس بدران، ويعرف بعبد المحسن[3]، وتولاه عند حصار الفرنج لعكا سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، الحاجب لؤلؤ العادلي المتوفى سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م[4].

تولى نظر ديوان الاسطول الملك العادل الأيوبي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وكان صفي الدين بن شكر نائباً له، وخصصت النفقات لهذا الأسطول التي تخصص لتنميته وتطوره، وجعل السلطان إقطاعاً خاصاً لصاحب الأسطول وكتب له يحث الناس بالأقبال عليه حيث كان الناس يتشاءمون من الانضمام للأسطول : «القول قول صاحب الأسطول وأن لا يمنع من أخذ رجاله ومما يحتاج إليه»، وهذا التشاؤم ربما للخوف من البحر وعدم معرفة الكثير من الناس بأسراره، كما كانت الحالة الاقتصادية السيئة، فهي بلا شك سبب رئيس للإحجام عن الانظمام للاسطول، فترد الإشارة لأحداث سنة ٥٧٨هـ/١١٩١م، بحق رجال الأسطول بأنهم : «لا يصرف لهم إلا الشيء القليل من الخبز ونحوه»[5]، لذا طلب الملك الصالح نجم الدين أيوب من ولده تورانشاه قائلاً : «رجال الأسطول ينبغي أن يكونوا شباعاً، إذا أطلق لهم كل شهر عشرين درهم مستمرة راتبه، جاءوا من كل فج عميق»[6]، ويذكر أن هذا الأسطول منذ نشأته قد اشترك في حصار قلعة أيلة سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م، وحصار

---

(١) Regan. Saladin, p. 69.

(٢) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ٢، ص ٦٩٠.

(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٤.

(٤) ابن شداد. ص ١٣٨. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص ٤٠٥.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٦٩٠ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ١٢٩، ١٩٤ ؛ وكاهن. الشرق والغرب، ص ١٧٦ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٧١-٧٢.

(٦) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٩٢. Cahen. d'Al-Malik As-Salih, p.p. 102-103.

مدينة صور سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ؛ ومقاومة حصار الصليبيين لعكا بقيادة بهاء الدين قراقوش والحاجب لؤلؤ الأميني.[١]

وتنوعت أسلحة الفئات الأخرى بتنوع مصادرها سواء ما كان منها مصنعاً محلياً أو مستورداً من بعض الممالك التي كانت للدولة الأيوبية علاقات تجارية معها كالمدن الإيطالية، ويزودنا الدكتور نبيل محمد عبدالعزيز بقائمة الأسلحة التي كانت تحتويها خزائن السلاح «السلاح خاناة أوالزردخاناة» في العصر الأيوبي، ومنها المناجيق بأنواعها لرمي الحجارة، حيث كان يرتب لكل منجنيق فئة من العساكر يتولون نصبه في المكان المخصص له، وفي رسالة فاضلية في فتح القدس «وقدم صلاح الدين المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون وقدم النصر نسراً من المنجنيق وأسمع صوت عجيجها ورفع مثار عجاجها ...» حتى أن بعض هذه المناجيق كان يرمي من الحجارة ما زنته مائة وأربعون رطلاً شامياً[٢]، واستخدمت الدبابات والأبرجة الخشبية، بالإضافة إلى الأسلحة الفردية من دروع ورماح وطبر وقوس وسهم وغيرها من متطلبات المواقف القتالية[٣].

ديوان الجيش

يرتبط ديوان الجيش ارتباطاً مباشراً بالإدارة المالية، وله أهمية خاصة بمسئوليته المباشرة عن أرزاق المجاهدين[٤]، فإذا ما أقر ديوان الجيش إقطاعاً، كان يخرج له من ديوان المال براءة ومرسوماً خاصاً بهذا الإقطاع[٥]، ونظراً لعلاقة ديوان الجيش بالديوان العام المسمى ديوان الإنشاء أحياناً، فلديوان الإنشاء الحق

---

(١) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٤، ١٢٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ١٨٨-١٨٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص ٤٠٥ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ١٤٣.

(٢) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١٩ أ ؛ والشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ٣٥ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٦، ٢٧ ؛ وكاهن. الشرق والغرب، ص ١٧١، ٢٢٦ ؛ ورشيد عبدالله الجميلي. حمص في عصر الامراء الأيوبيين، ص ١٩٥ ؛ ونبيل عبدالعزيز. خزائن السلاح، ص ١١٦-١٢٧. «والرطل يساوي ١,٨٥ كغم». هنتس. المكاييل والأوزان، ص٣٢.

(٣) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ٣٤ أ، ٨١ب ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٥٨ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٦٤ وما بعدها ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ٢٦١ وما بعدها.

(٤) «أول من أنشأ هذا الديوان هو عمر بن الخطاب» انظر ؛ المخزومي. المنهاج، ورقة ١٠٦ب.

(٥) م. ن، ورقة ١١٢ب ؛ والسيد الباز العريني. الإقطاع في الشرق الأوسط، ص ١٤٦.

في مساءلة ديوان الجيش[١]، إن لم يكن ناظر الديوان السلطاني هو ناظر ديوان الجيش[٢]، ولهذا الديوان النفوذ الواضح في تراتيب إدارة وتنظيم العساكر وتخطيط العمليات الحربية فيرافق هذا الجيش في حملاته[٣].

ويزودنا المخزومي عند حديثه عن ديوان الجيش بالديار المصرية في الفصل الثاني عشر من كتابه بحديثه عن هذا الديوان وإشرافه على إقطاع الجيش حتى إذا ما أقر الإقطاع على شخص ما يصادق عليه متولي ديوان المال، ويحتفظ بنسخته في ديوان الجيش والإقطاعات، وإذا اختص ديوان الجيش بالواجبات العسكرية كان اختصاص ديوان المال بعبرة الإقطاعات وارداتها أي أن العلاقة وثيقة بينهما[٤]. ويقسم ديوان الجيش إلى دواوين ؛ ديوان خاص برواتب الجند، وديوان العرض الذي يصدر براءته ليوقعها متولي ديوان المال، وكان بكل عمل اقطاعي نائب عن هذا الديوان، حتى أصبح هذا الديوان بعموميته يمثله ديوان الإقطاعات فيحتفظ بسجلات التواقيع والبراءات الإقطاعية[٥].

يرأس هذا الديوان ناظرٌ يراجع البيانات الخاصة بالإقطاع العسكري، وينظر في سجلاته الإقطاعية التي ينعم بها السلطان على أمرائه، فكانت له مكانة مرموقة عند مختلف الأمراء المقطعين، ثم هناك العارض الذي يتولى عرض الجنود وقرائة أسمائهم على السلطان عند الحاجة، وله مهمة تنفيذ أوامره الخاصة بكل جندي من هؤلاء الجنود[٦]، لذا يحرص السلطان على أن يكون متولي هذا الديوان من خاصته ومقربيه ويوليه اهتماماً زائداً على باقي الدواوين، فيقوم الناظر بمهامه على أكمل

---

(١) النابلسي. لمع القوانين، ص ٢٣.
(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ١٨٠-١٨١.
(٣) الأصفهاني. البرق، جـ٣، ص ٣٢ ؛ ودجاني. القاضي الفاضل، ص ٢٤٠.
(٤) المخزومي. المنهاج، ورقة ١٠٤ب-١١٥ب.
(٥) للمزيد انظر ؛ م. ن، ورقه ١٠٤ب، ١١٢أ، ١١٥ب.
Thoumian. B. Les Civils Et'Administration. p. 47.
وحسين. الجيش الأيوبي. ص ١٣٢ ؛ وسعداوي. جيش صلاح الدين، ص ٣٢.
(٦) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٥. والنابلسي. لمع القوانين، ص ٢٣ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٣٦.

وجه[1]، فـإذا طالبـه السلطـان أو الملك بالأسـمـاء المـسجلة فـي هذا الديوان قـرأها العـارض أمـامـه، فـيروى أن الملك الظاهر - صـاحب حلب - قـد طلب سـجلات الديوان، فتفقـد جنده كل باسمه[2]. فلا بد من التدقيق في علاقة ولاة الديوان مع الجند، فإذا مـا تواطأ وماطل هذا الديوان في دفع رواتب الجنـد وجامكياتهم مـثلاً أحدث ذلك خللاً وتفرقـاً في صفوف الجند، وهذا مـا حدث في حـصار الفرنج لعكا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، لذا أولى السـلاطين والملوك ديـوان الجيش كل اهتمـام[3]. ولديوان الجيش مهـام عـدة منها كـمـا ذكرنا توزيع الإقطـاعات على الأمـراء، ومنهـا الاهتمـام بشؤون الأسرى والإشـراف على ظروف أسـرهم وحـال عـائلاتهم، وخـاصـة في حـال التـواصل والتراسل مـا بين الأسير وأهله[4]، وقـد يتولى ديوان الجيش تسجيل أسمـاء العـساكـر الذين يودون أداء فريضة الحج، وله مـهمـة توفيـر النفـقـات الخـاصة بهـذه القـافلة[5]، ولهـذا الديوان باسـتـشارة السلطان، التقرير في أمـر راحة الأجناد وإعطـائهم الإذن بالعودة إلى بيوتهم وإقطاعاتهم، وخاصـة عند قدوم الشتاء، أو في موسم جني المحـاصيل، وله حق الاعتذار عن راحـتهم وغيبـتهم[6]، حيث يصـدر هذا الديوان أمره ومـرسومـه بعودة الجيوش الى مـعسكراتهـا واتخـاذ الاستـعـدادات اللازمـة، من حـيث النفـقـات المقـررة لهـذه القوات عنـد عودتهـا، أو تتخذ الإحـتياطـات الـلازمة بايجـاد البدل لهذه القوات الغائبة، فيبقى السلطـان وبعض قواته بحلقته الخاصة كي لايترك للصليبيين طمعاً في هلاكه والسيطرة على أراضيه[7]، فالصليبيون قد يستغلون فرصة

---

(١) المخزومي. المنهاج. ورقة ٤ اب ؛ والشيزري. المنهج المسلوك، ص ٣٠ ؛ وأبو شامة. عيون الروضتين، ق٢. ص ٢٩٩ ؛ والمقـريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص ٢٨٤ ؛ و Holt. The Age of the Crusades, p. 74 وطرخان. النظم الإقطاعية، ص ١١٩.

(٢) اليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٢٧ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٥٦.

(٣) المعاضيدي وآخرون. الوطن العربي، ص ١٧٩. و Cahen. d'al-Malik As-Salih, p. 102 .

(٤) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٥١، ١٦٥ ؛ وسعداوي. جيش صلاح الدين، ص ٦٨.

(٥) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص٢٧٤.

(٦) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٤٦ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٧٥.

(٧) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٣٢٨ ؛ ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٥٢ ؛ و ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٤٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣١١ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ٢١٨.

جني المحاصيل خاصة ، فيشرح لنا المؤرخ الفرنجي المعاصر لهذه الفترة التاريخية في حديثه عن تقدم الفرنج باتجاه بيت المقدس وقد عقدوا اجتماعاً لهذا الخصوص : «وقرروا أن من صالحهم إتمام الرحلة إلى بيت المقدس وقت جني المحاصيل»[١]، وهذا ما نلاحظه في أحداث سلطنة صلاح الدين وحروبه في أعقاب فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حيث ملّت العساكر الحرب لملازمتها القتال ليلاً نهاراً، فقلّت أقواتهم وأزوادهم، فآثروا الراحة والعودة إلى بيوتهم[٢].

وتولى ديوان الجيش، ضياء الدين بن أبي الحجاج[٣]، وعلم الدين اسماعيل بن عبدالجبار المقدسي المتوفى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م[٤]، وعون الدين سليمان بن عبدالمجيد العجمي، ممن تولوا ديوان الجيش للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في بلاد الشام[٥]، وتولاه لصلاح الدين في مصر : المهذب بن أبي المليح بن مماتي، ثم ولده أبو المكارم الأسعد مهذب الدين بن مماتي، حيث استمرت ولايته للديوان في عهد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين[٦]، وتولاه للملك الصالح اسماعيل في دمشق، جمال الدين جمال الكفاة، ثم القاضي مكين الدين بن قرونية[٧]، وتولاه للملك الصالح نجم الدين أيوب، جمال الدين يحي بن عيسى بن ابراهيم بن مطروح[٨]، وتولى نظر ديوان الجيش في عهد الملك الناصر يوسف بن العزيز - صاحب حلب- علاء الدين أبو الحسن بن الشيخ منتجب الدين محمد بن نصرالله الحلبي الناصري[٩].

ويتولىّ كتابة وثائق هذا الديوان كاتب الجيش بإشراف ناظر الديوان، ويتطلب

---

(١) مجهول. أعمال الفرنجة، ص ١١٣ ؛ وسميل. الحروب الصليبية، ص ٧٥، ١٤٦.
(٢) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٥٥٧ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٢ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٧٣ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٤٣ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٨٦هـ.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٤٤.
(٤) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ١٤٢. وابن الفرات. تاريخ، م ٥، جـ١، ص ١٤٣.
(٥) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٦٧.
(٦) المقريزي. الخطط، جـ٢، ص ١٦٠. ومحسن حسين. جيش صلاح الدين، ص ٤٠.
(٧) الصفدي. جـ٦، ص ١٨٠-١٨١.
(٨) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، جـ١، ص ١٩٧-١٩٨. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق ٢، ص ٢٨٤.
(٩) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٤٦.

في هذا الكاتب أن يكون عارفاً بعبرة الإقطاعات ضابطاً لحساباتها، محتاطاً في الألفاظ التي يستخدمها في كتابته[١]، ولهذا الكاتب جريدة بأسماء الجند ومراتب إقطاعاتهم، كل على مرتبته وطبقته باسمه وكنيته، وتحفظ هذه الجرائد في ديوان المال[٢]. أما في حال رحلات الجيش وحملاته، فتكون لصاحب هذا الديوان خيمة الى يمين خيمة السلطان، ليكتب له الرقاع الخاصة بالخطط العسكرية وتوزيع المهام والواجبات لكل أمير في معسكره[٣]، وممن تولى الكتابة لها في عهد الملك العادل وما سبقه، ضياء الدين بن أبي الحجاج السابق ذكره[٤]. وهناك ما عرف بالترجمان الذي تحتاج إليه القيادة العسكرية في مفاوضتها مع الصليبيين، فيعرّب الألفاظ ويترجم الكتب لتقرأ على السلطان، فيقرر ما يراه مناسباً بشأنها.[٥] ويصدر هذا الديوان تعاليمه ويتلقّى رسائله في رقاع خاصة توضع تحت أجنحة الطيور أحياناً[٦].

نُظم هذا الديوان بإدارته السالفة وتبع له ما يعرف بقاضي العسكر الذي يتولّى الحكم بين الجند فيما شكل بينهم، وله السماع الى شكاويهم ومظلماتهم، وبالمقابل الإشتراك في وضع الخطط الحربية لسير المعارك لمداومته على مرافقة العسكر، ويذكر أن ابن شداد، بهاء الدين أبو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي المتوفى سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م وضع كتاباً في الجهاد بأدابه وأحكامه، وكان قاضياً لعسكر صلاح الدين[٧]، وكذلك شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش الدمشقي المتوفى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، وكان قاضياً للعسكر، فترسل عن السلطان الى حكام الأقاليم ومقطعيها، فيذكر أن ابن الفراش قد رافق

---

(١) البطليوسي. الإقتضاب. ق١، ص ١٤٢، ١٤٨ ؛ ابن أبي الربيع. سلوك الممالك، ص ١٥٩ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٣٦.

(٢) وابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٤-٢٥ ؛ والقرشي. العقد الفريد، ص ١٥٤ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٣، ص ١٧٢، ١٩٣.

(٣) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ١١٦ ؛ والحياري. القدس، ص ٨٢

(٤) البغدادي. الخليفة الناصر. ص ١١٢.

(٥) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٦٣ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٠٤.

(٦) انظر ؛ ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٣١، ٢١٧ ؛ وصلاح الدين البحيري. المخابرات الأيوبية، ص ١١٤ ؛ وللمزيد انظر لاحقاً ؛ البريد والرسائل.

(٧) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٦ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٥٨.

Text Stamp

العماد الكاتب للتحقيق مع مظفر الدين كوكبري -صاحب حران-(١). وتولى نجم الدين خليل بن علي بن الحسين المصمودي الحنفي الحموي المتوفى سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، قضاء عسكر العادل الأيوبي بعد أن كان البدر بن الأبيض قاضياً لعساكره(٢).

وترد الإشارة إلى بعض الوظائف العسكرية الديوانية من أرباب السيوف كالدوادار(٣)، ونقابة العساكر والمهمندارية وشد مراكز البريد، الذي يتولى التفتيش على خطوط البريد لملاحقة سير السعاة والخيالة، وأمير آخور الذي كانت ولايته تتعلق باسطبل السلطان وخيوله(٤)، وناظر الزردخاناة الذي يشرف على بيت تموين الجيش من الأسلحة والعتاد اللازم، وكان تعيينه يتم من قبل السلطان مباشرة «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي الفلاني في خزائن السلاح على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته(٥)».

الإقطاع العسكري:

تحدثنا في الفصل الثالث عن السياسة الإقطاعية للدولة الأيوبية، فوجد ما يعرف بديوان الإقطاع الذي يتولى توزيع الإقطاعات على الأمراء(٦)، أما ممن لم يشملهم النظام الإقطاعي من أفراد الجيش فقد سموا بالبطالين، ويتولى ديوان الإقطاع صرف عطائهم في أوقات المعارك، وهذا ما ذكر بحق بعض الأمراء عند حصار الفرنج لعكا سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م(٧).

جعل صلاح الدين ومن جاء بعده لأمرائه ومماليكه الإقطاعات(٨)، وإن كانت

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٩ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٥٤-٢٥٥. وابن الكثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٧٥. وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٥٤.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٨٠. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق ١، ص ١٦٧. وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٣٤٨.

(٣) «الدوادار هو حامل دواة السلطان، ويتولى مهمة تبليغ الرسائل عنه، عرّفت سابقاً» انظر ؛ البقلي. التعريف، ص ١٣٩.

(٤) للمزيد انظر ؛ المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٤١ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٤٧ ؛ وجبران. مملكة حماة، ص ١٣٣-١٣٩.

(٥) نبيل عبدالعزيز. خزائن السلاح. ص ١٠٨، ١١٢.

(٦) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص٨٩.

(٧) الأصفهاني. الفيح القسي، ص٤٥٧. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص٥٢٢.

(٨) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص٢٥٨.

بعض هذه الإقطاعات قد تتفاوت مساحتها ولا تحدد بالمدة المقررة في سجلات الديوان، تبعاً للوجود العسكري الصليبي المتواصل في هذه المنطقة[١]. حيث يُقطع هذا الأمير أو ذاك مقابل تعهده بإرسال التقارير عن أحوال إقطاعه لإدارة الدولة، ويلتزم بتقديم مجموعة من الجند لإدارة الدولة المركزية إذا طلب منه ذلك[٢]. إذ يتعهد كل مقطع بأن يخرج إلى الحرب ومعه عدد من الفرسان باذلاً ما يستطيع في الدفاع والمواجهة، وإذا أخل الأمير بهذا الشرط حرم من إقطاعه، وهذا ما أقدم عليه صلاح الدين حيث أخذ إقطاعات جماعة من الأمراء في أعقاب هزيمة الجيش الأيوبي في وقعة الرملة سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، ثم عند سقوط عكا سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م[٣]. فمما لا شك فيه أنه لكل مملكة أيوبية أو إقطاعية عسكرية قواتها الخاصة بها، ومجموعها هو الذي بلغ تعداد هذا الجيش، فعسكر دمشق كانوا ألف فارس[٤]، وهكذا عسكر حماة[٥]، وحلب[٦]. أما حمص والكرك فلم تتوفر لنا المعلومات الكافية حول أعداد جندها غير ما ذكر سابقاً بأنه كان لأسد الدين شيركوه فيها خمسمائة مملوك سموا بالأسدية، هذا بالإضافة لما تستعين به الدولة الأيوبية من عساكر الإمارات الأخرى في بلاد الموصل والجزيرة[٧].

زي العسكر:

بالنسبة للباس العساكر فقد بخلت علينا الروايات بشهاداتها للأزياء التي استخدمتها عساكر الدولة، غير ما ذكرنا من لباس الأمراء والقادة. وعلى حد قول المؤرخ الصليبي وليم الصوري من أن لباس العساكر كان من الحرير الأصفر أحياناً،

---

(١) طرخان. النظم الإقطاعية، ص ٤٨.
(٢) جب. صلاح الدين الأيوبي. ص ١٨٦ ؛ وطرخان. النظم الإقطاعية، ص ٦٦.
(٣) للمزيد انظر ربيع. النظم المالية، ص٣٥.
(٤) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص١١٧. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ص٢٥٠. ويذكر أن عدد عساكر دمشق بلغ ثلاثة آلاف جندي في عهد الملك المعظم عيسى. انظر ؛ الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص٢٨٧. والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص١٢٢.
(٥) وهذا كان عدد عسكرها في أحداث سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م. انظر ؛ الأصفهاني. ص١٢٨.
(٦) جب. دراسات، ص١٠٥.
(٧) م. ن، ص١٠٥.

لذا ربما امتاز هذا اللباس بالبساطة، كما كانت عليه الجيوش الإسلامية السابقة، كلبس السنجق وشد السيوف على الوسط والدبابيس تحت الركب ولبس الشربوش على الرأس، حتى جاء عهد الملك المعظم عيسى، فاستحدث الكلوته الصفراء بلا شاش، ولبست بعض الأقبية - الزرد - فوق الثياب[1]. وتحدثنا في الفصل الأول من هذه الدراسة عن إدارة دار الطراز الأيوبية التي يتولاها أحد الرجال المقربين للسلطان، ولا سيما إذا كانت هي صاحبة الشأن في صنع الألبسة الرسمية للملوك والأمراء[2].

التموين:

وإن اعتمدت القوات الإقطاعية على تجهيز نفسها، فقد رافق الجيش في حروبه الزردخاناة وخزائن السلاح، والأسواق، ويتولّى أمرها متخصصون بتوزيع هذا السلاح على الجند باختلاف أصنافها[3]، وكذلك توزيع الأموال، فالدولة لم تبخل في بذل المال في سبيل تحقيق أهدافها العسكرية، ووجدت في بعض الأحوال، أن هذه الأموال هي التي تحدد مصير المعركة[4]. فحملت كل هذه الأثقال العينية والنقدية على ظهور الجمال والبغال المخصصة لهذا الغرض حتى بلغت سبعين ناقة في بعض المعارك[5]، وكانت إدارة الجيش المتخصصة تهتم اهتماماً كبيراً بهذه الأثقال، فتجعلها في منطقة آمنة كساقة الجيش أو قلبه بحراسة بعض القوات حتى لا تصل أيدي القوات الصليبية إليها. وترفد من هذه الأثقال العساكر المتواجدة في المناطق

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٤ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٤، ص ٣٦٧ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٢٣.

(٢) في الحديث عن دار الطراز وولاية ناظرها وعريفها ورقامها انظر الفصل الأول. التقاليد والألقاب السلطانية.

(٣) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٦٦ ؛ والطرسوسي. تبصرة أرباب الألباب، ص ٤، ٦، ١٠، ١٢ وغيرها وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٢٥ ؛ وربما استخدمت هذه الزردخاناة أحياناً كسجن لمن فر من المعركة، انظر ؛ ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٧-١٨.

(٤) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٩٨١ ؛ والقاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٧ ورقة ٨ أ.

(٥) الذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث ٦١١-٦٢٠ هـ، ص ١٢ ؛ والمعاضيدي وآخرون. الوطن العربي، ص ١٣٩ ؛ وجب. صلاح الدين الأيوبي، ص ٦٦-٦٧ ؛ و Regan. Saladin, p.p. 124-125.

Text Stamp

المحاصرة من جهة أخرى[١]، حيث ترافق الحملة قافلة التموين وتحتوي على كل ما يحتاج إليه الجند، وكانت هناك جماعة تتولى توزيع الأرزاق والمؤن، موثقة من خلال كتابات الديوان، توزع على القادة والأمراء ليقوم كل قائد بدوره بتوزيعها على أمرائه، ثم من الأمراء لجنودهم[٢]، بالإضافة إلى تواجد السوق التجاري بطباخيه وخبازية يرافق العساكر للبيع والشراء زيادة على مخصصاتهم من الثقل[٣]، وهذا مما كان من أصحاب هذا السوق أن يلجأوا إلى رفع الأسعار وإستغلال العساكر في مثل هذه الأوقات الحرجة ؛ يقول العماد الأصفهاني في أحداث سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، : «فركبت إلى سوق العسكر للابتياع أخذ السعر في الارتفاع، فقلت لغلامي : فأعرض للبيع أحمالي وأثقالي، وانتهز فرصة هذا السعر الغالي. وأنا صاحب قلم لا صاحب علم. وقد استشعرت نفسي في هذه الغزوة من عاقبة ندم»[٤]، فلهذا ربما دخل الوهن في صفوف الجيش[٥].

وقد تكون الميرة للجيش بأن يحمل العساكر أزوادهم، فيخاطب السلطان عساكره للتزود حسب المدة المتوقع قضاؤها في حملته العسكرية، ففي وقعة الرملة سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م نودي «بأن خذوا زادكم عشرة أيام أخرى ... أو زاد شهر في مواقع أخرى»[٦]، ويروى في أحداث سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م أن السلطان الأيوبي قد أمر بإعداد الدقيق بكميات كبيرة لتتزود منها العساكر عند هجومها على إحدى الحصون المجاورة[٧].

---

(١) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ٩٩٧ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٦٠ ؛ وأبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٤٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٥٠ ؛ ونوري سياسة صلاح الدين، ص ٤٦٠ ؛ ولا تسعفنا الروايات حول تحديد الكميات اللازمة من الميرة والسلاح لهذا الجيش، انظر : Ehrenkreutz. Saladin, p. 124.

(٣) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٧٠ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤١٣. ودريد نوري. فكر صلاح الدين، ص ٧٦.

(٤) مجهول. أعمال الفرنجة، ص ٥٥، ٨٦ ؛ الأصفهاني. البرق. جـ٣، ص ٢٢. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ٢٧١.

(٥) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٢٨.

(٦) الأصفهاني. البرق، جـ٣، ص ٣٢ ؛ ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٥٨ ؛ وجب. دراسات في حضارة الإسلام، ص ١١٠.

(٧) الأصفهاني. البرق، جـ٣، ص ١٧٥.

ولاية الشحنة :

ارتبطت إدارة المدن بفرقة من العسكر، تساعد الوالي في تنظيم شؤونها سميت بالشحنة «والمشحون شحنة من الخيل أي رابطة، وأطلقت على الطائفة التي تضبط البلد بأمر السلطان، والشحنة لفظ تركي معناه رئيس الشرطة أو العسس، وعرف هذا المصطلح في العصر السلجوقي»[(١)]، وتعددت الألفاظ التي سمي بها رجال الشحنة منذ العصور الإسلامية الأولى، ولكنها لم تعرف بهذا اللفظ ووظيفتها الإدارية إلا في فترات وعهود لاحقة[(٢)]، فمبدأ عملها أولاً وأخيراً هو الحفاظ على الأمن والاستقرار[(٣)]، فسميت بالشحنة لتقوم بمهمة المحافظة على الأمن والاستقرار في ولايات الدولة وممالكها ودروبها، بالرغم من اختلاف الأسس التي أصبح بناء عليها يختار الشحنكية[(٤)]، أما أتباعها فسموا بالخفراء أحياناً وبالدرك أحياناً أخرى، كل حسب المهام التي كانت توكل إليه[(٥)]، ترد الإشارة عند نظام الملك الطوسي المتوفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، الى أن معنى وظيفة الخفراء كانت حراسة الأبواب ومن يتوكل بها[(٦)]. وسميت بعض تجهيزاتها بالمآصر لما كان من مهامها في مد الحبال في الماء لمنع السفن من السير حتى تدفع هذه السفن ما عليها من رسوم ومكوس، وربما أطلقت المآصر على الضريبة نفسها التي رتبت أحياناً لصاحب الشحنة[(٧)].

جاء تطبيق الشحنة استجابة لمتطلبات الشرع وتحقيقاً لأمن الدولة وسلامة

---

(١) ابن منظور. لسان العرب، م ١٣، ص ٢٢٤. والخطيب. معجم المصطلحات، ص ٢٦٩-٢٧٠. ودهمان. معجم الألفاظ، ص ٩٦.

(٢) صالح درادكة. نظام الشرطة، ص ٨٠.

(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١، ص ١٠٢.

(٤) القرطبي. الصلة، ص ٥٦ ؛ والصابي. الوزراء، ص ٢٠ ؛ وابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٠٧، ١٦٦ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٢٣ ؛ والحياري. الديوان، ص ٦٧ ؛ وابراهيم الفحام. الشرطة، ص ١٢٤.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٣٤ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٤٤ ؛ وابن عبدالظاهر. الروض الزاهر، ص ١٣٦، ١٦٥ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٢٥٩، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٢ وغيرها ؛ وعاشور. الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٨٢٥ ؛ وعبدالواحد طه. من أعمال صاحب الشرطة، ص ٧٢.

(٦) نظام الملك الطوسي. سياست نامة. ص ١٥٢.

(٧) ابن منظور. لسان العرب، م٥، ص ٧٧ ؛ والذهبي. تاريخ الإسلام، جـ١٨، ق١، ص ٤٢٩ ؛ وعاشور. الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٩٦٦ ؛ والدوري. تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٩٠، ١٩٢.

الطرق وكف يد الاعتداء عن الغير[١]، وربما قام بواجباتها الحاجب أو أمير جندار أو نائب الوالي أو حتى القاضي[٢]، وصاحبها كغيره من أصحاب الولايات لابد له من تقليد سلطاني يحدد له فيه واجباته، والمناطق التي تضمها ولايته ،فيصعد القلعة السلطانية، ويقلد شارة الوظيفة ويخلع عليه من الخلع، ويخصص له جامكية وإقطاع يقومان على معيشته[٣]. أما في الولايات الأصغر فيتم تعيين صاحب الشحنة من قبل المقطع أو الوالي، خلا بعض الاشارات التي تفيد تدخل السلطان بتعيين أو عزل صاحب الشحنة[٤]، ولا بد من تعميم اسم صاحب الشحنة على الناس، لتحصل به منه رهبة في النفوس، وبه تدرأ المفاسد[٥]، بعد أن يطلب إليه السلطان العدل والانصاف ومخافة الله في سياسته مع النـاس[٦].

تقلد وظيفة الشحنة- كما أشرنا- الزنكيون والأيوبيون في إدارة الدولة السلجوقية، حتى آل اليهم الحكم فيما بعد، لذا نستطيع القول أن تنظيم هذه الوظيفة بهذا الشكل، قد جاء من خلال البُنى المؤسسية السلجوقية خاصة، والنظام الإداري العباسي بشكل عام، فاستفدنا من تلك الاشارات التي تزودنا بها المصادر الأولية عن التاريخ الحضاري للخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية.[٧]

تكاد الشحنة تعد خطة ضرورية في معظم المدن التي يتم فتحها، فما أن تدخل المدينة في حكم الدولة حتى ترتب لها الشحنة، لتحقيق الأمن والاستقرار، والتمهيد للتراتيب الإدارية الأخرى[٨]. ولها ما يعرف بديوان الشحنة أو مجلس

---

(١) الشيزري. المنهج المسلوك، ص ٦٦٨، ٦٧٤.

(٢) النابلسي. لمع القوانين، ص ٧٠، وابن عبدالظاهر. الروض الزاهر، ص ٢١٩ ؛ اليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٧٠ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٣٢ ؛ و Holt. The Age of the Crusades, p. 79.

(٣) الصابي. المختار، ص ١٤١-١٦٧ ؛ ومسكويه. تجارب الأمم، جـ٢، ص ١٦٢ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٨ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ١٢-٣٠ ؛ الحياري. الديوان، ص ٣٨ ؛ و Holt. The Age of the Crusades, p. 71.

(٤) ابن الأزرق. بدائع السلك، جـ١، ص ٢٥١ ؛ وطرخان. النظم الإقطاعية، ص ١٩٧ ؛ ودريد نوري. نظم دمشق، ص ٩٨ ؛ وصالح درادكة. نظام الشرطة. ص ٦٨.

(٥) الطبري. تاريخ، جـ١٠، ص ١٦ ؛ وصالح درادكة. نظام الشرطة، ص ٧٠.

(٦) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ٧٦ ؛ والقلقشندي. مآثر الأنافة، جـ٢، ص ٢٣.

(٧) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٢٤، ٣١ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٥١.

(٨) القرطبي. الصلة، ص ٣٠٦ ؛ و ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٧٣ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، =

Text Stamp

الحكم[١]، ولصاحب الشحنة سجلاته التي تدون فيها أحكامه وما يتوفر لديه من معلومات خاصة بأسواق المدينة[٢]، ولصاحب الشحنة من ينوب عنه في أداء مهمته يعينه أمير المدينة وواليها، ويتولى هذا بدوره قيادة جماعات مسلحة منظمة من السكان[٣]، ويتبع لرئيس الشحنة الأعوان وما يسمى بالنقيب والغلمان[٤]، وترد الإشارة إلى اختيار عناصر الشحنة من المولدين الذين يعتنقون الإسلام حديثاً وهم من غير أبناء المناطق المراد ولايتهم عليها، فلا تربطهم المصلحة بعامة الناس، فتخصص لكل منهم جامكيته وجرايته، وتوزع عليهم واجبات حفظ الأمن في الطرق والمسالك وحارات المدينة، ويتفقدهم صاحب الشحنة بين الفينة والأخرى، حيث يقسمون إلى جماعات «أرباع» فإذا ما ألقي القبض على شخص ما، تولى أمره صاحب هذه الجماعة، ثم يتولى أمره صاحب الشحنة ولا سيما إذا كانت قضيته مؤثرة وأمره هاماً[٥]. ولصاحب الشحنة كاتبه وعنده من معرفة بالحدود والقصاص والعقوبات بمختلف تفاصيلها[٦]، ولا بد لصاحب الشحنة من اليقظة الدائمة مع أعوانه هؤلاء، فإذا ما أخل بواجبه كان مصيره العزل والمصادرة[٧].

كان السجن هو العقاب الأول للخارجين على النظام، ووجد السجن عبر الفترات التاريخية المتعاقبة في دار المعونة والشحنة أو في القلاع الحصينة كالكرك وغيرها[٨]، وتختلف الأماكن التي يسجن بها المتهم، وخاصة في بداية الاعتقال عند أخذ

- ص٧١. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ١، ص١٤.
(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٤١.
(٢) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٩٤، الحياري. الديوان، ص ٤١٣.
(٣) دريد نوري. نظم دمشق، ص ٩٧.
(٤) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٥٠.
(٥) الطبري. تاريخ، جـ١، ص ١٢٩ ؛ والتنوخي. نشوار المحاضرة، جـ٢، ص ٢١٤، ، ٢١٦ ؛ وكاهن. الشرق والغرب، ص ٢٢ ؛ والحياري. الديوان، ص ٦٧ ؛ والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٣٢.
(٦) البغدادي. كتاب الكتاب، المنشور في مجلة المعهد الفرنسي. دمشق (١٩٥٢-١٩٥٤) ص ١٤٩-١٥٠ ؛ والتنوخي. الفرج بعد الشدة، جـ٣، ص ٣٠٩ ؛ البطليوسي. الاقتضاب، ق١، ص ٥٩ ؛ والحياري. الديوان، ص ٨٣، وما بعدها.
(٧) مسكويه. تجارب الأمم، جـ٢، ص ١٥٧.
(٨) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٥٨ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٥٨ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ١٨٨ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٥ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ٤٦.

الشخص بالتهمة[١]، وتتخذ الاحتياطات اللازمة في هذه السجون لئلا يعتدي السجين على نفسه، مستخدماً الأدوات التي بداخله أو التي يحتاج إليها في مأكله[٢].

لا تتوافر لدينا معلومات دقيقة حول أعداد فرق الشحنة هذه، غير ما يرد بالإشارة إلى عهود سابقة فقد يزيد عددهم عن ثلاثمائة شخص في المدينة الواحدة[٣]، وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كان صاحب شرطة بغداد الابزاعجي، فكانت عدة شحنته من الفرسان والرجالة في بغداد وحدها سبعة آلاف، خلا الأعداد التي أخذ على عاتقها حماية النواحي الأخرى، ولا سيما حفظ الأمن في الطرق الموصلة إلى المدينة[٤]. وقد يقتطع جزء من العسكر أحياناً للقيام بواجبات الشحنة وخاصة في المدن الرئيسة، إذ لم تكن أعداد الشحنة كافية في ظل الظروف الطارئة من الهرج والاضطراب[٥].

ويحمل مثل هؤلاء الشحنة أسلحة متنوعة بسيطة، «كالطبرزين» يطوفون حامليه حماية لأنفسهم ورهبة لهم في نفوس اللصوص وقطاع الطرق[٦].

وهذا التنظيم والاهتمام بسلامة الطرق وولاية الشحنة في العصر الأيوبي خاصة، بإشراف السلطان المباشر مما أدى إلى قلة حوادث الاعتداء والسرقة في المدن والمسالك[٧]. وكانت على عاتق الشحنة «الجلواز» تقع مهمة تنفيذ ما يصدر

---

(١) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣٣٩.
(٢) الطبري. تاريخ، جـ١٠، ص ١١٣.
(٣) ابراهيم الفحام. الشرطة، ص ١٢٣.
(٤) «الابزاعجي : أبو الحسن الابزاعجي لقب بهذا لأنه كان يخدم قائداً من غلمان أبي أحمد طلحة بن جعفر المتوكل، وكان لقبه أبزاعج، فتولى الشحنة وسمي بالابزاعجي، وهو تركي الأصل». التنوخي. نشوار المحاضرة، جـ٣، ص ١٨٢، ٢٢٠.
(٥) القرطبي. الصلة، ص ٤٨ ؛ وعماد الدين خليل. الإمارات الأرتقية، ص ١٦٥ ؛ وسعيد عاشور. المجتمع الإسلامي، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٢٤٥.
(٦) «الطبرزين هو عبارة عن سكين طويلة». متز. الحضارة الإسلامية، جـ١، ص ٢٢٤ ؛ وصالح العزاوي. الشرطة، ص ٢١.
(٧) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٥٥ ؛ والأصفهاني. البرق، جـ٣، ص ١٧ ؛ والبغدادي. الإفادة والاعتبار، ص ١٦٢ ؛ وابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ١٤٧ ؛ الحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٤٤.

عن القضاة بحق الرعية، من المثول أمام القضاة أو الحبس أو إطلاق سراح المسجونين، أو حتى مساعدة القاضي في إثبات حقيقة الجرم بدلائل ظاهرة[١]، وتتولى الشحنة منع المشاجرات بين الأهالي، والوقوف أمام الفتن التي تقوم بها القبائل والطوائف المختلفة[٢]، وهكذا حماية الطوائف الذين حَتم وجودهم في الممالك الأيوبية، فبعد فتح القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ؛ يذكر رنسيمان : «صار رجال الشحنة يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء على المسيحيين»[٣]. وقد ترتب الشحنة على أبواب المدينة لحمايتها وتهذيبها، وتنظيم الدخول والخروج منها وإليها، فيصدر مرسوم السلطان لصاحب شحنته بالأوامر الخاصة بذلك[٤]، ولبعض هؤلاء الشحنة تنظيم المرور عبر هذه الأبواب وتلك الأسواق أحياناً، لتساعدهم على أداء مهامهم وتنظيم عملهم[٥]. ويرى البعض أن الشحنة كانت من تقسيمات العسكر الأيوبي كأحد أطلابه فتقوم بمهام حربية عسكرية[٦].

أما العقوبة التي تصدر عن صاحب الشحنة مع شدته وصرامته والتزامه بأحكام الشرع[٧]، فله مهام الحبس، وإقرار الجاني بجنايته، حتى إذا ما أقر بها، أنزل به العقوبة المناسبة، وإذا ما ارتفع الأمر عن حدود معرفته، والتبس عليه، رده الى ولاة الأمر[٨].

فعبر هذه الفترات التاريخية المتلاحقة المتداخلة كان لصاحب الشحنة مكانته

---

(١) البطليوسي. الإقتضاب، ق١، ص ١٥٩ ؛ الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٨ ؛ والكساسبة. المؤسسات الإدارية، ص ٩٧ ؛ ابراهيم الفحام. الشرطة، ص ١٢٢.

(٢) الطبري. تاريخ، جـ١٠، ص ٨، ٩٤ ؛ وابن العديم. تاريخ، جـ٣، جـ٢٥ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٧١ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) رنسيمان. الحروب الصليبية، م٢، ص ٧٥٢.

(٤) الصابيء. المختار، ص ١٥٥-١٥٦ ؛ أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٧٤، ٩٥ ؛ وابن العبري. مختصر الدول، ص ٢٥٤ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ٢٢ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ٧٣ ؛ و Humphreys. From saladin, p. 146.

(٥) ابن عبدالهادي. ثمار المقاصد، ص ٨٢ ؛ وعبدالواحد طه. من أعمال لشرطة، ص ٧١.

(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤٠٧ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٢٦ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٣٠ ؛ وصالح العزاوي. الشرطة، ص ١٧.

(٧) ابن أبي الربيع. سلوك الممالك، ص ١٦٢ ؛ والحياري. الدواوين، ص ١٨، ٦٩.

(٨) التنوخي. الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص ٩٢، ١٠٧ ؛ الملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٥٣ ؛ ابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٥ ؛ والحياري. الدواوين، ص ٣٧.

عند السلاطين والولاة[1]، أما عند العامة والناس فقد كان محط كره وبغض، وخاصة إذا أساء السيرة مع العامة، أو إذا ما كانت الشحنة أداة طيعة في يد الحاكم أو الوالي[2]، ويزعم البعض أنه انطلاقاً من هذه النظرة فقد ألغى نورالدين محمود بن زنكي ومن بعده الأيوبيون خطتها وأوكلوا مهامها للقاضي[3]، وإن زودتنا الروايات بخلاف ذلك، فتولاها تورانشاه بن أيوب وأخوه صلاح الدين سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٣م، ثم وليّها غيرهم حتى نهاية الدولة الزنكية في بلاد االشام[4]. وتولاها من شهد لهم بالعلم والتفقه من رجال الدولة الأيوبية، ونهجت إدارتها سياسة متفاوتة[5]، فيذكر أن الشحنة لم تكن مطلقة التنفيذ وخاصة مع رجال المراتب العليا في الدولة.[6]

تجمع وظيفة الشحنة أحياناً إلى غيرها من التراتيب الإدارية، يتولاها شخص مؤقتاً، إلى حين ترتيب ولايتها، وقد يترقى صاحبها إلى وظيفة أعلى كالوزارة والحجابة والقضاء والولاية والديوان وغيرها[7]. وتدوم ولاية صاحب الشحنة لعشرات السنين، وممن تولى الشحنة الرئيس أبو المعالي أسعد بن عزالدين بن يعلى حمزة ابن القلانسي التميمي المتوفى سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م[8]، وتولاها في دمشق بدرالدين مودود، تولى شحنتها عشرين عاماً وتولى بعده المبارز إبراهيم بن موسى المعروف

---

(١) التنوخي. نشوار المحاضرة، جـ٣، ص ٢١٦ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤٣٠ ؛ وابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٦٨ ؛ ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص ٢٥ ؛ وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٩٢ ؛ والحياري. الديوان، ص ٣٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٨٥، ٢٨٦ ؛ والكيلاني. هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص ١٣٥ ؛ وصالح درادكة. نظام الشرطة. ص ٧٢.

(٣) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٨ ؛ ومؤنس. نور الدين، ص ٣٩٣ ؛ و .Elisseeff. Nur Ad-Din, V.3, p. 833

(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٢٥٢، ٢٨٨ ؛ ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٠٨.

(٥) سبط ابن الجوزي. جـ٨،. ق١، ص ٢٢، ٢٨٨ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ٦ ؛ وعبدالواحد طه. من أعمال صاحب الشرطة، ص ٧١ ؛ وصالح درادكة. نظام الشرطة، ص٧٠. و Elisseeff. Nur Ad-din, V. 3, p. 830

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٤٠ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٢٨ ؛ وابن الأزرق. بدائع السلك، جـ١، ص ٢٩٠ ؛ وقارن هذا في التنوخي. نشوار المحاضرة، جـ٣، ص ١٠٢.

(٧) الصابىء. المختار، ص ١٤٢-١٤٣ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٣٩ ؛ أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٥١ ؛ والروضتين، جـ٢، ص ١٢٥، ١٣٨ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤٤١ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ١٥١ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ١٤.

(٨) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٤.

بالمعتمد أربعين عاماً، حتى جاء سيف الدين بن صبرة المتوفى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، في أواخر عصرها الأيوبي[١]. وتولاها في حلب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٢م، شجاع الدين محمد بن برغش البصراوي[٢]، وتولاها سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م عيسى الكردي الهكاري[٣]، ثم حسام الدين بشارة[٤]، وتولاها في حلب سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، أبو القاسم صفي الدين ابن علي بن الطريرة[٥].

ولاية الحاج

ولاية الحاج ذات اهتمامات متشعبة أولها : تسيير الحجيج وزعامتهم وتدبيرهم، فاشترط في صاحبها أن يكون مطاعاً شجاعاً ذو هيبة، ومن هنا رجحنا لتصنيفها في الإدارة السياسية العسكرية، حيث كان السلطان يوصي أمير الحاج بأمن الحجاج ورعايتهم، وواجب الأمير الآخر : هو إقامة شعائر الحج وهنا تعتبر زعامة دينية خالصة[٦]. فاعتاد الأيوبيون على نهج أسلافهم في إرسال بعثة الحج السنوية إلى الديار المقدسة، فيتجمع لها الناس والحجيج من مختلف المناطق، وكان مركز تجمعها الرئيسي في دمشق والقاهرة، أو قد تنطلق حملات أخرى من مدن الشام كالقدس وإيلة[٧]، وتسلك هذه القافلة طرقها المعهودة : -دمشق- عمان- معان - تبوك - تيماء - وادي القرى - المدينة المنورة، أو تسلك طريق دمشق - عمان - بير علي- الآجولي - تجر - تيماء - وادي القرى - المدينة المنورة - أو قد تغيّر القافلة خط سيرها نظراً للظروف المحيطة من جراء الاعتداء الذي تتعرض له من القبائل المقيمة في طريقها.[٨]

---

(١) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٥٠.

(٢) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٧٥. وابن الفرات. تاريخ، م ٥، جـ١، ص ٣٩.

(٣) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، حـ١، ق١، ص ٣٨.

(٤) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٧٣. وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٧١. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٧٩.

(٥) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٨٦.

(٦) الماوردي. الأحكام السلطانية، ص ١٧١.

(٧) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٢ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٥٦، ٥٦١، ٥٦٤ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٠٦، ٢٠٨.

(٨) للمزيد انظر : المقدسي. أحسن التقاسيم، ص٢٥١ وما بعدها. وابن رسته. الأعلاق النفيسة، ص١٨٣.

وفي تنظيم الأيوبيين لهذه القافلة كان يصدر التقليد السلطاني لأميرها[١]، فيتولى أمرها أحد رجال الدولة المشهورين، وخاصة مماليك السلطان ومقربيه، وقد تتكرر لأحدهم ولايتها لأكثر من مرة، ويرافق هذه البعثة الدينية كبار رجال الإدارة وأشرافها[٢]، وتأتي جموع الحجيج الذين يتجمعون سنوياً في أوقات معلومة، فتنظم لها سجلات وجرائد بأسماء المشاركين في هذه القافلة، كديوان مؤقت لهذه الإدارة الموسمية له قضاته وموظفوه، حتى يتم تجهيزها بما تحتاج إليه من متطلبات أمنية وتموينية تكفي لهذه القافلة غرضها، وتيسر على الحجاج حاجاتهم إذا كانت هذه القافلة محط أطماع القبائل وقطاع الطرق، فترافق القافلة فرقة من العسكر تتولى حمايتها وتنظيم سيرها وفق نظام يسهل حركتها ويحدد لها محطات راحتها.[٣]

وقد استمرت قافلة الحاج الشامي برحلتها السنوية في الوقت الذي كانت تعاني فيه هذه القافلة من بعض الظروف الطارئة وخاصة كثرة الحروب التي شغلت ذلك العصر[٤]، أو علاقة الأيوبيين من خلالها بادارة الخلافة العباسية، فيبدو أن هذه العلاقة قد عكستها أحياناً قافلة الحاج هذه فأمير الحاج الشامي مستقلاً أو تابعاً للإدارة العباسية وخاصة في هذا الأمر، فها هو شمس الدين محمد بن عبدالملك المعروف بابن المقدم أمير الحاج الشامي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، يقول لمجير الدين طاشتكين أمير الحاج العراقي وقد طلب منه هذا الأمير عدم الإفاضة قبله وألا تضرب كوساته على مسمعه: «وليس لي معك تعلق، فأنت أمير الحاج العراقي وأنا أمير الحاج الشامي ....» حتى وقع الاقتتال بين الطرفين، وقتل به أمير الحاج

(١) القلشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص ١٢٥.
(٢) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٢، ٨٦ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق١، ص ٣٨٩ ؛ وق ٢، ص ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٧١، ٥١٠، ٥١٢ وغيرها ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١١٩ ؛ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٨٧، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٤٥، ٢٤٨.
(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٥، ٢٣٧ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١١٥ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٤٦٣. وهذه القافلة أصبحت أكثر تنظيماً في العهود اللاحقة.
(٤) ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص ١٧٣ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٣٨.

الشامي(١). إذ تعد هذه القافلة ظاهرة للنفوذ السياسي الديني للدولة الأيوبية في الممالك الحجازية، فتأتي هذه القافلة بأخبار مكة وما حولها، وتكشف لها ظروفها وحالة مجتمعها الذين كانوا تربطهم بالسلطنة الأيوبية في مصر وبلاد الشام علاقات جيدة وخاصة الاقتصادية منها(٢)، وأصبح لهذه القافلة لكل هذا وذاك أهمية خاصة في نظر سلاطين بني أيوب فاحتفلوا بها وسهلوا لها أمرها.

وممن تولاها في الشام. نجم الدين أيوب بن شاذي سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م(٣)، وصارم الدين قايماز النجمي الحراني سنة ٥٧٢ هـ/١١٧٦م(٤)، وست الشام وولدها حسام الدين لاجين سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م(٥)، وسيف الدين علي بن المشطوب سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م(٦)، وعز الدين أسامة الجبلي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م(٧)، وتقي الدين قراجا الصلاحي، مملوك صلاح الدين سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م(٨)، وصارم الدين برغش العادلي، وزين الدين قراجا -صاحب صرخد- سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م(٩)، وحج بالناس سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر(١٠)، وتولاها سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، الشجاع علي بن السلار(١١)، وتولاها سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، الغرز صديق بن تمرتاش التركماني(١٢)، وتولى قافلة الحج سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م، الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين(١٣)، وتولاها سنة ٦١١هـ/١٢١٤م، الفقيه علم الدين نصرالله الجعبري، إمام الملك المعظم

---

(١) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ١٨٨-١٨٩. ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٧، ص ٨٧، وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٥٠-٢٥٢، والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٠١.

(٢) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٢٦.

(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٢٢٧.

(٤) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٦٩.

(٥) سبط ابن الجوزي. جـ٨، ق ١، ص ٣٨٩.

(٦) ابن تغري بردي. جـ٦، ص ٨٦. ٩٣.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١١٩.

(٨) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٣.

(٩) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٥٢٤. وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٨٧.

(١٠) ابن تغري بردي. جـ٦، ص ٢٠٠.

(١١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٥٥٦.

(١٢) م. ن. ص ٥٦١، ٥٦٤.

(١٣) ابن تغري بردي. جـ٦، ص ٢٠٨.

والاستقرار، فغلب عليها صفة المرتفع والحصانة الممتنعة(١)، بحيث تؤدي معه هذه القلاع والحصون دورها الموكل بها، وتكون عندها بعيدة عن الأخطار، إذ مثلت بعض تلك القلاع مدناً مستقلة بأسواقها وحاناتها ومرافقها من مسجد وبيمارستان ومدارس مثل ؛ قلعة الكرك وغيرها(٢)، وكل هذه المؤن المتوفرة لها قوة عسكرية كافية، مكونة من خمسمائة فارس يقومون على حمايتها(٣). وربما تميزت بعض هذه القلاع بحياة مدنية مقارنة بغيرها من الحصون التي اقيمت في بعض المناطق الجبلية لأغراض عسكرية خالصة مثل حصن بيت الأحزان وحصن حبيس جلدك(٤) .

وتمثل تلك القلاع عامل وحدة لممالك بلاد الشام الأيوبية، بحيث تستطيع الدولة فرض سيادتها وهيبتها على المناطق المحيطة. دخل صلاح الدين دمشق وصعد قلعتها المسماة القلندرية أو الحيدرية، وكان بها الطواشي جمال الدين الخادم ثم استطاع من خلالها إخضاع باقي المناطق(٥). وترد الإشارة إلى أن هذه القلعة والتي تمثل مركزاً إدارياً رئيسياً في بلاد الشام قد بنيت لتكون داراً للإمارة الدمشقية في عهد تاج الدولة تتش السلجوقي سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، فلما سيطر عليها الأيوبيون، حسنوا في عمارتها وجلبوا إليها الماء(٦)، فولاّها صلاح الدين لأخيه ثم وليّها صارم الدين برغش العادلي ثم وليّها الملك الأشرف بن العادل.(٧)

وتكاد تتشابه تلك القلاع التي وجدت في ممالك الشام المختلفة في تراثها الفني والمعماري سواء ما بني منها في العصر الأيوبي أو العصور السابقة أو

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٦١٢، وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٦٦. والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٤٢.

(٢) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة. جـ٢، ق٢، ص ٧٣. وابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص ٢١٤. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٨، ص ٤١٢ ؛ وعاشور. نظم الحكم والإدارة، م٣، ص ٢٥٤. والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٥٨-٥٩.

(٣) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٠٤. وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٩٨. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٦٩. والكتبي. عيون التواريخ، جـ٢٠، ص ٤٦. والعيني، عقد الجمان، جـ١، ص ٥٠.

(٤) حسين. الجيش الأيوبي، ص ٣٧٨.

(٥) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٥٠ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٨٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٤١.

(٦) ابن طولون. القلعة الدمشقية، ص ٣.

(٧) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٤٨٤ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص١٩٨.

اللاحقة له[1]، فبني لهذه القلاع أبراج بفتحات تتخللها للمراقبة بحيث تضيق هذه الفتحات من الخارج وتتسع من الداخل بأروقتها التي تحمي الجند من النشاب وحجارة المنجنيق، ويستمر حافظها في عمارتها وتجمع الأموال لترميمها حفاظاً على سلامتها وتأديتها لمهامها[2]، وملك صلاح الدين اللاذقية وولّى قلعتها لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه فعمرها[3]. وهكذا كان الملك المجاهد الأسدي سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م في حمص، فساق إلى قلعتها الماء من العاصي وطور في عمارتها وحصانتها.[4]

وقد يتم تخريب بعض هذه القلاع وعمارة غيرها مكانها، وخاصة إذا ما تعرضت للهدم ويئس من عمارتها أو خوفاً من أن تشكل مأمناً للخارجين على سلطان الدولة، فيذكر في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، أن عماد الدين اسماعيل قد خرب قلعة إعزاز وهدمها، ثم عمر سليمان بن جندر بدلاً منها[6]، ويروى أن السلطان صلاح الدين قد زار قلعة بيسان سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م فقال : «الصواب أن تبنى هذه وتخرب كوكب»[7]، ويذكر في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، أن الملك المجاهد صلاح الدين شيركوه -صاحب حمص- قد توجه الى الرحبة لعمارة قلعة جديدة فيها، وأمر تخريب قلعتها الأولى التي تعرضت لبعض الخراب والهدم[8]. وهكذا قبض الملك العادل على الأمير عزالدين أسامة الجبلي سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وخرّب قلعته في كوكب، وبنى حصناً آخر في الطور قرب كوكب وشحنه بالرجال والذخائر[9]. وتبنى مثل هذه القلاع بالحجر والكلس التي تجمع من المناطق المحيطة، وتحفر حولها الخنادق،

---

(١) المومني. القلاع الإسلامية، ص ٣٦١.

(٢) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٣٦ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٥٦، ٩٠، ١٠٨.

(٣) أبو الفداء. المختصر، جـ٣. ص ٧٤.

(٤) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١٣٧، ٢٢٠، ٢٢١ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٨٣.

(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤٩٩.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٨) ابن النظيف الحموي. ص ٥٥-٥٦.

(٩) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٣٠٠. والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٣٤٠.

وتحيطها الأسوار ويرصف ما بين الخندق والسور بالحجارة الملساء ليصعب السير عليها[١]، وقد يستعان بعساكر الدولة في عملية البناء كي ينجز هذا العمل في الوقت المخصص والمحدد[٢]، أو قد يكون للأسرى شأن في عملية البناء هذه، فيذكر أن صلاح الدين قد إستخدم الأسرى لمثل هذه المهمة، فيذكر أنه قد وضع عدداً كبيراً من الأسرى تحت تصرف وإدارة مملوكه بهاء الدين قراقوش الأسدي عندما أوكل إليه مهمة بناء أسوار مدينة عكا[٣]. ولا بد كما لاحظنا سابقاً لموقع القلعة من متطلبات خاصة كالمناخ الصحي فلا تسوء بها الصحة الجسمية، ولا يفسد بها الغذاء، وتتوفر بها المياه لسقايتها فتكون بكل هذا ملجئاً آمناً من الأخطار[٤].

يتولّى إدارة هذه القلعة رجل يعرف بالدزدار[٥]، فيذكر أن نورالدين زنكي قد جعل نجم الدين أيوب دزداراً في بعلبك، وهكذا سميّ مقطع قلعة حلب وغيرها فيما بعد[٦]، ويشترط في هذا الدزدار أن يظهر العدل ويقمع الجور في إقطاع إدارته كغيره من المقطعين، ويقدم خدماته وقت الحاجة لإدارة الدولة[٧].

ويُفصل بين إدارة القلعة وإدارة البلد المتواجدة على أرضه[٨]، فقد ولّى صلاح الدين على حلب ولده الظاهر وولّى قلاعها لباقي قادته وخاصته، حتى ولّي قلعة المدينة شهاب الدين طغريل الخادم، فاستبد في أمر الملك العزيز بن الظاهر، فثار به أمراء حلب وجردوه من سلطته[٩].

---

(١) مجهول. أعمال الفرنجة، ص ٦٤ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٨٠ ؛ والمومني. القلاع الإسلامية، ص ٢٤٧.

(٢) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٧٧.

(٣) سعداوي. جيش صلاح الدين، ص ٦١.

(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٠٣ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٠٣.

(٥) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤٨٤، ٤٩٩ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٤٨ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٤٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٢ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٦٧.

(٦) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١١٩ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق١، جـ٢، ص ٢٢ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٣٥٥ ؛ وشوفيل. صلاح الدين، ص ١٢٦.

(٧) نوري. سياسة صلاح الدين، ص ٢٢٨.

(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٥٢-٢٥٣ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١١٧.

(٩) انظر ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري. ص ٢٥٠ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٤٧، ٤٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ١٧٠ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٤٧ ؛ وابن خلدون. تاريخ، جـ٥، ص ٣١٢.

ويتولى نائب القلعة وحافظها ولايته بمرسوم سلطاني تحدد فيه واجباته كصيانة القلعة وتجديداتها والمحافظة على الخزانة السلطانية بها، وفتح أبوابها في الصباح والمساء، ودق الطبول وغيرها من الوظائف العسكرية الأخرى التي تحتويها دواوين القلاع السلطانية[١]، حتى كان لهذه القلاع القائمون على أبوابها باحترازهم ويقظتهم في التفتيش ومنع دخول من يشك في أمره[٢]. وممن تولى دزدارية القلاع والحصون في ذلك العصر ، صارم الدين برغش العادلي المتوفى سنة ٦٠٨ هـ/١٢١١م[٣]، وأبو سعيد البدر الجعبري المتوفى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م[٤]، والناصح الغيدي من ولاة قلعة دمشق في عهد صلاح الدين[٥]. وولى صلاح الدين قلعة حلب، سيف الدين يازكوج الأسدي[٦]، وولى صلاح الدين في حارم سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣، ابراهيم بن شروه الهكاري بعد أن كان في ولاية قلعة حمص[٧]، ورتب في قلعة حماة عز الدين جورديك النوري[٨]، ورتب صلاح الدين في قلعة البيرة ابنه الزاهر داود[٩]، وجعل على قلعة كوكب سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، صارم الدين قايماز النجمي[١٠]، وعلى حصن صهيون وبلاطنس ناصر الدين منكورس بن خمارتكين[١١]، ورتب على حصون دربساك وبغراس، علم الدين سليمان بن جندر[١٢]، ورتب الملك العادل في قلعة بارين ومنبج، عزالدين ابراهيم بن محمود بن عبدالملك بن المقدم بعد أن كان والياً لحصن برزية في الساحل[١٣]، ورتب الملك المعظم عيسى بن العادل على قلعة

(١) المومني. القلاع الإسلامية، ص ٩٨.
(٢) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٥٣.
(٣) النعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٩٨.
(٤) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ١٢٨. وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٦٤٢.
(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٧٩.
(٦) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ١٧٠. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٢٨.
(٧) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤٩٩. وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٤٧، ٦٩. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٣٨٥-٣٨٦.
(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٢.
(٩) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٣، ص ٥٠٠.
(١٠) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٠٤، ٢٧٤. وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٧٤. والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٥٦.
(١١) الأصفهاني، ص ٢٤٣. وخرابشه. نيابة طرابلس، ص ٢٤.
(١٢) الأصفهاني. ص٢٥٨-٢٥٩.وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٩٣.
(١٣) الأصفهاني. ص ٢٥٢. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٦، ص ١٢٧.

صرخد سنة ٦١١هـ/١٢١٤م، أستاداره الأمير عزالدين أيبك المعظمي بدلاً من ابن قراجا الصلاحي(١)، وولى الملك العزيز بن الظاهر في قلعة شيزر سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، ابن عثمان زردك(٢).

قامت هذه القلاع بمهام عدة، إذ كانت هي العنصر الرئيس في فرض هيبة الإدارة المركزية وتعزيز وجودها(٣)، فتعتبر بمثابة حصون دفاعية للمناطق المحيطة ومراكز لمقاومة أية أخطار، فإذا ما تعرضت هذه القلاع للحصار فلا بد للإدارة العسكرية من الحيلة في تخفيف حدته عنها(٤)، ومن هنا سنتناول إحدى هذه القلاع قلعة جبل بني عوف على إحدى قمم جبال عجلون، والتي يختلف في تاريخ بنائها، فمن قائل أنها بنيت في عهد صلاح الأيوبي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، بإشراف قائده عزالدين أسامة الجبلي، أو أنها بنيت في عهد خليفته الملك العادل(٥)، فنظراً لموقعها الذي يتحكم في طرق المواصلات بين ممالك الشام الشمالية ومدنها في الجنوب، وإتصالها بنهر الأردن والساحل الفلسطيني، فقد بنيت هذه القلعة، لفرض الأمن والنظام على المناطق المحيطة بها، حيث كان بنو عوف يمثلون خطراً على ولاة السلطنة في عمل عجلون، فاعتصم الولاة بها، وأخضعوا القبائل المحيطة من خلالها لسلطانهم(٦)، حتى أصبحت مركزاً إدارياً، وقاعدة للتخزين والإمداد، ومركزاً للإتصالات وسجناً للخارجين على إدارة الدولة بولاية مقطعها أسامة السالف الذكر(٧)، فطلب إليه الملك العادل سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م تسليم هذه القلعة، فامتنع في باديء

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٥٦٩. والنويري.. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٦.
(٢) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ٢٥٠.
(٣) مونروند. الحروب المقدسة، م٢، ص ٢٤٨ ؛ والمومني. القلاع الإسلامية، ص ٢٥٠ ؛ وعاشور. الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٩٥٢.
(٤) الصوري. الحروب الصليبية، جـ٢، ص ٩٩٨.
(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٧٩. ويروي ابن فضل الله العمري وغيره أنها بنيت في عهد الملك العادل. انظر ؛ مسالك الأبصار. ص ١٨٨ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق٢، ص ٨٦-٨٧.
(٦) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق٢، ص ٨٦-٨٧ ؛ وسترانج. فلسطين، ص ٨٩ ؛ ويوسف غوانمة. الأردن، ص ٨٥ ؛ ولامب. شعلة الإسلام، ص ٩٢-٩٣.
(٧) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٧٩ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٨٦-٨٧ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ١٨١-١٨٢ ؛ والمومني. القلاع الإسلامية، ص ١١٦-١١٧.

الأمر[1]، حتى قام الملك المعظم بن العادل بانتزاع أملاكه، وخادعه وقبض عليه وحبسه في قلعة الكرك، وانتزع من غلمانه قلعتي عجلون وكوكب[2]، فأقطعت للملك المعظم هذا ثم انتقلت إلى إقطاع ابنه الناصر داود، فاقطع القلعة وما حولها لسيف الدين علي بن قليج النوري، وبقيت في ولايته حتى وفاته سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م[3]. ويذكر أن الملك المعظم عيسى قد بنى قلعة في الأزرق للمحافظة على طريق الحاج الشامي[4]، وبنى قلعة الصلت لحماية الطرق من اعتداءات القبائل المحيطة[5]، لتؤدي مثل هذه القلاع دورها على إمتداد المملكة الشامية باتصالها بقلعة جبل بني عوف السالفة الذكر.

ومن القلاع الرئيسة كذلك في بلاد الشام، حصون الإسماعيلية قرب طرابلس، وخاصة مصياف السابق ذكرها، إلا أن هذه الحصون كانت خارجة عن إدارة الدولة الأيوبية في بعض الأحيان، وإن تبعت لها في أحيان أخرى[6]، ومنها قلعة كوكب -السالف ذكرها- والتي وليّها على كره منه صارم الدين قايماز النجمي[7]، ومنها قلعة صرخد التي وليها ابن قراجا حتى عوضه الملك المعظم عنها سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م، وأعطاها لمملوكه وأستاداره عزالدين أيبك المعظمي[8]، وقلاع حمص وحماة وشيزر

---

(١) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٦٧ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٦١ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣. ص ١١٤.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٠٩ ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٥٩، ٦١ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٦٩ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ، ١٥٧. «وكوكب قلعة قديمة سميت بلفوار، وكانت مركزاً للإسبتارية حتى إنتزعها منهم صلاح الدين وولى عليها صارم الدين قايماز النجمي، فتوفي هذا فأقطعت لعز الدين أسامة، حتى أعفي أثرها سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م» ؛ ابن الأثير. الكامل، جـ١٢. ص ٣٣٠. ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق٢، ص ١٦١ ؛ وسميل. الحروب الصليبية، ص ٢١٢.

(٣) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق٢، ص ٨٨-٨٩ ؛ وابن الوردي. تتمة.جـ٢، ص ٥٢.

(٤) الحياري. الإمارة الطائية، ص ٢٧.

(٥) ابن فضل الله العمري. مسالك الأبصار، ص ١٨٨ ؛ وقارن ؛ الصوري. الحروب الصليبية، جـ١، ص ٥٥٩.

(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤١٩ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٩٦، ١٤٥، ١٥١ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٤.

(٧) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٧٤ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٧٤ ؛ والملك الأشرف الغساني. العسجد المسبوك، ص ٢٤٠ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٥٦.

(٨) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٦٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٦ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢١١.

وغيرها[١]، وبعلبك التي وليّها شمس الدين بن المقدم[٢]. ومن حصون الساحل قلعة إيلة ، «فأخذت هذه القلعة وصارت معقلاً للجهاد، وموئلاً لسفار البلاد وغيرهم من عباد البلاد» حتى استعادها الصليبيون، فوجه إليها صلاح الدين قائد اسطوله حسام الدين لؤلؤ سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م فأعادها للسلطة الأيوبية[٣]، وبينهما قلعة الكرك التي اهتم صلاح الدين في انتزاعها من أيدي الصليبيين، فولّى صهره سعد الدين كمشبه الأسدي أمر حصارها، فحاصرها هذا وقطع عنها الإمداد والزاد، حتى نفذت مؤنها، فطلبت حاميتها الأمان لنفسها ومن بها من الصليبيين. فأمنوهم، وأصبحت القلعة تحت ولايتهم المباشرة.[٤]

ويبدو أن هذه القلاع قد أصبحت مراكز إدارية عليا كدار للسلطنة أحياناً أو كمقر للوالي والحاكم المقطع في أحيان أخرى بترتيب الدواوين السلطانية المختلفة فيهـا[٥]، بحيث تصدر منها المناشير ويرفع عليها السنجق -الراية- وهو عبارة عن قطعة من القماش، عليها صورة نسر منفرد الجناحين، وكانت هذه الراية من الحرير الأصفر، طرز عليهم اسم السلطان ولقبه، وقد سمّي بعضها بالجاليش نسبة إلى إحدى الطّلب العسكرية. وإذا ما سقطت هذه القلعة برايتها سقطت المدينة بأكملها[٧]، حيث كانت تعد مخزن المؤونة لإدارة المنطقة ومخزن سلاح عساكرها[٨]، وتبقى هذه القلاع مربوطة بالسلطان مباشرة بوسائل بريدية عدة سنذكرها لاحقاً[٩].

---

(١) ياقوت. معجم البلدان، جـ٢، ص ٣٨٢ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١١٠-١١١ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٤٥ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤٠٨.

(٢) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٨٤، ١٤٨.

(٣) من رسالة فاضلية انظر ، الشيزري. جمهرة الإسلام، ورقة ٤١٦ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ٦١٩-٦٢٠ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ٨٦ ؛ و E.I.V.1, p. 784.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٦٦ ؛ وابن شداد. الأعلاق، جـ٢، ق٢، ص ٧٤ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤١٠ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ٢٨٠.

(٥) السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٧-٤٤٨.

(٧) انظر ، ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٣٩-٢٤٠ ؛ وشوفيل. صلاح الدين، ص ٢٤٦ ؛ وسميل. الحروب الصليبية. ص ٢١٧ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٣.

(٨) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ٢٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٢٥.

(٩) الحاج خليل. مدينة القدس. ص ٦٢، ٦٣.

البريد والمخابرات:

البريد نظام اتصالات قديم وضعه أكاسرة الفرس وقياصرة الروم، لتسهيل اتصالهم بممالكهم، ويقال أن أول من وضعه في الإسلام هو الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان حيث وضع البريد ؛ «لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها» ثم استخدمته الخلافة العباسية وممالكها، وكانت وسائلهم البريديه هي الخيل والبغال المختصة بمهام البريد، حتى تولى الزنكيون سلطتهم، فوضعوا نظاماً إدارياً للبريد، ورتبوا له النجابة - البريدية - واستمر هذا التنظيم البريدي في العصر الأيوبي[١]، وارتبط البريد بالإدارة العسكرية العليا للجيش الأيوبي، وربما لم يكن لباقي فئات المجتمع به من منافع خاصة، فيجزم الدكتور نظير سعداوي بأن البريد قد كان من مظاهر السلطة ولخدمتها، ولم يكن للأفراد به من نصيب[٢]، وإن وجدنا إشارات تخالف ذلك في بعض مصادرنا وتعتبر هذه الإشارات حالات استثنائية[٣].

وتحدثنا الدراسات في عمومية البريد وعماله من؛ ناظر وشاد مراكز البريد الذي يتولى مراقبة المراكز البريدية، والإشراف على السعاة والنجابة أو البريدية والقصاد في مختلف ممالك الدولة[٤]. والحديث عن علاماتهم وتصنيفاتهم من رجالة وخيالة ونقبائهم، ثم مخصصات هذا الديوان وطرق البريد وسككه حتى في العصر - موضوع البحث -[٥].

فالبريد بدءاً هو المسافة بين نقطتين، حددت هذه المسافة بأربعة فراسخ -١٢ ميلاً - وقد يطلق البريد على الخيل المقصوصة الذنب المخصصة لهذه الغاية، ويذكر البعض أن البريد قد أخذ معناه من البردي، أحد أنواع الورق، وربما أن

(١) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٤١٢-٤١٥.
(٢) ابن طولون. نقد الطالب، ص ٦٢ ؛ وسعداوي. نظام البريد، ص ٢٥.
(٣) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٨٧.
(٤) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص١٤١. والبقلي. التعريف، ص٤٧.
(٥) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ١١٠ ؛ وبيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ٧٣، ١٠٢ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ١٥٢ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٤١٥ ؛ وسعداوي. نظام البريد، ص ٦٦ وما بعدها.

الكلمة «أعجمية المعنى وفارسية اللفظ» فلم تستقر لها دلالة بتعدد وسائلها، واختلاف مهامها غير ما عرف بأنه مسافة معلومة بين نقطتين قدرت سابقاً[١]. ثم أصبح البريد هو عين السلطان وساعده في بسط نفوذه وإنفاذ أوامره، لذا كان ولاته في البريد من أولي الثقة والدراية والكفاية، من لا يساء الظن بهم أو بألسنتهم وأقلامهم، وعندهم من الدهاء والحيل، ويعرفون لغة من يريدون التعامل معهم، ويكون هذا الموظف صبوراً محافظاً على أسرار سيده.[٢]

ويعتبر الحمام الهوادي الوسيلة الرئيسة من وسائل الاتصال البريدية في العصر الأيوبي، وزودتنا الدراسات بمعلومات لابأس بها حول استخدامها وتدريبها، فيحدثنا أحد الكتّاب عن الحمام وأحسنه وأول من استخدمه وطرق تربيته وتدريبه وكيفية استخدامه، حتى أشهر من اهتم للكتابة له وتتبع أخباره وديوانه، فالأجراس تعلق بأسلاك لتنبيه المراقبين بوصول رسله، وقد استخدم هذا الطير، بعبه للماء عباً تميزاً عن غيره من الطيور، وله خاصية الحنين إلى موطنه، بالشكل الذي جعله يقوم بمهامه على أكمل وجه، فارتفع ثمنه وغلى سعره، حتى وصل سعر الطير من الحمام إلى سبعمائة دينار[٣]. واستخدم المرتبون والموظفون لإطعام هذا الحمام وتغذيته، ليعتاد الألفة والأنس مع هؤلاء، ثم ينقل الحمام من موطنه الى المكان المراد وصله به وبالعكس، ينقل في أقفاص مكشوفة[٤]، والبطاقات التي يحملها هذا الحمام رفيعة جداً مختصرة في مضمونها، وتوضع تحت الجناح «مغروزة» في جانبها كي لا تبل بمطر، فيصيبها التلف وتخفو كتابتها[٥]، وقد اختلفت سرعة الوسائل البريدية، فربما استغرق البريد العادي ثمانية أيام ذهاباً وايابا من القاهرة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٤١١، ٤١٢ ؛ وسعداوي. نظام البريد، ص ١٩.

(٢) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ٨٩ ؛ والقرطبي. الصلة، ص ١٥٨ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٧٤ ؛ ومؤنس، نورالدين، ص ٢٦١ ؛ وصالح العزاوي. الشرطة. ص ٢٠.

(٣) ميخائيل بن نقولا. مسابقة البرق، ص ١٤٥-١٥٣ ؛ وسعداوي. نظام البريد، ص ١٤١-١٤٩ ؛ وحسين. الجيش الأيوبي، ص ١٨١.

(٤) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٢-٢٣ ؛ وميخائيل بن نقولا، ص ١٤٩.

(٥) ميخائيل بن نقولا، ص ١٥٠، «حيث الفرسخ يساوي ٣ أميال ما يعادل ٦ كم» هنتس. المكاييل والأوزان، ص ٩٤، ٩٥.

إلى دمشق، ولكن بسرعة هذا الحمام، فقد تصلها بألف فرسخ، أي ما يعادل ٣٠٠٠ ميلاً في اليوم الواحد.[١]

وتكاد تجزم الروايات بأن استخدام هذا الحمام قد بدأ في بلاد الشام على يد نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وكان ذلك لاتساع مملكته وتعدد الأخطار التي أحاطت بها، فكتب إلى ولاته بحفظ هذا الطير ورعايته[٢]، فأوجدوا لهذا الحمام أبراجه الخاصة والقائمين على أمره «النجابة» لضمان دوام هذا الاتصال[٣]، بتلك البطاقات والأوراق التي تحملها هذه الطيور لإيصالها في الوقت المناسب للجهة صاحبة الشأن[٤]. وقد استخدم الأيوبيون هذا الحمام واستخدم هذا الإتصال البريدي بين الادارة المركزية وعساكرها في تنقلها وترحالها في كثير من الأحيان[٥]، فبنيت لها الأبراج في مختلف مدن الشام وعلى مسافات متباعدة، ورتب لها ولاتها وخصصت لها نفقاتها[٦].

ويبدو أن هذا الحمام قد كان عيناً للسلطان على ولاته، فيروى أن الصالح نجم الدين أيوب -صاحب مصر والشام- قد أرسل أقفاص الحمام إلى عيونه في بعلبك سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م لتطالعه بأخبار صاحبها ومقطعها الصالح إسماعيل[٧]. فوالي البريد عليه معرفة حال عمال الإدارة وخاصة الماليين منهم، ويخبر السلطان بحال الرعية وظروف معيشتهم[٨]، وقد يكون هذا الوالي أمره سراً غير معروف لدى موظفي الإدارة في المنطقة المطلوب منه تتبع أخبارها، وخاصة بصورة العيون التي تترصد الأخطار الناتجة عن الوجود الصليبي حول ممالك الشام المختلفة، ولهذا اصطلحنا

---

(١) ابن عبدالظاهر. الروض الزاهر، ص ٩٥، ١٨٦، ٢٢٤ ؛ وميخائيل بن نقولا، ص ١٤٥، ١٥٦.

(٢) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ والحسن بن عبدالله. آثار الأول، ص ٨٩ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١١٥ ؛ والمقريزي. السلوك،جـ١، ق١، ص ٥٠

(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٤١٥ ؛ وجبران. مملكة حماة، ص ٢٦٥.

(٤) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٢٦ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ٧.

(٥) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٣٦٠ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٦٣، ٣٦٦.

(٦) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٥٥.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٢٠ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٦٤ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٥٩.

(٨) الكساسبة. المؤسسات الإدارية، ص ١٢٩ وما بعدها. ومتز. الحضارة الإسلامية، جـ٢، ص ١٢٨-١٢٩.

على تسميتها بالمخابرات، فربما دخل هذا البريدي في زي التجار أو المتصوفة والدراويش كما ذكر سالفاً[١]، فيخبر السلطان بما عقد الصليبيون عليه العزم، وخاصة في ظل الظروف الدقيقة التي تسبق عمليات عقد الهدنة بين الطرفين[٢].

وترد الإشارة إلى وسائل اتصال بريدية أخرى متعددة وخاصة البرية منها، والتي أقيمت لها المحطات[٣]، وكذلك المناور التي يشعل على قممها النار ليلاً، والدخان نهاراً كوسائل اتصال، وهذه غالباً ما تكون على تلال مرتفعة متسلسلة الإتصال بإدارة الدولة العامة صاحبة القرار[٤].

والطرق البريدية هذه قد امتدت بأشكالها البرية والجوية معاً وإن اختصرت المسافة في الطرق الجوية ؛ امتدت من القاهرة إلى دمشق ثم إلى بعلبك فإلى القريتين ثم إلى حمص وحماة ومعرة النعمان حتى حلب[٥]، وغيرها من المراكز البريدية الداخلية كالطيبة وزحر وإربد في سواد الأردن[٦].

ويبدو أنه قد ضم هذا الديوان في ولايته ما عرف بالساعاتي - صانع الساعات- والذي ارتبطت مهمته في تحديد أوقات الصلاة في مساجد دمشق، وتولى إدارتها فخر الدين رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني[٧].

---

(١) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ١٠٠ ؛ وشاندور. صلاح الدين الأيوبي، ص ٢٩٣.
(٢) نظام الملك الطوسي. ص ١١٩.
(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٧٥.
(٤) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٥٩، ٢٦٠ ؛ وسعداوي. نظام البريد، ص ١٤٨، ١٥٤.
(٥) الإدريسي. نزهة المشتاق، م٢، ص ٦٤٥ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٠٩ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ ١، ق١، ص ١٨٥ ؛ وسعداوي. نظام البريد، جـ١، ق١، ص ١٨٥ ؛ و Elisseeff. Nur Ad-din, V.2, p. 785.
(٦) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٩.
(٧) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٦١.

الفصل الخامس

إدارة المؤسسات الدينية في العصر الأيوبي

- تمهيد
- القضاء : قضاء المظالم وقضاء العسكر
  * قضاء المدن
  * الخطابة في المساجد
- الحسبة
- الأوقاف
- الإدارة التربوية التعليمية الأيوبية في بلاد الشام

تمهيد :

كانت الصبغة الإسلامية ظاهرة في تراتيب الإدارة الأيوبية، وخاصة في تلك المدن التي افتتحها واستعادها الأيوبيون من الصليبيين، فتراتيب الإدارة الدينية والتي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأحوال الاجتماعية السائدة في بلاد الشام، كانت هي الأساس الذي بنيت عليه تنظيمات الإدارة الأيوبية الأخرى في مؤسساتها المختلفة، فالتفقه في الدين قبل القيادة والحرب، ويطلب السلطان ترتيب أنظمة الفقه والإفتاء ليسهل الرجوع إليه عند الحاجة[١]، ومن هنا اعتبرت مراتبها عالية وولاياتها مميزة، فيقول القاضي الفاضل في رسائله : «فإن رتب الولايات متفاوتة الأقدار، متباينة الأخطار، ولها رجال مشرفو الأقدار».[٢]

ورث الأيوبيون الكثير من المؤسسات الدينية عن أسلافهم الزنكيين، حيث أكثر الزنكيون من الإنفاق على هذه المؤسسات وخاصة المساجد ورتبوا لها قومتها ومدرسيها[٣]، وأوقفوا على مصالحها الأوقاف المختلفة[٤]. فتولى الملك نور الدين محمود بن زنكي قضاء المظالم وأوجد دار العدل لهذه الغاية[٥]. واهتم الزنكيون بالقضاء وتوسعوا في مهامه، وتحقق الزنكيون من صحة الإدعاء فأوجدوا الشهود[٦]، فتولى بهاء الدين علي بن القاسم الشهرزوري قضاء المملكة الأتابكية في عهد عماد الدين زنكي[٧]، ويذكر أن القاضي كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبدالله

---

(١) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ١٤٣ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٤٤ ؛ ولامب. شعلة الإسلام، ص ٥٧.

(٢) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ٣٥٦، ٣٥٧ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٩٣ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ١٩٤.

(٣) يذكر أن نورالدين قد رتب شعيب بن أبي الحسن بن الحديد بن أحمد الأندلسي مدرساً في مسجد دمشق وجعل الخطابة للقاضي أبو الحسن بن أبي الحديد المتوفى سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، على المذهب الشافعي في هذا المسجد. انظر : أبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ٢٠٧. وعيون الروضتين. ق١، ص ٣٤٥. وابن شداد . الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ٤٤.

(٤) تولى أوقاف المساجد شرف الدين عبدالله بن السري بن أبي عصرون. انظر : ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٥٢-٥٤.

(٥) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٦٦، ١٦٨. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق ١، ص ١٨. وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٣٠٩.

(٦) ابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ٢١. Elisseeff, Nur Ad-Din. V.3, p. 826

(٧) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٥٧.

الشهرزوري المتوفى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، قد تولى قضاء المملكة النورية مع ولايته على الأوقاف والديوان ودار الضرب كذلك[١]، وزاد الزنكيون في جامكية القضاة وعطائهم، فيذكر أن عماد الدين زنكي قد زاد في عطاء القاضي كمال الدين -السالف الذكر- فانتقده أمراؤه، فقال لهم مشيراً إلى كمال الدين الشهرزوري : «بهذا العقل والرأي تدبرون دولتي»[٢]. ويزودنا أبو شامة المقدسي بنص شهد بولاية القضاء في العهد الزنكي، إذ ولى به نورالدين محمود بن زنكي، الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون ولاية القضاء، فيبدأ منشوره بالتحميد ثم يبين له قصده من توليته لهذه الوظيفة الهامة في المنطقة المراد توليته عليها، إذ يرى أن هذا القاضي هو المؤهل للقيام على مصالح أمر القضاء حسب الأحكام الشرعية[٣]. واعتنى الزنكيون بتنظيم الأوقاف كذلك، حيث جعل لها نورالدين ناظرها ووكيلها[٤]، ولكل مؤسسة وقفها المخصص لها : «فلا يصرف وقف على غيره»[٥] ومن هذه المؤسسات البيمارستان النوري في دمشق الذي وليّ مشارفته علي بن محمد بن خروف النحوي الأندلسي[٦]، وتولى أمر الطب فيه الطبيب أبو المجد محمد بن عبدالله بن المظفر الباهلي[٧]. ومنها المدارس ودور الحديث، فيذكر أن نور الدين كان أول من بنى دار الحديث النورية بدمشق وأوقف لها ما يتكفل بنفقتها[٨]، ومنها الربط والخوانق والزوايا فتولى مشيختها عماد الدين أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حمويه[٩]. ووجدت في العهد الزنكي بُنى مؤسسية أخرى مثل الحسبة التي تتولى أمر الأسواق،

---

(١) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٣٩٥. والتاريخ الباهر، ص ١٦٧. وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٧. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣١٥، ٣١٧.
(٢) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٦٣.
(٣) انظر نص المنشور في : أبو شامة. الروضتين، جـ١، ص ١٧٤.
(٤) م. ن، جـ١، ق ١، ص ٣٦، ٣٩.
(٥) رحلة ابن جبير. ص ٢٢٢. وأبو شامة. جـ١، ق ١، ص ٤٢.
(٦) أبو شامة. ص ٢١. والكتبي. فوات الوفيات، جـ٣، ص ٨٥.
(٧) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٢٤.
(٨) ابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية ، ص ٣٩.
(٩) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٢٧٢. والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٧١. وجبران. مملكة حماة، ص ٢٢٨.

فولي نظرها القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري -السالف الذكر-[١].

وزادت أهمية القضاء على غيرها في العصر الأيوبي، وأوكلت للقاضي مهام عديدة واختلفت الشخصيات التي تولت مثل هذه التراتيب الوظيفية سواء ما كان منها بجانب السلطان في دمشق وغيرها، وخاصة بشخص قاضي القضاة الذي عرفته مؤسسات دار الخلافة من قبل، وما يتبعه في باقي الممالك من قضاة لكل منهم اختصاصه، وعلاقته بمؤسسته الإدارية العليا. أما في باقي التراتيب من حسبة وغيرها، فلم تتوضح لنا الصورة إلا من خلال تلك الأسماء التي تولّت مثل هذه الوظائف[٢]، وإلى أولئك الرجال وأعيان ذلك العصر كانت ولاية القضاء والحسبة والخطابة والأوقاف والتدريس فيذكر في أحداث سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أن السلطان صلاح الدين ولى القضاء والحكم والخطابة وجميع الأمور الدينية في مدينة عسقلان وأعمالها إلى جمال الدين أبي محمد عبدالله بن عمر الدمشقي[٣]، وآلت الوظائف الدينية في كثير من الأحيان إلى أبناء أرباب العمائم وراثة من بعد أبائهم، وخاصة إذا ما توفرت الكفاءة والقدرة عند هؤلاء في إدارة شؤون مؤسساتهم، فبرز منهم عائلات ؛ العجمي والقيسراني والخشاب وغيرهم ممن سيرد ذكرهم لاحقاً[٤].

وتراتيب العمائم - مناصب الشريعة - لابد منها لتسيير حياة المجتمع[٥]، وخاصة فيما يتعلق بالإفتاء في القضايا الدينية المختلفة التي تهم الناس[٦]، أما في

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٢٤٠.
(٢) هناك ملحق خاص بهذا الخصوص.
(٣) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٩٢.
(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٥٦ ؛ وأبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٣٢١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٧٨ ؛ والكتبي. عيون التواريخ، جـ٢٠، ص ٣٣ ؛ والحنبلي. شفاء القلوب، ص ٢٥٢.
(٥) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ١٤٨ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٩٥ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٤٩٨ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٤٠٣ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٣٠١.
(٦) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٤٩٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٧٨، ٢٧٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٣٦.

المدن التي لم تسكنها أو تكثر فيها الجماعات الإسلامية مثل مدينة اللاذقية، فقد اكتفى صلاح الدين بإدارتها المدنية دون إدارتها الدينية. إذ لم يعين بها بدءاً أحداً للولايات الدينية[١].

كان لأرباب العمائم هؤلاء مكانتهم الخاصة في المجتمع الإسلامي في ظل الحكم الأيوبي، فطالما اجتمع أمراء وملوك هذه الأسرة بالفقهاء والعلماء، اجتمعوا بالمجالسة المستمرة لمناقشة القضايا الفقهية التي كان يحتاجها المجتمع في ذلك العصر، فيذكر أنه كان في خدمة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين -صاحب حماة- سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م «ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والنحاة وأهل اللغة والفلاسفة والكتبة»[٢].

لم يتساهل بعض سلاطين بني أيوب مع الخارجين على الدين وقانون الشريعة، وإفتاء الفقهاء، فيروى أنه قد ظهر من الصوفي السهروردي[٣] خروج عن الدين حسب ما يروى في حلب، فأفتى العلماء والفقهاء بقتله، ومنهم مجد الدين طاهر بن نصرالله بن جهبل الكلابي الشافعي، فسمع صلاح الدين لمقولتهم وحكم بصلبه سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٤].

تؤكد الكتابات أن سلاطين بني أيوب كانوا سنيين وشافعييّ المذهب، إلا أن هذا لم يكن ليجعل إدارتهم تتأثر بذلك كثيراً، غير ما يخص بعض التراتيب ذات العلاقة، فسلاطين بني أيوب أخذوا على عاتقهم متابعة نهج أسلافهم الزنكيين

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٢٨. الحياري. صلاح الدين، ص ٣٦٣.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٧٩ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣، ص ١٢٥ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١٤٧.

(٣) «السهروردي ؛ شهاب الدين أبو الفتوح بن يحي بن حنش بن أميرك، مفكر إسلامي صوفي، ولد في ايران وتعلم بها، وناظر فقهاء حلب وتغلب عليهم، فارتفعت مكانته عند الملك الظاهر، فكتب هؤلاء إلى صلاح الدين يحذروه من فساد هذا على ولده، فأفتى بقتله سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م». انظر ؛ ياقوت. معجم الأدباء، جـ٦، ص ٢٨٠٧ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢ ص ١٤٩ ؛ و
Boyle. The Cambridge, V.5, p. 301.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٦٠ ؛ وابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٠ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢١٩ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ٢٠٨ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٩٠، ٣٢٤.

بنظمهم المختلفة وسنيتهم[١]. ما عدا الملك المعظم عيسى - صاحب دمشق - وولده الناصر داود الذين درسوا على مذهب أبي حنيفة النعمان[٢]. هذا وان كان من الولاة والمرتبين على مذاهب الإسلام المختلفة[٣]، فكل من أولئك السلاطين يتبع منهجه الفقهي، حسب مذهبه ومعتقده، إذ يرى به الانموذج للإسلام الصحيح، فها هو المعظم يرد على والده مداعباً عندما نهاه عن اعتقاده هذا، يرد قائلاً : «أما ترضون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم»[٤] وناظر المعظم عيسى وابنه الناصر داود في الحنفية واكرموا فقهاءها[٥]، وجمع المعظم آراء الحنفية ومواقفها الفقهية فيما يسمى «بالتذكرة» وحفظها عن ظهر قلب وجعلها نهجاً لإدارته[٦]، وألف في ذلك كتاباً سمّاه «السهم المصيب في كبد الخطيب»[٧]. ويذكر بروايات منفردة أن الأفضل ابن صلاح الدين كان يميل إلى التشيع، وربما كان ذلك لتأثره برجال الشيعة أثناء نيابته عن أبيه في مصر[٨]، ويذكر أن الملك الأشرف موسى بن العادل كان يميل إلى الحنبلية[٩].

ربما استطاع ملوك بني أيوب الحفاظ على الأمن والاستقرار في ممالكهم، فإن

---

(١) الذهبي. تاريخ الإسلام، جـ١٨، ق١، ص ٢٦١ ؛ وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٨٠ ؛ و
E.I. , V. 1, p. 802.
«فمذهب الشافعي في أهل الذمة أن لايؤخذ منهم أقل من دينار جزية، وإن ترتيبهم بالقضاء على أبناء ملتهم ولاية رئاسة لا ولاية حكم، وهكذا في شرب الخمر عند الضرورة وغيرها من القضايا الفقهية» للمزيد انظر : أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢. ص ٧٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٠٧ ؛ وابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص٦٥ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١١٣.

(٢) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٤٩٤ ؛ والصفدي. امراء دمشق، ص ١٥٠ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٥٨ ؛ والحنبلي. شفاء القلوب، ص ٢٧٦ ؛ والزبيدي. ترويح القلوب، ص ٧٣ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١١٥.

(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٣٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٨٠ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣٧٢..

(٤) الدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٨٨ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢١١.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٤ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٧ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص ٣٧٧ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٧ ؛ وناظم رشيد. المجالس الأدبية، ص ٧.

(٦) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٤٧١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٤٧ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٤٦ ؛ والصفدي. أمراء دمشق، ص ٦٢.

(٧) ناظم رشيد. المجالس الأدبية، ص ٦. وللذكر الكتاب طَبع مؤخراً.

(٨) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١١٦.

(٩) الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١٢٦.

ساد المذهب الشافعي إلا أنهم لم يحاربوا غيره من المذاهب، غير ما بذله بعضهم وخاصة صلاح الدين الأيوبي -مؤسس هذه الدولة- من ترسيخ المذهب السني الذي كان أكثر استقراراً في بلاد الشام[١]، ويرى البعض أن القليلين من ملوك الأسرة الأيوبية كانوا على النقيض من ذلك، فقد حاولوا الاقتصار على الشافعية دون غيرها ، فيذكر أن الملك الكامل محمد بن العادل قد أمر بالصلاة في المسجد الأموي خلف إمام الشافعية، دون باقي الأئمة[٢]، ولم يقتصر التعصب بنظر أصحاب هذا الرأي على الصلاة وحدها وإنما أثر في ولاية الوظائف وخاصة القضاء، فلا يستطيع الشخص تولي القضاء إلا إذا اتبع المذهب الشافعي دون غيره[٣]، ولكن رغم هذه الآراء فلا يخفى على المتفحص لسيرة بعض رجال القضاء الأيوبيين أنهم كانوا من أتباع المذهب الحنفي، من مثل أسرة بني العديم في حلب[٤]، حتى انتشرت المذاهب على إختلافها، وافتتحت المدارس لأصحابها منذ نشأة الدولة الأيوبية في ممالك بلاد الشام المختلفة، فتنوعت المدارس الفقهية بتنوع فقهائها من شافعية وحنفية وحنبلية ومالكية، وإن غلبت الشافعية على غيرها[٥]، ووجدت الطوائف على اختلافها السنة والشيعة، فيروي الرحالة المعاصر لهذه الدولة ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٨م «أن أهل الشام في هذه الفترة كانوا سنيين شافعيين ثم يذكر لنا ابن جبير أن الشيعة كانت تكثر السنة في مدينة دمشق خاصة[٦]» وهكذا كانت حلب وبعض القرى المحيطة، مما أدى إلى وقوع بعض النزاعات بين الطرفين[٧].

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٤١ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٤٠٢.

(٢) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٣٦.

(٣) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٧١ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٨٤.

(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٣٧ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٦٧ ؛ وابن الساعي. الجامع المختصر، جـ٩، ص ١٨٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٨٥.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٤٠ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ١٠٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٠٧ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٥ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٩١.

(٦) رحلة ابن جبير، ص ٢٠١، ٢٢٧.

(٧) ابن الجوزي. المنتظم، جـ١٨، ص ٢٠٨ ؛ وجب. صلاح الدين الأيوبي، ص ٣٤ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ١٦١-١٦٢ ؛ و Cahen. La Syrie du Nord. p.p. 191-192.

القضـــــــــاء :

اهتمت الدولة الأيوبية بالقضاء اهتماماً بالغاً، وخاصة في ممالك الشام الرئيسة، فكان منه ما يخص المظالم بالانتصاف للعامة من رجال الدولة، ويتولاّه السلطان الأيوبي أو من ينوب عنه، ومنه قضاء الممالك بتنظيمه وهيكله، ويروى أن هناك ما عرف بقضاء الفتيان أو صغار السن(١). وسواء كان هذا القضاء أو ذاك فقد تولاه رجال الدولة الأيوبية المشهود لهم بالعلم والفقه في الدين، حتى بات محتكراً وراثياً في أسر دون غيرها، فأصبحت للقضاء مكانة مميزة على باقي البنى المؤسسية(٢). ونال الاهتمام المتواصل من أمراء الأسرة الأيوبية وملوكها.

وإنطلاقاً من هذا اللفظ - القضاء - فقد كان جوهر وظيفتها الفصل والحكم بين الناس في الخصومات(٣)، فسعى بعض السلاطين الأيوبيين إلى توحيد القضاء، فيقول صلاح الدين لأخيه العادل وقد أقطعه إقطاعاً وأوصاه به بالقضاء : «وأما القضاة الذين هم للشريعة أوتاد فينبغي أن يعول منهم على الواحد دون الاثنين»(٤). وتعددت الألفاظ الدالة على مكانة القاضي وخاصة عند دراستنا لتلك المناشير والتوقيعات الصادرة عن ديوان الإنشاء بولاية قاض ومشارفة مهامه واتساع سلطاته «واكرمتك بالمرتبة»(٥)، ويخاطب «بالمجلس السامي المولوي القضائي»(٦). ويزودنا القلقشندي بنصوص تقليد قضاء ومنها في حلب لجمال الدين ابراهيم بن أبي جرادة من إنشاء ابن العديم : «الحمدلله الذي رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملابس أهلها، وقلما يصل إليها إلا كل فحل من الرجال... ويدعى في هذه

---

(١) «يروى أنه قد تولاه في دمشق وما حولها شمس الدين أبو المجد ، ابن البعلبكي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م» انظر : أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٦٩.

(٢) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٦، ص ١٢٩.

(٣) ابن أبي الدم. أدب القضاء، جـ١، ص ١٢٥، ٢٨٦، ١٣٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ٨٨ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٤٢٤، ٢٥٤.

(٤) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ١٥٣، هذا وإن وجد أحياناً قاضيين في مدينة واحدة، انظر : ابن طولون. قضاة دمشق، ص ٦٦.

(٥) القاضي الفاضل. رسائل. خط رقم ٥٥٠٩ ورقة ١١أ، ٢٤ ب والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ٦٠ ؛ وربما حدث أن انتخب إنتخاباً في بعض العهود انظر ؛ ابن ابي الدم. أدب القضاء، جـ١، ص١٣٠- ١٣١.

(٦) ابن الأثير، رسائل، جـ٢، ص ١١٠، ١٢٠، ١٢١ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٦١.

المناشير الى العدل والتزود بالفقه والقاء الدروس، حيث توكل إليه مهام متعددة[١]». ويبدو أن هذا الاختصاص الوظيفي القضائي قد كان عاماً أو خاصاً حسب مكانة القاضي ونظرة السلطان في قدراته[٢]، فمنها بالنص : «الحمدلله الولي الحميد، أما بعد فإن مرتبة الحكم لا تعطى إلا لأهلها والأقضية لا ينتخب لها إلا من هو كفء لها، ولما علمناه من حال -فلان الفلاني- من الأوصاف الحميدة، وقد حوى المعرفة والعلوم والاصطلاح -المعاني- والرسوم... فوضنا إليه كذا وكذا»[٣]، ويروي الأصفهاني لأهمية القضاء بقوله : «أجل الولايات شأناً وأعلاها سلطاناً، بها تستقيم الأمور، وبمنارها تنكشف مظالم الخلق، ولا نولي منصب الشرع إلا من يقوم بحقه، ويميط الأذى عن طُرقه»[٤].

قضاء المظالم :

«المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة»[٥]، فسارت الدولة الأيوبية بتنظيمها القضائي على نهج سابقتها الدولة الزنكية بإنصاف المظلوم وعقاب الظالم، وخاصة في أمور المقطعين ومرتبي الإقطاعات والعاملين بها[٦]، فانتُصف من موظفيها، فيقول صلاح الدين بحق سيده نور الدين : «كل ما يرى فينا من عدل فمنه تعلمّناه ... فلأن أخطىء في العفو أحب اليّ من أن أصيب في العقوبة ...» إذ كان الظلم في القضاء يعد غفلة من السلطان وحيادة عن الطريق المستقيم[٧]، فتفقه صلاح الدين، وناقش بالأحكام التي تنتصف بها رعيته[٩].

(١) للمزيد انظر : القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ٤٣٥-٤٣٩ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٥٠.
(٢) ابن أبي الدم. أدب القضاء، جـ١، ص ١٤١.
(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣٨٣.
(٤) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ٥٠.
(٥) الماوردي. الأحكام السلطانية، ص ١٤٨. والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٠٧.
(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٢٢ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٥.
(٧) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ١٠٠ ؛ ورحلة ابن جبير، ص ٢٤٤ ؛ والهروي. التذكرة الهروية، ص ٦١ ؛ وابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٦٧ ؛ وأبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٠٥-٢٠٧ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٧٢.
(٩) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٢٠، ٦٢٢ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢١٧.

أوجد الأيوبيون كما أوجد سابقوهم الزنكيون داراً للعدل أو الكشف(١)، يجلس بها السلطان يومين في الاسبوع، الإثنين والخميس غالباً، يجلس لرفع المظالم التي عجز عنها القضاة العاديون(٢) ؛ فبدءاً بعصر هذه الدولة فقد جلس صلاح الدين لسماع الشكاوي، وواظب على الحضور في هذه الدار، ومن حوله الفقهاء والقضاة ومختلف الولاة من وكيل بيت المال -لأن معظم الشكاوي اقطاعية- ووجود ناظر الجيش والمحتسب والشحنة وغيرهم(٣)، وحضور مثل هؤلاء الموظفين وحضور القضاة للعلم بهذا الحكم وتنفيذه، وحضور العدول ومشايخ البلدة للشهادة على الحكم، ويحضر مثل أولئك من كبار رجال الدولة لتحصل بهم رهبة في النفوس، وليوكل لبعضهم تنفيذ ما يصدر عن مجلس المظالم(٤)، وتفتح الأبواب ويرفع الحجاب ليصل إلى هذا المجلس، الكبير والصغير، والقوي والضعيف(٥)، حتى أن السلطان الأيوبي ساوى بينه وبين غيره في مجلس التخاصم هذا، فيروى في قصة التاجر عمر الخلاطي الذي حضر مجلس قضاء ابن شداد، فاشتكى إليه في ثروة مملوكه سنقر الخلاطي، التي أخذها السلطان، فساواه صلاح الدين بنفسه حتى حكم في قضيته. وقد انتصف صلاح الدين لابن زهر الدمشقي من تقي الدين عمر -ابن أخيه- وكان عزيزاً عليه(٦)، وكان السلطان يفعل ذلك سفراً وحضراً، فيكتب الكاتب في سجلات المظالم، ولا يدون حكمه في محاضر، حيث يصدر الحكم عن مجلس المظالم مرهوناً بالتنفيذ الفوري بعد سماع شهادة الشهود وإيقاع اليمين على صاحب الشأن(٧)،

---

(١) ابن الأزرق. بدائع السلك، جـ١، ص ٢٢٢ ؛ وابن طولون. القلعة الدمشقية، ص ٨-٩.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٩، ٤١٣ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١١ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٠٨ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٩٢.

(٣) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ٤٤ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٧ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٩١. ؛ والسيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص ١٢٧.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢١٤، ٢٦ ؛ والشيزري. المنهج المسلوك، ص ٥٧٠-٥٧١ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٥٤ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٠٧.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢١٩ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٠.

(٦) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٤-١٦ ؛ والحنبلي. شفاء القلوب، ص ٦٣.

(٧) البطليوسي. الاقتضاب، ق١، ص ١٥٥ ؛ ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١٣، ١٤، ٢٤١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤٢٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٢٩-٤٣٠.

فيذكر أنه قد وجد بما يعرف بكاتب الدست[١] في دار العادل، حيث يكتب ما يناقش من هذه الظلامات مع السلطان، ليوقعها السلطان، فيروى أن صلاح الدين كان يجمع القصص في كل يوم ثم يجلس مع الكاتب ساعة من النهار أو الليل «فيوقع كل قصة بما يطلق الله على قلبه»[٢]، حيث يأمر السلطان ناظر ديوانه بتنفيذ ما يصدر عن هذا المجلس[٣].

وجدت دار العدل هذه في دمشق فجلس بها صلاح الدين ومن جاء بعده من أبنائه، فسمعوا لشكاوي الناس وتظلماتهم[٤]، ويبدو أنه قد وجد مثل هذه الدار وعلى شاكلتها في ممالك الأيوبيين الأخرى كحلب[٥]، فيروى أنه قد جلس فيها الظاهر غازي، والملك العزيز محمد ابنه فيما بعد، وجلس بها لهذا الغرض الناصر يوسف آخر ملوك الأيوبيين[٦].

وقد ينوب عن الملك ممن يوكل له مهمته في دار العدل هذه، فيروى أن الملك الصالح نجم الدين أيوب قد أناب عنه من القضاة في دار العدل في دمشق[٧]، وخاصة فيما يتعلق بمحاسبة بعض الولاة وإصدار الأحكام التي تنصف الناس منهم[٨]، إذ يجدر بالسلطان أن يبقى على مراقبة ولاته وأمرائه بعيونه الذين سبق حديثنا عنهم، فيكتب القاضي الفاضل الى أحد الأمراء قائلاً : «وجدناك تحكم لنفسك ولا تتهم غلط حدسك»[٩].

ويذكر أن بعض القضاة قد كانت توكل لهم مهام صاحب المظالم بمحاسبة

---

(١) عرف كاتب الدست عند الحديث عن ديوان الإنشاء.

(٢) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٢٠ ؛ و Thoumian. B. Les Civils Et. A'dministration, p. 44.

(٣) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٩٢.

(٤) المقريزي. السلوك، جـ١، ق٣، ص ١٣٦ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٩٣.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١١ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٦٤ ؛ و Holt. The Age of the Crusades, p .73.

(٦) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٢٠٥، ٢٦٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢١٣ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٧٧.

(٧) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٧٤ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٨) ابن طولون. قضاة دمشق، ص ٥٦، ٥٩.

(٩) القاضي الفاضل. رسائل خط رقم ٥٥٠٨ ورقة ١٢ أ.

الولاة وإصدار الأحكام بحقهم، وأوكل للقضاة التحقيق في ظلم الأمراء والمقطعين ورد الظلامات الى أهلها[1]، حتى ظل هذا النظام القضائي سائداً ومتبعاً عند الدول اللاحقة لهذه الدولة، فجلسوا للمظالم وسمعوا لتظلمات الرعية[2].

أما قضاء العسكر الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضاء المظالم السلطاني[3] ، فقد تحدثنا عن هذا النوع من القضاء في الإدارة العسكرية، حيث يتولى القاضي شؤون العسكر الأيوبي أوقات السلم والحرب معاً فينوب عن قاضي القضاة في مهامه هذه، ويشارك الإدارة القضائية مهامها وخاصة بحضوره الى دار العدل وقت عقد مجلس المظالم، ويرافق السلطان في حله وترحاله[4]. واهتم الأيوبيون بهذا النوع من القضاء لغلبة الطابع العسكري عليها من جهة، وتعدد مشاكل العسكر من جهة أخرى ؛ فتطول المدة الزمنية التي يقضيها الجندي في الميدان، بعيداً عن أهله مما كان الأمر يتطلب وجود قاضٍ يتولى أمر الجند ويحل مشاكلهم ؛ فبدءاً تولى من هؤلاء أعلام معروفون من رجال هذه الدولة كابن شداد، قاضي عسكر صلاح الدين[5].

وممن تولى بعد ابن شداد محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش المتوفى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، ثم نجم الدين خليل بن علي بن الحسين الحموي الحنفي المتوفى سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، قاضي العساكر العادلية[6]. وكثيراً ما يتولى مثل هؤلاء القضاة بالإضافة الى واجباتهم الرئيسة أمور الترسل عن السلطان، والتواصل ما بين عساكر الدولة وإدارة الدولة العامة[7].

---

(١) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٤٤.

(٢) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٥٨، ٦١.

(٣) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ٣٧.

(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٥ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ٣٧ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٦١، ٧٠.

(٥) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ٨٨ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٨٩.

(٦) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٨٠. وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٣٤٨ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٤٠١.

(٧) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٥٤، ١٢١ ؛ وللمزيد انظر سابقاً ، الإدارة العسكرية.

قضـــــــــاء المـــــــــدن:

يعتبر القضاء من المناصب الدينية الهامة في الدولة الأيوبية، وخاصة في ظل الظروف السائدة، وازدياد المشاكل بين الناس خاصة[١]، فباتت الحاجة ملحة لمنصب القاضي وخاصة في المدن الكبيرة، وإن كان الوالي يتولى الفصل في هذه المنازعات أحياناً، إلا أن المؤسسة القضائية كانت هي صاحبة الشأن، فيروى في سيرة أبي النجيب السهروردي المتوفى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م «أن صلاح الدين قد ولاّه قضاء كل بلد افتتحه»[٢].

اختلفت الألقاب التي سميّ بها صاحب القضاء ومنها شيخ الشيوخ، وشيخ الشافعية والرئيس والمقر الكريم وغيرها[٣]، ويزودنا القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، بنص ولاية القضاء في مدينة حلب في عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، لقاضي القضاة جمال الدين ابراهيم بن أبي جرادة، فيبدأ بالحديث عن أهمية وظيفة القضاء وتخصيصها لبعض الرجال دون غيرهم، لتوفر بعض الصفات فيمن يشتغل قاضياً في إدارة الدولة من : «علوم جليلة ومناقب جليلة وعرف فيه الإنصاف بالأوصاف المحمودة والخصال الجميلة، والتقوى والصلاح» ويعرف عنه الفضيلة بين الناس، وخاصة بإلقائه الدروس والإفادة بالعلم، وتولى النظر في أمور الأوقاف بدقة وأمانة، ومهامه وواجباته تقتضي منه العدل بين القوي والضعيف من الناس، وتنفيذ الأحكام دون هوى وتحيز، وخاصة في أمور الأوقاف، ينفق أموالها على مصالحها آخذاً بالإعتبار شروط الواقف[٤]. ومن هنا تعددت مهام القاضي واتسعت صلاحياته، فاختلفت بين آونة وأخرى تراتيب إدارة القضاء سواء ما كان منها في حاضرة السلطان ومملكته، أو في باقي ممالك الدولة الأيوبية، وعلى رأس هذه الإدارة ما يعرف بقاضي القضاة، الذي كان مركزه في دمشق غالباً، يرافق

---

(١) ابن الأخوة. معالم القربة، ص ٢٠٠.

(٢) انظر البغدادي. الإفادة والاعتبار، ص ١٦٦ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ٤٣٦. وابن المستوفي. تاريخ إربـــل، ق١، ص ١٧١ ؛ و Elisseeff. Nur Ad-din, V.3, p. 825.

(٣) الشيزري. المنهج المسلوك، ص ٦١. والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٤.

(٤) للمزيد انظر نص منشور ولاية القضاء ؛ القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ٤٣٥-٤٣٩. وجـ ١٤، ص ٣٨٣.

السلطان في حله وترحاله، ولا يترك مثل هذا المنصب الوظيفي شاغراً لأي ظرف من الظروف، فإذا ما عزل قاض رتب من غده بدلاً منه[١]، وفي الأقاليم والممالك لكل منها قاض ينوب عنه نائبه عند غيابه، وربما كان المسجد أو المدرسة هما المؤسسة القضائية التي رتب بها مجلس القضاء، فيعتلي القاضي مكاناً خاصاً به، كرسي يعلو المكان وعليه دواة الحكم، وهذا الجلوس بعد الصلاة غالباً، ليتيسر حضور الناس والشهود وطوائف العلماء والفقهاء، ويفتتح مجلس القضاء بآيات قرآنية[٢]، ولا يعقد مجلس القضاء هذا إلا بعد اطلاع القاضي على المستندات الشرعية للقضية، ويبحث في المسائل الغامضة في القضية المراد مناقشتها، ويشاركه في مجلسه هذا أمناؤه ومعاونيه[٣]، ويحيط به الشهود العدول، وإن كانت تشغلهم وظائفهم الأخرى عن حضور مجلس القضاء أحياناً، فيذهب اليهم القاضي لاستحلافهم وشهادتهم، إلى أن تولى قضاء دمشق شمس الدين الخويي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، فرتب الشهود العدول في مجلس القضاء، ورتب لهم جامكية دائمة على عملهم هذا[٤]، ويذكر منهم أبو الفضل اسماعيل بن علي الجيروني الدمشقي المتوفى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م[٥]، وسالم بن سلام المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٦]، وأختير أبو شامة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، ليكون أحد المعدلين في دمشق[٧]، ورتب صدرالدين أسعد بن عثمان بن المنجا المتوفى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، شاهد عدل في دمشق[٨]، ويروى أن القاضي الرفيع الجيلي، عبدالعزيز بن عبدالواحد بن إسماعيل، قاضي قضاة دمشق، قد رتب شهوداً زوراً لتحقيق مآربه[٩].

---

(١) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٩.
(٢) ابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٣، ص ٢٤٧ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٦٤-٦٥.
(٣) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١٢٨ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ١١٦ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٤٤٠، جـ٢، ص ٩٠، ٩١.
(٤) الذهبي. تاريخ الإسلام، أحداث جـ٦٢١-٦٤٠هـ، ص ١٦ ؛ والسيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٢.
(٥) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ١٦٠.
(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٧٤٧.
(٧) عاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ٢٠.
(٨) الصفدي. جـ٩، ص ٤٣-٤٤.
(٩) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٨، ص ٥٢٤.

ويحضر المتخاصمون أو الوكلاء الذين تشابهت وظيفتهم بالمحاماة عند هؤلاء المتخاصمين، فيتولون الدفاع عن المتخاصمين بعد أن تشهد وتوثق وكالتهم في مجلس القضاء[1]، وإلى جانب القاضي كاتبه فيكتب قضايا المجلس في سجلاته[2]، وأصبحت لهذا الكاتب مكانة خاصة في ذلك العصر، فقد يعارض القاضي في أحكامه ويناقشه بها، وقد يترقى أحياناً لتولي منصب القضاء[3]، ويشترط في هذا الكاتب البصيرة بالحلال والحرام والسنن والأحكام ومعرفة ألفاظ القضاء ومدلولاتها، وسرعة الفهم لما يقال في مجلس القضاء، ويؤرخ لكل حكم صادر في سجلاته ودفاتره.[4]

ارتأى بعض الأيوبيين أن يبقى هذا المنصب القضائي وراثياً في بعض الأسر دون غيرها، حيث يرث الابن وظيفة أبيه، بعد أن يكون قد أنابه عنه في حياته، وأوصى له فيكون قد تفقه في القضاء وتأهل لوظيفة القاضي، فيوصي القاضي السلطان بابنه قبل وفاته، فتتوفر عنده متطلبات شخصية القضاء[5]، ومن هذه الأسر أسرة ابن العديم في حلب[6] وأسرة الشهرزوري[7]، وأسرة ابن أبي عصرون[8]، وأسرة ابن زكي الدين[9]، حتى أصبح لقب القضاء اسماً تعرف به بعض هذه الأسر في فترات تاريخية لاحقة[10]. وإن لم تكن الوراثة منهجاً لتولي هذا المنصب فقد كانت

---

(١) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ١١٥ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٤٧، ٧٥٠ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٣، ص ٤٥٨ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص ٢٧٣ ؛ وعماد الدين خليل. مملكة نور الدين، ص ٧١ ؛ وعاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ٢٠ ؛ وكاهن. الشرق والغرب، ص١٧٣.

(٢) الأصفهاني. خريدة القصر، جـ٢، ص ٩٨ ؛ وأبو شامة، ذيل الروضتين، ص ١٠٦ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٣١٢.

(٣) اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ١٨ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ١٦٠.

(٤) للمزيد انظر ؛ الأصفهاني. خريدة القصر، ق ٣، ص ٢٣٦. و البطليوسي. الإقتضاب، ق١، ص ١٥١ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٦٠ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ١٠٢، ١١٨ ؛ وابن طولون. نقد الطالب، ص ٨٥.

(٥) القاضي الفاضل. الدر النظيم، ص ٣٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٨ ؛ و Elisseeff. Nur d-din, V.3, p. 827 ؛ ودريد نوري. نظم دمشق، ص ١٠١.

(٦) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص ٤٢٢.

(٧) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص ٥٩ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٢٤١.

(٨) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٤، ص ٢٤٤ ؛ وابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص ٧٥.

(٩) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ١٦٩-١٧١ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٣٧.

(١٠) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ١٣٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ١٦١.

المصاهرة أحياناً كفيلة بهذا الترتيب، فابن شداد قاضي القضاة قد تزوج ابنة الشيخ عبدالرحمن بن الأستاذ، مما جعل عائلة ابن الأستاذ في حلب تتوالى على هذا المنصب[1].

أما الشروط العامة التي كانت تحدد صلاحية هذا القاضي لولايته وإلا كان مصيره العزل، فأفاضت الدراسات في ذلك، ويبدو أن أول هذه الشروط أن يكون شافعي المذهب بإسلامه وحريته[2]، حيث كانت الدولة الأيوبية قد عملت على نشر هذا المذهب بمختلف الطرق والأساليب، وخاصة أن السلاطين على الأغلب كانوا من أتباع هذا المذهب، حتى جاء بعضهم ليعمر المدارس للمذاهب على اختلافها ويولّوا قضاة من أتباع هذه المذاهب مع نهاية الدولة الأيوبية خاصة[3]، وإن بقي للشافعية نفوذهم الواضح على ولاية القضاء[4].

وعن طريق تلك المدارس التي توسع الأيوبيون في إنشائها في بلاد الشام، وتولى التدريس بها المتفقهون من القضاة والمدرسين[5]، وفق فقه المذهب الشافعي بالأحكام الشرعية وحدودها، عالماً متفقهاً بها، ليتأنى السلطان في اختيار قضاته، إذ قلما تتوفر فيهم مثل هذه الشروط[6]، وخاصة عند الإختبار في أمور دينه ودنياه فيرتبه ويراقبه في ولايته[7]. وهذه المعرفة والدراية قد تتولد من ولاية القاضي وممارسته الفعلية بالنيابة القضائية والوراثة الأسرية كما ذكرنا سالفاً،وخاصة إذا ما

---

(١) ابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) القرشي. العقد الفريد، ص ١٦٦ وما بعدها ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٣٦١ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٢٧.

(٣) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٧، ص ٣٠٨، ٣٠٩ ؛ والذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث ٦٢١-٦٣٠هـ، ص ٢٠ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٦٦ ؛ والقرماني. أخبار الدول، ص ١٩٦ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٦٠.

(٤) القلقشندي. صبح الأعشى،جـ١٢، ص ١٥٦.

(٥) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ١٤٦.

(٦) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢١٨، والبرق، جـ٣، ص ٦٨ ؛ والشيزري. المنهج المسلوك، ص ٩٠ ؛ وابن أبي الدم. أدب القضاء، جـ١، ص ١٣٢ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧١٧-٧١٨ ؛ وابن أبي الربيع. سلوك الممالك، ص ١٥٩ ؛ وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ص ٣٦٥.

(٧) الهروي. التذكرة الهروية، ص ٦٩.

شارك الابن أباه مجالس الحكم[1]. فقد توكل للفقيه مهام قضائية أقل شأناً الى حين ظهوره وبروزه في القضاء، فيصبح محطاً للأنظار لتوليته إدارة القضاء؛ فيقول القاضي الفاضل في رسالته : «ان الحاكم له الحكم بالأثر والمشاهد له النقل عن العين، فلا يستحق أن يوصف بالعدالة إلا من تحرى وتخرج وبنى في حجر العلم، وتخرج وسلم من كل ظنة فيهتم بالأمور الهامة ويتجاوز العثرات[2]»؛ فبهذا يتخذ منهجه في الحكم فلايصدر حكمه دون سماع البينة من الأطراف المتنازعة ؛ فيروى أن قاضي دمشق أبو المعالي أسعد بن عزالدين أبي يعلى حمزة بن القلانسي المتوفى سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م قد أمر بأن لايباع من أملاك دمشق ملك، حتى يأتيه جماعة ويشهدون عنده أنه ملك البائع انتقل إليه بالميراث أو الابتياع[3].

وتتجه الأنظار لتولية أبناء المنطقة على قضاء مناطقهم لمعرفتهم بحال المتخاصمين، فيقول أبو العباس شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخويّي المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، وقد أراد الملك المعظم عيسى توليته قضائه : «أنا رجل غريب، والدماشقة منهم كثرة...»[4].

وإن كان القاضي بكل هذه المكانة، فليس من المستبعد أن يكون مصيره العزل، وترد إشارات في المصادر لصور وحالات من ذلك المصير للقاضي الذي لا يتم وينفذ إلا بعلم السلطان وقراره[5]، فإذا ما نزع القاضي طيلسانه، كان ذلك إيذاناً بعزله[6]، وخاصة بطلب السلطان إليه أن يستعفي من منصبه[7].

والأسباب الموجبة للعزل هي أولاً مخالفته لرغبة السلطان ؛ فيذكر أن قاضي قضاة دمشق زكي الدين بن محي الدين بن زكي الدين قد امتنع على الملك

---

(١) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٠٩.

(٢) القاضي الفاضل. رسائل، خط رقم ٥٥٠٨، ورقة ١١ أ ؛ والأصفهاني. البرق الشامي، جـ٣، ص ٩٨ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٧٤، ٢٥٠.

(٣) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٤.

(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٣٩.

(٥) ابن ابي الدم. أدب القضاء، جـ١، ص ١٤٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٦٩، ٢٠٢.

(٦) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ١٦٤.

(٧) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٠٩ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٥٠.

المعظم، فبعث إليه هذا كلوته وقباء[١] إهانة له ودلالة في تشهير عزله عن القضاء[٢]. وهناك أسباب أخرى للعزل فإذا ما اشتغل القاضي بغير مهامه عزل عن قضائه ، فيروى في سيرة أبي حامد محمد بن عبدالله بن أبي عصرون «أنه قد تدخل في أمور الجند والأمراء، وتشابه بهم باتخاذه الخيول والمماليك. فعزله صلاح الدين عن منصبه سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٣]. وقد يُصرف القاضي عن عمله اذا علم جهله بالمسائل الفقهية والأحكام الشرعية، أو إذا عسف في حكمه وقضائه[٤]، حيث يكون مصيره العزل والمصادرة[٥].

ومن خلال ما سبق نرى أن اشغال وضيفة القاضي قد تختلف من قاضٍ لآخر، فقد تطول مدته أو تقصر في إدارة القضاء، وهذا ما تحدده رغبة السلطان أولاً وأخيراً في ابقائه على ولايته[٦]، ثم قدرته على القيام بمهام القضاء، وخاصة أن بعض القضاة قد يرتبون في صغر عمرهم الذي قد لا يتجاوز العشرين أحياناً، والبعض الآخر قد يتولى وهو في مرحلة متأخرة من عمره[٧]، فولّي كمال الدين ابن الأستاذ المتوفى سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م قضاء حلب في نهاية العصر الأيوبي ولم يستكمل الثلاثين من عمره[٨]، وقد يتولى القضاء في فترات متقطعة، إذ يعزل ليعود بعدها إلى منصبه برغبة السلطان وحاجته إليه، وإن رأى البعض أن ذلك القاضي لا يعود بعد عزله إلى ولايته، فكانت هذه خاصة ببعض القضاة كالطاهر بن الزكي[٩]،

---

(١) «الكلوته هي طاقية للرأس تلبس وحدها، والقباء لباس فوق الثياب على شكل معطف» انظر ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٧١-١٧٢. ودوزي. المعجم المفصل، ص ٢٥٠، ٢٨٦.

(٢) ابن واصل. جـ٥، ص ٤٤.

(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤١١ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٥١.

(٤) النابلسي. لمع القوانين، ص ٧٢ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٧١ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٣٥٢-٣٥٣ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٧٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص٦١.

(٥) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٢، ١٢٣ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٣٥٠.

(٦) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٦، ص ٢٥١ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٢٥.

(٧) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٠٧ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٢٧٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ١٩ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ق٢، ص ٦٩ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٨٥ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٥٦،٥٥.

(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٢٨٠.

(٩) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٨١ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٥٨ ؛ وابن يوسف. نزهة الخاطر، ق١، ص ٨٧.

Text Stamp

وشمس الدين ابن سني الدولة[١].

ينتقل القاضي بين مملكة وأخرى، أو قد تجمع وظيفة القضاء في مملكتين أيوبيتين في آن واحد، وخاصة عند من سمي بقاضي القضاة وقاضي الممالك الأيوبية، فينيب عنه في أحداهما، ويتولى هو في المراكز الرئيسة ويبقى بجانب السلطان في حله وترحاله[٢]. فيتولى القضاء في دمشق وينيب عنه في أحيانها.

وممن تولى القضاء القاضي زكي الدين بن الزكي، وقد تولى القضاء في دمشق، فكان له أربعة نواب في أحيانها[٣]، وتولى صدر الدين بن سني الدولة بدلاً من محي الدين بن الزكي قاضياً لقضاة دمشق وأناب عنه في أعمالها[٤] وخاصة في القدس وما حولها، وإن ذكر لنا العليمي أن رتبة قاضي القدس بمكانة قاضي القضاة أحياناً[٥]، وتولى قضاء حلب محي الدين بن محمد بن الزكي بن علي القرشي، وأناب عليها زين الدين فيسا بن الفضل بن سليمان البانياسي، وكتب هذا علامته على كتب أحكامه: «الحمدلله وهو المستعان»[٦] وتولى القاضي محمد بن عبدالواحد بن عبدالجليل بن علي المخزومي قضاء بانياس وبصرى وبعلبك[٧]، وتوّلى القاضي عماد الدين عبدالرحمن بن عبدالعلي السكري في مناطق عدة، فيقيم القاضي حينذاك في إحداها وينيب في كل منها من يتولى قضاءها[٨]، وجمعت القدس ونابلس للقاضي شمس الدين أبو الغنائم سالم بن يوسف بن صاعد لقلة مشاكل ولايتها[٩].

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٤٢.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٧٣-جـ٥، ص ٨٥ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٥٣ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٢٨٥ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٥، ص ٧٣ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٤، جـ٢، ص ٢٤٤.

(٣) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٩١ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٥٦، ٦٧.

(٤) النعيمي. الدارس، جـ٢، ص ٢١٨.

(٥) العليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ١١٨، ١١٩.

(٦) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ٨٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٧، ص ٢٥٢ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق١، ص ٨١.

(٧) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٦٤.

(٨) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٨٩.

(٩) الحاج خليل. مدينة القدس، ص ٧٢.

وقد ينوب هذا النائب في شأن من شؤون القضاء دون غيرها، كنيابة عبدالله ابن الشيخ شرف الدين أحمد بن عبدالوهاب الأنصاري في عقود الزواج عن القاضي زين الدين ابن الأستاذ في حلب[١]، ولكن هذه النيابة تبقى مرهونة بموافقة السلطان، فيستأذنه القاضي في النيابة، فها هو ابن عبدالعلي السكري - السالف الذكر- يستأذن الصالح نجم الدين أيوب في توظيف نائب عنه، ويوافقه الملك الصالح على ذلك، ولا يستطيع القاضي بالمقابل عزل هذا النائب إلا بموافقة السلطان واستشارته[٢]. وترد الإشارة إلى وجود مثل هؤلاء القضاة حتى في المناطق الخاضعة للسيطرة الفرنجية، يعينهم السلطان الأيوبي ليتولوا شؤون الجماعات الإسلامية فيها[٣].

هذا القاضي أو ذاك لا يصبح قوله نافذاً إلا إذا حمل مرسوماً وظيفياً سلطانياً بهذا الخصوص، فيعلن للملأ خبر توليته[٤]، وتخلع عليه الملابس الخاصة بهذا المنصب ومنها العمامة والبسة أخرى من طيلسان وقباء وبقيار[٥]، وقد يلبس سراويل الفتوة أحياناً دلالة على فروسيته[٦].

وإن كانت جامكية القضاء بازدياد إلا أنه وجد من رفضها كقاضي القضاة

---

(١) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٤٣.

(٢) الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ١٢٧ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٨٩-٩١ ؛ وحمادة. الوثائق السياسية والإدارية، ٣٦٥.

(٣) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٨٩ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٤٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٩٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ٦٨ ؛ جـ٢٢، ص ٤٤٣. والبيشاوي. الممتلكات الكنسية، ص ٣٨١ وما بعدها.

(٤) أبو شامة. الروضتين، ق٢، ص ٣١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٩٦ ؛ جـ٨، ق٢، ص ٣٥٢، ٢٢ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١١٢-١١٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٩٢.

(٥) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣٢ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٨ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ١، ص ٢٧٣ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٨، ص ٢٠٢ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٥، جـ١، ص ٢٧. «والعمامة هي قطعة من القماش تلف عدة لفات حول الطاقية، أما الطرحة فهي قطعة من الشاش تشبه الطيلسان وتطرح على الأكتاف، والطيلسان هو خمار يطرح على الرأس والكتفين، والقباء هو لباس خارجي، ثوب فضفاض ولكنه ضيق الأكمام، أما البقيار فهي برده من وبر البعير لها كمّين واسعين» للمزيد انظر ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٦٥. ودوزي. المعجم المفصل، ص ٧٤، ٢١٢، ٢٢٩، ٢٥٠، ٢٨٦.

(٦) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٦٥.

تقي الدين بن رزين الحموي[١]، وآخرين امتنعوا عن تولي منصب القضاء خوفاً على عقيدتهم وتحسباً لعدالتهم كعبدالرحمن بن عساكر، الذي استدعاه السلطان العادل ليوليه القضاء فامتنع[٢].

يتولى القاضي نظر الأوقاف أو ما يسمى أحياناً بالأحباس[٣]، ويتولى مباشرتها والإشراف عليها من خلال ناظر خاص بها يعينه القاضي أحياناً سواء ما كان منها في مركز الدولة الأيوبية وحاضرتها أو في ممالكها وإقطاعاتها[٤]، وهذا ما سنلاحظه لاحقاً من تراتيب الإدارة الدينية في ذلك العصر، وإليه تؤول أمور الأملاك وإثباتها لأصحابها، وكل هذا يوثق بإشرافه في سجلات ديوان القضاء[٥]، وقد يتولى القاضي حسبة الأسواق، فهي مسؤولية القاضي أحياناً[٦]، وهكذا الشحنة تحتاج إلى مباشرة إصدار الحكم بعد أخذ المتهم بالتهمة، لنشر الأمن ومنع الإعتداء على الغير، فله التحري والبحث بجمع المعلومات المطلوبة عن شخص ما في إقليم قضائه وإحضاره بمساعدة الشحنة ومحاكمته[٧]. ويتولى القاضي المهام الدينية المختلفة كإمامة الصلاة والخطابة، وخاصة إذا ما كانت هنالك حاجة ماسة إلى خطب جهادية، حيث يدعو بها الناس للجهاد[٨]. ويتولى القاضي أمر عقود الزواج، فيسجل صداقها في دفاتره[٩]. فتولى عبدالله بن الشيخ شرف الدين أبي العباس أحمد بن عبدالوهاب الأنصاري المعروف بابن الشيرجي عقود الأنكحة نيابة عن قاضي القضاة زين الدين بن الأستاذ الحلبي في فترة حكم الناصر يوسف على حلب

---

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ١٩.

(٢) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٣٠٦ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٠٩، والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٦٢-٦٣ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٤٢.

(٣) ابن الأثير. الكامل، جـ١١، ص ٤٤١ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٦، وذيل الروضتين، ص ٣١-٣٢ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٢٦-٢٧ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٢٩٥.

(٤) ديمومبين. النظم الإسلامية، ص ١٩٦.

(٥) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٤.

(٦) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ٢١٧ ؛ ودريد نوري.نظم دمشق، ص ١٠١.

(٧) أبو شامة، عيون الروضتين، ق٢، ص ٣١٨ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٤٠.

(٨) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٩٠ ؛ وأبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٦٩ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٤٠ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٤٤ ؛ ولامبس. شعلة الاسلام، ص ٢٦٢.

(٩) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٧، ص ٩٩ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٣٤.

وبلاد الشام[١]. وكثيراً ما يتولى القاضي أمر الدرس والتدريس[٢]. ويتولى القاضي بعض الشؤون المالية، وخاصة في ظل الظروف التي كانت تعيشها الدولة الأيوبية وتحتاج منها إلى مراقبة دقيقة في خزينتها ودار ضربها وسكتها[٣]، ويتولى حصر مواريث الأمراء وإقطاعاتهم، وقد تحفظ هذه الأموال في حوزته[٤]، وللقاضي تولي العمارة والبناء وتخصيص النفقات اللازمة لذلك[٥].

ويقوم القاضي بمهام أخرى خارجة على نطاق وظيفته تستدعيها الظروف، وتتعلق بسياسة الدولة وإدارتها العامة، وخاصة في شؤون الترسل عن السلطان أو قد يصبح عيناً للسلطان في إقطاعاته[٦]، فتزودنا الروايات بما كان يقوم به قضاة الدولة الأيوبية كرسل عن سلاطينهم الى دار الخلافة في بغداد، أو إلى الممالك المجاورة، سواء بحكم هذه الأسرة أو بادارة غيرها[٧]، فيتولى القاضي باسم السلطان التفاوض مع الممالك الصليبية المجاورة ؛ فرافق قاضي نابلس الامبراطور الفرنجي عند زيارته للقدس[٨]. ويروى في سيرة قاضي جبلة سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م أنه قد فاوض أهلها وحاميتها لتسليمها للقوات الأيوبية، وتم ذلك بتدبيره فارتفعت منزلته وأحسن إليه السلطان الأيوبي[٩].

ولتلك المهام قد يحدد السلطان للقاضي ما عليه اتباعه، وخاصة برعاية الفئات الاجتماعية المختلفة في مملكته كالفقراء والمحتاجين[١٠].

(١) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ١٤٣.

(٢) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ١٠١ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٥١ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣١٧ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٦٤ ؛ ودريد نوري. نظم دمشق، ص ١٠٢.

(٣) ياقوت. معجم الأدباء، جـ٥، ص ٢٠٨٢ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٣٠٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٧، ص ٦٧ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٣٨ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٤٧، ٤٨ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١١٩، ١٢٩.

(٤) نظام الملك. سياست نامة، ص ١٠٠ وما بعدها ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٩٧-٩٨ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ، أحداث سنة ٥٨٢هـ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٦٤.

(٥) ابن عبدالهادي. ثمار المقاصد، ص ٩٧.

(٦) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ١٧٢.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣١٠، جـ٣، ص ٥٩، ٢١٩، ٢٢٠ ؛ والسبكي. طبقات الشافعية، جـ٧، ص ٢٧٣ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٤٧ ؛ وابن يوسف. نزهة الخاطر، ق١، ص ١٠٢..

(٨) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ١٠٢.

(٩) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٤٤٤، ٢٤٥ ؛ والمقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص ٣٢٣.

(١٠) ابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١٢٠-١٢١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٥٦.

وقد يجتهد القاضي ويتصرف بإرادته ويحكم برأيه[١]، الى حد يعارض رغبات السلطان ويتصرف دون إذنه ؛ فيذكر أن القاضي أبي القاسم عبدالصمد بن محمد ابن أبي الفضائل بن علي الحرستاني قد رفض وساطة الملك العادل في أحد المتخاصمين، وقال له «كتاب الله قضى»[٢]؛ وبالتالي قد يرفض هذا السلطان التدخل في سلطات القاضي، فيقول صلاح الدين لأحد مماليكه وقد اشتكى إليه القاضي : «ما عسى أن أصنع لك وللمسلمين قاض يحكم بينهم»[٣]، ويروى أن الملك المعظم قد طلب إلى القاضي شرف الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفي اباحة الأنبذة فرفض أمر الملك وعزله عن ولايته تلك[٤]. فيحرص السلاطين على مرضاتهم ويكرمونهم، إذ لهم من التأثير على الناس والمجتمع وعنهم يتفقهون في أمور دينهم[٥].

وإن لم تتوفر لدينا أدلة كافية على كيفية تنظيم القضاء في الريف والبادية، فالقضاء في قضايا أبناء الريف أولاً لربما تتم بوساطة بعض رجال الفقه والدين في تلك المناطق، وإذا كانت القضية تستحق نظر القاضي الرئيس أرسل صاحبها للمدينة[٦].

وبالإضافة لمن سبق فقد تولى القضاء : شرف الدين عبدالله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون، بثقافته الواسعة في القضاء، حيث عمي بصره فحافظ السلطان على ولايته مع ترتيب ابنه ليشاركه بمهام وظيفته حتى توفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، فاختلفت وجهات نظر الفقهاء والعلماء وأولي الأمر

---

(١) الأصفهاني. خريدة القصر، جـ٢، ص ٣٢٣ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٤٣ ؛ ونوري. سياسة صلاح الدين، ص ١٤٦.

(٢) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٥٩٠-٥٩١ ؛ والذهبي. تاريخ الاسلام، جـ أحداث ٦١١-٦٢٠هـ، ص ١٩٧ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٦، ص ٤٧١، جـ١٨، ص ٤٥٣ ؛ وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٦٣، ٦٩.

(٣) رحلة ابن جبير، ص ٢٤٤ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٣٤١.

(٤) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ٧٠ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٧٤ ؛ و Elisseeff- Nur Ad-Din, V3, p. 847.

(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٥٢، ٧٠٢، ٧٠٣ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٦٥.

(٦) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣١٩.

حول ولاية الأعمى والأصم، وخاصة بما كان لهذا القاضي من مكانة مميزة في ولاية القضاء[١]، فرأى بعض الفقهاء جواز قضاء الأعمى[٢]. ثم أبو الفضائل القاسم بن يحي بن عبدالله بن القاسم بن الشهرزوري، الذي تولى القضاء في الدولتين الزنكية والأيوبية، وجمعت له الشام بقضائها، وتولى المراسلة بين ديوان الدولة والخلافة العباسية، حتى أخرجه السلطان العادل، فولاه الخليفة، ثم عاد لتولي القضاء في حماة حتى وفاته سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م[٣].

وممن تولى قضاة القضاء في بلاد الشام : جمال الدين المصري المتوفى سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م[٤]، وكمال الدين أبو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري في عهد صلاح الدين[٥]، ومحي الدين محمد بن علي بن محمد بن يحي بن علي ابن عبدالعزيز بن علي بن الزكي، تولاها من قبل الناصر داود سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م[٦]، وشمس الدين أبو البركات يحي بن هبة الله بن سني الدولة الشافعي المتوفى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م[٧]. وترد الإشارة إلى قضاة آخرين في ممالك الأيوبيين في بلاد الشام كأمين الدين أبو القاسم بن حبيش المتوفى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، قاضي حماة[٨]. وأبي حامد محمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري حفيد القاسم -السالف الذكر- الذي تولى القضاء في حلب ثم انتقل للموصل[٩]، وقاضي قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن عبدالواحد الأنصاري السعدي

---

(١) الأصفهاني. خريدة القصر، جـ٢، ص ٢٥١، ٣٥٢ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق٢، ص ٧٦٤، جـ٢، ص ١٥٠ ؛ ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٥٤ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٥١، ٦٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٠٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٧، ص ٥٧٢-٥٧٣، جـ١٨، ص ٢٥٤ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأخوة. معالم القربة، ص ٢٠٥.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٧٩ ؛ وابن الكازروني. مختصر التاريخ، ص ٢٥١ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص ١٧١ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ٣،ص ٥٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢،ص ١٤١.

(٤) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٧١-١٧٢.

(٥) الأصفهاني خريدة القصر. جـ٢، ص ٣٢٣.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢ ص ٦٥٣. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ١٦٩-١٧٠. وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٣٣٧.

(٧) ابن القلانسي. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٢٨٥. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق ٢، ص ٢٧٣.

(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣٧٧.

(٩) ابن الأثير. الكامل، جـ١٢، ص٥٩.

الدمشقي المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م(١)، وقاضي الشام أبو الفضائل يونس بن بدران ابن فيروز الشافعي المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م(٢). وقضاة حماة؛ أبي القاسم الحسين ابن حمزة بن الحسين المتوفى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م(٣)، وشهاب الدين ابراهيم بن عبدالله بن أبي الدم المتوفى سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م(٤). وقضاة الكرك والشوبك؛ كعبد الرحمن التكريتي المتوفى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م(٥)، والرشيد محمد بن أبي بكر بن علي الحنفي النيسابوري المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م(٦).

الخطابة في المساجد :

المسجد من المؤسسات الدينية التربوية التي اهتم بها الأيوبيون اهتماماً بالغاً، وذلك لما له من أثر على ارتباط الناس بعقيدتهم وحياتهم الدينية من جهة، وموقف العامة من الملوك والسلاطين من جهة أخرى، وكان القاضي المسئول المباشر عن شؤون المساجد والقيام بواجباتها، فالخطيب هو من يخطب بالناس وخاصة في أيام الجمعة والمناسبات المختلفة(٧). فلا تكاد تخلو مدينة أو قرية أو محلة أو غيرها متخصصة في العلم أو التجارة إلا وأقام لها الأيوبيون مسجداً، وقد تحول بعض الخانات والدور إلى مساجد، حثاً على العبادة، وإتقاءً لارتكاب الآثام والمحرمات والوقوع في الفسوق والعصيان(٨). ورتب الأيوبيون في هذه المساجد الخطباء والفقهاء والقومة «الامناء» الذين يقومون على حمايتها ورعايتها، ووظفوا بها الأئمة والمؤذنين، وأوقفوا لها ما يكفي للإنفاق على حاجتها ومرافقها(٩)،

(١) المقريزي. السلوك، جـ١، ق١،ص ١٨٨.
(٢) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٣٣ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٦٦.
(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨،ق١، ص ٤١٢..
(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٤١٢..
(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٧٣-١٧٤، جـ٥، ص ٢٤٧.
(٦) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٥٧. وللمزيد حول قضاة كل مملكة انظر الملحق الأول.
(٧) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٢٥، ٤٢٦.
(٨) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٤٦ ؛ وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٥٩ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق١، ص ٨٦-٨٧ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٣١٣ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٨، ص ٢٠٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ٢٢٥.
(٩) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٢٣٠ ؛ وابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٤٣ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٩٠ ؛ وابن عبدالهادي. ثمار المقاصد، ص ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٩٣، ١٠٣ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٧٥.

واهتموا بأعمال صيانتها وبناء السواقي على أبوابها لتوفير الماء اللازم للمصليين، ونظموا طرقها، فيذكر أن الملك العادل قد أمر بوضع السلاسل على بداية الطرق الموصلة الى المسجد الجامع سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م حتى لا تصل الخيول إلى المسجد فتضيق الطريق على المصليين[١].

وخطابة هذه المساجد كان يتولاها ذو المناصب العالية في المجتمع وخاصة القضاة، واعتبرت وظيفته من أرفع الوظائف والتراتيب الدينية في ذلك العصر، وتكاد تنتقل هذه الوظيفة كغيرها وراثة من الأب لابنه ومن الأخ لأخيه، ولاسيما في القرى الصغيرة البعيدة عن مركز المملكة الأيوبية[٢].

يصدر تقليد السلطان بتعيين الخطباء، وخاصة إذا ما كان هذا الخطيب قاضياً مشهوراً ذا مكانة، ليختص بالخطبة، ومثل هذه الخطابة ربما كانت دائماً في المدن الرئيسة[٣]، ويسعى إليها أرباب العمائم والفقهاء، فيذكر أن القاضي الفاضل قد توسط لدى صلاح الدين لتولية خطابة الكرك لخطيب عيذاب قائلاً له : «وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب»[٤]؛ أو يُعين للخطابة خطيباً مؤقتاً تخصيصاً ببعض المناسبات ؛ فيذكر بعد فتح مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ؛ أن القضاة والفقهاء والعلماء قد ترشحوا للخطبة الأولى في المسجد الأقصى، واجتمعوا وتنافسوا لأداء هذه الخطبة بين يدي السلطان بهذه المناسبة، وبحضور جموع المصليين، فصدر مرسوم السلطان الأيوبي للقاضي محي الدين بن زكي الدين محمد بن علي القرشي، وأخذ لباسه الخاص به من الديوان، وألقى خطبة بديعة مؤثرة بحضور السلطان وأعيان الدولة[٥]، وربما جاءت هذه الخطبة كغيرها في مناسبة كهذه، لتبدأ

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٧٠.

(٢) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٣٧ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٩، ص ٣٤ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ٣١٩، ٣٤١.

(٣) حلة بنيامين. ص ١١٦ ؛ وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٠٨ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ١٤١ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ٢٠٠ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٢٣.

(٤) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ١٤٠ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ١٥٩ ؛ وابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٦٦ ؛ وابن الفرات. تاريخ، م٢، جـ٢، ص ١٨٧.

(٥) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ١٣٩ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١٠٨ وما بعدها ؛ وابن هلال -

افتتاحيتها بالآيات القرآنية ثم الإشادة بهذه المناسبة -استعادة القدس- والحمد والشكر لرب العزة؛ ثم الدعاء للسلطان والإشارة الى أفعاله ومناقبه، والدعوة إلى الجهاد والاستشهاد، وعبارات لعن الصليبيين والدعاء عليهم، وهداية الناس بترك البدع والخرافات[1]، ولا بد لهذا الخطيب من «قوة الصوت ونداه، وحسن القرآءة والتلاوة ومعرفة قراءاتها السبع، وأن يكون ذا صيت في ديانته وأخلاقه»[2].

وقد تستمر ولاية الخطابة لفترة زمنية طويلة بجامكية معلومة[3]، وإذا ما غاب خطيبها جعل عنه نائباً، وهذا ما يروى في سيرة خطيب دمشق جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل الدولعي المتوفى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، الذي حصل على توقيع الخطابة ودام بها سبعاً وثلاثين سنة، فتولى الخطابة والإفتاء معها[4]، فإذا ما ظهر من الخطيب الجهل بمسائل الخطابة، أو حتى معارضته لسياسة الملك، صدر مرسوم عزله عن وظيفته؛ يروى عن شيخ الإسلام في الديار الشامية أبي القاسم عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام المتوفى سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، أنه قد أسقط اسم الملك الصالح اسماعيل من خطبته لتعاونه مع ملوك الروم في القسطنطينية، فعزله الصالح عن خطابته وإفتائه وحبسه، حتى رحل عن بلاد الشام سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م[5].

وممن تولى الخطابة إلى جانب من ذكر ؛ الشيخ ضياء الدين محمد بن يوسف بن أبي بكر الآمدي الطبري المتوفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م[6]، وتولاها القاضي أبو

- المقدسي. مثير الغرام، ص ٦٣ ؛ والمنهاجي السيوطي. إتحاف الأخصا، ق١،ص ٢٦٢ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٢٢.

(١) الحسن بن عبدالله. آثار الأول ص ١٦٩ ؛ وابن هلال المقدسي. مثير الغرام، ص ٦٣-٦٤ ؛ والسيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٤٦٣.

(٢) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ١٤١-١٤٢ ؛ وأبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٧٦ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ٨٢ ؛ والمنهاجي السيوطي. إتحاف الأخصا، ق١، ص ٢٧١.

(٣) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٣١٣.

(٤) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣١، ٦٦، ١٨٨ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ١٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٣٢٧ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٧٤.

(٥) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٨٠ ؛ والذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث ٦٣١-٦٤٠هـ، ص٢٧. والمقريزي. السلوك، جـ١، ق٢، ص ٣٠٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ٢، جـ٩، ص ٢١٦، جـ١٨، ص ٥٢١.

(٦) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٥، ص ٢٥١.

Text Stamp

الحسن أحمد بن أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم المتوفى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م[١]، والقاضي جمال الدين بن الحرستاني تولاها في دمشق سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م[٢]، وتولى خطابة دمشق بعد وفاة الدولعي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، الشيخ كمال الدين عمر ابن أحمد بن عبدالله بن طلحة النصيبي[٣]، ثم تولاها سيف الدين عبدالغني بن فخر الدين بن تيمية المتوفى سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م[٤]، ثم تولاها بعد ابن عبدالسلام سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، عماد الدين أبو المالي الزبيدي القرشي المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٥]، ثم وليها الخطيب أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر العوفي الإسعردي، ثم عماد الدين عبدالكريم بن الجهات[٦]. ومن خطباء قرى الغوطة : أحمد بن عبدالدايم بن أحمد بن نعمة بن ابراهيم المقدسي[٧]، وتولى الخطابة في عكا سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، جمال الدين عبداللطيف بن الشيخ أبي النجيب السهروردي.[٨] وتولى الخطابة في بيت الآبار، موفق الدين أبو عبدالله عمر بن يوسف بن يحي بن عمر بن كامل المقدسي المتوفى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[٩]، ثم تولاها ابنه عماد الدين داود[١٠].

الحسبة :

الحسبة من التراتيب الإدارية الدينية التي عرفتها النظم الإسلامية منذ بداية الدولة وعلى اختلاف عصورها، فلها جذورها التاريخية التي ترتبط بحياة الناس، حتى أصبح لناظرها وواليها المكانة الرفيعة والهيبة العالية في الدولة[١١]، ولقب

---

(١) ياقوت. معجم الأدباء، جـ٥، ص ٢٠٨٢.
(٢) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٠٨.
(٣) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٢٣٧.
(٤) الصفدي. جـ١٩، ص ٣٤.
(٥) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣١٩.
(٦) الصفدي. جـ٢، ص ٢.
(٧) الكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ٨٢.
(٨) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٩٠. وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان. جـ٨، ق ١، ص ٣٩٥. والحياري. صلاح الدين، ص ٣٠١.
(٩) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٠٤.
(١٠) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٨٠.
(١١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٤٦٩، ٧٧٩ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١٥٠ ؛ والكساسبة. المؤسسات الإدارية، ص ١٠٧ وما بعدها. يذكر الدكتور نقولا زيادة أن المدن اليونانية القديمة قد عرفت نظام الحسبة «صاحب السوق» اغورانوموس Agoranomos ، وقد =

ناظرها بالشيخ الأجل[١]، فصاحبها من علماء الدين وموضوع الحسبة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحدث على المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج، فيتولى صاحبها بتوقيع من السلطان[٢]». ومن هذه ما يتعلق بحقوق الله ومنها ما يخص حياة الناس، وأخرى مشتركة بين الاثنتين فترد بصيغتها : «إني وليّتك أمر الحسبة على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لذا يجتهد المحتسب في عمله من صلاح الرعية، وإقامة الحدود الشرعية[٣].

ويبدو أن هذه الوظيفة قد شكلت نظاماً ثابتاً في معظم العهود الإسلامية، الى حد جعل الإدارة الفرنجية تقر وظيفة المحتسب هذه في مدينة القدس خاصة كمشرف على أسواق المدينة وما يتم بها من بيع وشراء بمساعدة عدد من الأعوان، الذين يقدمون لصاحبها التقارير الدورية[٤].

كان على المحتسب التجول لتقصي أحوال التجارة في المدن واصدار الأحكام بشأنها حتى إذا لم يتمكن من إصدار حكمه عاد إلى سلطانه لحسم الأمر[٥]. ويورد لنا العماد الأصفهاني وابن الأثير نصوصاً في تولية

- انتشرت هذه الوظيفة منها إلى أنحاء الشرق، وقد سمي صاحبها في العهدين النبوي والراشدي بصاحب السوق، حتى أصبحت تسمى في العصرين الأموي والعباسي بالحسبة، واستمرت في الدويلات الاسلامية التابعة للخلافة العباسية واصبح لها شأنها، وليس أدل على ذلك من القصة التي يذكرها عبدالرحمن الشيزري المتوفى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م بأن صاحب دمشق الأتابك طغتكين المتوفى سنة ٥٢٢هـ/١٠٢٨م عين محتسباً وقال له : «إني وليتك أمر الحسبة على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال المحتسب : إن كان الأمر كذلك فقم عن هذه الطراحة وارفع هذا المسند، فإنهما حرير، واخلع هذا الخاتم فإنه ذهب، فقد قال النبي ﷺ في الذهب والحرير : إن هذين حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثها، قال فنهض السلطان عن طراحته وأمر برفع مسنده وخلع الخاتم من اصبعه، وقال : قد ضممت إليك النظر في أمور الشرطة، فما رأى الناس محتسباً أهيب منه». الشيزري. نهاية الرتبة، ص٨. وزيادة. الحسبة والمحتسب، ص٢١ وما بعدها نقلاً عن : E. Levi-Provencal et G. Colin, P.2

(١) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ١٢٢-١٢٤ ؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٠، ص ٤٦٦-٤٦٨ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٧٢-٧٤، جـ٢، ص ١٣٦ ؛ والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٣٠-٣١ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٦١، ٧٤.

(٢) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٢٤.

(٣) الماوردي. الأحكام السلطانية، ص ٣٠٣ ؛ والقرشي. العقد الفريد، ص ١٨٠-١٨٢ ؛ والأسدي. التيسير والاعتبار، ص ١٤٣ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ٧، ٩، ١٣، ٢٢ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص ٣٣٥.

(٤) الحياري. القدس، ص ٦٥-٦٦ ؛ وكاهن. الشرق والغرب، ص ٢٠٨-٢٠٩ ؛ وإبراهيم الفحام. الشرطة، ص ١٢٥.

(٥) الماوردي. الأحكام السلطانية، ص ٣٠٦ ؛ وابن الأثير. رسائل، جـ٢، ص ١٦١ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ٢٢١.

يزودونه بتقاريرهم حول أوضاع السوق وصناعاته، وبذلك يلازم المحتسب الأسواق على غفلة من أصحابها، فيقوّم الاعوجاج قبل اضطراب الأحوال[١]، واستعان المحتسب ببعض الفئات كالسقائين لإطفاء الحرائق التي قد تشتعل بحاجيات هذه الأسواق[٢]. ورتب المحتسب من أرباب هذه الصناعات، الخبيرين بصناعتهم عرفاء ليستعين بهم في كشف حالة السوق من غش وتدليس[٣]. ويساعد المحتسب الولاة والأمراء وفرق الشحنة للقيام بواجباته من إيقاع العقوبة التي يرى تطبيقها بحق كل من يخالف الشرع وأعراف السوق[٤] من أصحاب البسطات والعشابين وغيرهم.[٥]

وللمحتسب عمل الاختبار الخاص لبعض الصنائع وخاصة الأطباء، لما لهم من أثر في حياة الناس وسلامتهم[٦]، «وليمنع الطرقيين والمتعاطين للطب على التخمين، وليصدهم عن مداواة الأمراض ومزاولة الأعراض ومعالجة العيون ومعالجة الأدواء بالظنون، وبيع الأدوية المغشوشة والمجهولة»[٧]، أو قد يستحلف المحتسب أصحاب الصنائع هذه بالعهود والمواثيق على عدم الغش، وخاصة إذا ما كانت هذه الصناعة صعبة على فهمه بعيدة عن إدراكه[٨].

أما المهام الأخرى التي أوكلت لصاحب الحسبة، فربما من الصعب الإحاطة بها بجليلها وحقيرها، لتعددها وتشعبها في مؤلفات العصر الأيوبي[٩]، ويزودنا العماد الأصفهاني بوثيقة تعيين محتسب في مدينة حلب تعود إلى العصر الأيوبي، يبين فيها شروط المحتسب أولاً : «أن يكون هذا الشخص فاضلاً تقياً وكريماً عفيفاً بعيداً

---

(١) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٢٣، ١٢٨ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ١٥، ٢٠٩ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٤، ٢١٧، ٢٢٠.

(٢) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٣٩.

(٣) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٤٠ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ١٨ ومابعدها.

(٤) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢٨ ؛ ابن تيمية. الحسبة، ص ١٣، ١٦ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٨٤ وما بعدها.

(٥) الكتبي. عيون التواريخ، جـ٢٠، ص ٢٨.

(٦) ابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٦٩.

(٧) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٣٨.

(٨) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٨٩، ٩٨ ؛ ابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٨٣، ١٤٩.

(٩) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ١٣٧ ؛ والشيزري. نهاية الرتبة، ص ٥٤، ١٦٣ ؛ وابن تيمية. الحسبة، ص ٢٠ ؛ وابن فضل الله العمري. التعريف، ص ١٦٢ ؛ ١٦٣.

عن الرذائل مستقيماً أميناً في أفعاله وديانته، دارساً لسنن السلف الصالح، مهيباً صارماً في شخصيته، مصيباً في حكمه، ولابد فيه من أن يكون عارفاً لأحوال الناس ومعاشهم ومعاملاتهم ... ثم يدعوه فيها إلى الإنتصاف من الخاصة والعامة علي حد سواء، حتى يزيل الظلالة ويحل عقدة الشبهات بدرايته دون أن تأخذه في الحق لومة، وهذا المحتسب مدعو للإهتمام بالأسواق وتنميتها، وتنفيذ عقوبته وفق أحكام الشرع لا وفق هواه، وذلك بالبحث والتدقيق بالإثبات والبينة»[١].

فيبدو أن مسؤولية المحتسب كانت عامة فيما يخص الشؤون الداخلية الدينية والمدنية في المدينة الأيوبية، فبدءاً يتوكل المحتسب بتنظيم عمارة المدينة، وله ترتيب القائمين على شؤون الأبواب الخارجية، ويحدد لكل موظف جامكيته من خزانة الدولة[٢]، وله تحديد الأماكن التي تصلح لإقامة الصناعات المختلفة وأسواقها، ويختط للمخابز العامة على أطراف المدينة ودروبها[٣]، ويمنع تجاوز أرباب الصناعات عن قوانين صناعتهم وإدارتها، فلا يُبنى الدكان متجاوزاً الحد لإطار الطريق العام، فتحديد مكانه من إختصاص المحتسب، ولكل صناعة سوقها، فيخطط تدريجياً لنمو الأسواق وإتساع صناعتها وتجارتها[٤]. ويتدخل المحتسب في الصناعة نفسها من حيث نضجها وجودتها وموادها المستخدمة وصلاحيتها، فإذا ما وقع شك في سلعة ما أمر صاحبها أن يعملها بين يديه وأمام عينيه[٥]، ويمنع المحتسب الاحتكار للحاجات الضرورية لحياة الناس اليومية وخاصة في ظل الظروف الطارئة، ويراقب أسعار هذه الحاجات، وإن كان لا يجد المحتسب مبرراً لتدخله بفرض سعر موحد للسلعة الواحدة مع اختلاف المنطقة الجغرافية التي تباع بها مثل هذه

---

(١) للمزيد انظر ؛ الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢٥-١٢٨.

(٢) ابن بسام. نهاية الرتبة، ص ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥ ؛ والذهبي. تاريخ الإسلام، أحداث ٦٢١-٦٣٠هـ، ص ٢١، ٢٢.

(٣) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٢٤ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٤-٩.

(٤) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ١٣٧ ؛ والشيزري. نهاية الرتبة، ص ١١، ١٢، ١٤ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ٧٨، ٧٩، ١٣٠ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ١٧.

(٥) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص١٢٥-١٢٨. الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٢٥، ٣٧ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ٩١، ٩٤ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٢٨-٢٩.

السلعة[١] واختلاف الفترة الزمنية كذلك، في ضوء الظروف الاقتصادية التي كانت تعيشها الممالك الأيوبية في بلاد الشام. فقد لا يتدخل في فرض أسعار محددة وإن كان عليه حفظها ومراقبتها[٢].

ومن واجبات ناظرها كذلك مراعاة الدقة في النقد والمكاييل والأوزان المستخدمة، فلا يترك للبائع أن «يطفف» على العامة، وتختم هذه الموازين بختم المحتسب، ويتابع هو أمرها من حين لآخر[٣]، وتوكل له مهمة منع الخداع في البيع وعرض السلع، فيروى أن صلاح الدين أمر بالنهي عن الخوض والمناداة بالأصوات لكل صاحب سلعة على سلعته ترويجاً لها وترغيباً بها[٤]، ولناظر الحسبة التدخل في شؤون المعاملات التجارية بين أفراد المجتمع، كالإجارة والشركة بين الأشخاص، فيوثق لكل ذلك في دفاتره، ويحدد صلاحيات كل من الأطراف وينظم ممارسة شروطها[٥]، وله مسؤولية تلك المعاملات الخاصة بالطوائف من غير المسلمين، فيدقق في أحوالهم ومعاملاتهم، فلأهل الذمة لباسهم الخاص ؛ «خذ النصارى واليهود والمخالفين بلبس الغيار وشد الزنار»[٦]، ويحدد المحتسب لتاجر الرقيق سجلاته الخاصة بأولئك العبيد الذين انتشرت تجارتهم في ذلك العصر، فيتأكد المحتسب من اسمه وصفته، لئلا يكون المباع حراً أو مسروقاً[٧].

وللمحتسب الإشراف على المساجد والحفاظ على حرمتها وإقامة الصلاة بها، فيرتب لها قومتها المشهود لهم بالعلم والفقه[٨]، وربما أشرف على إمامة الصلاة فلا

(١) الماوردي. الأحكام السلطانية، ص ٣١٨، ٣٢١ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ٨٩.
(٢) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٣٨.
(٣) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص١٣٧. الشيزري. نهاية الرتبة، ص ١٨ ؛ وابن شيث. معالم الكتابة، ص ١٥٥ ؛ والحسن بن عبدالله. آثار الأول، ص ١٦٥ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٦٧ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٦٥، ٦٦.
(٤) السبكي. طبقات الشافعية، جـ٧، ص ٣٥١.
(٥) ابن الأخوة. معالم القربة، ص ٧٤-٧٥.
(٦) للمزيد حول واجبات المحتسب انظر نص تولية الحسبة في الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٣٤، ١٢٣، ١٢٤ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٢٠٧ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص٤٦٦-٤٦٨ ؛ وأبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٢١٠-٢١١.
(٧) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ٨٤ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٥٢.
(٨) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص١٢٨. الشيزري. نهاية الرتبة، ص ١١١ ؛ وابن تيمية. الحسبة، ص ١٧، ١٨ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٧٠، ١٧٢، ١٧٩.

يجعل الإمام يطيل على العامة فيحملهم مالا يطيقون[1]. وهكذا بالنسبة لوساطته بين الولاة والقضاة وبعض الكتّاب من جهة وعامة الناس من جهة أخرى، فالمحتسب هو المسؤول عن الآداب العامة فله منع الفاحشة والمنكر في الأماكن العامة، «ولينكر غاية الإنكار كشف العورات لاسيما في الحمامات، وليكف صوت المتحدثين في العقائد بما يؤتغها»[2] وينظّم السير في الطرق، فيمنع الناس من الجلوس على الطرقات لتسهيل حركة المارة «يلزمه عمارة الطرق وتنظيفها وتشييد جوانبها وترصيفها»[3]، وله الحق في التدخل في منع استغلال أصحاب الأسواق والصناعات لغلمانهم[4]. ويشرف المحتسب على الحمامات العامة التي ترد الإشارة إلى تواجدها في مختلف المدن الأيوبية الرئيسة، فيحدد الوقت المناسب لدخولها ويشرف على مرافقها وتجهيزاتها ونظافتها[5].

وهناك مهام ثانوية لناظر الحسبة، فقد يكلف بعلاج بعض المشكلات كالقحط ، فيروى أن الملك المعظم قد أرسل محتسب دمشق سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م إلى بلاد العجم لإحضار الطير الذي يأكل الجراد بعد أن انتشر في بلاد الشام[6]. وقد تكون للمحتسب مهام تعليمية أحياناً كإشرافه على تعليم الصبيان في مكاتبهم ومدارسهم من حيث سلامتها وتنظيمها، ومراعاة التربية السائدة في المجتمع، فيقف في وجه الأفكار الخارجة على أعرافه ومبادئه[7].

يستخدم المحتسب بعض الأدوات لانزال العقوبة على من يخالف أنظمته كالسوط والدرة والطرطور «والسوط وسطاً لا بالغليظ الشديد ولا بالرقيق اللين،

---

(١) الماوردي. الأحكام السلطانية، ص ٣٠٥ ؛ والتلمساني. تحفة الناظر، ص ١٦٥.

(٢) «يؤتغها ؛ الوتغ هو الهلاك والفساد، وهو الاثم وفساد الدين وقلة العقل في الكلام، أي أوتغه أوجعه» ابن منظور. لسان العرب، م٨، ص ٤٥٨.

(٣) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ١٢٨ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٢٠ ؛ و Elisseeff. Nur Ad-din, v.3, p.p. 827-830.

(٤) ابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٢٧.

(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٨٠ ؛ وابن الأخوة. معالم القربة، ص ١٥٤ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٦٧ وما بعدها.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٦٢٣ ؛ والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٧) الشيزري. المنهج المسلوك، ص ٦٤ ؛ ابن بسام. نهاية الرتبة، ص ١٦١.

حتى لا يؤلم الجسد، أما الدرة فتكون من جلد البقر أو الجمل محشوة بنوى التمر، أما الطرطور فيكون من اللبد منقوشاً بالخرق الملونة، ومكللاً بالخرز، ليترك كل هذا رهبة في النفوس»[١]، وله ختم خاص لختم البضائع بمتطلبات سلامتها ومنع الغش بها[٢]، وعنده دفتره الذي يكتب فيه أسس التجارة، وأسماء أصحاب بعض الصنائع، وخاصة إذا ما كان مقرراً عليهم من الرسوم التي تجمع لناظر الحسبة.[٣]

وقد تكون عقوبة المحتسب باتلاف البضائع الفاسدة وإغلاق المتجر، وقد يضرب ويحبس وينفي في عقوبته[٤]، وله البحث عن كل ما يخص شؤون وظيفته «فمن شهد له بالبراعة أبقاه على صناعته، ومن كان مقصراً نهاه ومن غرر عزره، ومن أفرط عاقبه، ومن كان جاهلاً في صناعته منعه من المضي بها»[٥].

وعرف للحسبة رجال قاموا بمهامها، فإذا ما تركوا ولايتها عادوا إليها ثانية لمعرفتهم بأمورها ولآهليتهم وهيبتهم ووقارهم وصلاحهم في ولاية هذه الوظيفة، ففي تقليد الخليفة العباسي للسلطان العادل الأيوبي يأمره فيه قائلاً : «تفويض أمر الحسبة الى من يكون بأمرها مضطلعاً وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعاً»[٦]. وهذا ما كان يجعله مؤهلاً للقدرة على التصرف وانزال العقوبة المناسبة[٧]، وممن تولى نظر الحسبة في ممالك بلاد الشام : تولاها في دمشق بعد سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، المظفر أبو غالب نجم الدين بن محمد بن الياس بن عبدالرحمن بن

---

(١) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ١٠، ١٠٨ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ٢٠٩.

(٢) ابن الأخوة. معالم القربة، ص ١١٠.

(٣) الشيزري. ص ٢٢ ؛ وابن بسام. ص ٢١ ؛ و E.I.P. 486.

(٤) الشيزري. ص ٤٢، ١٠٩ ؛ وابن تيمية. الحسبة، ص ٥٠، ٥٢ ؛ وابن بسام. ص ١٣٥، ١٤٨ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص ٢٠٧ وأبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٢١٢.

(٥) الأصفهاني. البرق، جـ٥، ص ١٣٧ ؛ والشيزري. ص ٦١، ٦٤ ؛ وابن الأخوة. ص ١٢٢، ١٥١، ١٦٥ ؛ وابن بسام. ص ٢١١ ؛ وأبو دمعة. ص ٢١٢

(٦) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٨٨ ؛ والذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث ٦٣١ - ٦٤٠هـ، ص ٣٢٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص ٢٨١، والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٠، ص ١١٤.

(٧) يذكر الشيزري قصة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي المتوفى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م مؤسس الدولة الغزنوية باعتراف الخلافة العباسية في افغانستان : «فجاءه رجل يطلب ولاية الحسبة في مدينة غزنة، فنظر السلطان إليه فرأى شاربه قد غطى فاه من طوله، فقال له : ياشيخ إذهب فاحتسب على نفسك ثم عد واطلب الحسبة على الناس». الشيزري. ص ٩، وابن بسام. ص ١٣.

علي الأنصاري الدمشقي[١]، ثم تولاها مرة أخرى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، في عهد الملك المعظم عيسى، ثم تولاها في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الحافظ صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن القاسم البكري المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٢]، ثم تولاها الفخر محمود بن عبداللطيف المتوفى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[٣]. وتولاها في عهد الناصر داود وقبله، محمد بن عبدالكريم بن يحي بن شجاع بن عياش المعروف بابن عبدالهادي القيسي الدمشقي المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م،[٤] وتولاها جمال الدين محمد بن عقيل بن كروس السلمي الدمشقي المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٥]، وتولى الحسبة في دمشق فتح الدين محمد بن عبدالصمد بن عبدالله بن عبدالله بن حيدره السلمي المعروف بابن العدل المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٦]، وتولاها سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، جمال الدين بن يغمور[٧]. وتولى في حسبة جبل الصالحية، جمال الدين محمد الحق بن خلف أبو عبدالله الحنبلي المتوفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م[٨]. وتولاها في حلب في عهد الملك الظاهر بتوقيع من الخليفة العباسي، الشيخ تقي الدين علي أبي بكر الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ/١٢١٤م[٩]، ثم تولى عليها مجد الدين بن العجمي في حدود سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[١٠].

الأوقاف :

الوقف «هو الحبس وما خصص من أرض أو عقار للإنفاق على مؤسسة ما، أو جماعة بعينها»[١١]والوقف نوعان : خيري للإنفاق على مؤسسة ما، وذري وقفاً على

(١) اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٣٤٨.
(٢) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٨٥. ١٢١. وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٥٦٦. واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ١٢٥. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢. ص ٢٥٢.
(٣) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٩٩.
(٤) الذهبي. تاريخ الإسلام، جـ أحداث ٦٣١-٦٤٠هـ، ص ٣٢٤. والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص ١٨١.
(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٧٤٣. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١ ١٣، ص ١٧٤.والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٩٨. والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٧٣-٧٤.
(٦) الصفدي. جـ٣، ص ٢٥٧-٢٥٨.
(٧) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٧٧٠.
(٨) الصفدي. جـ٣، ص ٢١٨.
(٩) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥.
(١٠) ابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٢١٢.
(١١) ابن منظور. لسان العرب، م ٩، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

أشخاص بعينهم، ويمارس مثل هذا النظام الاقتصادي الاجتماعي لفائض من الأموال عند الواقف وحاجة الموقوف، إذ كان من الصعب على الإدارة الأيوبية توفير النفقات الخاصة بكل تلك المؤسسات الدينية والتربوية والاجتماعية التي أنشأتها في مختلف ممالكها[١]، فتنوعت أوقافها واتسعت أملاكها، وليس أدل على تنوع هذه الأوقاف واتساعها من قصة ذلك المملوك الصغير الذي سقطت آنيته وانكسرت، فعوضه صاحب أوقاف الأواني بثمنها ليشتري غيرها[٢]، وهكذا في تلك الأوقاف التي خصصها بعض ملوك بني أيوب برسم الجهاد والرباط في سبيل الله.[٣]

تنوعت الأوقاف في صدر الدولة الأيوبية[٤]، وخاصة تلك الأراضي التي طالما خصصت كأوقاف للإنفاق على المؤسسات التربوية خاصة، ومختلف الإصلاحات التي اهتمت بها الإدارة الأيوبية في صدر دولتها بشكل عام، وكانت مثل هذه الأوقاف بشروط واقفيها، منظمة ومحددة[٥]، وإذا لم تكن كافية للإنفاق على هذه المصالح زادوا في أوقافها[٦]. وهذا الوقف يرتبط بذلك الشخص وجماعته أو هذه المؤسسة ما دامت قائمة وما زال هذا الشخص على قيد الحياة[٧]، أو على ذريته بعد مماته؛ فيروى أن السلطان الأيوبي صلاح الدين قد أوقف أرض جبل بيت المقدس الشرقي المشرف على المسجد الأقصى -طور زيتا- على الشيخ ولي الدين أبي العباس أحمد ابن أبي بكر بن عبدالله بن داود الهكاري وابنه أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م من بعده وذريتهما[٨].

يذكر ابن جبير في حديثه لأوقاف الربوة في دمشق بقوله: «ولها أوقاف كثيرة من بساتين وأرض بيضاء ورباع وهي معيّنة التقسيم لوظائفها، فمنها باسم

---

(١) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ١١٤؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٥٥؛ وأبو دمعة. الحياة الاقتصادية، ص ٨٣؛ وأمينة بيطار. التعليم في دمشق، ص ٥٧

(٢) الحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٥٣.

(٣) ابن يحي. تاريخ بيروت، ص ٣٧.

(٤) ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص١٢٨.

(٥) العسلي. وثائق مقدسية، ص ٩٤؛ والحياري. القدس، ص ١١٧-١٢٤.

(٦) أبو شامة. عيون الروضتين، ق٢، ص ٢٧٦.

(٧) ابو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٦٨.

(٨) العليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ٦١.

البائتين فيها من الزوار، ومنها برسم التغطية بالليل ومنها للطعام، ومنها برسم الإمامة والمؤذن، ووظيفتها في إيواء أهل الغرب من الغرباء»(١). ويبدو أن علاقة الإدارة الأيوبية بهذه الأوقاف، تجعل لها ترتيبها الخاص، وتحاول زيادة وارداتها، فيذكر أن أوقاف ممالك الشام في سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م قد بلغت تسعة آلاف دينار، وهذه اقتصرت على بعضها دون مجموعها(٢).

يرتب لكل من هذه الأوقاف والتي تتنوع في شكلها وأهدافها ديوان، له ناظر خاص من الفقهاء وأصحاب العمائم، وهذا الناظر هو الذي يرتب الوظائف الخاصة بديوان وقفه، ويشرف على وارداتها ونفقاتها، وقد توكل له بعض المهام الخاصة بعمارة الوقف بإذن السلطان أو الملك(٣).ولم تقتصر مساهمات الوقف على رجال الدولة وإدارتها، فكان لأصحاب الأملاك والتجارة أن جعلوا من أملاكهم أوقافاً خاصة على بعض المؤسسات والشؤون الاجتماعية المختلفة وهذا هو الأعم في العصر الأيوبي(٤). وقد تنتقل وظيفة الناظر هذه كغيرها من النظم الإدارية الأيوبية وراثة من الأب لابنه، وخاصة إذا ما تولى أمر الوقف قاضٍ أو أحد رجال إدارته(٥)، إذ كانت الأوقاف أشد ارتباطاً بمؤسسة القضاء. وممن تولى ديوان الوقوف في حوران سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، الشيخ قطب الدين النيسابوري(٦)، ويذكر أن القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المشهور بابن شداد؛ قد تولى ديوان أوقاف القدس سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، بالإضافة الى تعيينه في قضائها، وخصصت هذه الأوقاف للإنفاق على الصوفية والفقهاء والبيمارستان التي أنشأها صلاح الدين في هذه المدينة(٧). ثم

---

(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٢٣، ٢٢٥.

(٢) سبط ابن الجوزي. مرآةالزمان، جـ٨، ق١، ص ٣١١.

(٣) القرشي. العقد الفريد، ص ١٨٣، ١٨٤ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ١٣٥ ؛ والسبكي. طبقات الشافعية، جـ٧، ص ٢٤٢.

(٤) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٤، ص ٢٥١، جـ١٥، ص ٤٦٧ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٥١.

(٥) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٢٦ ؛ والذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ١٢٦ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٧٣.

(٦) النعيمي. الدارس جـ١، ص ٣١٤.

(٧) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦١٢ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ١، ق١، ص ١٧٥ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ١، ص ٣٩١ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣١٤.

تولاها سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م، القاضي محي الدين بن الزكي محمد بن علي بن محمد أبو المعالي القرشي، ثم تولاها بالضمان شمس الدين بن الليثي[١]، وتولى أوقاف مسجد دمشق القاضي مجد الدين بن الزكي ثم تولاها أخوه محي الدين[٢]. ووليها في حلب نقيب الأشراف الإمام شمس الدين أبي علي الحسن بن زهرة الحسيني والقاضي بهاء الدين بن محمد بن الحسن بن ابراهيم بن الخشاب الحلبي[٣]، ثم عون الدين سليمان بن عبدالمجيد بن الحسن بن أبي غالب بن العجمي المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٤]. ووليها في حماة الصفي الأسود محمد بن اسماعيل الحميري اليمني[٥]، وتولى أوقاف ست الشام، عماد الدين أحمد بن محمد بن الشيرجي[٦]، إذ يصدر الواقف تقليد الوقف لناظره ويوثق مرسومه هذا بعلامته، ويحدد به اسم الواقف والمناطق التي يضمها الوقف، وشروطه مع توقيع الشهود وتأريخ هذا المرسوم ببدء انفاق هذا الوقف على مصالحه[٧]. وقد تُعمم نسخ هذا الوقف على مختلف الجهات وخاصة المالية منها، لأخذه بعين الاعتبار عند تخصيص النفقات والحسابات المالية في خزينة الدولة، مع الاحتفاظ بنسخة منه عند قاضي القضاة، لتنفيذ شروطه ومراقبة أعمال ناظره[٨]. فيزودنا العسلي بنص وثيقة وقف في القدس الشريف وقفها صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتبدأ هذه الوثيقة بالإشارة إلى صاحب الوقف ثم إلى الوقف والذي يشمل : «دار البطرك بالقدس والطاحون والفرن والدير والإسطبل ... ثم تذكر هذه الوثيقة حدود الوقف من القبلة ومن الشرق ومن الشمال ومن الغرب، وتشير الوثيقة إلى كل ما تحويه هذه الحدود من مرافق..

---

(١) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣٢ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٣٦.
(٢) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١١٢.
(٣) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٨٨.
(٤) اليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ٢٤١ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٥، ص ٣٩٩.
(٥) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢، ص ٢٢١.
(٦) م. ن جـ٢، ص ١٢٥.
(٧) «في شروط هذا الدور ومهام ناظره انظر : الملحق «وثيقة وقف السلطان صلاح الدين» والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣١٤.
(٨) ابن عبدالظاهر. الروض الزاهر، ص ٩٠ ؛ والعسلي. وثائق مقدسية، ص ٩٥.

موقوفه محبسه محرمة مؤبده نافذه ماضيه لوجه الله تعالى، لا يدخل عليها وجه من وجوه التمليكات، ثم يذكر أن هذه الوقوف هي لمصلحة «المشايخ الصوفية والشيوخ والكهول والشباب البالغين المتأهلين» ووقفت دار البطرك -السالفة الذكر- رباطاً ومقاماً للقادمين إلى هذه المدينة من الصوفية وغيرهم من المسافرين، واشترط صلاح الدين في وقفه هذا أن يجتمع هؤلاء المقيمين في كل يوم بعد صلاة العصر لقراءة القرآن والدعاء للواقف والمسلمين، واشترط الواقف أن ينفق الناظر ريع هذه الوقوف حسب ما يراه مناسباً، ونظر الوقف يكون وراثياً في صلب الناظر من شيوخ الصوفية، إلى غير ذلك من الشروط التي اشترطها الواقف، ثم يُشهد على هذا الوقف الشهود العدول في تاريخ هذا الوقف سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م[١].

ومن السلبيات التي ظهرت في نظام الوقف هذا هي تلك النظم البدائية في استغلال أراضي الوقف ومخصصاته، مع تفاوت القدرات التي يمتلكها نظار هذا الوقف في إدارة أوقافهم وصرف نفقاتها[٢]، بالإضافة إلى أن وظيفة الناظر هذه قد أصبحت تحصل ويصل إليها بعض الأشخاص بالضمان بما يدفعه هذا الشخص أو ذاك من مبلغ مالي أو يزاد عليه لتوليته أمر الوقف والإشراف عليه[٣].

الإدارة التربوية التعليمية الأيوبية في بلاد الشام :

ازدادت المؤسسات التربوية التعليمية في بلاد الشام في العصر الأيوبي وتنوعت أشكالها ، فبالإضافة لما بني منها في العهد الزنكي، أنشأ الأيوبيون عشرات المدارس في مختلف مدن بلاد الشام، فيذكر أنه قد وجد في دمشق وحدها نحو تسعين مدرسة[٤]، وهذه المدارس كانت تقوم لأهداف عدة، ومن أهدفها ترسيخ المذهب السني في مصر وبلاد الشام على أنقاض المذهب الشيعي الذي كان شائعاً في مصر خاصة في عهد النفوذ الفاطمي، ومن خلال هذا المذهب الذي أرادته الإدارة

---

(١) للمزيد انظر الملحق ؛ العسلي. وثائق مقدسية، ص ٩١-٩٦.
(٢) السبكي. معيد النعم، ص ٦٤ ؛ وديموميين. النظم الإسلامية، ص ١٩٨.
(٣) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣٢ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٣٦.
(٤) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٠ ؛ وأمينة بيطار. التعليم في الشام، ص ٥٧.

الأيوبية فقد تستطيع تعبئة الجماهير لمواجهة الوجود الصليبي على أطراف بلاد الشام(١)، وأصبحت هذه المدراس مصدراً لتثقيف وتزويد جهاز الإدارة بالرجال القادرين على القيام بمهامه في ظل الظروف والتغيرات السريعة التي شهدتها المنطقة في ذلك العصر(٢)، فاهتم سلاطين وملوك بني أيوب بالعلم والعلماء وأرباب العمائم، وأكرموهم وأجزلوا لهم العطاء وخلعوا عليهم الخلع والألقاب، وفوضوا إليهم أمور مدارسهم(٣)، حتى تلقب بعض هؤلاء السلاطين بألقاب العلماء وتسمياتهم؛ مثل الأشرف موسى بن العادل فتلقب ببهلوان جهان، أي العالم(٤)، وبالاضافة الى من اشتهر منهم بالقضاء ظهرت عائلات علمية كعائلة ابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، وأمين الدين الحلبي المتوفى سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، وصدر الدين بن حمويه المتوفى سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، والأسعردي المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م(٥).

كانت مهنة التدريس عالية المقدار، وخاصة بأولئك الأشخاص الذين وصلوا الى مرتبتها من القضاة والفقهاء وغيرهم من الرجال القادرين(٦)، فإذا ما وجد المدرّس أحياناً انشئت له المدرسة ليقوم بالتدريس بها، ويسمع لرأيه في بناء هذه المدارس من حيث موقعها وهيكلها والأوقاف الضرورية للإنفاق عليها، فتصان حرمتهم وترتفع مكانتهم(٧)، ووجد تفاوت بالإقبال على العلم من مدرسة لأخرى مع تفاوت

---

(١) شميساني. مدارس دمشق، ص ٥٣ وما بعدها ؛ وسبانو. مملكة حماة، ص ١٧٧ وما بعدها ؛ وأمينة بيطار. التعليم في الشام، ص ٥٨-٥٩.

(٢) بروكلمان. تاريخ الشعوب، ص ٣٥٨-٣٥٩ ؛ والكيلاني. هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص ٢٥٠ وما بعدها ؛ وسوفاجيه. دمشق الشام، ص ٣٤ ؛ ونصر. سوسن. القاضي الفاضل، ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) ابن حجة الحموي. ثمرات الأوراق، ص ٤١ ؛ وابن الأزرق. بدائع السلك، جـ١، ص ٣٨٥ ؛ وناظم رشيد. المجالس الأدبية، ص ٤.

(٤) الباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٢٨.

(٥) للمزيد انظر ؛ الحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٢٢-٢٩.

(٦) أبو شامة. عيون الروضتين، ق١، ص ٧٩ ؛ والنويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٤٠، ١١٦، ٣٥١ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢١٤.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٤، ص ٧٨ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص ٤٥٢ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٥٢.

مستوياتها، فقد أصبحت بعضها كالكليات والمعاهد[١]، وهي أعلى مستوى من المساجد والكتاتيب التي تؤدي دورها في تعليم المبتدئة لأصول القراءة والكتابة والعلوم الدينية، لذا نجد بعض المدرسين كثيري التنقل إلى هذه المدارس، فيروى في سيرة فخرالدين عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسن بن عساكر ؛ أنه قد تنقل للتدريس في كثير من هذه المدارس في عهد الملك المعظم، كالجاروخية والتقوية والعذراوية في دمشق، والصلاحية في القدس، حتى انتزعها منه الملك المعظم بعد أن أنكر عليه تضمين المكوس والخمور[٢]. نسبت بعض المدارس لمدرّسيها واتسعت مرافقها، وأوقفت لها ولطلبتها والقائمين على أمرها من مدرسين وقراء أوقاف خاصة تقوم على نفقتهم وتلبية حاجاتهم[٣]. وتعددت علومها واختلفت منافعها، إذ لم يقتصر الدور على إدارة الدولة في إقامة المؤسسات التعليمية المختلفة، فكانت هناك مبادرات شخصية من قبل بغض الأشخاص القادرين من كبار رجال الإدارة وقادتها ووجهائها على إنشاء مثل هذه المدارس والدور العلمية ووقفها على طلبة العلم[٤].

واقف هذه المدارس هو من كان بيده عزل ذلك المدّرس أو منعه من عمله وترتيب غيره مكانه، فيملي على المدرّس شروطه ؛ فيروى في شرط أحد الواقفين على مدرّسه؛بأن لايدخلها من أهل الكتاب وبشرط آخر «بأن لايجمع المدّرس بينها وبين غيرها»[٥] ؛ ويذكر العماد الأصفهاني في إنشاء منشوره للشيخ الامام علاء الدين الكاساني مدرّس المدارس الحنفية بحلب قوله : «وقد أقررناه على المستمر من عادته والمستقر من قاعدته من تولي المدارس التي تحت ولايته بمدينة حلب

---

(١) ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص ٢٦.

(٢) الكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٢٨٩-٢٩٠. اليافعي. مرآة الجنان، جـ٤، ص ٦٦ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٦٣، ٦٤.

(٣) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ١١٠ ؛ ودريدنوري. نظم دمشق، ص ١٠٢.

(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٢٤٤ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص١١٨، وتاريخ الملك الظاهر، ص ٤١ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٣٨٨ ؛ و Humphrys. Islamic history, p. 252.

(٥) أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص ٢٣٧، وذيل الروضتين، ص ١٠٦ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٠١، ٢٠٩، ٢٤٣.

والرقة، وتولي أوقاف ذلك جميعه وأن يستنيب في هذه المدارس من الفقهاء مدرّساً ومعيداً ومفتياً ومفيداً وإليه العزل والتولية والتبديل...»[١]، أو قد يبتدأ هذا المرسوم بالتحميد ثم ذكر المدرسة المراد توليتها وفضل المدرّس وترتيب أمر المدرسة، من حيث توزيع أعمالها وتخصيص جامكية كل منهم من أوقافها، وحفظ هذه الأوقاف وتنمية عمارتها، ثم بيان أهمية هذه المدرسة في التعليم ونشر العلم وتعميمه على الناس.[٢]

اقتضت هذه الحاجة الى تحويل بعض المباني الخاصة إلى مدارس أحياناً، وخاصة إذا ما كانت هذه الدور تحقق الغرض بموقعها ومرافقها، فيذكر أن صلاح الدين قد جعل من كنيسة القديسة حنة في القدس مدرسة للشافعية، وحولت بعض دور دمشق الى مدارس توقف على طلبة العلم[٣].

وإن كانت هذه المدارس هي المؤسسات التربوية الرئيسة التي عملت على نشر العلم بين الناس، إلا أن الأربطة والخوانق والزوايا والكتاتيب -وإن اختصت بأعمال أخرى- أخذت دورها في مهام التعليم مع اختلاف منهجها وفكر القائمين على شؤونها[٤]. فقد كانت الكتاتيب متوفرة في ممالك الشام وخصصت لها أوقافها[٥]، وأصبح للإدارة الأيوبية اهتمام خاص بأمرها، وخاصة من قبل المحتسب الذي يشرف على مواقع الكتّاب لتعليم الصغار بما تقتضيه المصلحة في التعامل معهم[٦]. وكان للمساجد عبر العصور الإسلامية المختلفة دور مؤثر وفعال كذلك ؛ فالجامع الأموي في دمشق كانت حلقاته متواصلة وزواياه حاشدة بالدارسين[٧]، فرتب لهذه

---

(١) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٣٥.
(٢) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٤٨ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٢١ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص ٣٢-٣٤ ؛ وشميساني. مدارس دمشق، ص ٤٥.
(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٢، ص ٤٠٧ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق١، ص ١١٨ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٥ ؛ ودونالد ب. ليتل. القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك من كتاب القدس في التاريخ، ص ٢٠٧.
(٤) أمينة بيطار. التعليم في الشام، ص ٥٩-٦١.
(٥) رحلة ابن جبير، ص ٢٢٠ ؛ وابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١١٠.
(٦) الشيزري. نهاية الرتبة، ص ١٠٣.
(٧) رحلة ابن جبير، ص ٢٢٠.

المساجد المقرئون الذين اختصوا بالتعليم وخاصة فيما يتعلق بحفظ آيات القرآن الكريم وتفسيرها[١].

ووجدت أولى دور الحديث التي تهتم بدراسة السنة النبوية والعلوم الشرعية بفقهها ومعانيها في دمشق، انشأها نورالدين محمود بن زنكي، ثم أنشئت على شاكلتها دار الحديث الكاملية في القاهرة[٢]، حتى تعددت دور الحديث في ممالك الشام الأخرى في حلب ومنبج وغيرها، فيتولاها شيخ متفقه في أمر دينه ليعلم الحديث لمن يأتي هذه الدار[٣]. ومنها في دمشق :

١- دار الحديث النورية، تولى مشيختها بهاء الدين القاسم بن علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م[٤].

٢- دار الحديث الأشرفية، أنشئت بجوار باب القلعة، أنشأها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وتولى مشيختها تقي الدين عثمان ابن عبدالرحمن الشهرزوري الكردي المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م[٥].

٣- دار الحديث الأشرفية البرانية، أنشئت على سفح جبل قاسيون، أنشأها الملك الأشرف وتولى مشيختها جمال الدين بن عبدالله بن تقي الدين بن عبدالغني المقدسي[٦].

٤- دار الحديث الشقيشقية، أنشئت بدرب البانياسي في دمشق، أنشأها ابن الشقيشقة نجيب الدين أبو الفتح نصرالله بن أبي المعز مظفر بن عقيل الشيباني

(١) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص٩٠.

(٢) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص ١٣٩ ؛ المقريزي. الخطط، جـ٢، ص ٣٧٥ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٢٤ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٣، ص ٢٤٥ ؛ وابن كثير. البداية والنهاية. جـ١٢، ص ١٤٦ ؛ وابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٢١٨ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢١٠.

(٤) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٢٤، ص ١٣٩.

(٥) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٧٥٧. وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٣٢٤. والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٥. وابن العماد الحنبلي.شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٧٥.

(٦) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٢١٨. والنعيمي. الدارس جـ١، ص ٣٦.

الدمشقي المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[١].

وغيرها من دور الحديث الأخرى، مثل دار الحديث البهائية في حلب[٢]، ودار الحديث بمنبج التي تولى مشيختها الحافظ تقي الدين ابراهيم بن محمد بن الأزهر ابن أحمد الصريفيني المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وأوقفت دور الحديث هذه من قبل رجال الدولة الأيوبية[٣].

وهكذا كانت الخانقاوات هي الدور التي يمارس بها أصحاب الطرق الصوفية عباداتهم، ثم يجلسون للتزود بعلوم الشرع والدين. وازدادت هذه الخانقاوات في بلاد الشام مثل الخانقاة الناصرية -نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين- بجانب قلعة دمشق[٤]، وتولى مشيختها الشيخ صدرالدين بن عماد الدين بن حموية[٥]، ثم أخيه تاج الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن حموية المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٦]، والخانقاه الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين في القدس، وتولى مشيختها الشيخ غانم بن علي بن حسين الأنصاري الخزرجي المقدسي المتوفى سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م[٧].

وترد الإشارة إلى أن بعض السلاطين قد اتخذ لابنه معلماً ومؤدباً خاصاً في داره، دون المدارس التي كانت تستقطب أبناء الطبقات الأخرى في المجتمع الإسلامي في العصر الأيوبي، إذ كان هذا الدور يعد شرفاً للبعض يقربه إلى السلطان ورجال الإدارة الأيوبية، وهذا ما روي بحق نجم الدين يوسف بن الحسين ابن المجاور مدرس العزيز بن صلاح الدين[٨].

---

(١) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٦٠.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٥٧. والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٩٣-١٩٤. والنعيمي. جـ٢، ص ١٢٠. ١٢١.

(٣) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٦، ص ١٤١. والنعيمي. جـ١، ص ٦١. وما بعدها. وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢١٠.

(٤) رحلة ابن جبير. ص٢٣١. ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٩٤ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص١٣٩. وأمينة بيطار. التعليم في دمشق، ص ٦٨.

(٥) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٣، ص ٢٥٧.

(٦) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص ٧٤٨.

(٧) العليمي. الأنس الجليل، جـ٢، ص ١٤٦.

(٨) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٣٥٤ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ٣، ص ٥٥ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ١، ص ١٧٢، ١٧٣ ؛ والحنبلي. شفاء القلوب، ص ٩٧.

أما منهج التدريس المتبع سواء ما كان منه في المساجد أو المدارس، فقد كانت تحدده الفئات العمرية للدارسين، فيبدأ بتحفيظه تلقيناً لآيات القرآن الكريم والأشعار، قبل البدء في الكتابة احتياطاً بالحفاظ على نظافة الكتاب من الاضافة والكشط[١]، ثم ينتقل المتعلم لمرحلة أعلى بحيث تقدم له المعارف بما يتناسب مع فهمه وقدراته من السهل إلى الصعب[٢].

وتعددت المدارس التي قامت بمثل ذلك الدور في ممالك بلاد الشام، فنسبت لموقفيها أو مدرّسيها، كالأمينية والعادلية والعصرونية وغيرها[٣]. وترد الإشارة إلى تعدد مرافق هذه المدارس، كايوان المحاضرات ومسجد الصلاة وسكن المدرسين والطلاب أحياناً[٤]، فالبناء المدرسي هذا كما وصفته لنا إحدى الدراسات، قد يشغل مساحة معينة بحجرات مربعة تقريباً تحيط بفناء مركزي يتوسطه حوض من الماء، ويتصل هذا البناء ببوابة كبيرة ذات فتحات تتناظر مع هذا الإيوان، وبجانب الايوان مدخلان صغيران يؤديان الى غرفة صغيرة[٥]، لذا كان استخلاصنا مسبقاً بعقد مجالس القضاء في مثل هذه المدارس حيث يستوعب الايوان حضور الشهود والوكلاء وغيرهم[٦].

وأشهر مدارس بلاد الشام في العصر الأيوبي وخاصة في دمشق :

١- المدرسة الاكزية : أنشأها آكز التركي حاجب نورالدين محمود بن زنكي، حيث تمت عمارتها ثانية في عهد صلاح الدين الأيوبي، وأول من تولى التدريس بها عبدالجبار بن عبدالغني بن علي بن أبي الفضل بن علي بن عبدالواحد بن عبداللطيف الأنصاري الحرستاني المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م[٧].

---

(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٢٠.

(٢) ابن طولون. نقد الطالب، ص ١٥٢.

(٣) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ٦٩ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٣٧، ١٣٨ ؛ وعادل عبو. المدرسة في العمارة الأيوبية، ص ٧٧.

(٤) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص ٦٥٠ ؛ وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ١١٠ ؛ وعادل عبو، ص ٩٨.

(٥) عادل عبو. ص ٧٩ وما بعدها.

(٦) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٤٨.

(٧) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٢٤-١٢٥.

٢- المدرسة الصلاحية : أنشأها نور الدين محمود بن زنكي، ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، إذ جعلها مدرسة للشافعية سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م[١].

٣- المدرسة الأسدية في جنوب دمشق، أنشأها أسد الدين شيركوه المتوفى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، ويذكر أن أول من درّس بها هو عمر بن عبدالعزيز بن حسن ابن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي[٢].

٤- المدرسة العادلية الكبرى : أنشأها نور الدين محمود بن زنكي، وأضاف عليها الملك العادل أبو بكر بن أيوب، ثم زاد في عمارتها ابنه الملك المعظم عيسى، ودرّس بها القاضي جمال الدين يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد المصري المتوفى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م[٣].

٥- المدرسة الإقبالية : أنشأها جمال الدين اقبال الشرابي عتيق ست الشام -أخت صلاح الدين- ويذكر أن أول من درّس بها هو قاضي القضاة أبو البركات يحي بن هبة الله بن الحسن الدمشقي بن سني الدولة[٤].

٦- المدرسة التقوية : أنشأها سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م، الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وأول من درّس بها شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي[٥].

٧- المدرسة الصارمية : أنشأها الطواشي صارم الدين جوهر بن عبدالله عتيق عصمة الدين خاتون ابنة شاهنشاه سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، ودرّس بها القاضي نجم الدين الحنبلي، ويذكر النعيمي المتوفى سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م، مرسوم هذه المدرسة وربما على شاكلتها باقي المدارس : «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا المكان المبارك انشاء

---

(١) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٥٠-٢٥١.
(٢) م. ن، جـ١، ص ١١٤.
(٣) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٤٨. والدواداري. كنز الدرر، جـ٧، ص ١٨١. والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٧١. ويذكر أن جمال الدين قد درّس بالأمينية سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م.
(٤) النعيمي. ص ١١٨-١١٩.
(٥) م. ن، ص ١٦٢، ١٦٣.

الطواشي الأجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذراء ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى، وهو وقف محرم وحبس مؤبد على الطواشي المسمى أعلاه مدة حياته، ثم من بعد حياته على المتفقهة من أصحاب الإمام الشافعي «رضي الله عنه»، كتب سنة اثنتين وعشرين وستمائة»(١).

٨- المدرسة الدولعية : أنشأها جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل ابن زيد بن ياسين الخطيب التغلبي الأرقمي الدولعي المتوفى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، ودرّس بها(٢).

٩- المدرسة البادرائية : أنشأها الشيخ نجم الدين أبو محمد عبدالله بن أبي الوفاة محمد بن الحسن بن عبدالله بن عثمان البادرائي، وهو أول من درّس بها وكان مولده سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م(٣).

١٠- المدرسة الجاروخية : أنشأها جاروخ سيف الدين التركماني سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، وأول من درّس بها الإمام أبي القاسم محمود بن المبارك بن علي بن المبارك المعروف بالمجير الواصفي البغدادي(٤).

وغير ذلك من مدارس دمشق التي عرفت في ذلك العصر(٥) ؛ كالمدرسة العزّية التي تولى التدريس بها السيف الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الحنبلي الشافعي بأمر من الملك المعظم عيسى بن العادل(٦)، والمدرسة العزّية البرانية التي أنشأها الأمير عز الدين أيبك المعظمي أستادار الملك المعظم، وأول من درّس بها، يوسف بن الأمير حسام الدين قزاوغلي بن عبدالله(٧)، والمدرسة الريحانية، وأول من درّس بها نجم الدين بن خليل قاضي العساكر العادلية(٨)،

(١) للمزيد انظر : النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٢٤٦-٢٤٧.
(٢) م. ن ص ١٨٢-١٨٣.
(٣) م. ن، ص ١٥٤.
(٤) م. ن، ص ١٦٩.
(٥) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٩، ص ٧٠. وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٢١. والنعيمي. الدارس، جـ١، ص ١٩٠ وما بعدها.
(٦) ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٤٥.
(٧) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٢٠٧.
(٨) النعيمي. الدارس، جـ١، ص ٤٠١.

بها قاضي القضاة، أبو حامد، عبدالعزيز الرفيع الجيلي المتوفى سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م(١).

أما الوظائف التي وجدت في مدارس ذلك العصر، والتي ارتبطت مهامها بالدرس والتدريس من قراء ومدرسين وغيرهم(٢)، فربما كان المدرّس هو محور العملية التعلمية، وعليه أحياناً كان الاعتماد في تخطيط المدرسة، وقد لا يصبح هذا مدرّساً إلا بعد حصوله على إجازة علمية من مدرّسه بنصها المكتوب، وقد يحصل هذا الدارس على أكثر من إجازة(٣)، فاشترط في هذا المدرّس التواضع والصبر وعدم التكلّف، وحلو المحاضرة والذكاء واتساع معرفته وعليه أن يكون قريباً من خواطر طلابه، اجتماعياً في علاقاته معهم، حتى يصبح بمنهجه هذا محط أنظار كبار رجال الإدارة، ويصبح متعمماً وتكون حلقاته مزدحمة بالناس والدارسين من مختلف الفئات العمرية ومختلف الفئات الاجتماعية(٤)، والمدرّس هو من يقوم بالتدريس وينظم إدارة المدرسة إن لم يخصّص لها ناظر يتولّى إدارتها والإشراف على أوقافها(٥)، وقد تفوض لبعض المدرّسين وظائف الإفتاء وغيرها من التراتيب الدينية التي تتعلق بكتابة صكوك عقود الزواج وغيرها، مثل ولاية الشيخ تقي الدين خزعل بن عسكر ابن خليل الثنائي المصري المتوفى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، في دمشق(٦)، وولاية أبو محمد هبة الله بن محمد بن هبة الله بن جميل الشيزري البغدادي(٧).

ثم هناك المعيد الذي تزيد قدراته على قدرات غيره في فهم الدرس وسماعه، فيعيد لزملائه ما عسر حفظه وصعب فهمه، ووجد للمدرّس الواحد أكثر من معيد في حلقته، وتكون هذه الإعادة أو الإنابة بداية ترقيته، بعد أن يرحل في طلب

---

(١) ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢١٤.
(٢) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق١، ص ٧٧.
(٣) الكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص١٨ ؛ وأمينة بيطار. التعليم في دمشق، ص ٤٦.
(٤) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٣٧ ؛ وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٢٤٠-٢٤١، جـ٧، ص ٨٨ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢٢٢ ؛ وشميساني. مدارس دمشق، ص ٤٣، ٤٤.
(٥) ابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ١١١ ؛ وعاصي. المؤرخ أبو شامة، ص ٢١.
(٦) أبو شامة. ذيل الروضتين،، ص ١٤٩ ؛ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٦٣.
(٧) ابن العماد الحنبلي. جـ٤، ص ٢٦٣.

العلم، وقد يكون المعيد أو الطالب مدرّساً في مدرسة أخرى[١]، مثل سلار بن الحسن بن عمرو بن سعيد الإربلي الشافعي الكردي فكان معيداً في حلب[٢]. ثم هناك المفيد الذي توفرت عنده زيادة المعرفة بالإطلاع لما يفيد بها غيره[٣].

وهناك بعض الوظائف الإدارية في بعض المدارس كالناظر الذي يتولّى إدارة المدرسة، وينظر في أوقافها ويتولّى عمارتها. ثم الشاهد الذي يساعد الناظر في كتابة بعض الصكوك الخاصة بإدارة المدرسة. والمشارف الذي ترتبط مهمته بالإشراف على نظافة المدرسة وخدمتها. ثم الصدر الذي عرفته بعض المدارس ليتولّى رفد المدرسة بالعدد اللازم من الطلاب والدارسين[٤]، وهناك كاتب الغيبة الذي يشرف على أمور غياب الطلاب عن مدارسهم، وترصد أيام غيابهم لترفع لناظر المدرسة، فيمنع عنهم العطاء بمقدار تخلفهم عن حضور الدرس وغيابهم، ويذكر البعض أن أيام الدوام المدرسي في بعض المدارس كانت بين ثلاثة أو خمسة أيام من كل إسبوع، وهكذا في باقي أنظمتها، فلكل مدرسة نظامها وتنظيمها الخاص[٥]. وربما وجدت في بعض المدارس خزانة للكتب في جهة من جهات إيوانها، يوقفها أحد الفقهاء والعلماء لطلبة العلم، فيتولّى أمرها الخازن الحافظ لها والمشرف على إعارة موجوداتها[٦]، ويزودنا العماد الأصفهاني بنص ولاية الشيخ الإمام العالم علاء الدين أو بكر بن مسعود بن محمد الكاساني، حيث وليّ مدرّساً وناظراً لأوقاف مدارس حلب وما حولها في عهد صلاح الدين يوسف بن أيوب مثل : المدرسة النورية ومدرسة الحدادين ومدرسة الجاولي، والمدرسة النورية في الرقة، فيبين الأصفهاني من خلال النص تلك الصفات التي توفرت في هذا الإمام المدرّس من

---

(١) ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ق١، ص ٢٢٨-٢٢٩ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ١٠٨ ؛ والسيوطي. حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٢٥٧ ؛ ودريد نوري. نظم دمشق، ص ١٠٤ ؛ وشميساني. مدارس دمشق، ص ٤٤ ؛ وأمينة بيطار. التعليم في الشام، ص ٥٧، ٦٦.

(٢) ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٤١.

(٣) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٤٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٢١٩.

(٤) دريد نوري. نظم دمشق، ص ١٠٤ ؛ وأمينة بيطار. التعليم في الشام، ص ٦٥.

(٥) أمينة بيطار. التعليم في دمشق، ص ٥٧، ٦٦.

(٦) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ١٤٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص ٢١٩.

الفضل والفضائل الحسنة، وأوكل لهذا المدرس الإنابة عنه في تلك المدارس من مدرس ومعيد ومفتي ومفيد، وإليه أمر العزل والتولية في هذه المدارس وليس لغيره الأمر والنهي، وله الإنفاق على مصالحها وشؤونها : «وإليه العزل والتولية والتبديل، والعطاء والمنع والتسوية والتفضيل، فمن قبله فهو المقبل المقبول، ومن حرمه فهو المحروم المرذول، وسبيل النواب اعزاز جانبه وانجاح مآربه، وإقامة حرمة الشرع به، فإنه نافع روايته ودافع رايته»(١).

أما العلوم التي انتشرت في ذلك العصر، فتنوعت ما بين العلوم الدينية والفقهية والأدبية من تاريخ وشعر وترجمة وغيرها(٢)، والعلوم الفلسفية العقلية، وإن كان بعض السلاطين قد منع الاشتغال بهذه العلوم(٣)، حتى نادى بعضهم بأنه لا اشتغال بغير التفسير والحديث والفقه(٤)، واهتم الأيوبيون بالعلوم الطبية اهتماماً كبيراً، فأنشأوا «البيمارستان»(٥)، الذي كان مخصصاً لمعالجة المرضى لمختلف الأمراض، وأوجدوا له الديوان الموثق بأسماء المرضى وجراية كل منهم، وإشراف الأطباء والقائمين على شؤون المستشفى دورياً على هؤلاء المرضى، ولا سيما في تخصيص الغذاء والدواء الخاص بكل منهم، فخصصت لهذا البيمارستان أوقاف متنوعة كافية للإنفاق على حاجاته(٦)، ويشرف على هذا البيمارستان وأوقافه ناظر خاص قد لا تكون لديه معرفة بالعلوم الطبية يعيّنه السلطان لهذا الغرض(٧)، أو

---

(١) للمزيد انظر : الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢٤-١٢٥. والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص ٣٢-٣٤.

(٢) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٥٠١، وابن الشحنة. الدر المنتخب، ص ٨٣، والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ٢٠٧ ؛ وناظم رشيد. المجالس الأدبية، ص ٥.

(٣) ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ٥، ص ١٤٥.

(٤) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١٥١.

(٥) «البيمارستان لفظ فارسي يعني بيت الضعيف» انظر : الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٣٣.

(٦) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٠ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٢٢ ؛ وسعيد عاشور. المجتمع الإسلامي، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٢٢٤ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٧٥ ؛ وجبران. مملكة حماة. ص ١٧.

(٧) الكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ١٧٠ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٣، ص ٩٢، ص ٧١، جـ١٥، ص ٨٠ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ١١، ص ٢٦٢-٢٦٤.

قد يوقف طبيب لنفسه بيمارستاناً يتولّى هو إدارته[١]، وممن تولى نظر البيمارستان في دمشق : أمين الدين سالم بن الحسن بن هبة الله بن صصري المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م[٢]، وتولاها للناصر داود تقي الدين اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر[٣]، وتولاها تاج الدين محمد بن سعدالله الوزان المتوفى سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[٤]. وقد يوجد قسم خاص في هذا البيمارستان لدراسة العلوم الطبية وعقد الحلقات العلمية الخاصة بها والتدريب على ممارستها، فإذا ما كان الطبيب مجرباً لأمر صناعته، ذا قدرة على الدليل في مداواته، كتب له منشور، تصريحاً لمزاولة مهنته ومتابعة صناعته؛ فيذكر العماد الأصفهاني في نص ولاية طبيب لم يذكر لنا اسمه، حيث وليّ هذا الطبيب في مدينة حلب ومارس مهنة الطب في قلعتها، وكان خبيراً بالعلوم الطبية مجرباً لمداواة الأمراض بأدويتها المركبة والمفردة، عارفاً بتفاصيلها وضررها ونفعها، وطلب منه : «الإجتهاد في ملاطفة أخلاق المريض في دوائه وغذائه، مؤدياً لأمانته في كفايته، موفياً بالمحافظة على القوانين الصحيحة حق صناعته»؛ ويبدو أن مثل هذا الطبيب قد خصص له راتب يكفيه من الديوان، ولم يأخذ من الناس مقابل الخدمات الطبية التي يقدمها لهم[٥]. فعُرف الكثير من الأطباء في ذلك العصر كالطبيب النقاش البغدادي، أبو الحسن علي بن عيسى بن هبة الله، والطبيب الموفق أسعد بن الياس بن جرجس بن المطران اللذين مارسا مهنة الطب في عهد صلاح الدين[٦]، والشيخ مهذب الدين الدخوار عبدالرحيم بن علي بن حامد المتوفى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م رئيس جماعة الأطباء في عهد السلطان العادل، فارتفعت منزلته وزادت جامكيته[٧]، والطبيب ابن الصوري، رشيد أبو منصور

---

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ٨، ص ٧٧.
(٢) م. ن، جـ١٥، ص ٨٠.
(٣) م. ن. جـ٩، ص ٧١. والكتبي. فوات الوفيات، جـ١، ص ١٧٠.
(٤) الصفدي. جـ٣، ص ٩٢.
(٥) للمزيد انظر : الأصفهاني. البرق الشامي، جـ٥، ص ١٢٨-١٢٩.
(٦) الصفدي. جـ٩، ص ٤٠، جـ٢١، ص ٣٧٧.
(٧) النويري. نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٦٨ ؛ والكتبي. فوات الوفيات، جـ٢، ص ٣١٦ ؛ والصفدي. جـ١٤، ص ١٢٥ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ٢، ص ١٠١-١٠٢.

ابن الصـوري الذي أصبـحت له حلـقـاته العلمـيـة في هذا العـلم في عـهـد الملك المعظم[١]، وغيرهم مـن جماعات الأطباء الذين أخذ عنهم في طب ذلك العصر[٢].

(١) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٤، ص ١٢٥.

(٢) الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٣٨ ؛ والحموي. دمشق في العصر الأيوبي، ص ٢٦-٢٩.

الخلاصة

الإدارة بوظائفها المتعددة من ، أرباب سيوف، وأرباب أقلام، وأرباب عمائم من الأسس التي تقوم عليها الدولة، إن لم تكن هي كل أساساتها، هذه الإدارة التي تضع السياسة الداخلية والخارجية لهذه الدولة. ومما لاشك فيه أن أية دولة لها نظمها الإدارية الجديدة، ولكنها قد تستفيد من النظم الإدارية التي كانت سائدة عند الدولة التي سبقتها ، فالصليبيون عندما سيطروا على بعض المدن الفلسطينية أبقوا بعض تراتيب الإدارة الفاطمية وساروا على نهجها، وإن إختلف مظهر هذه التراتيب فقد كان إختلافاً شكلياً، فتذكر المصادر والدراسات أنهم قد أبقوا وظيفة المحتسب على شاكلتها عند الفاطميين، حيث تولى هذا المحتسب تنظيم الشؤون الداخلية للمدينة. وما جعلنا نحكم باستفادة الأيوبيين من التراث التركي السلجوقي في منطقة بلاد الشام وما حولها تلك المصطلحات التي وسمت بها بعض تراتيبهم، فأبقوا على تنظيمات السلاجقة والزنكيين الإدارية، بل حاولوا تنفيذ سياستهم وفقاً لتنظيمات المؤسسة الإدارية الزنكية، التي كان لرجال الأسرة الأيوبية دور كبير في تأسيس مؤسستها وتنشئتها، وخاصة عندما أقطعهم الزنكيون مدينة بعلبك وما حولها، فكانت بدايتهم ومنطلق أسرتهم، وأصبح لها شأن كبير في إدارتهم، قبل وبعد أن تولوا سلطتهم في بلاد الشام عامة.

والتراث الإداري السابق الذي استفاد منه الأيوبيون، كان قائماً على أساس إداري وراثي، سواء ما كان منها في الوظائف العليا أو حتى الأدنى منها مرتبة، فالأب يستخلف ابنه قبيل وفاته، ولاسيما في الممالك المركزية. والوحدات الإقطاعية يتولاها الابن عن أبيه بأمر السلطان، وكثيراً ما نلاحظ أن تراتيب القضاء وكتابة الإنشاء وغيرها تورّث، بل أن هذا الموظف أو ذاك قد يجمع في يديه وظائف متعددة، مما شكل هنا احتكاراً لكثير من الوظائف في فئة معدودة من الناس، وحرم غيرهم من الولاية.

ونلاحظ في هذه الدراسة أن بعض تراتيب ووظائف المؤسسة الإدارية الأيوبية كانت أكثر تنقلاً مع حركة الجيوش التي كانت تقف في وجهه الأخطار، ولاسيما الصليبية منها، فديوان الإنشاء بمهامه ؛ الولاية والعزل وغيرها، والخزانة بوارداتها ونفقاتها رافقت الجيوش، حتى شبه البعض الممالك الأيوبية ووحداتها الإدارية هذه بدويلات عسكرية تتفاوت مساحتها من دولة لأخرى بقدرة هذه الممالك على حماية نفسها وحماية أعمالها. وتبعاً لهذه المساحات المتفاوتة من آونة لأخرى، كانت تحدد مكانة الملك أو الأمير المقطع ونفوذهم، وإن كان الخليفة العباسي هو من يمنح لقب السلطان لحكام ممالكه، فعندما اتسعت دولة نورالدين محمود بن زنكي وضمت مصر إلى وحداتها، اتخذ لقب سلطان بدلاً من الملك، وعندما قسم صلاح الدين الأيوبي بلاد الشام إلى ممالك بين أبنائه، اتخذ لقب السلطان الأيوبي. وهذه التقسيمات الإقطاعية كانت هي الأساس للإدارة المدنية كذلك، إذ بها تناط مهمة الإدارة الداخلية للمجتمع ؛ فهي التي تتولى ترتيب وظائف القضاء والحسبة والشحنة وغيرها. ومن خلال هذه التقسيمات الإقطاعية استطاعت الإدارة العليا تنفيذ سياستها الداخلية من جهة، والتفرغ لمواجهة الأخطار الخارجية من جهة أخرى.

ونستخلص من هذه الدراسة كذلك ؛ أن العهد الخلاق للتنظيمات الإدارية في الدولة الأيوبية لم يكن في بدايات الدولة، مثلما هو في عهودها المتأخرة، حيث ازداد دخول العناصر السكانية الجديدة إلى ممالكها، فساهمت هذه العناصر في تطوير بعض تلك النظم وتغييرها، هذه العناصر التي اعتمدت عليها الإدارة الأيوبية من قبل -جند الحلقة- وخاصة في ولاية تراتيبها العسكرية.

والخلاصة في نفسي من هذه الدراسة، أنها بلاشك أوجدت عندي ارتباطاً جديداً للبحث في الإدارة وتتبع آثارها الواضحة في حياة المجتمع الإسلامي على مر العصور والحمدلله رب العالمين ...

Text Stamp

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

- ابن حبيب، بدرالدين الحسن بن عمر الحلبي (ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م).
درة الأسلاك في دولة الأتراك، ٣ جـ، مخطوط مصور عن نسخة مكتبة بودليان، اكسفورد، رقم ٢٢٣، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية تحت رقم ٥٣٩.
- الخالدي، بهاء الدين محمد بن لطف الله العمري (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م).
المقصد الرفيع المنشأ الحاوي لصناعة الإنشاء، المكتبة الأهلية، باريس تحت رقم ٤٤٣٩، نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية تحت رقم ١٠٢٧.
- ابن خطيب الناصرية، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م).
الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب. نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية تحت رقم ٨٠٨، والكتاب قد حقق كرسالة ماجستير غير منشورة من قبل الباحث زياد عبدالعزيز المدني. الجامعة الأردنية باشراف الدكتور مصطفى الحياري (١٩٨٣)م.
- الشيزري، أمين الدولة أبو الغنائم مسلم بن محمود (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م).
جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام. طبع بالتصوير عن المخطوطة رقم ٢٨٧ شرقي، مكتبة جامعة ليدن في هولندا، منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية، جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م). تاريخ مدينة دمشق، ؟ جـ، صورة عن نسخة المكتبة الظاهرية، دمشق، دار البشير للنشر والتوزيع.
- القاضي الفاضل، عبدالرحيم بن علي بن محمد بن الحسن البيساني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

- الرسائل الفاضلية. اختيار عبدالله بن علي بن محمد الجعفري، مخطوط مودع في المتحف البريطاني، لندن، تحت رقم ٥٥٠٨ SCH

- الفاضل من كلام القاضي الفاضل. اختيار جمال الدين محمد بن نباته Ketab Al-Mokhtar مخطوط مودع في المتحف البريطاني، لندن، تحت رقم ٥٥٠٧ SCH.

- رسالة فاضلية. مخطوط مودع في المتحف البريطاني. لندن، تحت رقم ٥٥٠٩ SCH مصور عن نسخة المكتبة البريطانية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المخطوطات الثلاثة قد صورّت وفي مكتبة الباحث نسخة عنها.

- المخزومي، القاضي أبو الحسن علي بن القاضي عثمان بن يوسف بن منبه القرشي (ت بعد ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م). المنهاج في علم خراج مصر. مصور عن مخطوط المتحف البريطاني تحت رقم ٢٣٤٨٣ Add وموجود لدى الدكتور. فالح حسين، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية.

- ابن منكلي، محمد بن منكلي العلمي (ت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م).

التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعات الحربية «ألفه للسلطان قايتباي»، مخطوط مصور في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٦٤٦ سلاح، ومصور عنه نسخة في مكتبة الباحث.

- الناصر داود، صلاح الدين بن عيسى (ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م).

الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية، جمعه ولده الملك الأمجد مجد الدين أبو محمد الحسن بن داود. مخطوط في المكتبة البريطانية تحت رقم ٢٠٢٥، ومصور عنه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية تحت رقم ٨٦٩٠.

- ابن أبي الهيجاء،

تاريخ ابن أبي الهيجاء، مخطوط في الدار التونسية، تونس تحت رقم ١٣٥٣، ومصور لدى مكتبة جامعة اليرموك، إربد تحت رقم ١٧٦.

المصادر المطبوعة :

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

- ابن الأثير، عزالدين
الكامل في التاريخ، ١٠جـ، تحقيق أبي الفداء عبدالرحمن القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٨٧)م.

- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصرالله بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م). ديوان رسائل ضياء الدين ابن الأثير، حرره وحققه وقدم له هلال ناجي، منشورات جامعة الموصل (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- ابن الأثير، ضياء الدين
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ٤ جـ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مطبعة الرسالة، ط١ (١٢٨١هـ-١٩٦٢م).

- ابن الأثير، ضياء الدين
الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق د. جميل سعد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

- ابن الأخوة القرشي، محمد بن أحمد (ت٧٢٩ هـ / ١٣٢٨م).
معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كيمبرج (١٩٣٧)م.

- الإدريسي، أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالله المعروف بالشريف الإدريسي (ت ق٦ هـ/١٢م).
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٢م، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد (د.ت).

- ابن الأزرق، أبوعبدالله محمد بن علي بن محمد الغرناطي المالقي (ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م).

بدائع السلك في طبائع الملك، ٢ جـ، تحقيق وتعليق د. علي سامي النشار، الرباط (٩٥ ١٣ هـ - ١٩٧٥م).

- الأسدي، محمد بن محمد بن خليل (ت ق٩ هـ / ١٥م).

التيسير والإعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق د. عبدالقادر أحمد طليمات، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، مصر (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م).

- الأشرف الغساني، الملك عماد الدين أبوالعباس اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م).

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق. شاكر محمود عبدالمنعم، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ودار البيان، بغداد (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م).

- الأصفهاني، عمادالدين أبوعبدالله محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م).

البرق الشامي، جـ٣، تحقيق وتقديم د. مصطفى الحياري، عمان، ط١، (١٩٨٧م).

جـ٥، تحقيق وتقديم، د. فالح صالح حسين. عمان، ط١ (١٩٨٧)م.

- ________،

خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٢، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م).

جـ٣، ق٢ (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م).

ق٣ (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م).

- ______________،

الفيح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣م).

- ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبوالعباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٦٢٩م).

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (١٩٦٥م).

- الملك الأمجد، مجدالدين بهرامشاه الأيوبي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م).

ديوان الملك الأمجد، دراسة وتحقيق د. ناظم رشيد، العراق، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (د.ت).

- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥م).

بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، نشر دار فرانز شتايز، فيسبادن، ألمانيا، ط١ (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م)، طبع دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة، (د.ت).

- البدري أبو البقاء، عبدالله بن محمد المصري الدمشقي (ت ق٩ هـ/ ١٥م).

نزهة الأنام في محاسن الشام، طبع المطبعة السلفية، القاهرة (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢م).

- ابن بسام، محمد بن أحمد بن بسام المحتسب (ت ق ٨هـ / ١٤م).

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة المعارف، بغداد (١٩٦٨م).

- البطليوسي، أبومحمد عبدالله بن السيد (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧م).

الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، ؟ق، تحقيق مصطفى السقا، د. حامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨١)م.

- ابن بعرة، منصور بن بعرة الذهبي الكاملي.
كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق د. عبدالرحمن فهمي، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة احياء التراث الإسلامي، باشراف محمد توفيق عويضة. الكتاب الثامن (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م).

- البغدادي، أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز (ت نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٤م).
كتاب الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، منشور في مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية. دمشق، م١٤، (١٩٥٢ - ١٩٥٤م).

- البغدادي، الموفق عبداللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م).
الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، دراسة وتحقيق علي محسن عيسى مال الله، منشورات دار الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، مطبعة التعليم العالي، بغداد (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

- البغدادي، الموفق عبداللطيف،
الخليفة الناصر، منشور في مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق (١٩٧٠م).

- البنداري، الفتح بن علي الأصفهاني (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)..
سنا البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني «٥٦٢ هـ / ١١٦٦م - ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م»، تحقيق د. فتحية النبراوي، نشر مكتبة الخانجي، مصر (١٩٧٩م).

- بنيامين التطيلي، ابن يونه التطيلي البناري الأندلسي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٢٣م).
رحلة بنيامين، ترجمه عن العبرية، عزرا حداد، بغداد، مطبعة الشرق، (١٩٤٥م).

- بيبرس المنصوري، ابن عبدالله المنصوري الناصري الدوادار الخطائي (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤م).

التحفة الملوكية في الدولة التركية، تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هجرية، نشره وقدم له ووضع فهارسه د. عبدالحميد صالح حمدان، نشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ؟جـ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة (د.ت).

- التلمساني، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٧م).

كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المذاكر، تحقيق. علي الشنوفي، منشور في مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق (١٩٦٥ - ١٩٦٦)م.

- التنوخي، أبوعلي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤م).

الفرج بعد الشدة، ٥ جـ، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر (١٩٧٨م).

- التنوخي، أبوعلي

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨ جـ، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر(١٩٧١ - ١٩٧٣م).

- ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م).

الحسبة في الإسلام، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، نشر وتوزيع مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط١ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م).

- ابن جبير، أبوالحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٨م).

الرحلة، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ليدن، مطبعة بريل، ط٢، (١٩٠٧)م.

- ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٨ جـ، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبوبكر علي بن محمد بن حجة الحموي القادري الحنفي (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣م).

ثمرات الأوراق في المحاضرات، شرحه وضبطه، د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م).

- الحريري ، أحمد بن علي بن المغربي (ت بعد ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠م).

الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق نصه. وعلق عليه وقدم له سهيل زكار، دار الملاح، دمشق (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).

- الحسن بن عبدالله، أبوعلي بن هارون العباسي (ت ق ٨ هـ / ١٤م).

آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨م).

- الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م).

الروض المعطار في خير الأقطار. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان، ط٢ (١٩٨٤)م.

- الحنبلي، أحمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١م).

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، المكتبة الوطنية، بغداد (١٩٧٩م).

- ابن حوقل، أبوالقاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م).

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت (١٩٠٠م).

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م).

تاريخ ابن خلدون المسمّى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م).

- ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ جـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٩٦٨م).

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ٢ جـ، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط١ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

- الدمشقي، عبدالرحمن بن إبراهيم بن عبدالرزاق (ت ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥م).

حدائق الأنعام في فضائل الشام، حققه وعلق عليه وفهرسه يوسف بديوي، بيروت، دار الضياء (١٩٨٩م).

- ابن أبي الدم، شهاب الدين بن أبي إسحاق ابراهيم بن عبدالله الهمداني (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م).

أدب القضاء، ٢ جـ، تحقيق د. محي الدين هلال السرحان، مطبعة الارشاد، بغداد، ط١، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م).

- الدواداري، أبوبكر عبدالله بن أيبك (ت ق ٨ هـ / ١٤م).

كنز الدرر وجامع الغرر، جـ٧، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، نشر المعهد الألماني للآثار، القاهرة (١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م).

- الذهبي، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد الفارقي الدمشقي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م).

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ؟ جـ، تحقيق د. بشار معروف، ساعدت جامعة بغداد على نشره، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، جـ، أحداث سنة ٦١١ - ٦٢٠ هـ، جـ أحداث سنة ٦٢١ - ٦٣٠ هـ، جـ أحداث سنة ٦٣١ - ٦٤٠ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٨م).

- الذهبي، شمس الدين

سير أعلام النبلاء، ٢٢ جـ، تحقيق د. بشار عواد معروف، د. محي الدين هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م).

- ابن أبي الربيع، أحمد بن محمد (ت أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).

سلوك الممالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق د. ناجي التكريتي، دار تراث عويدات، بيروت، وباريس، (١٩٧٨م).

- ابن رجب، زين الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢م).

كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، ؟ جـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢م).

- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م

ترويح القلوب في ذكرالملوك من بني أيوب، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دمشق (١٣٨٨ هـ - ١٩٥٩م).

- ابن الزيات، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن ناصر الدين الأنصاري (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م).

الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، طبع مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

- ابن الساعي ، أبوطالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦م).

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ؟ جـ، عني بنسخه ونشره واصلاح تصحيفه وتعليق حواشيه وعمل فهارسه مصطفى جواد، طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد (١٩٣٤م).

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م).

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ؟ جـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ط١، (١٢٧٠ هـ - ١٩٥١م)، (١٩٥٢)م.

- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب السبكي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩م).

طبقات الشافعية الكبرى، ٧ جـ، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبدالفتاح محمد الحلو، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م).

- ابن سرور المقدسي، أبو محمود أحمد بن محمد بن ابراهيم هلال بن تميم بن سرور المقدسي الشافعي (ت ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤م).

مثير الغرام بفضائل القدس والشام، صححه وشرحه وعلق عليه أحمد سامح الخالدي، نشر مكتبة الطاهر اخوان، المطبعة العصرية، يافا (د.ت).

- ابن سناء الملك، القاضي السيد عزالدين أبوالقاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (ت ٦٠٨ هـ /١٢١٢م).

ديوان ابن سناء الملك، اعتنى بتصحيحه د. محمد عبدالحق، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد الدكن، الهند (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م).

- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكير (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر (١٩٥٢)م.

- السيوطي، الحافظ جلال الدين

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ٢٠ جـ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ (١٣٨٧هـ-١٩٦٨م).

الأعلاق الخطيرة بذكر أمراء الشام والجزيرة.

جـ١، ق١، عني بنشره وتحقيقه دومنيك سورديل، دمشق (١٩٥٣)م.

جـ٢، ق١، تحقيق سامي الدهان، دمشق (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م).

جـ٢، ق٢ تحقيق سامي الدهان، دمشق (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م).

جـ٣، ق١، تحقيق يحي عبارة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق (١٩٧٨م).

- ابن شداد، عزالدين

تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، ألمانيا، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م).

- ابن شيث، عبدالرحيم بن علي القرشي (ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م).

معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تحقيق الخوري قسطنطين الباشا المخلصي. طبع في بيروت، المطبعة الأدبية (١٩١٣)م.

- شيخ الربوة، شمس الدين أبوعبدالله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ / ١٨٦٥م).

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعه اغشطس بن يحي المدعو مهرن، طبع في مدينة بطرسبورغ في مطبعة الأكاديمية الامبرطورية (١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م).

- الشيزري، عبدالرحمن بن عبدالله بن نصر بن عبدالرحمن الشيزري (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م).

المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة علي عبدالله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

- الشيزري، عبدالرحمن

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام على نشره السيد الباز العريني، بإشراف

محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).

- الصابيء، أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن هارون الصابيء (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).
المختار من رسائل ابي اسحق إبراهيم بن هلال بن هارون الصابي، نقحه وعلق حواشيه الأمير شكيب ارسلان، دار النهضة الحديثة، بيروت (د.ت).

- الصابيء، أبو الحسن الهلال بن الحسن (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦م)
الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٩٥٨)م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م).
أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق (١٩٥٥م).

- الصفدي، صلاح الدين
الغيث المسجم في شرح لأمية العجم، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م).

- الصفدي، صلاح الدين
الوافي بالوفيات ..
جـ١، باعتناء هلموت ريتر، نشر فرانز شتايز، فيسبادن (١٣٨١ هـ - ١٩٦٢).
جـ٢، ٣، ٤ باعتناء س. ديدرنيغ، نشر فرانز شتايز، فيسبادن (١٣٨٥هـ- ١٩٧٤م).
جـ٥، اعتناء س. ديدرنيغ، نشر فرانز شتايز، ڤيسبادن (١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م).
جـ٦، اعتناء س. ديدرنيغ، نشر فرانز شتايز، ڤيسبادن (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).
جـ ٧، اعتناء إحسان عباس، نفسها (١٤١١ هـ - ١٩٩١م).
جـ٨، اعتناء محمد يوسف نجم، نفسها (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).
جـ ٩، اعتناء يوسف فان إس (١٤١١ هـ - ١٩٩١م).

جـ ١٠، جاكلين سوبلة وعلي عمارة (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م)

جـ ١١، شكري فيصل (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).

جـ ١٢، رمضان عبدالتواب (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

جـ ١٣، محمد الجميري (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

جـ ١٤، اعتناء س. ديدرنيغ، نفسها (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).

جـ ١٥، بيرندراكه (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م).

جـ ١٦، وداد القاضي (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).

جـ ١٧، دويتاكر فولسكي (١٤١١ هـ - ١٩٩١م).

جـ ١٨، ايمن فؤاد السيد (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨).

جـ ١٩، رضوان السيد (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

جـ٢١، اعتناء محمد الجميري (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

جـ ٢٢، رمزي البعلبكي (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م).

جـ ٢٤، محمد عدنان البخيت ومصطفى الحياري. (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م).

تاريخ الرسل والملوك، ١٠ جـ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (١٩٧٩م).

- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م).

الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، دارصادر، بيروت (١٩٦٦م).

- ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي الدمشقي (ت ٩٥٣ هـ/١٥٤٦م)

أعلام الورى بمن ولّي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق ط٢، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م).

- ابن طولون، محمد

رسائل تاريخية، الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية، نشر مكتبة

القدسي والبدير، مطبعة الترقي، دمشق (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩م).

- ابن طولون، محمد

قضاة دمشق، الثغر البّسام في ذكر من ولّي قضاء الشام، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق (١٩٥٦م).

- ابن طولون، محمد

نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق محمد أحمد دهمان، وخالد محمد دهمان، راجعه نزار أباظة، دارالفكر المعاصر، بيروت، ط١ (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

- ابن الطوير، أبو محمد المرتضى بن عبدالسلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م).

نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية، أعاد بناءه وحققه وقدم له أيمن فؤاد السيد، دار فرانتس شتايز شتوتغارت للنشر، ألمانيا، ط١ (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

- ابن عبدالظاهر، محي الدين بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م).

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ط١ (١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م).

- ابن عبدالهادي، يوسف بن حسن بن عبدالهادي الدمشقي (ت ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣م).

ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد أسعد أطلس، نشر المعهد الفرنسي، دمشق، وبيروت (١٩٤٣م).

- ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م)

تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت (؟ - ١٩م).

- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م).

زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣ جـ، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، جـ٢، دمشق (١٩٥٤م)، و جـ٣ (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م).

- ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥م).

تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م)، ٧ جـ، دار المسيرة، بيروت، ط٢ (١٣٩٩ هـ -١٩٧٩م).

- العليمي، أبو اليمين القاضي مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العمري الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١م).

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢جـ، مكتبة المحتسب، عمان (١٩٧٣م).

- ابن العماد الحنبلي، أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ جـ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت).

- عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد عمارة أبي الحسن الحاتمي اليمني (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م).

النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، جمع أحمد بن أبي بكر بن أحمد المالكي الشنفي سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦م، تصحيح هرتوويغ درنبرغ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، (١٤١١ هـ ١٩٩١م).

- ابن العميد، المكين جرجس أبوالعباس بن العميد (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م)

أخبار الأيوبيين، منشور في مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق (١٩٥٥ - ١٩٥٧)..

- العيني، بدرالدين محمود العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١م)

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ٢ جـ، حققه ووضع حواشيه، د. محمد

محمد أمين، مـركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

- الفأسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفأسي المكي (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م).

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٨ جـ، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م).

- أبوالفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م).

المختصر في أخبار البشر، ٤ جـ في ٢، المطبعة الحسينية المصرية، ط١، (١٩٠٧م).

- ابن الفرات، ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م).

تاريخ ابن الفـرات، تاريخ الدول والملوك «الكامل» عني بتحرير نصه. ونشره د. حسن محمد الشماع، جامعة البصرة، م٤، جـ١ (١٩٦٧)، م٤، جـ٢، (١٩٦٩م)، م٥، جـ١، (١٣٩٠هـ - ١٩٨٠م).

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م).

التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٩٨٨م).

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «دولة المماليك الأولى» دراسة وتحقيق دوتيا كراڤولكي، المركز الاسلامي للبحوث، بيروت، ط١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م).

- ابن الفوطي، كمال الدين أبوالفضل عبدالرزاق بن الفوطي البغدادي (ت ٧٢٣ هـ/١٣٢٣م).

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصحيح وتعليق مصطفى جواد، مطبعة المكتبة العربية، بغداد (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م).

- ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م).

الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت (١٩٧١).

- القاضي الفاضل، عبدالرحيم بن علي بن محمد بن الحسن البيساني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م).

الدرّ النظيم من ترسل عبدالرحيم، اختيار محي الدين بن عبدالظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م) تحقيق د. أحمد بدوي، القاهرة (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م).

- القرشي، أبو سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤م).

العقد الفريد للملك السعيد، مطبعة الوطن (١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨م).

- القرطبي، عريب بن سعيد (ت ٣٦٩ هـ / ١٩٧٩م).

صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة. (١٩٦٧م).

- القرماني، أبوالعباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠٧٩هـ / ١٦١٠م).

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، مكتبة سعدالدين، دمشق (١٩٨٠م).

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م).

آثارالبلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (١٩١٩م).

- ابن القلانسي، أبو بكر حمزة بن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م).

تاريخ أبي يعلى المعروف بذيل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (١٩٠٨م).

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جـ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه

محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

- القلقشندي، أحمد بن علي

مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ٣ جـ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت (د.ت).

- ابن القيسراني، إبراهيم بن عبدالرحمن بن القيسراني القرشي الخالدي (ت ٧٥٣هـ/١٣٥٢م).

النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس، لبنان (١٩٨٢).

- ابن القيسراني، أبوعبدالله محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن. القيسراني (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م).

شعر ابن القيسراني، جمع وتحقيق ودراسة د. عادل جابر صالح محمد، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء، الأردن، ط١ (١٤١١ هـ - ١٩٩١م).

- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م).

مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق د. مصطفى جواد، وضع فهارسه وأشرف على طبعه سالم الآلوسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م).

- الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م)

عيون التواريخ، ؟جـ، جـ ١٢، تحقيق فيصل السامر ونبيله عبدالمنعم داود، الجمهورية العراقية، وزارة الأعلام، سلسلة كتب التراث، ط٢ (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م)، جـ٢٠، (١٩٨٠م).

- الكتبي، محمد

فوات الوفيات والذيل عليها، ٥ جـ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٩٧٣)م.

- ابن كثير، أبوالفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٦٢م).

البداية والنهاية، ٧ جـ في ٤م، دقق أوله وحققه أحمد أبو ملحم، وعلي نجيب عطوي، وفؤاد السيد، ومهدي ناصر الدين، وعلي عبدالساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

- ابن كنان ، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠م).

حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ (١٤١٢ هـ - ١٩٩١م).

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م).

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

- مجهول مؤرخ صليبي (ت ق ١٢م/٦ هـ).

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. حسن حبشي، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي (١٩٥٨م).

- مجهول (ت بعد ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦م).

خزانة السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، تحقيق د. نبيل محمد عبدالعزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٧٨)م.

- ابن مرضي، مرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م).

تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام

Text Stamp

الأعلام في العَدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، ألفه لصلاح الدين الأيوبي، تحقيق ونشر كلود كاهين، بيروت (١٩٤٨م).

- ابن المستوفي، شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي الإربلي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م).

تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، ٢ ق، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار، كمبردج، بريطانيا (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م).

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م)

كتاب تجارب الأمم، ؟ جـ، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (١٩٩٠م).

- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م).

السلوك لمعرفة دول الملوك، ؟ جـ، حققه ووضع حواشيه سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتب (١٩٧٢م).

- المقريزي، تقي الدين

كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢ جـ، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

- ابن مماتي، أسعد بن المهذب (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

كتاب قوانين الدواوين. تحقيق عزيز سوريال عطية. مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩١م).

- ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م).

معجم لسان العرب، ١٥ جـ، دار صادر، بيروت (؟ - ١٩٨).

- ابن منظور، جمال الدين

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٩ جـ، دار الفكر، دمشق.

جـ ٢٣، تحقيق إبراهيم صالح، ط١ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

جـ ٢٤، تحقيق إبراهيم صالح، ط١ (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م).

جـ ٢٨، تحقيق سكينة الشهابي، ط١ (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م).

- ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر اسامة بن مرشد الكناني الشيزري (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م)

كتاب الإعتبار، حرره فيليب حتي، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة، والدار المتحدة للنشر، بيروت (١٩٣٣م).

- ابن منقذ، مؤيد الدولة

المنازل والديار، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة، ط٢ (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

- ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م).

المنتقى من أخبار مصر، انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨١٤ هـ / ١٤١١م) تحقيق أيمن فؤاد السيد، نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).

- ابن النجار، الحافظ محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م)

ذيل تاريخ بغداد، ٤جـ، صحح بمشاركة د. قيصر فرح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدراباد الدكن، الهند، ط١ (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).

- النابلسي، عثمان بن إبراهيم (ت نحو ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م).

لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، نشر مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق (١٩٥٨ - ١٩٦٠).

- ناصر خسرو علوي (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) .

سفرنامة، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية

في القرن الخامس الهجري، نقلها إلى العربية يحي الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٢، (١٩٧٠م).

- نظام الملك الطوسي، الوزير الحسن بن علي بن إسحاق دهقان (ت ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م).

سياست نامة، سير الملوك، ترجمة د. يوسف حسين بكار، بيروت (د.ت).

- ابن النظيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف (ت نحو ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م).

التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبوالعبد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق (١٩٨١م).

- النعيمي، عبدالقادر محمد النعيمي الدمشقي (ت ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م)

الدارس في تاريخ المدارس، ٢ جـ، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٩٩٠م).

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م).

نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢٨، تحقيق د. محمد محمد أمين، د. محمد حلمي محمد أحمد، مركز تحقيق التراث القاهرة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٤م).

جـ ٢٩، تحقيق محمد ضياء الدين الريس، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٢م).

- الهروي، علي بن أبي بكر (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤م).

التذكرة الهروية في الحيل الحربية، وتليها الخطب الهروية، تحقيق مطيع المرابط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق (١٩٧٢م).

- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٨م).

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ١ تحقيق د. جمال الدين الشيال،

مطبوعات دار احياء التراث القديم، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٥٣م).

جـ ٢، تحقيق د. جمال الدين الشيال، مطبوعات دار احياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة (١٩٥٧م).

جـ ٣، تحقيق د. جمال الدين الشيال، نشر دار القلم، القاهرة (١٩٦٠م).

جـ ٤ تحقيق د. حسنين محمد ربيع، مراجعة د. سيد عبدالفتاح عاشور، جامعة القاهرة (١٩٧٠م).

جـ ٥ تحقيق د. حسنين محمد ربيع، مراجعة د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، القاهرة (١٩٧٥).

- ابن الوردي، زين الدين أبو حفص بن الوردي عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م).

تاريخ ابن الوردي، تتمة المختصر من أخبار البشر، ٢ جـ، القاهرة، جمعية المعارف (١٨٦٨م).

- وليم الصوري (ت ١١٨٥م / ٥٨١ هـ)

تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ٢ جـ، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ط١ (١٩٩٠م).

- اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ جـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن، الهند، ط١ (١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠م).

- ياقوت، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٧٢٦ هـ / ١٢٢٨م).

معجم الأدباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٧ جـ، تحقيق إحسان عباس، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٣م).

- ياقوت، شهاب الدين

معجم البلدان، ٥ جـ، دار احياء التراث العربي، بيروت (١٩٧٩م).

- ابن يحي، صلاح بن يحي بن الحسين أمير العرب (ت ق ٩ هـ / ١٥م).

تاريخ بيروت وهذا أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير العرب ببيروت، تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي، وكمال سليمان الصليبي وآخرون، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٦٧م).

- ابن يوسف ، شرف الدين موسى بن يوسف الأنصاري (ت بعد ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣م).

نزهة الخاطر وبهجة الناظر، ؟جـ، تحقيق عدنان محمد إبراهيم، راجعه د. عدنان درويش، وزارة احياء التراث العربي، دمشق (١٩٩١م).

- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي الحنبلي (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م).

ذيل مرآة الزمان، ٢ جـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١ (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤م).

المراجع العربية

- إبراهيم، محمود. حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها، دار البشير، عمان، ط١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- الباشا ، حسن. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، الاسكندرية (١٩٧٨).
- أبوبدر، شاكر أحمد. الحروب الصليبية والإدارة الزنكية، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب (١٩٧٢م).
- بدوي ، أحمد، القاضي الفاضل، دراسة ونماذج، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م).
- البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٨٣م).
- البيشاوي، سعيد عبدالله جبريل، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الممتلكات الكنسيّة في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢ - ٦٩٠ هـ) دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م).
- جبران، نعمان محمود، مملكة حماة في العهدين الأيوبي والمملوكي الأول (٥٧٠ - ٧٨٢ هـ / ١١٧٤ - ١٣٨١م).

  رسالة ماجستير بإشراف الدكتور مصطفى الحياري، الجامعة الأردنية «غير منشورة» (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).
- الجميلي، رشيد عبدالله، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي (٥٤١ هـ - ٦٣١ هـ). دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١ (١٩٧٠م).
- جوني، وفاء. دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادين ٤٩٢-٥٦٩هـ/١٠٩٨-١١٧٤م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

- الحريري، سيد علي. الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العمومية، مصر، ط١، (١٣١٧ هـ - ١٨٩٩م).
- حسين، محسن محمد. الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، تركيبه، تنظيمه، اسلحته، بحريته وأبرز المعارك التي خاضها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م).
- حمادة، محمد ماهر. الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية، دراسة ونصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).
- الحموي، محمد ياسين. دمشق في العصر الأيوبي، مكتب النسر العربي، دمشق (١٣٥٦ هـ - ١٩٤٦م).
- الحياري، مصطفى علي. الإمارة الطائية في بلاد الشام. وزارة الثقافة والشباب، عمان، الأردن، ط١ (١٩٧٧م).
- الحياري، مصطفى علي. الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة ابن جعفر، نشر بدعم من الجامعة الأردنية، عمان (١٩٨٦م).
- الحياري ، مصطفى علي. صلاح الدين، القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م).
- الحياري، مصطفى علي. القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، نشر المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان (١٩٩٤م).
- الخرابشة ، سليمان عبدالعبدالله. نيابة طرابلس في العصر المملوكي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك (١٩٩٣م).
- الخطيب، مصطفى عبدالكريم. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦).
- خليل ، عماد الدين. الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام (٤٦٥-٨١٢هـ/١٠٧٢-١٤٠٩م). أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).

- خليل، عماد الدين. نورالدين محمود، ٥٤١ - ٥٦٩ هـ، رحلة في تكوين حاكم مسلم، مطبعة عصام، بغداد، ط١ (١٩٧٩م).

- الحاج خليل، مقبولة حسن خليل. مدينة القدس في العهد الأيوبي من سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧م) (٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م). رسالة ماجستير غير منشورة بإشراف الدكتور مصطفى علي الحياري، الجامعة الأردنية (١٤١١ هـ - ١٩٩١م).

- الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م) رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، بإشراف الأستاذ الدكتور صالح خلف حمارنة. (١٩٩٥)م.

- دجاني، هادية شكيل. القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني العسقلاني (٥٢٦ - ٥٩٦ هـ / ١١٣١-١١٩٩م) دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١ (١٩٩٣م).

- أبودمعة، أمين. الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، باشراف الدكتورة أمينة بيطار، دمشق (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م).

- دهمان، محمد أحمد. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م).

- الدوري، عبدالعزيز. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٢ (١٩٨٦م).

- ربيع، حسنين محمد. النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، جامعة القاهرة (١٩٦٤م).

- زعرور، إبراهيم. الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي. رسالة دكتوراة غير منشورة، بإشراف سهيل زكار، دمشق (١٩٩٠م).

- سالم، د. السيد عبدالعزيز. تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية (١٩٨٦م).
- سالم، د. السيد عبدالعزيز. طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، نشر مؤسسة الشباب الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية (١٩٦٦م).
- السامر، فيصل. ابن الأثير، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢ (١٩٨٦م).
- سبانو، أحمد غسان. مملكة حماة الأيوبية، دار قتيبة، دمشق (١٩٨٤م).
- سعداوي، نظير حسان. جيش مصر في أيام صلاح الدين. ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ (١٩٥٩م).
- سعداوي، نظير حسان. نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مصر للطباعة (١٩٥٣م - ١٣٧٢هـ).
- شما، سمير. النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، بيروت، دار أطلس، (١٩٨٠)م.
- شميساني، حسن. مدارس دمشق في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف الدكتور محمود ياسين التكريتي، جامعة الموصل (١٤٠٩هـ- ١٩٨٨).
- طرخان، إبراهيم علي. النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م).
- عاشور، سعيد عبدالفتاح. الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الحربي في العصور الوسطى، ٢ جـ، مكتبة الانجلو المصرية، ط١ (١٩٦٣).
- عاصي، حسين. أعلام مؤرخي العرب والإسلام، المؤرخ أبو شامة وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ (١٤١١ هـ - ١٩٩١م).
- العريني، السيد الباز. الشرق الأدنى في العصور الوسطى، «الأيوبيون» دار

النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (١٩٦٧).

- العسلي، كامل جميل. بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان (١٩٩٢م).

- العسلي، كامل جميل. وثائق مقدسية تاريخية مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس، ٤م، الجامعة الأردنية، عمان، ط١ (١٩٨٣م).

- غوانمة، يوسف حسن درويش. إمارة الكرك الأيوبية، بحث في العلاقات بين صلاح الدين وأرناط ودور الكرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة، نشر دار الفكر، عمان، ط٢، (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م).

- غوانمة، يوسف حسن درويش. معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج وخطاب جديد في العجز الإسلامي والعربي والمشروع النهضوي العربي الوحدوي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م).

- فليفل، محمد الحاج محمود خليل. علاقة الأيوبيين في مصر والشام بالخلافة العباسية في بغداد،رسالة ماجستير غير منشورة بإشراف الدكتور حسنين محمد ربيع، جامعة القاهرة (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م).

- كرد علي، محمد. خطط الشام، ٦ جـ في ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م).

- الكساسبة، حسين فلاح. المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية، منشورات جامعة مؤته، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، الأردن (١٤١٣هـ -١٩٩٢م).

- الكيلاني، ماجد عرسان. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة حركات الاصلاح ومناهج التغيير، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، دمشق، ط٢، (١٩٩٣م).

- ماجد، عبدالمنعم. الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، صنفه وحققه د. عبدالمنعم ماجد، رسم خرائطه وحققه د. علي البنا، ملتزم

الطبع والنشر دار الفكر العربي، ط٣ (١٩٨٦م).

- ماجد، عبدالمنعم. ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، دار المعارف، الاسكندرية، ط٢ (١٩٧٦).

- المسكوكات الإسلامية. مجموعة مختارة من صدر الإسلام حتى العهد العثماني. البنك العربي (١٩٨٠)م.

- مسكوكات العالمين القديم والإسلامي. مصورة عن مجموعة د. نايف القسوس، د. خلف الطراونة. البنك العربي. عمان (١٩٩١)م.

- المعاضيدي، خاشع. الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (٣٥٩ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م)، جامعة القاهرة، ط١ (١٩٧٦).

- المعاضيدي، خاشع وآخرون. تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).

- المومني، سعد محمد. القلاع الإسلامية في الأردن، الفترة الأيوبية والمملوكية، دراسة تاريخية أثرية استراتيجية، دار البشير، عمان، ط١ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

- مؤنس، حسين. أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للأعلام العربي (١٩٨٧م).

- مؤنس، حسين. نورالدين محمود، سيرة مجاهد صادق، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط٢ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م).

- نصرالله، حسن. تاريخ بعلبك، ٢ جـ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط١ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م).

- نصر، سوسن. القاضي الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، دارالزهراء للنشر، القاهرة (١٤١١ هـ - ١٩٩٠م).

- نوري، دريد عبدالقادر. سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام والجزيرة، ٥٧٠ هـ - ٥٨٩ هـ / ١١٧٤ - ١١٩٣م، مطبعة الارشاد، بغداد (١٩٧٦م).

- وفاء علي. قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

المراجع المترجمة :

- آشتور، أي. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبدالهادي عبلة، مراجعة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق (١٩٨٥م).
- بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمه نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ (١٩٦٨م).
- بولياك، أن. الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة عاطف كرم، منشورات دار الكشوف، بيروت، ط١ (١٩٤٨م).
- جب، هاملتون. دراسات في حضارة الإسلام، تحرير ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ (١٩٧٩م).
- جب، هاملتون. صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، جررها يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (١٩٧٣م).
- دوزي، رينهارت. تكملة المعاجم العربية، ؟ جـ، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة، دار الرشيد للنشر، العراق، جـ١، (١٩٧٨م)، جـ٢، (١٩٨٠م)، ج٣، (١٩٨١م)، جـ٤ (١٩٨١م)، جـ ٥ (١٩٨٢م)، جـ ٦(١٩٩٠م)، جـ ٧(١٩٩٢م).
- دوزي. رينهارت. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة . أكرم فاضل، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد (١٩٧١)م.
- ديموميين، موريس، غ. النظم الإسلامية، نقله عن الفرنسية صالح الشماع وفيصل السامر، مطبعة الزهراوي، بغداد (١٩٥٢م).
- رنسيمان، ستيفن. تاريخ الحروب الصليبية، ٣ جـ، ترجمة د. السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، جـ ١ (١٩٦٧م)، جـ ٢ (١٩٦٨م)، جـ٣ (١٩٩٣م).
- زامباور. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة . زكي محمد حسن بك وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٥١م).

- سترانج، لي، جي. فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايرة، مراجعة عبدالرحمن بشناق، وهنري مطر، ووليد دعديس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الثقافة والفنون، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١ (١٩٧٠م).
- سميل، ر. سي. الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ (١٩٨٢م).
- سوفاجيه، جان. دمشق الشام، لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر، ترجمة فؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٣٦م).
- شاندور، البير. صلاح الدين الأيوبي، البطل الأنقى في الإسلام، ترجمه عن الفرنسية سعيد أبو الحسن، مراجعة وتحقيق نديم مرعشلي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢ (١٩٩٣م).
- شوفيل، جنفياف. صلاح الدين بطل الإسلام، ترجمة جورج أبو صالح، دار الأميرة، بيروت (١٩٩١م).
- كاهن، كلود. الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سيناء للنشر، القاهرة، ط١ (١٩٩٥م).
- كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٢ جـ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة ايغور بليايف اختان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، موسكو، لينينغراد (١٩٥٧م).
- لامب، هارولد. شعلة الإسلام، قصة الحروب الصليبية، ترجمة محمود عبدالله يعقوب، مراجعة د. جمال الدين الشيال، نشر مكتبة المثنى، بغداد (١٩٦٧م).
- لويس، برنارد. الدعوة الإسماعيلية (الحشيشية) ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٣٩١هـ/١٩٧١م).

- خلف الطراونة. دراهم فضية وفلوس أيوبية وسلجوقية من حفريات رجم الكرسي. مجلة اليرموك للمسكوكات. جامعة اليرموك. م٢. ع١ ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٨٥-٩٣.

- دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم زكي خورشيد وآخرون. ١٢ جـ، القاهرة، دار الشعب، ط٢ (١٩٦٩م).

- د. دريد عبدالقادر نوري. الفكر العسكري للقائد صلاح الدين الأيوبي، دراسات في معركة حطين، مجلة المورد، العراق، م١٦، ع ٤، ١٩٨٧، ص ٦٩ - ٨٤.

- دريد عبدالقادر نوري. نظم دمشق الإدارية في عهد آل طغتكين ٤٩٧ - ٥٥٠ هـ / ١١٠٣- ١١٥٤م، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ١٩، ١٩٨١م، ص ٩٠ - ١٠٤.

- دريد عبدالقادر نوري. موقف أتابكية دمشق من الغزو الصليبي لبلاد الشام، ٤٩٧ - ٥٤٩ هـ / ١١٠٣ - ١١٥٤م، مجلة آداب الرافدين، الموصل، ع١١، ١٩٧٩ - ١٣٩٩هـ ، ص ١١١- ١٤٥.

- دونالد ب. لتل. القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك ١١٨٧-١٥١٦م. مجموعة أبحاث في كتاب القدس في التاريخ، حرر الطبعة الإنجليزية وترجمها د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

- رشيد عبدالله الجميلي. حمص في عصر الامراء الأيوبيين ٥٧٠ - ٦٦١ هـ، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ١٠، ١٩٧٩، ص ١٧٦ - ٢٠١.

- رشيد عبدالله الجميلي. العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى ٥٦٧ - ٥٨٩ هـ / ١١٧١ - ١١٩٣م، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ٣٥، س ١٤، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م. ص ١٥٩ - ١٧٨.

- سعيد عبدالفتاح عاشور. البنية البشرية لجيوش صلاح الدين، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، م١٠، ع ٣٧، ١٩٩٠م، ص ٨-٣١.

- د. سهام محمد المهدي. دينار صليبي باسم صلاح الدين يوسف بن أيوب. مجلة

Text Stamp

اليرموك للمسكوكات. جامعة اليرموك، م٥، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٩-٨١.

- سعيد عبدالفتاح عاشور. المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية ١٣٩٤ هـ / ٢٠ - ٢٥ نيسان ١٩٧٤م.

- سعيد عبدالفتاح عاشور. نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، م٣، ١٩٨٧م، ص ٢٣٩ - ٢٨٨.

- سواري عبد محمد. مقدمة في دراسة صليبي المشرق العربي في المصادر العربية الأولية، ٤٩٠ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، م١٢، ع ٣، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، ص ١٥٧ - ١٧٠.

- السيد الباز العريني. الإقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي، دراسة مقارنة، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، م٤، ١٩٥٧م، ص ١١٣- ١٤٨.

- صالح مهدي العزاوي. الشرطة في التاريخ الإسلامي، مجلة الشرطة، العراق، ع ٣ -١١، جـ ١، ١٩٧٤م، ص ١٦-٢١.

- صالح موسى درادكه. نظام الشرطة في العصر العباسي (١٣٢ - ٤٠٠ هـ) مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، م ١٦، ع ٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ص ٦٣ - ١٠٧.

- صلاح الدين البحيري. المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ٤١، ٤٢، س ١٦، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٠٧ - ١٢٣.

- صلاح الدين البحيري. نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية في أوائل عصر الدولة الأيوبية إستناداً إلى كتاب المخزومي : المنهاج في علم خراج مصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، م٤، ع ١٣، ١٩٨٤م، ص ٤٢ - ٥٣.

- صلاح الدين المنجد. خطط دمشق، أبنية دمشق الأثرية المسجلة، مجلة الشرق، س ٤٢، ١٩٤٨م، ص ٢٤٢ - ٢٨٨.
- صلاح الدين المنجد. ذكر دمشق وبنائها، مجلة معهد المخطوطات العربية، دمشق، م٣، جـ ١، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧م، ص ١١٨ - ١٢٥.
- عادل نجم عبو. المدرسة في العمارة الأيوبية في سوريا، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، سوريا، م ٢٤، جـ ١,٢، ١٩٧٤م، ص ٧٥ - ٩٩.
- عبدالله عقيل عنقاوي. مكة في عهد الشريف قتادة الحسيني (٥٩٧ - ٦١٧ هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، م ١٢، ع١، ١٩٨٥م، ص ٧٩ - ١١١.
- عبدالجبار محمود السامرائي. معركة حطين دراسة تاريخية، مجلة المورد، العراق، م ١٦، ع ٤، ١٩٨٧م، ص ١٧ - ٣٧.
- عبد الرحمن زكي. القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، م ١٥، ١٩٦٩م، ص ٤٩ - ٨٧.
- عبدالعزيز عمرو عبدالجليل. نقش أيوبي جديد من قلعة الكرك، مجلة المؤرخ العربي، ع ٤٠، س ١٤، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م. ص .
- عبدالكريم عبده حتامله. صلاح الدين الأيوبي وموقفه السياسي من أمراء الشام بعد وفاة نورالدين زنكي (٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) مجلة أبحاث اليرموك، إربد، م١، ع ٢، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م، ص ٧-٢٨.
- عبدالكريم عبده حتامله. صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام (٥٧٠ - ٥٨٩ هـ / ١١٧٤ - ١١٩٣م) مجلة الدارة، السعودية، ع٢، س ١٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ص ١٥٩ - ١٧٢.
- عبدالهادي التازي. بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية الغربية، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٣٩٤ هـ / ٢٠ - ٢٥ نيسان ١٩٧٤م.

- . عبدالواحد ذنون طه. من أعمال وصلاحيات صاحب الشرطة في العصر العباسي، مجلة الجامعة، الموصل، ع ٥، ١٩٨٠، ص ٧١-٧٣.
- د. عماد الدين خليل. الجانب الإداري في مملكة نور الدين محمود ٥٤١ - ٥٦٩ هـ - ١١٤٦ - ١١٧٣م، مجلة آداب الرافدين، ع ٨، ١٩٧٧م- ١٣٩٧هـ، ص ٤٢ - ٨٠.
- محسن محمد حسين. جيش صلاح الدين، مجلة المورد، العراق، م ١٦، ع ٤، ١٩٨٧م، ص ٣٨ - ٦٨.
- محسن محمد حسين. مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، م٧، ع ٧,٦، ١٩٨٧م، ص ٢٨ - ٤٣.
- محمد زنيبر. معركة حطين من التمزق إلى الوحدة، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ٣٩، س ١٥، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ص ١٦٥ - ١٧٦.
- د. محمد يوسف الشافعي. لغة الإدارة، مجلة الإدارة، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية، م ١٧، ع ٤، ١٩٨٥م، ص ٥٦ - ٦٥.
- مصطفى الحياري. حصن بيت الأحزان، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م١٣، ع٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٣٩ - ٦٠.
- مصطفى الحياري. حصن حبيس جلدك، جانب من العلاقة بين المسلمين والفرنجة في القرن الثاني عشر الميلادي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، م ١٣، ع ١٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ص ١٤١- ١٦٠.
- مصطفى الحياري. القدس تحت حكم الصليبيين. مجموعة أبحاث في كتاب القدس في التاريخ، حرر الطبعة الإنجليزية وترجمها، د. كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- مصطفى الحياري. مدينة بانياس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، م ١٣، ع ١٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ص ١٦١ - ١٨٨.

- مصطفى عليان. صورة البطل المسلم والتصور الإسلامي في شعر الحروب الصليبية في الفترة ما بين ٥٢١ هـ / ١١٢٧م - ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، م١١، ع٤، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م، ص ١٥٩ - ١٧٧.
- موسى بناي العليلي. الناصر داود الأيوبي وشعره الحزين، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ٢٨، س ١١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص ١١٤ - ١٢٠.
- ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم صباغ (ت ١٨١٦م/١٢٣٢هـ). مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام، مجلة المورد، العراق، م٢، ع٣، س٣، ١٩٧٣م، ص ١٤٣ - ١٥٣.
- ناظم رشيد. -المجالس الأدبية في عصر صلاح الدين الأيوبي، مجلة المورد، بغداد، م ١٧، ع٣، ١٩٨٨م، ص ٣-١٥.
- نبيل محمد عبدالعزيز. خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، م ٢٣، ١٩٧٦م، ص ١٠٧ - ١٥٤.
- يوسف درويش غوانمة. الأردن في إستراتيجية صلاح الدين، مجلة أفكار، ع ٤٢، ١٩٧٨م، ص ٨٢ -٨٨.
- يوسف درويش غوانمة. أضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، ص ٩٦ - ١٠٩.
- يوسف درويش غوانمة. رؤية في مفهوم الأمن القومي في عهد صلاح الدين، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع ٤٣، س ١٦، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ص ٩٣ -١٠٠.

المراجع الأجنبية :

- Boyle. J.A. The Cambridge history of Iran, Volume 5, Cambridge At the University Press 1968.
- Cahen, Claude. Et Ibrahim Chabbouh : Le testament d'Al-Malik As- Salih Ayyub. Bullet in O'etudes Drientales. Tom XXIX, Damas 1977.
- Cahen, Claude. La Syrie du Nord, Al' Epoque des Croisades, et La principaute Franque d'Antioche, Paris 1940.
- Ehrenkreutz, Andrew. S. Saladin. State University of New York press Albany 1972.
- Elisseeff, Nikita. Nur Ad-din Un Grand Prince Musulman de Syrie Au Temps des Croisades (511 - 569 H. / 1118-1174) III Tome. Damas 1967.
- Elisseeff, Nikita. Nur Ad-din
منشور في مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق (١٩٥٢ - ١٩٥٤)
Tome XIV.
- Gibb, Sir Hamilton, The Life of Saladin, from the works of Imad Ad-Din and Baha'Ad-Din. Oxford 1973.
- Holt. P.H. The Age of the Crusades, the near East from the eleventh century to 1517, London and New York, 1984.
- Humphreys, R. Stephen. From Saladin to the Mongols, The

Text Stamp

Ayyubids of Damascus, 1193 - 1260. State University of the New York Press Albany 1977.

- Humphreys, R. Stephen. Islamic history, Aframework for inquiry. London, New York 1991.
- Mayer, L. A. Saracenic heraldry, Dxford, At the clarendon press (1933).
- Minorsky, V. Studies in Caucasian history prehistory of Saladin. London 1953.
- Regan, Geoffrey. Saladin and the fall of Jerusalem, London, New York, Sedney 1978.
- Setton, M. Kenneth. A History of the Grusades, Volume 1, The University press Madison, London 1969.
- The Encyclopaedia of Islam, New Edition, London 1971 : Atabak, Ayla, Ayyubids, Hisba
- Thoumian, Bernadette Martel. Les Civils Et :L'Administratrion Dans L'Etat Militaire Mamluk. Institut Francais De Damas 1991.

الملاحق

الملحق الأول : حكام الممالك الشامية وقضاتها في العصر الأيوبي

الملحق الثاني : منشور ولاية الأمير شمس الدين بن المقدم في دمشق

الملحق الثالث : منشور ولاية الحسبة في مدينة حلب

الملحق الرابع : منشور لوثيقة وقف في القدس الشريف

الملحق الخامس : صورة المعسكر الإسلامي في العصر الأيوبي

الملحق السادس : خريطة ممالك بلاد الشام في العصر الأيوبي

الملحق السابع : المصطلحات الإدارية في العصر الأيوبي

Text Stamp

الملحق الأول

حكام الممالك الشامية وقضاتها في العصر الأيوبي

١- مملكة دمشق :

- الملك الأفضل نورالدين أبوالحسن علي بن صلاح الدين سنة ٥٨٢هـ /١١٨٦م
- الملك العادل سيف الدين أبوبكر أحمد ٥٩٢ هـ / ١١٩٥م
- الملك المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥ هـ / ١٢١٨م
- الملك الناصر صلاح الدين داود ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م
- الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م
- الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م
- الملك الكامل محمد بن العادل ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م
- الملك العادل الثاني بن الكامل ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م
- الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٦ هـ /١٢٣٨م
- الملك الصالح عماد الدين إسماعيل «ثانية» ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م
- الملك الصالح نجم الدين أيوب «ثانية» ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م
- الملك المعظم توران شاه ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م
- الملك الناصر صلاح الدين يوسف ٦٤٨ هـ /١٢٥٠م[١]

---

(١) انظر ، الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٧٤٣ ، والناصر داود. الفوائد الجلية، ورقة ٥٢ ، وابن العبري. مختصر الدول، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ٩٩ ، والدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ١٢٤ ، والصفدي. أمراء دمشق، ص ١٥ ، ورنسيمان. الحروب الصليبية، جـ ٣، ص ٨٣٥ ، وزامباور. معجم الأنساب، ص ١٥١.

قضاة دمشق :

- كمال الدين محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري (ت ٥٧٢ هـ / ١١٧٦م).
- ضياء الدين أبو الفاضل القاسم بن يحي بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م).
- شرف الدين أبو سعد عبدالله بن أبي السري محمد بن هبة الله بن أبي عصرون (ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م).
- محي الدين محمد بن عبدالله بن مسهر بن أبي عصرون (ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٤م).
- محي الدين أبو المعالي محمد بن علي بن محمد بن الزكي القرشي (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١م).
- الطاهر، زكي الدين أبو العباس محمد بن علي القرشي (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م).
- جمال الدين أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبدالواحد الحرستاني (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م).
- جمال الدين، أبو محمد يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن عسال ابن علي القرشي الشيبي المصري (ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦م).
- شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى الخويي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م).
- عماد الدين، أبو الفضائل عبدالكريم بن جمال الأنصاري الحرستاني (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣م).
- شمس الدين أو البركات يحي بن هبة الله بن سني الدولة الحسن بن يحي الدمشقي (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م).

- شمس الدين أبو نصر محمد بن الفقيه هبة الله بن محمد بن هبة الله الشيرازي (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م).
- الرفيع الجيلي، أبو حامد عبدالعزيز بن عبدالواحد بن إسماعيل (ت ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م).
- صدر الدين، أبو العباس أحمد بن يحي بن عبدالله بن الحسن بن سني الدولة الدمشقي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩م)(١)

٢- مملكة حلب :

- الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م
- الملك الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي بن صلاح الدين ٥٨٢ هـ / ١١٨٦م.
- الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ٦١٣ هـ /١٢١٦م
- الملك الناصر صلاح الدين يوسف ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م(٢)

★ **قضاة حلب**

- محي الدين أبو المعالي محمد بن علي بن زكي الدين القرشي (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١م).
- كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة بن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م).
- محي الدين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحي بن الزكي القرشي (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١م).

---

(١) انظر ، أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣٥، ٥٢ ، وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٣، ص ٥٣ - ٥٧، جـ ٤، ص ٢٥٨ ، ابن يوسف. نزهة الخاطر، المقدمة ، وابن طولون. قضاة دمشق، ص ٤٧ وما بعدها.

(٢) انظر ،ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ٧٢ ، وابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٤، ص ٩-١٠ ، وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٨٠، جـ ٤، ص ٢٣-٢٤ ، والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٧٧ - ١٧٨ ، وزامباور. معجم الأنساب، ص ١٥١ - ١٥٢.

- زين الدين نبا بن الفضل بن سليمان بن البانياسي الحميري (ت حوالي ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م).
- بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٣٤٣م).
- زين الدين أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن رافع بن الأستاذ الحلبي (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م).
- محمد بن عبدالرحمن بن علوان بن عبدالله بن رافع بن الأستاذ الحلبي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م).
- كمال الدين أبو العباس أحمد بن القاضي زين الدين ابن الأستاذ (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣م).(١)

٣- مملكة بعلبك :

- الملك المعظم توران شاه بن أيوب سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢م.
- شمس الدين محمد بن المقدم ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م.
- الملك المعظم شمس الدين توران شاه «ثانية» ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م
- عزالدين فروخشاه بن شاهنشاه ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م
- الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م
- الملك الأشرف موسى بن العادل ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م
- الملك الصالح إسماعيل ٦٣٥ هـ /١٢٣٧م
- الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م
- الملك المعظم توران شاه ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م

---

(١) انظر : الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٥، ص ١٣٢ - ١٣٣ ؛ ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ٣٨، ٤٩، ٧٢، ٧٦، ١٣٢ ؛ أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٦٣ ؛ ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٤، ص ٢٢٩، ٢٤٦، جـ ٧، ص ٨٩ ؛ ابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ ٢، ق١، ص ٣٤٢ وتاريخ الملك الظاهر، ص ٩٣ ؛ الكتبي. فوات الوفيات، جـ ٣، ص ١٢٦ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١، ص ١٨٣، جـ ٧، ص ١٢٢ ؛

- الملك الناصر يوسف ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م[1]

★ **قضاة بعلبك :**

- القاضي رفيع الدين أبو حامد عبدالعزيز بن عبدالواحد بن اسماعيل بن عبدالهادي بن عبدالله الجيلي (ت ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م).
- أبو الفضائل الزنجاني الفقيه الشافعي.
- عبدالصمد بن عبدالله بن أحمد المصري.
- بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزاري.
- كمال الدين عبد الواحد بن خلف بن نبهان (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م).
- اللبني محمد بن عبدالواحد بن عبد الجليل بن علي القاضي زكي الدين أبو بكر المخزومي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م)[2]

٤ - مملكة حماة :

- شهاب الدين محمود بن تتش الحارمي سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م
- الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر ٤٧٤ هـ / ١١٧٨م
- الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ٥٨٧ هـ / ١١٩١م
- الملك الناصر صلاح الدين قلج أرسلان ٦١٧ هـ ١٢٢٠م
- الملك المظفر تقي الدين محمود ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م
- الملك المنصور سيف الدين محمد ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م[3]

---

(١) انظر : ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ وابن شداد. الأعلاق الخطيرة، جـ ٢، ق٢، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ واليافعي. مرآة الجنان، جـ ٤، ص ٦٥ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ ١، ص ١٢٦، ١٢٧، ٢٣٩ ؛ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ٢٧٥، ٣١٥ ؛ وزامباور. معجم الأنساب، ص ١٥٢-١٥٣ ؛ ورنسيمان. الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٨٣٥.

(٢) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ١٨٧ ؛ واليونيني. ذيل مرآة الزمان، جـ١، ص ١٨ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ٤، ص ٦٤، جـ ٧، ص ٦٧ ؛ النويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩، ص ٢٧١ ؛ النعيمي. الدارس، جـ ١، ص ٣١٧ ؛ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ ٥، ص ٢٥٠ ويبدو أن بعض الممالك قد تتبع أحياناً لقضاء المركز في دمشق ولم تتوفر في المصادر المعلومات الكافية لتتبع النظام القضائي وهذا ما توصلت إليه من خلال المصادر التي توفرت لديّ.

(٣) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢ ؛ ص ٣٤ ؛ رنسيمان. الحروب الصليبية، جـ ٣، ص ٨٣ ؛ زامباور. معجم الأنساب، ص ١٥٣.

★ **قضاة حماة :**

- أمين الدين أبوالقاسم الحسين بن حمزة بن الحسين الحبيشي الحموي القضاعي

(ت ٥٨٧هـ/١١٩١م)

- ضياء الدين أبوالفضائل القاسم بن يحي الشهرزوري

(ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م).

- محمد بن عبدالمحسن بن محمد أبو عبدالله الأنصاري

(ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩م).

- شهاب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبداله بن أبي الدم

(ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م).

- حمزة بن محمد بن حمزة أبو يعلى يحي الدين البهراني.

(ت ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤م)[١]

٥- مملكة حمص :

- الملك القاهر ناصر الدين محمد بن شيركوه سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م
- الملك المجاهد صلاح الدين شيركوه ٥٨١ هـ / ١١٨٥م
- الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم بن شيركوه

٦٣٧ هـ /١٢٣٩م

- الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن إبراهيم ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦م[٢]

★ **قضاة حمص :**

- نجم الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي عصرون.

(ت٦٠١ هـ/١٢٠٤م).

---

(١) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص ٣٥، ٣٠٩ ؛ أبو الفداء. المختصر، جـ ٤، ص ٧، ١٢٣ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ١٢، ص٣٦١ ؛ المقريزي. السلوك، جـ ٢، ص ٣٩٤، ٨٥١ ؛ الكتبي. فوات الوفيات، جـ ١، ص ٥٥٥ ؛ جبران. مملكة حماة، ص ١٥٥- ١٥٧.

(٢) رنسيمان. الحروب الصليبية، جـ ٢. ص ٨٣٧ ؛ زامباور. معجم الأنساب، ص ١٥٣.

- قاضي حمص زين الدين بن هندي
- صالح بن أبي بكر بن أبي الشبل بن سلامة بن شبل.
  (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣م).
- إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن خشنام (ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥م)[1].

٦ - مملكة الكرك :

- الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب
  سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م
- الملك المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر ٥٩٢ هـ / ١١٩٥م
- الملك الناصر صلاح الدين داود بن عيسى ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م.
- الملك المغيث فخر الدين عمر بن العادل بن الكامل ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م[2]

⋆ قضاة الكرك :

- القاضي عبدالرحيم التكريتي (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م).
- الرشيد النيسابوري، محمد بن أبي بكر بن علي الحنفي
  (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م).[3]

٧ - القدس :

- ضياء الدين عيسى الهكاري الكردي ٥٨٣ - ٥٨٥ هـ / ١١٨٧ - ١١٨٩م.
- الأمير حسام الدين شياروخ التركي ٥٨٥ - ٥٨٨ هـ /١١٨٩ - ١١٩٢م.
- الأمير عزالدين جورديك النوري ٥٨٨ - ٥٩١ هـ / ١١٩٢ - ١١٩٤م.
- الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين الهذباني الكردي

---

(١) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢. ص ١٥١ ؛ الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ٦، ص ٦٨، جـ ١٦، ص ٢٥١ ؛ ابن أبي الهيجاء . تاريخ، أحداث سنة ٥٨٢ هـ.

(٢) رنسيمان. الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٨٣٥، ٨٣٧ ؛ زامباور. معجم الأنساب، ص ١٥٢.

(٣) انظر ؛ ابن كثير. البداية والنهاية، جـ ٣. ص ١٥٧ ؛ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب، جـ ٥، ص ١٨٦.

٥٩١ - ٥٩٢ هـ / ١١٩٤م - ١١٩٥م.

- الأمير شمس الدين سنقر الكبير ٥٩٢ - ٥٩٤ هـ / ١١٩٥ - ١١٩٧م.
- صارم الدين ختلج مملوك عزالدين فروخشاه بن شاهنشاه

٥٩٤ - ٥٩٦ هـ / ١١٩٧ - ١٩٩م.

- المعظم عيسى بمساعدة أبو عمر عثمان بن علي بن عبدالله الزنجيلي

٥٩٧ - ٦٠٤ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٠٧م.

- الأمير حسام الدين أبو سعيد قيماز بن عبدالله المعظمي

٦٠٤ - ٦١٠ هـ /١٢٠٧-١٢١٣م.

- الأمير عزالدين بن يغمور سنة ٦١٠ - ٦١٦ هـ / ١٢١٣ - ١٢١٩م.

ثم سيطر عليها الصليبون إلى أن إستعادها منهم الملك الناصر داود، ثم سيطرة الخوارزمية عليها سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م.[١]

★ **قضاة القدس :**

- بهاء الدين بن شداد سنة ٥٨٤ - ٥٩٠ هـ / ١١٨٨ - ١١٩٣م.
- محمد بن إسماعيل بن حمدان أبو بكر الخيراني

٥٩٠ - ٥٩٣ هـ / ١١٩٣ - ١١٩٦م

- شمس الدين أبو نصر محمد بن هبه الله بن يحي بن بندار بن جميل الشيرازي سنة ٥٩٤ - ٦٠١ هـ / ١١٩٧ - ١٢٠٤م.

---

(١) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٦١١ ؛ وأبوشامة. الروضتين، جـ ٢، ص ٢٠٥ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ٢، ص ٤٥٦، ٧١١ ؛ والعليمي. الأنس الجليل، جـ ١، ص ٣٩١ - ٣٩٩ ؛ ودونالد ب. لتل. القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك من كتاب القدس في التاريخ، ص ٢٠٧-٢٠٩، والعسلي. بيت المقدس في كتب الرحلات ص ٢٤١ ؛ وسترانج. فلسطين، ص ١٥١ ؛ والحاج خليل. مدينة القدس، ص ٦٦-٦٨.

- شمس الدين يحي بن بركات بن هبة الله به الحسن الدمشقي بن سني الدولة سنة ٦٠١ - ٦٠٥ هـ / ١٢٠٤ - ١٢٠٨م.
- شمس الدين أبو الغنائم سالم بن يوسف بن صاعد سنة ٦٠٥ - ٦٢٩ هـ / ١٢٠٨ - ١٢٣١م.
- أبو عبدالله محمد بن صاعد بن السلم القرشي الشافعي سنة ٦٢٩ - ٦٥٠ هـ / ١٢٣١ - ١٢٥٢م.[1]

---

(١) ابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٣٧٣ ، العليمي. الأنس الجليل، جـ ٢، ص ١٢٠ ، الحاج خليل. مدينة القدس، ص ٧١ - ٧٢.

الملحق الثاني

منشور ولاية الأمير شمس الدين بن المقدم في دمشق :

«الحمد لله ذي السلطان القاهر، والاحسان الظاهر، والبرهان الباهر، والامتنان الوافر، نحمده على إنعامه المتناصر المتواتر، وأفضاله المتكاثف المتكاثر. ونسأله أن يصلي على سيدنا نبيه محمد الطيب الطاهر، وعلى آله وأصحابه ذوي المحامد والمكارم والمآثر والمفاخر وسلم تسليماً كثيراً وبعد،

فأنا لما نرى من اجراء الامور أحسن مجاريها واعطاء قوس السياسة باريها، ونظم أمور المملكة بتقليد الكفاة الأكابر في سلك اتساقها، وضم نشر العساكر المنصورة بتفويض أحكامها إلى مطلع شمس النصر بعزائمه الماضية المضيئة من آفاق اشراقها، عولنا على المجلس السامي الشمسي اسماه الله في التقدم على عساكرنا المظفرة بدمشق وأعمالها المحروسة وقلدناه أمرهم وشددنا بقوته أزرهم، وأمرناهم أن يتصرفوا على حكمه، وأن يجدوا على رسمه، وأن يركبوا بركوبه، ويهبوا بهبوبه، وينهضوا بنهوضه، وينزلوا بنزوله، ويحلوا بحلوله، وأن ينزل مفردو دمشق في حلقته، ويخيموا عند مضربه، ويجتمعوا للتصرف على أمره في موكبه، ويصدروا عن آرائه، وينفذ أمره على جميع العسكر مقدميه ومفرديه وأمرائه. وقد أمرناه بعرضهم وحفظ أحوالهم والزامهم بعدة أجنادهم وعدة رجالهم، وأن لايغيب أحد إلا باذنه لعذر واضح، وأن يكونوا محتاطين معه للرباط في الثغر المحروس لاجابة كل داع، والهبوب لكل صائح، آخذين للجهاد الأهب، حافظين في اتباع اشاراته وطاعته الأدب، موقنين أن أمره أمرنا، وطاعته طاعتنا، وحكمه حكمنا، وارادته ارادتنا، وليسمعوا له ويطيعوه، وليأتمروا لما يأمر به ويسمعوه. وقد قلدناه أمر العرب جميعهم ليجمعهم إلى النُقرة المحروسة ويستدعي النازحين ويستدني قاصيهم ويستحضر حاضرهم وباديهم، ويكتب الأمان للخائفين، ويحسن إلى المحسنين، ويأخذ على يد المفسدين ويؤلف بين قلوبهم المتنافرة، ويخمد بهيبته

وبأسه ما بينهم من ثائرة الفتن الثائرة. وهو محكم في جميع قبائل العرب وعشائرها وأفخاذها وبطونها وعمائرها، وهو يتولاهم ويجريهم على معتادهم في رسمهم ومعيشتهم وعدادهم. ويرتب النواب والشحن من قبله على العادة الجارية، ويحملهم على السيرة الحسنة الراضية. ومن ينزل من العرب في بلد الفرنج فله انهاض العسكر إليه وشن الغارة عليه حتى ينتظموا في سلك الطاعة رغبة ورهبة، ويزيدوا من الخدمة قرباً إذا زادوا طاعة وقربة. فليتول ذلك كله بأمر قاطع وبأس قامع للأعداء وازع، وعزم صادق صادع، وحشد لشمل الكلمة الاسلامية جامع، وعذاب بالمشركين والمفسدين واقع، وعدل شامل لرعاية الرعية، وفصل راع قواعد العوائد المرعية المرضية، حاسماً بهيبته مواد الاطماع، مختصاً للمحسنين بالإحسان والاصطناع، كافا للمقطعين من ظلم أهل الضياع والأمراء من التحيف على رجالهم في القرار والاقطاع. وسبيل الولاة والأمراء والأجناد والمفردين والاصحاب والاتباع مقابلة أمرنا في تلقي أمره بالامتثال والاتباع، فهو المطاع الأمر بأمرنا المطاع، والمفوض إليه أمر العسكر والعرب في حالتي الافتراق والاجتماع، والموثوق إصابة رأيه السامي وبسالة عزمه الماضي في السلم والقراع، والمستضاء بأنوار ميامنه في ليالي الملمات المدلهمات، والمقتدى بآثاره المَبرات المبرات في كشف الظلامات والمظلمات، والمعتمد على مضاء مضاربه ونفاذ مراسمه في جر عساكر الاسلام وكتائبه إلى الغزوات»[1].

---

(١) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٥، ص ٧٥ - ٧٧.

الملحق الثالث

منشور ولاية الحِسبة في مدينة حلب

منشور من انشائي أيضاً لمحتسب حلب وهو شريف، متضمناً شروط الاحتساب

«الحمد لله الآمر بالعدل والاحسان الناهي عن الظلم والعدوان، نحمده على ما قلده من الامتنان، وهدى إليه من الايمان، ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد نبيه واضع الميزان بالقسط الواضح البرهان، وعلى آله وأصحابه أهل الرحمة والرضوان. وبعد، فإنا لما يفترض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجراء أمور الرعية على وفق أحكام الشرع المطهر، وأخذهم في معايشهم ومعاملاتهم ما يحظر عليهم ملابسة الخطر، ويقيم الوزن بالقسط للبدو منهم والحضر، حتى تدوم المعاهد بالعدل آهلة، والمحافل بالفضل حافلة، والرعية في ملابس الرعاية رافلة، وسيدان - الذئب - الأذايا وسراحينها عن سراح أمنهم جافلة. نرى أن نولي الاحتساب من يكرم محتده ويسمو سؤدده، فيضح في النباهة بالفضائل والنزاهة عن الرذائل جدده، ومن تقوى بالتقوى نفسه ويشرق في آفق دينه بالتوفيق رشده، وتنبسط في الحق بالأيدِ يده، ويخلص لله في الاستقامة عن سنن العدل مقصده، ومن يستقيم في الديانة مذهبه ويصح فيها معتقده، ويعرف بالتوحيد توحده، فيتحقق لنهج سبيل الهدى تجرده، ويصفو من شبه الشوائب مصدره ومورده ولما كان فلان أدام الله توفيقه جارياً في نزاهة النجار ونباهة الفخار على سنن شرفه، متبعاً في كرم المحتد وصحة المعتقد سنن سلفه، شافعاً متلده في الاحسان بحسن مطرفه، مغضياً عن مطامح المطامع بعين عزوفة وأنفه، مهيباً لفضل وقاره، مصيباً في إيراده وإصداره، مجيلاً قداح النظر في اختياره، مستطيلاً على ذوي التقصير والاستطالة بانتصافه وانتصاره، عارفاً بأحوال الناس في المعاملات والمعاش، ثابت القلب في ملابسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رابط الجأش. عولنا عليه في تولي الحسبة بحلب حرسها الله وفوضنا إليه أمرها، ورفعنا به قدرها، وقلدناه عملها، وحلينا به عطلها،

استنامة إلى أمانته، وسكوناً إلى صيانته وديانته، ومعرفة بشرف نفسه وعزوفها، وصدود همته عن كل ما تأباه المرؤة وصدوفها، واعتماداً على أمانته التي على التقوى اعتمادها، واستناداً إلى حزامته التي إلى التوفيق استنادها، وثقة بسريرته التي بتأييد الله ثقتها، وفي مرضاة الله مقتها ومِقَها - محبتها - وعلماً بسيرته التي لمح سنا محاسنها، وموالاته للدولة التي أبهجت الأنام أيام أيامها، فليتول ذلك بنهضة تامة، وكفاية لشمل المصالح ضامة، وسياسة لشعب الشعب الملئم لامة، وفي تهذيب الخاصة والعامة خاصة وعامة، ونظر يذلل الجوامح ويروضها، ومنة تستقل بالأمانة نهوضها، وفطنة ينكشف بها من الخافيات غموضها، وعدالة تقام بها من المعدلة سننها وفروضها، وهداية تنفي الضلالة وتنسخها، ودراية تحل عقد الشبهات وتفسخها، وصرامة تلبي دعوة المستصرخ وتصرخها، وسيرة يثبتها كاتب اليمين ويؤرخها، وسطوة تدمر الغواية وتدمغها، وشهامة تنتهي في حفظ الاعتدال إلى الغاية وتبلغها، ورأفة بالمتورعين في المعاملة توسع عليهم المعيشة وتسوّغها، وعفة عن المطاعم والمطامع تضفي عليه حلل الثناء وتسبغها، ومحافظة على خلقه عند الانكار يحفظه فيما يحفظه، ومراقبة لله في السر والجهر تبهضه بما لا يبهضه، وتفكر في الحوادث يحدثه بالغير ويعظه، وخشية لله في سائر أحواله تنذره بالمخاوف وتوقظه. وليشرع في حفظ المعاملات على جدد الشريعة ومنهاجها، وليصن حدتها بتجديد دعاء الناس إليها من أنهاجها، وليعتمد في زجر الفجرة ما يؤذن باعجازها وازعاجها، وفي البر بالبررة ما يفضي باغتباطها وابتهاجها. وليعتبر أهل الأسواق فمن ألفاه ألفاً للسداد ألفّه، ومن عرفه جاهلاً بالمشروع عرفه، ومن وجده متجوزاً في أمانته أوجده وخوفه، ومن صادفه مائلاً عن منهج النصيحة صدفه وثقفه. وليتبع المسكر باراقته، وليقم الحد على شاربه في حال افاقته، ومن ذاق منه من أهل التحريم ولو جرعة فليجرعه من الحد مر مذاقته، ومن استوجب التعزير فلا يبلغن به حد الحد ولايحمله من العقوبة فوق طاقته. وليردع مقترف

الذنب ولايخل بنصيحته، ولا يتجسس على المسافر فيفضي اشاعة الفاحشة منه إلى فضيحته، ومن التبس عليه أمره فليتوقف فيه حتى يسفر بالكشف عنه ليل الارتياب عن صبيحته، ومن تفرس فيه حالاً فلا يقطع فيه بها دون ظهور امارتها، ووضوح بيّناتها بفراسته وقريحته، ولينه عن الغش في العروض والنقود، وعن الربا في المقروض والمعقود، وعن التطفيف في الكيل والوزن والذرع، وعن التنكب في المقادير والمعايير والمكاييل عن العرف المعتبر في الشرع. وليبحث عن أهل الصناعات كل البحث، وعن المصنوعات جديدها والرث وسمينها والغث، فمن شهد له أهل المعرفة بالبراعة أقره على ما يتعاطاه من الصناعة، ومن رآه مقصراً نهاه عن التقصير، أو مغرراً ردعه عن التغرير بالتعزير، أو مفرطاً عاقبه على التفريط، أو مخلطاً أدبه على التخليط. ومن عرفه جاهلاً بصنعته منعه، ومن أبصره غير بصير بحرفته قدعه. وليمنع الطرقيين والمتعاطين للطب على التخمين، وليصدهم عن مداواة الأمراض ومزاولة الأعراض ومعالجة العيون ومعالجة الأدواء بالظنون، وبيع الأدوية المغشوشة والمجهولة، ووضع أساميها على غير المقولة والمنقولة، وليزع المتلبسين بالتنجيم والشعبذة والكهانة، وليهن القائلين بها والقاطعين بحكمها كل الاهانة، وليصن المساجد وبيوت العبادات، من اتخاذها حوانيت لذوي الصناعات، وحلقاً لذوي الخرافات ومخازن ومساكن لذوي الصنائع والتجارات، ولينكر غاية الانكار كشف العورات لاسيما في الحمامات. وليكف صوت المتحدثين في العقائد بما يؤتغها، ويقطع الالسن عما يطلقها في أعراض السلف الصالح ويؤلغها، وليلتزم كل ما يتعين على المحتسب ويلزمه وليعمل بما يعرفه من الصواب والصلاح ويعلمه من أطايب المعايش، وازالة الفواحش، واصلاح المكاسب وايضاح المذاهب، وتبطيل الملاهي وتعطيل المناهي، وتحسين العوائد وتمكين الفوائد، وايجاد المراشد واعدام المفاسد، وحفظ الأسعار والقيم وصون الأموال والعصم، وابعاد اهل الريب والتهم، وإبعاد أهل الظنن وإخماد نار الفتن. ومن جملة ما يلزمه عمارة الطرق وتنظيفها

الملحق الرابع

منشور لوثيقة وقف في القدس الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما تصدق به ووقفه وحبسه السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي دولة أمير المؤمنين أبي المظفر يوسف ولد السيد الأجل الملك العادل شيخ الملوك والسلاطين أبي سعيد أيوب بن شاذي سلطان الديار المصرية والشامية خلد الله تعالى ملكه ومد على الخليقة ظله وعلا فوق السماكين محله وأعز أنصاره وجنده وجعل النعم الجزيلة عنده وأمضى أحكامه في جميع الأمم وأنفذ فيهم أوامر من مقته السيف والقلم في صحة رأيه ونفاذ كلمته وانبساط قدرته وخلوص نيته وقوة رغبته إلى الله سبحانه وتعالى في قبول ذلك منه وحسن مجازاته عليه وابتغاء الوسيلة عنده والفوز لديه يوم يجزي الله المتصدقين ولايضيع أجر المحسنين. تصدق بجميع الدار المعروفة بدار البطرك التي بالقدس الشريف وما يليها فمن ذلك الربع المجاور لها وهو طاحون يعرف بعصفور وفرن ودير ملاصق للفرن يعرف بالجديد وقبو كبير يعرف باسطبل البطرك ودار شمالي هذا الاسطبل تشتمل على اقباء تحتانية. ويحيط بذلك وبجمعه حدود أربعة : الحد الأول وهو القبلي ينتهي الى قبة القمامة ويتم الى دار تعرف بيوسف السحاف. وتمام الحد الى الشارع المسلوك منه مغرباً الى سور المدينة يعرف ... ومنه يفتح باب الدار والاصطبل المذكورين. والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي الى الدار المعروفة باقساء القمامة، والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي من السفل الى الشارع المسلوك منه إلى دار البلاط وغير ذلك. ومنه يفتح باب الدار المذكورة وباب الطاحونة المعروفة بعصفور. ومن العلو إلى دار تعرف بفويلة ويتم الى دير كرج المعروف بتفاحة، وتمام الحد إلى

ربع الخراجي. والحد الرابع وهو الغربي ينتهي الى دير كرج الخراجي. والحد الرابع وهو الغربي ينتهي إلى دير .. ويضم الى دير الكرج المعروف بالسنكل وتمام الحد الى دار تعرف بالجاموس، ومن ذلك الحمام المعروفة بالبطرك والقبو والحوانيت المجاورة لها يحيط بذلك حدود أربعة : الحد الأول وهو القبلي ينتهي الى زقاق يسلك منه إلى الزردخاناه وفيه يفتح باب الاقمين. والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي الى دار تعرف قديماً بالاسبتار وحديثاً بالزردخاناه، والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي الى الزردخاناه، والحد الرابع وهو الغربي ينتهي الى الشارع المسلوك المعروف بسوق الزيت وفيه يفتح باب الحمام والقبو والحوانيت ومن ذلك البركة المعروفة بالبطرك والربع الملاصق لها العلو والسفل من ذلك بظاهر القدس الشريف البركة المعروفة بماملاه والقناة التي يجري فيها الماء من هذه البركة الى البركة الجوانية المعروفة بالبطرك، ومن ذلك أرض الجورة العليا وهي الشمالية يحيط بها حدود أربعة : الحد القبلي ينتهي الى الطريق السالكة الى ماملا وغيرها، والحد الغربي ينتهى إلى السلسلة الفاصلة السفلى وهي القبلية تعرف بالاسبتار يحيط بها حدود أربعة : الحد القبلي ينتهي الى حايط قديم داخله قناة قديمة، والحد الشرقي ينتهي الى الطريق السالكة إلى باب الخليل وغير ذلك، والحد الشمالي ينتهي الى الطريق السالكة الى بركة حرمين والبقعة وغير ذلك. ومن ذلك الأرض المعروفة بالبقعة يحيط بذلك حدود أربعة : الحد القبلي ينتهي الى حايط ممتد شرقاً بغرب فاصلاً بينها وبين أراضي كرماً منها بقيع زيتون ويعرف بسلامة ابي الصريصير وبقيع بن سفلات وبقيع يعرف بابن رقية. وداخل هذا الحد بقيع يعرف بمرج اسبكر، وهو من حقوق البقعة وتمام الحد الى أرض طبلية وهو حايط قديم فاصلاً بين العنق وأراضي طبلية والحايط المذكور ينتهي الى الشارع المسلوك منه الى طبلية وتمام الحد حايط قديم محاذ له شجرة بطم وفي تلك الحايط شجرة اجاص وهو فاصل بين أراضي البقعة وبين أراضي بيت صفافا والحد الشرقي ينتهي

إلى السكة السالكة الى سور باهر وغيرها. والحد الشمالي ينتهي الى مربعة النسا ويتم إلى شارع قديم والحد الغربي ينتهي الى السكة السالكة الى بيت صفافا وغيرها. ومن ذلك قطعتين تعرف احداهما بعضها بمرج اسبكر وبعضها راس الخنوص وباقيها ...

... الحد الشرقي للبقعة وهي الطريق السالكة إلى سور باهر وغيرها ومن الشمال بقيع في البقعة يقال له دق معاش والحمادية ومن الغرب الطريق والقناة القديمة والقطعة الثانية يعرف بعضها بخلة أبي الوقية وبعضها بكرم الركار وباقيها بقيعان تعرف بالعنق والأرض المعروفة التي يقال لها ضريبة الأرجام يحيط بهذه القطعة حدود أربعة : الحد القبلي حد البقعة من القبلة وهو الحايط الفاصل بينها وبين أراضي طبلية، والحد الشرقي ينتهي إلى القناة المذكورة الفاصلة بين هذه القطعة والقطعة الأولى، الحد الشمالي به يعرف بالركار والأرض الملاصقة لها ومن الغرب رصيف فاصل بين هذه الأرض وأرض بيت صفافا بحدود ذلك جميعه وحقوقه وقليله وكثيره وجبله وسهله وسرابه وما يعرف به وينسب إليه من حقوق ذلك الداخلة فيه والخارجة عنه صدقة موقوفة محبسة محرمة مؤبدة بنية مثله ؟ جايزة نافذة ماضية لوجه الله تعالى وطلب ثوابه وابتغا مرضاته وجزيل عطايه والمراقي لديه لايدخل عليها وجه من وجوه التمليكات ولا يزيلها عن تحبيسها سبب من أسباب الانتقالات قايمة على أصولها لايغيرها ممر الأيام والشهور ولايقدح فيها تقادم الأعوام والدهور محفوظة على شروطها مسبلة على سبلها لا ... تغير ولاتبديل ولايلحقها فسخ ولاتحويل ابداً مادامت السموات والأرض الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين على الوضع الذي يأتي ذكره فيه وهو أن السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين هذا المحبس وقف وحبس وابد جميع هذه الأماكن المحدودة فيه على السادة المشايخ الصوفية الشيوخ والكهول والشبان البالغين المتأهلين والمجردين من العرب

والعجم وجعل الدار المعروفة بالبطرك المذكورة أعلاه رباطاً لهم وسكناً للمجرد منهم المقيمين بها والواردين اليها من ساير البلاد الشاسعة من الصوفية المعروفين من الخوانق بطرايقهم وآدابهم ولايدخل أحد عليهم من غير جنسهم بشفاعة شافع ولا لولي أمر. ومن فعل ذلك فوزره على الشافع والمشفوع له على أن ليس لواحد منهم أن يسكن في هذه الدار إلا بمقدار حاجته منها بغير زيادة عليه من غير ضرر يتوجه على الآخر، وعلى أن من سبقه منهم إلى مكان في هذه الدار وسكن فيه قبل الآخر فليس لأحد اخراجه ولا أن يبدل به غيره، ومن سافر منهم الى حيث شاء من البلاد وعاد من سفره الى هذه الدار فله السكن فيها فإن كان مكانه خالياً من غيره فهو أولى به وان كان مشغولاً بسكن غيره فيه فله السكن في هذه الدار بمقدار حاجته وكفايته اسوة أمثاله ممن سكن فيها. وعلى أن من سقط منهم بالوفاة بطل حقه من السكن وغيره لموته وان كان لغيره ممن لم يكن له موضعاً في هذه الدار للسكن ودعت حاجته للسكن به فليسكن. وشرط الملك الناصر جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين المحبس المذكور ان يجتمع الجماعة المذكورين بهذا المكان المذكور بعد صلاة العصر بأسرهم في كل يوم يقرأون ما تيسر من القرآن العظيم في ربعات شريفة ويذكرون مما حسن من الذكر ويدعون عقيب ذلك للواقف المحبس المذكور وللمسلمين اجمعين. وشرط أيضاً الملك الناصر صلاح الدنيا والدين المحبس المذكور ان يصرف من ريع الجهات المذكورة عليهم ما يراه الناظر الشرعي به بحسب ما يؤدي اليه اجتهاده ورأيه وأن تكون الأمور جميعها في هذا الوقف راجعة الى شيخهم الناظر الشرعي عليهم لايتكلم أحد فيه غيره وأن يكون شيخهم منهم ناظراً عليهم على أن الشيخ الناظر على هذا الوقف يفوض النظر لمن يكن أهل له مع المشيخة ان لم يكن له ولد يصلح فإن كان له أولاد ذكور فيسنده هو والمشيخة للأكبر والأمثل منهم من غير مشاركة أحد له في ذلك. يجري الأمر في ذلك كذلك مادامت ذريته موجودة فإذا

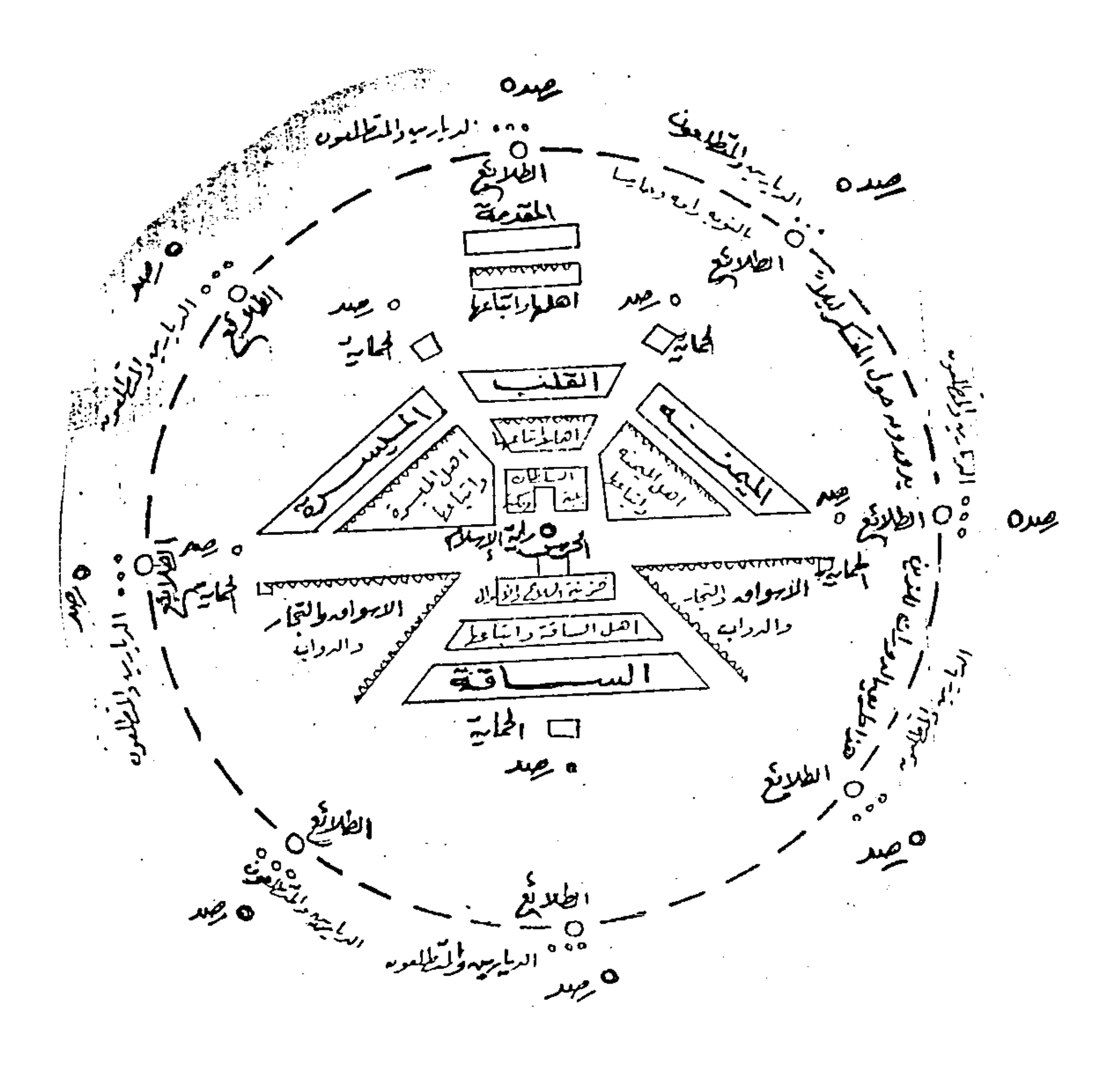
انقرضوا ولم يبقَ أحد منهم فينظر في الأمثل من صوفية المكان فيكون شيخهم منهم لا من غيرهم ناظراً عليهم ويكون الحكم فيه كمن تقدمه فإن تعذر وجدان هذه الطايفة والعياذ بالله تعالى صرف ريع الأمكنة المذكورة على الفقراء والمساكين فإن بدا من هولا الجماعة المذكورين شيء يوجب تأديبه وخروجه أدب وأخرج من هذا المكان ولايعود اليه إلا بعد سفره الى الحجاز الشريف أو غيره وتهذيبه والتوبة إلى الله تعالى والندم والاقلاع. وشرط أيضاً الملك الناصر المحبس المذكور ان يجتمع الجماعة المذكورون مع شيخهم بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة بهذا المكان أو بالمسجد الأقصى الشريف يقرأون في ربعات شريفة ويدعون عقيب ذلك للواقف وللمسلمين ويقرأ ون بحضور شيخهم ما تيسر من كلام الايمة المشايخ الصوفية نفع الله بهم في كل جمعة فإن تعذر ففي بعض جمع. يجري الحال في ذلك كذلك ما استمرت الدنيا فقد تمت هذه الصدقة الموقوفة وتقدمت شروطها وأحكامها وصارت صدقة محرمة تحريماً مؤبداً بتحريم الله سبحانه لها وذلك أجمع التحريم الذي حرم به حرماته وانتهاك محارمه والاتحاد في اسمه وحرمات انبيائه ورسله وملائكته صلى الله عليهم وحرمة بيته الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا وحرمة للإيمان وأهله فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر من راع ولا رعية لقوة سلطانه أو لطيف حياته ودقة فطنته واتساع تأويله أن يبطلها ولا شيئا من شروطها وأحكامها ولا يغيرها من أصل ولا رسم ولا يبدلها ولا يقدح فيها بما لا ينبغي اتهامها ولا يسعى في شيء من ذلك بأمر ولا بأيما ولا بتعطيل ولا بشيء يعلمه الله الذي يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور. فمن فعل ذلك واعان عليه فقد آذا نفسه وحرم أمانته وعند عن أمر ربه واستخف بحرمته وتمرد عليه واستهان وعيده واستحق لعنته ولعنة انبيائه ورسله لعنة يلحقه في الدنيا عارها ويوم القيامة جهنم وسعيرها والله تعالى طليبه وحسيبه ومواخذه بعمله ومجازيه على فعله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن

بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، فهو معاقب المسيئين ومجازي المحسنين وبالمرصاد للظالمين لقوله تعالى «فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم». وقد اذن السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي دولة أمين المؤمنين قاتل الكفرة والملحدين أبو المظفر يوسف الواقف المشار اليه أتم الله نعمه عليه وخلد ملكه وابد سلطانه واعلا شأنه وأمد على الخليقة ظله وأعز أنصاره وضاعف اقتداره لمن وضع خطه آخر هذا الكتاب من الشهود العدول والسادة الاعيان بالاشهاد بما نسب اليه فيه فشهدوا عليه وذلك في الخامس من شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وخمسماية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وحسبنا الله وكفى».[1]

(١) العسلي. وثائق مقدسية، ص ٩١ - ٩٦.

الملحق الخامس

صورة المعسكر الإسلامي في العصر الأيوبي[1]

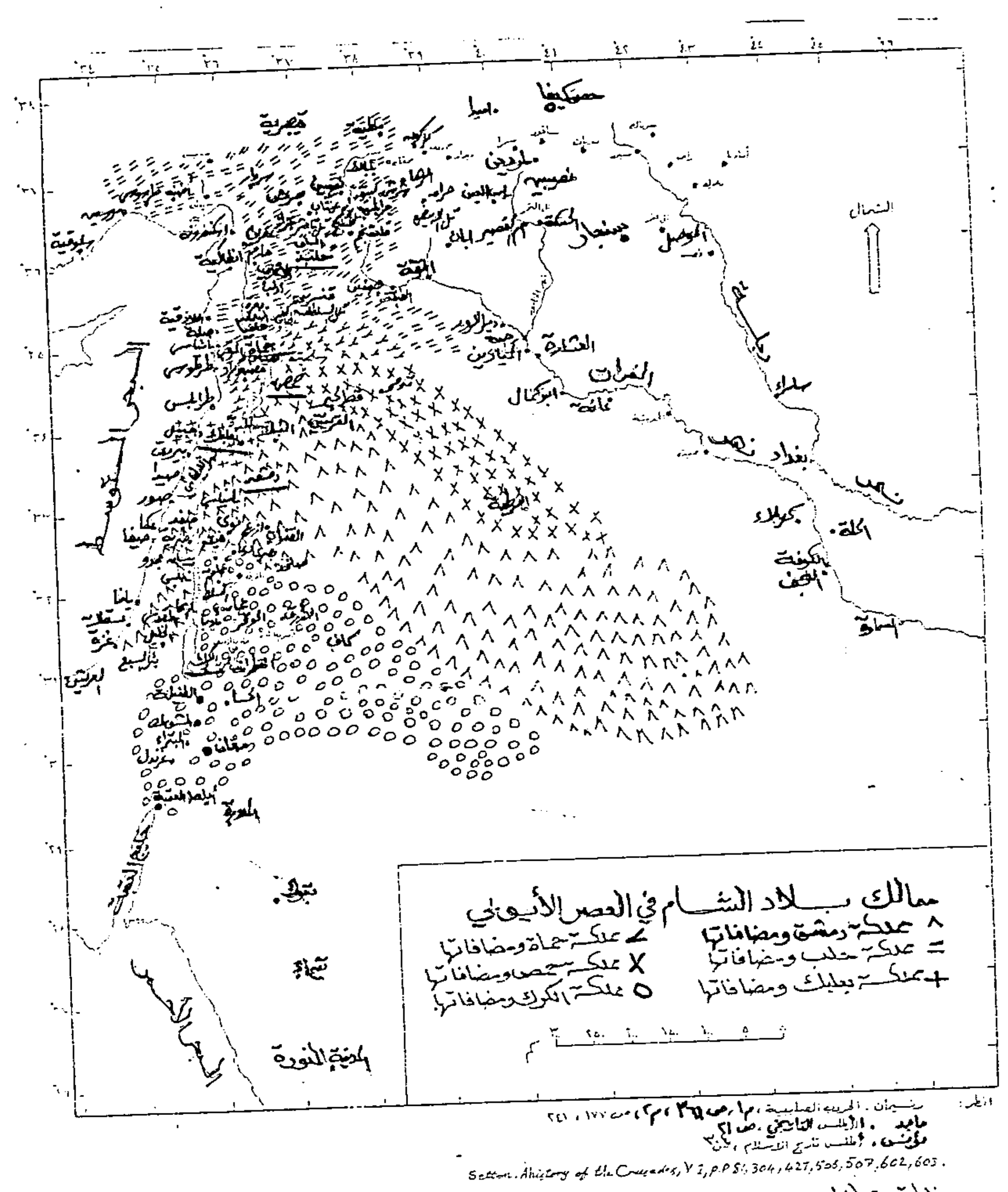


---

(١) عن كتاب سعداوي. جيش مصر في أيام صلاح الدين، ص ٤٩ نقلاً عن كتاب فهرست الكتب لمؤلف مجهول.

الملحق السادس

خريطه ممالك بلاد الشام في العصر الأيوبي



انظر: رنسيمان. الحروب الصليبية، م١، ص٣٦٩، م٢، ص ١٧٢، ٢٤١
ماجد. الأطلس التاريخي. ص٤٢
مؤنس. أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٠٢
Setton. A history of the Crusades, V I, p.p 54, 304, 427, 505, 507, 602, 603.

- مناطق متداخلة: معرة النعمان بين حلب وحماة، شيزر بين حماة وحلب، سلمية بين حماة وحمص، اللاذقية بين حماة وحلب، القلاص بين دمشق والكرك ....

الملحق السابع

المصطلحات الإدارية في العصر الأيوبي

- «الأتابك وهو مصطلح يطلق على مربي الأمير»[١]
- «الأستاذدار هو من يتولى الإشراف على تموين الملك ومطبخه وقصره وإقطاعه».[٢]
- «استكفاء أي أن السلطان قدوهب لهذا الوالي الولاية مقابل ضريبة يدفعها لخزينة الدولة».[٣]
- «الاسفهسلار هو مقدم العسكر»[٤]
- «أمير آخور هو ناظر الإسطبلات السلطانية».[٥]
- «براءة : أي أن تعطى وثيقة بولاية شخص على عمل معين».[٦]
- «البردار هو ممسك الستارة».[٧]
- «البيمارستان لفظ فارسي يعني بيت الضعيف».[٨]
- «الجاليش هم طليعة الجيش من رماة السهام».[٩]
- «الجامكية هي العطاء والراتب».[١٠]
- «الجاندار صاحبها يستأذن في دخول الأمراء على السلطان وربما يحمل سلاح سيده».[١١]

---

(١) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١٨ ؛ وابن كنان. حدائق الياسمين، ص ١١٣ - ١١٤.

(٢) نظام الملك الطوسي. سياست نامة، ص ١١٢ ؛ ابن واصل. مفرج الكروب، جـ٥، ص ٣٤٥ ؛ ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١١٥ ؛

(٣) ابن منظور. لسان العرب، م١، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ ٧، ص ١٥٥ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٦، ص ٦.

(٥) ابن فضل الله العمري. التعريف، ص ٣٦ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٣٧.

(٦) ابن منظور. لسان العرب، م١، ص ٣٣.

(٧) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٥، ص ١٩٤ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ١، ص ١٩٤.

(٨) رحلة ابن جبير، ص ٢٣٠ ؛ وابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٢٢٢ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٣٣.

(٩) أبو شامة. الروضتين، جـ ٢، ص ٧٧، ١٤٤ ؛ وبيبرس المنصوري. التحفة الملوكية، ص ٨٠ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٢، ص ١٢٦.

(١٠) البنداري. سنا البرق الشامي، جـ ١، ص ١٠١.

(١١) الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٣، ص ١٣٩ ؛ وابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٢، ص ٣١١ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٠ ؛ والمقريزي. الخطط، جـ ٢، ص ٢٢٢ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٢، ص ١٢٨.

- «الجاويشية فرسان يتكلمون أمام السلطان بصوت عال».[١]
- «الجشار هي المراعي العامة»[٢]
- «الجمدار يتولى الباس السلطان ويحمل بقجته خلفه».[٣]
- «الجمقدار هو حامل الدبوس إلى يمين السلطان».[٤]
- «الجوسق هي المقصورة التي يشرف من خلالها القائد على الجند».[٥]
- «الجوكندار من يحمل الجوكان - المضرب - للسلطان».[٦]
- «الحافظية هي التي تصلح الأطعمة وتحفظها».[٧]
- «الخازن كاتب يتولى خزن الغلات وصرفها»[٨]
- «الخانقاه هي بيت الصوفية».[٩]
- «الخزندار، من يتحدث في خزانة السلطان».[١٠]
- «الخشداشية رباط الأخوة والزمالة».[١١]
- «الخوانسلار هو رئيس المائدة».[١٢]
- «خوانك أي السيد الأمير».[١٣]
- «الخوند هو السيد بلغة الأتراك».[١٤]

---

(١) ابن كنان. حدائق الياسمين، ص ٦٦.

(٢) ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٧٧، ٧٨، ١١٢.

(٣) الكتبي. فوات الوفيات، جـ ١، ص ٢٣٦ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٣٥.

(٤) دوزي. تكملة المعاجم، جـ ٢، ص ٢٨٣.

(٥) الجميلي. دولة الأتابكة، ص ٢٥٣.

(٦) الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ٢٤، ص ٣٩٠ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٣٥.

(٧) النعيمي. الدارس، جـ ٢، ص ١٩٠.

(٨) البقلي. التعريف، ص ١١٣.

(٩) انظر ؛ المقريزي. السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٣٢٦ ؛ والبقلي. التعريف، ص ١١٥.

(١٠) انظر. الصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٦، ص ٣٣٩ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٤٣٥؛ والنعيمي. الدارس، جـ ٢، ص ١٣٢.

(١١) انظر ؛ ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص ٥ ؛ وابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٣٨ ؛ ابن عبدالظاهر. الروض الزاهر، ص ٧٢، ١٩٧ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، ص ٢٦.

(١٢) الأصفهاني. الفيح القسي، ص ٢٢٣.

(١٣) أبوشامة. ذيل الروضتين، ص ١٢٥ ؛ والباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٢٨٠.

(١٤) انظر ؛ ابن الساعي. الجامع المختصر، جـ ١، ص ٩٩ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم. جـ ٤، ص ٢٤٤.

- «الدزدار هو حافظ القلعة وواليها».[١]
- «الدست هو الإنشاء وديوانه».[٢]
- «الدستور بمعنى الاستراحة».[٣]
- «الدكة هي الحانوت والمتجر».[٤]
- «الدهليز هي خيمة السلطان التي يجلس بها للإستقبال».[٥]
- «الدوادار هو من يحمل دواة السلطان ويتولى تبليغ الرسائل عن سيده».[٦]
- «الركابدارية هم الذين يحملون السرج والغاشية بين يدى السلطان».[٧]
- «الروك هي عملية مسح الأراضي»[٨]
- «الزلفندار هو مقدم الجيش».[٩]
- «السفتجة هي الحوالة النقدية».[١٠]
- «السلحدار من يتولى حفظ خزانة السلاح».[١١]

---

(١) انظر : ابن الأثير. الكامل، جـ ١١، ص ٣٤١ ؛ وأبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ١، ص ٧٦ ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ١٩ ؛ والصفدي. الوافي بالوفيات، جـ ١٠، ص ٤٨.

(٢) انظر : الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ٢٥ ؛ والصفدي. أمراء دمشق، ص ٨٠ ؛ والبنداري. سنا البرق الشامي، جـ ١، ص ٣٢ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٣٤.

(٣) انظر : القاضي الفاضل. رسائل رقم ٥٥٠٨، ورقة ٢٤ ب ؛ وأبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ١٧٦.

(٤) انظر : ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ٢١٢ ؛ والخطيب. معجم المصطلحات، ص ١٨٣ ؛ ودهمان. معجم الألفاظ، ص ٧٦.

(٥) انظر : سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق ٢، ص ٦٤٦ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٤، ص ٤٢١.

(٦) انظر : ابن شداد. تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٨ ؛ والخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ١٠٦، ١١٩.

(٧) انظر : ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ١٥٠ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق٢. ص ٧٠٦ ؛ و الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ٣٢٦ ؛ و الخطيب. معجم المصطلحات، ص ٢١٢ ؛ ودهمان. معجم الألفاظ، ص ٨٣.

(٨) ابن الوردي. تتمة، جـ٢، ص ١٩٦ ؛ والحياري. صلاح الدين، ص ٢٥٢ ؛ وربيع. النظم المالية، ص ٤٠.

(٩) انظر : ابن العديم. زبدة الحلب، جـ ٣، ص ٢٣ ؛ وابو الفداء. المختصر، جـ ١٢. ص ٥٧.

(١٠) انظر الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٣، ص ١٤٠ ؛ وابن شيث. معالم الكتابة، ص ٢٨.

(١١) انظر : ابن العديم. زبدة الحلب. جـ٢، ص ٣٠١ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ١، ص ٢٠ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ١، ص ١٢٣، وجـ ٣، ص ٩٢ ؛ و أبو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ٢٣ ؛ و الكتبي. عيون التواريخ، جـ ١٢، ص ٤٢٢ ؛ و السبكي. معيد النعم، ص ٣٤، ٣٥.

- «السماط قد تطلق على المأدبة الكبرى التي يقيمها السلطان في أيام معينة».(١)
- «السنجق هو اللواء أو العلم».(٢)
- «الشاد : شدالدواوين أي فتشها وضبط حساباتها وهو كالناظر»(٣)
- « الشاهد هو الذي يشهد بمتعلقات الديوان المستخدم به نفياً وإثباتاً»(٤)
- «الشحنة هو من يتولى أمر الشرطة في المدينة والشرط هي العلامة لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها».(٥)
- «الشراب حاناة المكان الذي تحفظ فيه الأشربة والشربدار هو الذي يجهز هذا الشراب».(٦)
- «شهريار لقب لأكبر الملوك».(٧)
- «شيخ الشيوخ لقب يطلق على من يتولى الإشراف على رجال الطرق الصوفية ثم أصبح لقباً فخرياً».(٨)
- «الطارقة هي بيت مصنوع من الخشب يجلس به السلطان لمتابعة أمور إدارته».(٩)

---

(١) انظر : سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ٨، ق ٢، ص ٦٤٦ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٦، ص ١٤٧.

(٢) انظر : الأصفهاني. البرق الشامي، جـ ٢، ص ٦٦ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٣، ص ٩٠ ؛ وابو الفداء. المختصر، جـ ٣، ص ٢١ ؛ الخالدي. المقصد الرفيع، ورقة ٦٤ ؛ ودوزي. جـ ٦، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣) دهمان. معجم الألفاظ، ص ٩٥. والبقلي. التعريف، ص١٩٣.

(٤) البقلي. التعريف، ص ١٩١ ؛ ودهمان. معجم الألفاظ. ص٩٦.

(٥) انظر : ابن منظور. لسان العرب، جـ ٧، ص ٣٢٩، ٣٣٠ ؛ و ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١٠٧، ١٦٦ ؛ و ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٤٤ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٦، ص ٢٧٠.
Elisseeff. Nur Ad-Din, V.3, P. 825.

(٦) انظر : ابن العميد. أخبار الأيوبيين، ص ١٢٠ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٦، ص ٢٨٢ ؛ سعيد عاشور. نظم الحكم والإدارة، موسوعة الحضارة، م٣، ص ٢٥٥.

(٧) انظر : الباشا. الألقاب الإسلامية، ص ٣٦٢ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم، جـ ٦، ص ٣٧١.

(٨) انظر : ابن كثير. البداية والنهاية، جـ ١٣، ص ١٠٠ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٢٠٩.

(٩) الدواداري. كنز الدرر، جـ ٧، ص ١١٨.

- «الطبلخاناة، طبول وأبواق مختلفة الإيقاع».[١]
- «الطرطور غطاء وطاقية للرأس تستخدمه الشحنة».[٢]
- «الطشتدار هو من يحفظ ثياب السلطان ويصب الماء على يده».[٣]
- «الطواشي مسؤول كبير لنقل الأوامر وتعيين مواقع القادة في ساحة المعركة وربما سمّي بذلك لأنه ممسوح، ذهبت انثياه وذكره».[٤]
- «الطيلسان نوع من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفين. وهو خاص برجال الفقه»[٥].
- «العباءة ملحفة قصيرة مفتوحة من الجهة الأمامية، لا أكمام لها»[٦].
- «العبرة : العابر هو الناظر في الشيء ويقصد بها العطاء الكثير عن كل إقطاع».[٧]
- «العرصد أو العرصة هي ساحة الدار التي لابناء فيها وسميت بذلك لاعتراض الصبيان ولعبهم بها».[٨]
- «العلامة : آية قرآنية أو حديث نبوي للتوقيع به على المنشور».[٩]
- «العمامة قطعة من القماش، تلف عدة لفات حول الطاقية «الكلوته»[١٠].

---

(١) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٤. ص ٧ ؛ والنعيمي. الدارس، جـ ١، ص ٣٩١.

(٢) انظر : ابن الأخوة القرشي. معالم القربة، ص ١٨٤ ؛ وابن بسام. نهاية الرتبة، ص ١٥١، ٢٠٩ ؛ ودوزي. تكملة المعاجم. جـ ٧، ص ٤٠. والمعجم المفصل، ص ٢٧

(٣) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ٧٩ ؛ وأبوشامة. الروضتين، جـ ٢، ص ١٤٥، ١٤٧ ؛ وابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٣٠٢ ؛ وابن أبي الهيجاء. تاريخ. أحداث سنة ٥٨٥هـ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ١٣٩ ؛ وابن طولون. نقد الطالب، ص ١٨٦.

(٤) اليافعي. مرآة الجنان، جـ ٤، ص ١١٩ ؛ والسبكي. معيد النعم، ص ٣٩.
Minorsky. Saladin, p. 141 .

(٥) دوزي. المعجم المفصل، ص ٢٢٩.

(٦) دوزي. ص ٢٢٨.

(٧) ابن منظور. لسان العرب، م٤، ص ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٢.

(٨) ابن منظور. لسان العرب، م٧، ص٥٢، وياقوت. معجم البلدان، جـ٤، ص١٠١، وابن كثير. البداية والنهاية، جـ١٢، ص٢٩٧.

(٩) المقريزي. السلوك، جـ١، ص ٢٤٤ ؛ وابن يحي. تاريخ بيروت، ص ٤٣.

(١٠) وزي. المعجم المفصل، ص٢٥٠.

Text Stamp

- «الغاشية هي السرج والغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الدابة»[١]
- «الفرجية ثوب فضفاف هفهاف، له كمان واسعان طويلان، يتجاوزان قليلاً أطراف الأصابع»[٢].
- «القباء لباس خارجي للرجال يطوى تحت الإبط وهو كالفرجية، ولكنه ضيق الأكمام»[٣].
- «القرطاس هو عملة ورقية».[٤]
- «قسيم الدولة لقب تشريفي سلطاني».[٥]
- «القلنسوة هي طاقية توضع تحت العمامة»[٦].
- «الكاشف هو الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور».[٧]
- «الكلوته هي غطاء للرأس، طاقية قد تلف حولها العمامة».[٨]
- «الكوسات صنوجات من نحاس يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص».[٩]
- «الماسح هو الشخص المنوط به قياس الأراضي الزراعية».[١٠]
- «المسامحات هي الجود والموافقة من السلطان، إذا سمح بترك شيء كتب مرسوماً شريفاً بذلك».[١١]
- «المستوفي من كتاب الدواوين، مختص بالأموال وعمله ضبط حسابات

---

(١) رحلة ابن جبير، ص ٢٤٢ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٢٥٤.
(٢) ابن منظور. لسان العرب، جـ٢، ص ٢٤٣، ٢٤٤.
(٣) دوزي. المعجم المفصل، ص٢٨٦.
(٤) أبو شامة. الروضتين، جـ ١، ق ١، ص ٣٥ ؛ وسبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، جـ ٨، ق٢، ص ٦١٢ ؛ وابن قاضي شهبة. الكواكب الدرية، ص ٢٤ ؛ وكرد علي. خطط الشام، جـ ٢، ص ٤٠.
(٥) الباشا. الألقاب الاسلامية، ص ٤٣١.
(٦) دوزي. المعجم المفصل، ص ٢٩٦.
(٧) البقلي. التعريف، ص ٢٨٣.
(٨) ابن واصل. مفرج الكروب، جـ ٤، ص ١٧١-١٧٢. ودوزي. المعجم المفصل، ص٢٥٠.
(٩) ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ١١٩ - ١٦٢ ؛ والقلقشندي. صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٨ ؛ العليمي. الأنس الجليل، جـ ١، ص ٣٧٢.
(١٠) البقلي.التعريف، ص ٢٩٤ ؛ ودهمان. معجم الألفاظ، ص ١٣٤.
(١١) ابن إياس. بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٢٨ ؛ والسيوطي. حسن المحاضرة ؛ جـ٢، ص ١٧ ؛ والبقلي. التعريف، ص ٣٠٩.

الديوان»[١]

- «ورقة المسير هي الجريدة الخاصة بالتقليد والولاية أو العزل التي يبعث بها ديوان الدولة، وقد يصدرها ديوان المال بحيث يحدد من خلالها انتقال ناحية ما من ديوان المال إلى ديوان الإقطاع»[٢]
- «المشارف عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أي جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله، ويدخل في عهدته جمع المتحصلات المالية بعد ختمها»[٣]
- «المكس هي الضرائب الغير شرعية».[٤]
- «الناظر هو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه».[٥]
- «المنشور عبارة عن أمر سلطاني مكتوب بإقطاع من أرض أو مال أو.غير ذلك، والمناشير عدة أصناف، يكتب كل صنف في قطع مُعين من الورق باختلاف طوائف رجال الدولة، ولا يحتاج المنشور إلى ختم كمنشور الولاية ومنشور الإقطاع»[٦].
- «اليزك هم طلائع الجيش».[٧]

---

(١) دهمان. معجم الألفاظ، ص ١٣٨. والبقلي. التعريف، ص ٣١٠.
(٢) ابن منظور. لسان العرب، م٤، ص ٣٩١. والمخزومي. المنهاج، ورقة ١١٥ب.
(٣) البقلي. التعريف، ص ٣١٢.
(٤) النويري. نهاية الأرب، جـ ٢٩. ص ١٧.
(٥) البقلي. التعريف، ص ٢٤١ ؛ ودهمان. معجم الألفاظ، ص ١٥٠.
(٦) القلقشندي. صبح الأعشى، جـ١٢، ص١٥٨ وما بعدها.
(٧) ابن الأثير. التاريخ الباهر، ص ١١٧.

Abstract

The Ayyubid Administration of Bilad Al-Sham

Prepared By : Khaled Sulaiman Abdul- Rahman

Supervised By : Prof. Dr. Mustafa Al- Hiyari

Writting on this subject was not an easy task. The researchers never came across a specialized or semi-specialized study on the Ayyubid administration. During the period of writing this research, the researcher never found aspecialized study about the period mentioned except some studies about the administrative affairs. Those studies included only pieces of the Ayyubid administration specially in Eygpt, their first place, before going to Bilad Al-Sham. Generally, the writers considerd that period as a military events period. Some sources discussed the Ayybid administration practice more than talking about it as an organized Ayyubid establishment which gave decisions and had many administrative occupations.

The researcher did his best to have every detail has a relation to the Ayyubid administation period.

In this study the researcher utilized those sources classifed by historians and writers who lived and felt the events they wrote about. Some of them occupied a position in the Ayyubid administration including : Al-Kadi Al-Fadel, Al-Emad Al-Asphahani, Ben Shaith and Al-Qurashi... etc.

The study was divided into an introduction, sources analysis, five main chapters, abstract and seven appendixes.

In the first chapter, the researcher discussed the civil administration during the Ayyubid time. In particular the Ayyubid Sultanate institution such as the Sultanate a definition traditions, customs, the Sultan's and the king's responsibilities and the Sultan's Mamaleeks and his princes. Diwan Al-Ensha and the administrative ranks were other topics such as "Atabic", "Astadar", "Dawadar", and "Es-Fehslar".

The relationship between Ayyubid administration and the "Abbasy Khalafs" was the last part in Chapter one.

In the second chapter, the researcher reviewed the administrative divisions in Bilad Al-Sham as well as the general administation and the main provinces including Damascus (Al-welayeh, the city ruler, the castel ruler, Establishments administrations, Al-Quds), Halab, Ba'labak, Hamah, Homs, Al-Karak and the "Munasfat administration".

The third chapter sheds light on the Ayyubid Financial administration. The discussion cover the types of "Dawaweeen" (Minister, Suprintendent, Al-Sharef, Dawaween's man, the Collector, the Copier, the Writer and the Surveyor). It also touched the parts administration, fees in the Ayyubie's areas and the aminiting house.

The researcher in the fourth chapter the Ayyubid military administration including shipping, Haj, forts management and the postal services and detectives.

Chapter five of this research dealt with the Religions organizations administration. For instance the Courts, Judiciany, Oratory, Al-Hisbah Endoments and Education.

In the conclusion, the researcher provided seven appendixes; Rulers and judges of Sham areas, Prince Shams Udeen Ben Al-Mokkadam in Damascus, Al-Hisbeh in Allepo, An endoments document in Al-Quds, a picture of the Islamic military, Bilad Al-Sham map and finally the administrative expressions in the Ayyubid time.